

اليكس بيلوس

كرة القدم
الحياة على الطريقة البرازيلية



ترجمة : عبلة عودة

أليكس بيلوس



كرة القدم

الحياة على الطريقة البرازيلية

ترجمة: عبلة عودة

مراجعة: د. أحمد خريس

الطبعة الأولى 1434هـ 2013م

GV944.B7 B4512 2011
Bellos, Alex, 1969-
[Futebol]
كرة القدم: الحيـاة على الطريقة البرازيلية / تأليف أليكس بيلوس؛ ترجمة عبلة عودة؛ مراجعة أحمد خريس.- أبوظبي: هيئة أبوظبي للسياحة والثقافة، كلمة، 2011.
ص 442 ؛ 14×21 سم.
ترجمة كتاب : Futebol : the Brazilian Way of life
تدمك: 978-9948-01-995-4
1 - كرة القدم - البرازيل - تاريخ - القرن 20.
2 - البرازيل - الأحوال الاجتماعية - القرن 20.
أ-عودة، عبلة. ب-خريس، أحمد.



www.kalima.ae
ص.ب: 2380 أبوظبي، الإمارات العربية المتحدة، هاتف: 300 6215 2 971+ فاكس: 127 6433 2 971+

هيئة أبوظبي للسياحة والثقافة
ABU DHABI TOURISM & CULTURE AUTHORITY

كرة القدم

الحياة على الطريقة البرازيلية

حقوق ملكية الصور الواردة في الكتاب

تعود ملكية الصور الملونة حسب ترتيبها في القسم الخاص بها من الكتاب إلى كل من:

أبريل إيما جينس: ص6، ص8(ب، ج)، ص9(ب)، ص11(ب، ج)، ص13(ج)، ص22، ص24(ا)

أجينسيا إيستادو: ص9(ج)

أجينسيا أو جلوبو: ص21(ا)

ألدير جارسيا شيلي: ص4

أجينسيا لانس: ص14(ب)

أليكس بيلوس: ص1(ا،ب، ج)، ص3 (ا،ب)، ص5، ص 7(ا،ب، ج،د)، ص9 (ا)، ص10 (ا،ب، ج)، ص11 (ا)، ص12 (ا،ب)، ص15 (ا،ب، ج،د)، ص17 (ج)، ص18، ص19 (ا،ب)، ص21 (ب)، ص24 (ب، ج).

الأرشيف الشخصي لكلوديو ربيرو: ص8 (ا)

الأرشيف الشخصي لإدواردو سانتانا: ص14(ا)

مايكل إندي: ص16 (ا،ب، ج)، ص17 (ا،ب)

م. كلين من صحيفة الغارديان: ص13(ا)

روجيريو ريس، تايبا: ص11(ب)

إي سي فيتوريا: ص13(ب)

تعود ملكية الصور بالأبيض والأسود الواردة في الكتاب إلى كل من:

أبريل إيما جينس: ص 233، 437، 408

أجينسيا إيستادو: ص367

أجينسيا أو جلوبو: ص 178

أجينسيا لانس: ص 384

أرشيف إيدن هاملتون: ص42 ، 41، 39، 52، 64، 430، 433، 431

أليكس بيلوس: ص 173، 376

فون–فون، المكتبة الوطنية في ريو دي جانيرو: ص 92

فرانكو كوزيمو بانيني: ص 398

مطابع غازيتا: ص 135

أرشيف ليونداس دا سيلفا: ص 54

أو مالو، المكتبة الوطنية في ريو دي جانيرو: ص 43

مانشيت: ص 109، 138

أرشيف نيلسون رودريجوس: ص 267

بيدرو مارتينيلي: ص 113

ريكاردو أزيفيدو، أرمازيم للفلكلور: ص 122

أرشيف روبيرتو بورتو: ص 215

صمم الخرائط ومجموعة الصور الملونة ريتشارد هورن.

لا بد أن نشير إلى أننا حاولنا جاهدين تقصي جميع أصحاب الملكية القانونية للصور الموجودة، وإذا كان هناك أي تقصير أو إغفال، فإن دار النشر ترحب بجميع الاستفسارات.

المحتويات

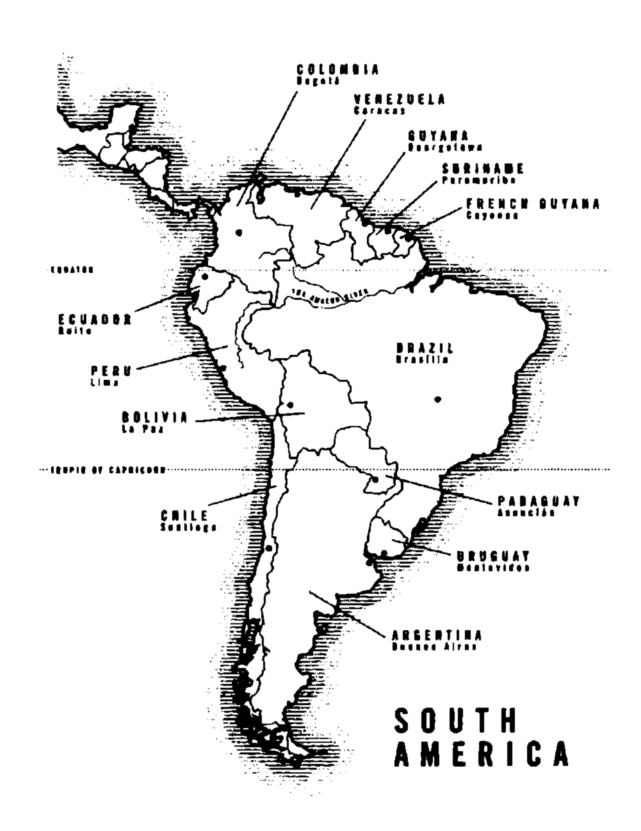
تمهيد

إن الشغف الحقيقي هو ما يحركني، ويحرك هذه الأمة التي أنتمي إليها، فليس هناك أمة مماثلة يقودها الحب ويسيرها الشغف مثل الأمة البرازيلية، فنحن في هذا البلد محاطون بالسعادة والإثارة والعفوية والإبداع حيث تلمح الأمل والبِشْر على الوجوه جميعها، حتى تلك التي لم يحالفها الحظ في الحياة، فالجميع يؤمنون ببناء مجتمع جديد حر، بعيداً عن الخوف وتكميم الأفواه، مجتمع يؤمن بالمعرفة والحرية للجميع، ويفتح أبواب الأمل للفئات جميعها من دون استثناء.

إنّ هذا الشعب الذي كان مستعبَداً، يطلق صرخات الحرية كل يوم؛ بحثاً عن حقيقته وجوهره، يدفعه تراث عميق، وثقافة تنبع من الروح الخالصة لهذا الشعب بفئاته كلها: بيض وسود وهنود وفقراء ومهاجرون، فهو يعرف فعلاً ما يريد حتى ولو لم يدرك ذلك، ويحب كل ما حوله، ويعتصر الحكمة من كل ما يراه بعفوية مطلقة وتقدير عميق. ويحب كرة القدم أيضاً! وهي رياضة تعتمد على العفوية، تلهبها الحرية، وتسيرها البصيرة النافذة، ويحميها الشغف، مثل رقص السامبا البرازيلي تماماً الذي يجري في دمائنا، ويتقنه أبناء شعبنا بالوراثة.

يعرض أليكس بيلوس في هذا الكتاب بصبر الحكيم، وفضول العالم، وجه البرازيل وروحها، مظهراً عظمة تراثها وثقافة أبنائها، وهو يفعل ذلك بحساسية بالغة وفطنة عميقة، لا نملك إلا الإعجاب بها، وهو ينقلنا بذلك إلى مقاعد المتفرجين أمام مسرح ننظر إلى شخوصه؛ فنتعرف على

أنفسنا من جديد، وندرك لماذا نحن هنا. سقراط برازيليرو[1]



---

(1) سقراط برازيليرو: هو لاعب كرة قدم برازيلي، ولد عام 1954 وعرف باسم سقراط، حصل على شهادة الطب عام 1979، واحترف كرة القدم بعد ذلك؛ ليصبح من أشهر اللاعبين في العالم. كان سقراط مفكراً ومنظراً ومثقفاً أيضاً، فكان يستعمل كرة القدم للجهر بأفكاره حول غياب الديموقراطية في بلاده. غادر سقراط عالم كرة القدم فجأة عام 1987، وفضل التفرغ لمهنته طبيباً: (المترجم).

توطئة للمؤلف

لقد قمت بتأليف هذا الكتاب، خلال السنتين اللتين سبقتا نهائيات كأس العالم لكرة القدم عام 2002. وقد كان حدثاً يخشاه البرازيليون بقدر ما كانوا يتطلعون إليه، فقد تأهل الفريق القومي للنهائيات بصعوبة، وكانت كل المؤشرات تشير إلى موت الكرة البرازيلية وانتهائها علناً في اليابان وكوريا الجنوبية، حيث كانت تقام فعاليات المباريات، إلّا أنّ البرازيل فازت بكأس العالم لكرة القدم في ذلك العام خلافاً لكل التوقعات، وتُوِّج المنتخب البرازيلي بطلاً للمرة الخامسة، وهي سابقة تاريخية لم يحققها أي فريق من قبل. لقد كانت تلك السنة من أسوأ السنوات في البرازيل وأفضلها في الوقت نفسه، وقد قمنا ببعض التعديلات المتعلقة بأحداث ذلك العام في الطبعة الثانية التي بين أيديكم، وذلك فيما يتعلق بتفاصيل المباريات، غير أن التفاصيل المتعلقة بالبلاد وثقافتها بقيت كما هي.

ريو دي جنيرو

ديسمبر 2002.

مقدمـــة

ظهرت لعبة كرة القدم في البرازيل عام 1894، وخلافاً للمتوقع انتشرت هذه اللعبة البريطانية العنيفة انتشاراً واسعاً، وأصبحت خلال عقدين من الزمن جزءاً من الهوية البرازيلية. وكما هو معروف، فقد فاز المنتخب الوطني البرازيلي بكأس العالم لكرة القدم عدداً من المرات، تفوق أيّ منتخبات عالمية أخرى، وقد أنجبت البرازيل أعظم لاعب في كرة القدم على الإطلاق وهو اللاعب «بيليه»، وأسست الكرة البرازيلية لنفسها أسلوبها المتميز الخاص الذي كان مصدر إلهام وفخر لمحبي كرة القدم في العالم. ويدعو برايتون كرة القدم البرازيلية بـ«اللعبة الجميلة»، ويسميها البرازيليون «فن كرة القدم»، ومهما كانت التسمية فليس هناك من لعبة في عالم الرياضة تضاهي إغراء كرة القدم البرازيلية.

لقد حضرت إلى البرازيل عام 1998، وعملت مراسلاً لجريدة غربية، وهي وظيفة لطالما حلمت بها، ولاسيما في البرازيل لما لها من سحر لا يقاوم بالنسبة لأيّ مراسل صحفي، فهي بلاد كبيرة، وفيها من التنوع والألوان الثقافية والحضارية ما يشبع فضول أيّ صحفي.

يسكن البرازيل 170 مليون نسمة، ويفوق عدد المواطنين السود منهم عددهم في أي دولة أخرى ما عدا نيجيريا، وفيها عدد من اليابانيين يفوق عددهم في أي دولة أخرى باستثناء اليابان، وهناك ما يقارب 350,000 نسمة من الهنود أيضاً، منهم عدد من القبائل التي ما زالت مجهولة حتى الآن.

تعد البرازيل المنتج الأول في العالم لعصير البرتقال والقهوة والسكر،

كما أنها بلد صناعي يحتل مركزاً متقدماً في صناعة الطائرات على سبيل المثال، وطبعاً لا يخفى على أحد التراث الثقافي الهائل في الرقص والموسيقى الذي تمتلكه البرازيل، وإضافة إلى كل ذلك، هناك طبعاً كرة القدم.

وما إن وصلتُ إلى البرازيل، حتى ذهبت لحضور إحدى مباريات المنتخب الوطني التي كانت تقام في ملعب (ماراكانا)، الموطن الروحي لكرة القدم البرازيلية، وقد كان ظهور اللاعبين على أرضية الملعب إشارة لبدء عاصفة من التصفيق والتهليل، أثارها الجمهور الذي أخذ يقرع الطبول منشداً تحية خاصة للفريق للترحيب به، وقد لخص لي هذا المشهد ما كنت أعرفه من قبل، وهو أن عشق الكرة البرازيلية أبعد بكثير من اللعب الاحترافي الجميل، إنه عشق للفرجة ذاتها التي تمنح المشاهدين سعادة عارمة، وشعوراً أنّ هؤلاء اللاعبين الذين ينتمون إلى هذا المنتخب يعكسون تجانساً عرقياً مثالياً، يجعل من كل واحد منهم صديقاً مقرباً للمشاهدين ومحبي الفريق، وهم بزيهم الأصفر المميز يمثلون أيقونة يحملها البرازيليون في قلوبهم حيثما كانوا.

وبما أنّني أحد مشجعي الرياضة الدائمين، فقد أخذت أطور اهتمامي بالفرق المحلية، وأتابع المجلات الرياضية ولقد انحزت إلى أحد الفرق، فحضرت المباريات بانتظام، وقد كان ذلك أقصر الطرق للانخراط في المجتمع البرازيلي. وأخذت ألاحظ شيئاً فشيئاً، ومن خلال عملي صحفياً، كيف تؤثر كرة القدم على أسلوب الحياة في البرازيل، وكيف تعكس هذه اللعبة ثقافة المجتمع البرازيلي، وهنا ولدت فكرة هذا الكتاب.

لقد أخذت أبحث في البداية عن تأثير هذه اللعبة البريطانية التي ظهرت في البرازيل قبل زهاء قرن من الزمان، لتشكل فيما بعد قدر هذه الأمة في أمريكا الجنوبية! فكيف يمكن لفريق لعبة رياضية، أن يصبح أحد عوامل الوحدة الرئيسة في خامس أكبر دول العالم؟ وماذا يعني البرازيليون حين يصرحون بفخر واعتزاز أنهم يعيشون في بلد كرة القدم؟

استغرقت أبحاثي عاماً تقريباً، تجولت فيه في أنحاء البرازيل كلها، وقابلت مئات الأشخاص من لاعبين فاعلين على الساحة، ولاعبين متقاعدين، إضافة إلى أصحاب الأندية والمدربين والصحفيين والمعجبين والمشجعين، ثم انتقلت إلى مرحلة أعمق في البحث، فقابلت بعض السياسيين ورجال الدين والموسيقيين وعلماء الاجتماع، كما ذهبت إلى بعض القبائل الهندية في قراها، واستمعت إلى عدد من القصص الغريبة التي تخص عالم كرة القدم، منها قصة تربط بين سقراط اللاعب الشهير ومعمر القذافي الرئيس الليبي!

لم أكن في ذلك الوقت أسعى خلف الحقائق المكتوبة، ففي بلد يعتمد أساساً على القصص والحكايات والأساطير، ويقدر الكلمة المسموعة أكثر بكثير من المكتوبة، لم تكن الحقائق والأرقام المكتوبة تعني شيئاً كثيراً. لقد كنت مهتماً بما يرويه الناس عن حياتهم، وقد حصلت في هذا المجال على كمٍّ هائل من القصص، تشكل -كما أرجو- صورة معاصرة لإحدى كبرى بلدان أمريكا اللاتينية من خلال شغف أهلها بكرة القدم، وهو شغف حقيقي، ففي البرازيل يعرض الحانوتي توابيت

تحمل شعار نوادي كرة القدم! ويمكن للنوادي أن تدعم مرشحيها حتى يصلوا إلى تمثيل الشعب في البرلمان، وينسحب ذلك على كثير من مجالات الحياة في هذا البلد الرائع.

لقد شرعت في بحثي هذا منتصف عام 2000، بعد مرور نصف قرن على إقامة نهائيات كأس العالم في البرازيل، وبعد ثلاثين عاماً من فوز البرازيل بكأس العالم للمرة الثالثة، وهي فترة مهمة ومفصلية في تاريخ الكرة البرازيلية، فقد كانت اللعبة تعاني من مشاكل كثيرة أثَّرت على مستوى الفريق الوطني، وأدت إلى هزائم عدة متلاحقة في عدد من المباريات، مما دعا مجلس الأعيان إلى فتح تحقيق موسع للوقوف على أسباب هذا التراجع، ليظهر في أثناء التحقيق عدد من التجاوزات وبؤر الفساد التي أخذت تنهش في جذور اللعبة، وتتحكم في مصير الأندية الرياضية. وهكذا كان الوضع يتجه من سيئ إلى أسوأ، حتى وصلت الأمور إلى نقطة الشك في ترشح البرازيل لنهائيات كأس العالم.

لقد كانت هذه المحنة انعكاساً لوضع البرازيل خلال حقبة زمنية بدأت منذ الخمسينيات، انتقلت فيها البرازيل من بلد ريفي، كان معظم مواطنيه من المزارعين الجهلة، الذين يعانون الفقر والأمية، إلى بلد يحاول الدخول الى حياة المدنية بتكوين مجتمعات مدنية جديدة أكثر تطوراً، وطبعاً لم يكن هذا الانتقال سهلاً في ظل الديكتاتوريات التي حكمت البرازيل لعقدين من الزمن.

وفي أثناء متابعتي للتحقيقات التي أجريت حول تراجع الكرة البرازيلية في ذلك الوقت، استمعت إلى شهادة اللاعب رونالدو التي

قال فيها: إنّ هناك وجوهاً عديدة لحقيقة ما يجري، لكنه سيقدم للمحققين الوجه الذي يعرفه هو، وقد أعجبتني كلمات رونالدو حتى إنني سجلتها في دفتر ملاحظاتي، وها أنا أستعملها اليوم لتقديم هذا الكتاب. وللبرازيل وجوه عدة، وفيها العديد من الحقائق، لكنني في هذا البحث أحاول تقديم الوجه الحقيقي لكرة القدم البرازيلية كما رأيته، وأرجو أن ينال إعجابكم.

أليكس بيلوس

ريو دي جنيرو

نوفمبر 2001.

الفصل الأول

مباراة في آخر الدنيا

ينظر مارسيلو ماركولينو خارج نافذة منزله في قرية توفتير، متأملاً الضباب الذي يغلف كل شيء، ويتذمر من اكتساح اللون الأبيض لكل شيء من دون أن تكسر هذا الجمود بقعة من السماء الزرقاء، أو قوس قزح عابر يضفي لوناً ما، غير أن مارسيلو لا يغادر منزله على أي حال، فهو يكتفي بالتفرج على التلفاز، ويتنقل بين قنوات تذيع برامجها بلغة لا يفهمها. لقد كان مارسيلو يحلم دائماً أن يصبح لاعب كرة قدم، وذلك مذ كان طفلاً يلعب في شوارع كوبا كابانا، ويتمنى أن ينضم إلى فريق فلامنغو أو أحد الفرق الأخرى، حيث كان أبوه يلعب في أحد الأيام، ولكنه لم يتصور البتة أن يلعب في أحد الأندية شمال الأطلسي، حيث درجة الحرارة في الصيف أقل بعشر درجات عن حرارة الشتاء البرازيلي.

تقع جزر الفارو في منتصف المسافة بين إسكتلندا وأيسلندا، وقد اكتشفها للمرة الأولى الراهب الإيرلندي برندن في أثناء إبحاره إبان القرن السادس الميلادي؛ للبحث عن جزيرة هاي برازيل الأسطورية، وهي إحدى الأساطير الإيرلندية القديمة.

سمع مارسيلو بجزر الفارو للمرة الأولى، عندما وصله عرض للعب مع نادي B´68في توفتير، وحصل على تأشيرة المغادرة من القنصلية الدانمركية في ريو دي جنيرو، وعندما وصل إلى كوبنهاجن

ليستقل طائرة أخرى إلى الفارو لفحه هواء قارس البرودة للمرة الأولى في حياته، شعر بالندم وتمنى لو يعود أدراجه إلى البرازيل. أما الرحلة بالسيارة من المطار إلى توفتير، فقد كانت خيبة أمل عظيمة، فقد كانت جوانب الطريق جرداء لا شجر فيها وتغطيها الثلوج على مدّ البصر. لقد كانت تلك هي المرة الأولى التي يرى فيها مارسيلو الثلج في حياته. كانت توفتير قرية صغيرة نائية يقطنها عدد محدود من السكان يسكنون بيوتاً صغيرة متناثرة لا تتمايز عن بعضها في شيء، أمّا أضخم المباني الموجودة في هذه القرية فهي سوق الأسماك ومصنع الأسماك وكنيسة القرية، ونادٍ لكرة القدم يضم ثلاثة من اللاعبين البرازيليين.

وعندما وصلت إلى منزل مارسيلو كان يغطّ في نومه، لكنه ما إن استفاق حتى دبت الحيوية في البيت كله، وأخذ يحدثني قائلاً: «هذا البيت هو سجني، أنا أنتمي لثقافة مختلفة، وكم أتوق لحياتي الصاخبة في البرازيل، حيث الأصدقاء والشواطئ والشمس والشراب، الناس هنا لا يعيشون، فلا حياة خارج المنزل».

يبلغ مارسيلو تسعة وعشرين عاماً، ويبدو وسيماً بشعره الحليق وبشرته الداكنة التي أصبحت أفتح قليلاً منذ وصوله إلى جزر الفارو؛ نظراً لقلة تعرضه للشمس، ويقف منتصباً دائماً ويتحدث بصوت واضح مشيراً بيديه بانفعال أهل البرازيل المعروف. وأسأل مارسيلو إذا كان يخرج في عطلة نهاية الأسبوع فيقول: «إن المسافة إلى تورشفن العاصمة، تستغرق ساعة كاملة في الحافلة، كما أن المدينة ليس فيها ما يثيرني، لذلك فأنا لا أخرج كثيراً». لكنه يعود ليقول ببساطة: «أنا لا

أشتكي فأنا هنا لألعب بوصفي محترفاً، وأنا أجني نقوداً لا يمكن أن أجنيها بأي حال من الأحوال في البرازيل».

يتدرب مارسيلو لمدة ساعتين في اليوم فقط في نادي B 68، أما في الصباح فيقوم لاعبو النادي بالمساعدة في سوق الأسماك، بجر شباك الصيد المحملة بالأسماك من السفن والقوارب وتفريغها في أرضية السوق، وهذا العمل ليس إجبارياً ولكن رئيس النادي يحث اللاعبين على المشاركة فيه، فهو مسؤول عن تفريغ حمولة السفن في السوق، ويحتاج لكل مساعدة ممكنة. ولا يبدو أن مارسيلو معجب بهذه المهمات الشاقة التي لا يراها من اختصاصه فهو موجود هنا لتسديد الأهداف في المباريات وليس لتفريغ حمولة السفن من الأسماك، وهنا ينهض مارسيلو ليحضر كأساً فضية حصل عليها في الموسم الماضي؛ لأنه أفضل لاعب في إحراز الأهداف، إذ استطاع إحراز خمسة عشر هدفاً في مرمى الخصوم خلال موسم واحد، ويقول بكل فخر: «أنا الملك هنا، لا أحد يمتلك القدرات التي أمتلكها!».

يعرف مارسيلو أنه يعيش فرصة لا تتكرر، فاللعب في أوروبا هو حلم كل لاعب برازيلي، ويقول: إن الناس في البرازيل يعاملونه بطريقة مختلفة وباحترام كبير عندما يعلمون أنه يلعب مع فريق أوروبي، وهو سعيد بذلك ويفخر أنه سيجد في حياته ما يرويه لأحفاده يوماً ما. أترك مارسيلو وأذهب لمقابلة نيكلاس دافيدسون رئيس نادي B68 ، وهو رجل حاد الملامح يحتفظ بيديه في جيوبه دائماً من شدة البرد، ويتكلم همساً من دون أن يحرك شفتيه، فيدعوني لشرب الشاي في

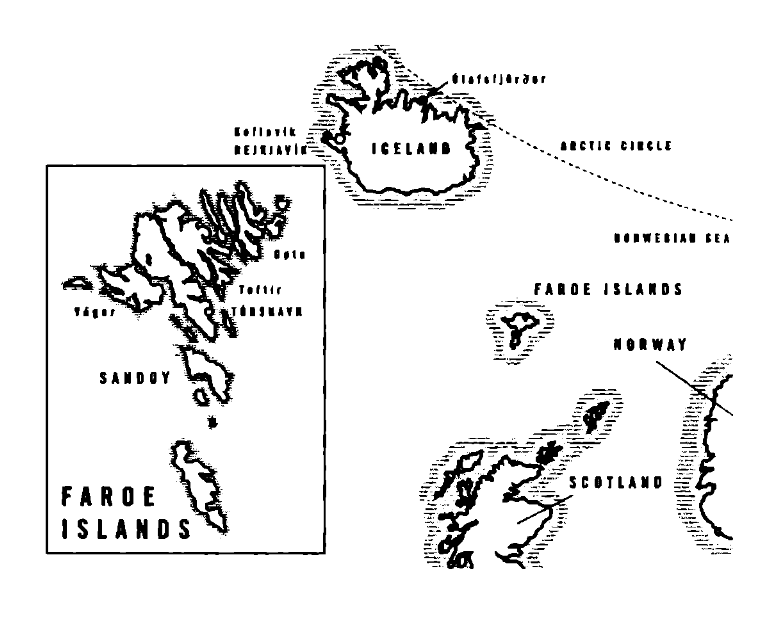
بيته؛ للتحدث حول النادي الذي يرأسه.

يقول نيكلاس: إن نادي B68 هو نادٍ ريادي، ويقوم ليعرض عليّ شريطاً مصوراً حول مباراة للفريق الوطني للفارو، يلعب فيه ضد النمسا على أرض السويد فيفوز بنتيجة 1–5، وعند عودة الفريق إلى بلاده في سبتمبر عام 1990 استقبله أهل الفارو استقبال الأبطال.

ومنذ ذلك الوقت أخذ الاهتمام بكرة القدم ينمو في هذه الجزر، غير أن الطبيعة كانت عائقاً دائماً أمام التقدم إلى الأمام في هذه اللعبة، حيث الطبيعة الجبلية تحول من دون بناء ملاعب مسطحة تضاهي ملاعب كرة القدم الدولية. يقول نيكلاس: إن المهندسين في توفتير احتاجوا إلى خمسين طناً من المتفجرات؛ لتفجير التلال المحيطة بالقرية لمدّ ملعب مسطح بالمقاييس الدولية، وكان العمل يجري ليل نهار لإنجازه، حتى استطاعت قرية توفتير في النهاية أن تجهز المكان الملائم للتدريب، ولإقامة مباريات دولية على أرضها، ولكن بقي توفير لاعبين محترفين لدعم الفريق.

يقول نيكلاس: إن اللاعبين البرازيليين كانوا محط أنظار المدربين الأوروبيين دائماً، ومن ضمن هؤلاء المدربين بال غولفوسون الذي كان يشرف على تدريب فريق الفارو الوطني، وقد كان يحضّر لرحلة إلى البرازيل لشراء عدد من اللاعبين المحترفين، وفي ذلك الوقت كان نادي B68 يملك المال الكافي لاستقطاب عددٍ من اللاعبين البرازيليين إلى الفريق، وهكذا كان، فقد وصل إلى توفتير عام 1999 أربعة لاعبين برازيليين؛ لينضموا إلى نادي B68 وهم: مارسيلو ماركولينو، وماسياس

بيريرا، ومارلون جورج، ولوشيو دي أوليفيرا، واثنان غيرهما انضما إلى فريق متوسط آخر في جزر الفارو.



خريطة جزر الفارو

لم يكن هؤلاء هم الوحيدين الذين غادروا البرازيل في ذلك العام، إنما خرج من هناك أكثر من 650 لاعباً محترفاً إلى فِرق مختلفة حول العالم، بعضها من فرق الدرجة الأولى، وبعضها الآخر فرق ناشئة تبحث عن موطئ قدم في عالم اللعبة، مثل: فرق في أرمينيا والسنغال والصين وجمايكا. ووفق الفدرالية البرازيلية لكرة القدم هناك الآن زهاء 5000 لاعب برازيلي محترف، يلعبون في فرق متعددة حول العالم، ويمثل هذا

العدد أربعة أضعاف عدد الدبلوماسيين البرازيليين في العالم، لكنهم لا يقلون أهمية البتة عن الدبلوماسيين، فهم يحملون ثقافتهم أينما ذهبوا، ويروجون لطريقة الحياة البرازيلية في البلدان التي يعيشون فيها، كما أنهم مصدر دخل مهم لعائلاتهم وذويهم في البرازيل.

استقبلت جزيرة توفتير اللاعبين البرازيليين بحفاوة بالغة، وأخذ طلاب المدارس يحلقون رؤوسهم الشقراء؛ ليتمثلوا بهؤلاء اللاعبين، كما سلطت الصحف الضوء عليهم لعدة أشهر، وكانوا ضيوفاً في عدد من الحلقات التلفزيونية، غير أن النتائج التي حققها هؤلاء اللاعبون لم تكن وفق التوقعات، فبعضهم لم يستطع التأقلم مع برودة الطقس الشديدة، ولم يتمكن بعضهم الآخر من اللعب بسهولة فوق الثلج، كما أن لوشيو أصيب بإصابة شديدة في أثناء اللعب، فعاد أدراجه إلى البرازيل، فكانت النتيجة أن فريق B68 احتل المرتبة السابعة في الدوري الذي تتنافس فيه عشرة فرق. وعلى الرغم من ذلك فقد أصر نيكلاس على التقدم، وفي العام الذي يليه (عام 2000) حل فريق القرية في المرتبة الثالثة، وفاز مارسيلو بلقب أحسن هداف، وتم تجديد عقود اللاعبين البرازيليين لعام آخر. ويعترف نيكلاس أن التعاقد مع اللاعبين كان نوعاً من المقامرة، لكنها أثبتت جدواها على كل حال.

لقد فتح وصول الفريق إلى المرتبة الثالثة أبواباً لم يحلم بها أحد، وأهمها الترشح لدوري كأس أوروبا، وقد كان هذا طموح كل الفرق الأوروبية على الإطلاق، وأما فريق الفارو الوطني فلم يتجاوز الدور الأول لهذه المسابقة البتة، لكن الآن بوجود اللاعبين البرازيليين فقد

أصبح الحلم أقرب إلى التصور والتحقق.

يبدأ ماسياس بيريرا يومه في السادسة صباح كل يوم بقراءة أجزاء من الكتاب المقدس؛ ليتغلب على شعوره بالوحدة في هذا المكان، ولكن هذا اليوم يختلف عن بقية الأيام، إذ سيلاقي فريقه B68فريق B71 في مباراة مهمة في الدوري الفاروسي. ستجري المباراة على أرض فريق B71، وهي جزيرة ساندوي التي لا يمكن الوصول إليها إلا عن طريق البحر، وهكذا يوصل نيكلاس اللاعبين إلى العبَّارة التي ستقلهم إلى هناك في الصباح الباكر في طقس شديد البرودة يلفهم الضباب وتصفعهم رياح الفجر الباردة. ولن يشارك مارسيلو في المباراة؛ لأنه تعرض لإصابة في مباراة سابقة، أمّا البرازيليان الآخران فقد جلسا في العبَّارة قرب بعضهما، يرتدي كلٌّ منهما معطفاً ثقيلاً يقيه برد الصباح، بينما يجتمع باقي أعضاء الفريق في الطرف الآخر من العبَّارة يثرثرون بصوت عالٍ.

يبلغ ماسيس ثمانية وعشرين عاماً، وهو رجل لطيف وله لحية مميزة تضفي عليه مظهر التقوى، أمّا مارلون فيبلغ أربعة وعشرين عاماً، ورغم ذلك فهناك تجاعيد بارزة على جبهته، وهو الأذكى بين اللاعبين البرازيليين الموجودين في الفريق، وتعلم اللغة الفاروسية بما يفي لإجراء حوار طويل، ويعيش مع زوجته البرازيلية على الجزيرة، وتعمل زوجته في مصنع الأسماك بعد أن غادرت مدينتها في البرازيل؛ لتكون برفقة زوجها. يبدو مارلون اليوم هادئاً جداً، ولا يسمح مزاجه بتبادل الحديث؛ لذلك أتجه إلى ماسياس الذي يصرح لي إن كرة القدم

هي حياته ومصدر رزقه، وهو يعدّ نفسه محظوظاً لوجوده هنا في هذا الفريق، إذ كان يلعب في فريق من الدرجة الثانية في البرازيل ويتقاضى خمسين جنيهاً إسترلينياً في الشهر، بينما يلعب هنا في فريق من الدرجة الأولى، وسيشارك في كأس الأمم الأوروبية إضافة إلى مرتّب من مئات الجنيهات شهرياً. تجري المباراة بين فريقي B68 و B71في آخر الدنيا، أو على الأقل هكذا يبدو، حيث يقع الملعب في واد محاط بالجبال المكسوة بالثلج من الجهات جميعها، وقد حضر لمشاهدة المباراة ما يقرب من خمسين متفرجاً، جلسوا في سياراتهم لمتابعة مجريات اللعبة من دون أن يتمكنوا من الوقوف حول الملعب بسبب شدة البرد.

لم تكن المباراة مثيرة بأي حال من الأحوال، وكان الطقس قد عكس برودته على اللاعبين، ولم يظهر تأثير اللاعبين البرازيليين بوضوح ما عدا تمريرة ذكية قام بها مارلون؛ لإحراز الهدف الأول لفريقه. أما ماسياس الذي لعب بكفاءة في أثناء المباراة، فقد استبدله المدرب بلاعب آخر قبل نهاية المباراة مما أثار حنق ماسياس، فاندفع بغضب نحو غرف الملابس. يقول ماسياس «نحن نعاني ضغوطاً شديدة؛ لأننا برازيليون وقد دفع النادي ثمناً باهظاً لاحضارنا، لذلك فنحن تحت المجهر دائماً، ونحاسب على كل شيء».

فاز فريق B68 2–5، ولكنّ اللاعبين يخبرونني أن الطقس كان عادياً مقارنة بإحدى المرات التي كانت تهب فيها الرياح بشدة في أثناء إحدى المباريات، لدرجة أنّ الحكام طلبوا من اللاعبين أن ينبطحوا أرضاً حتى لا تحملهم الرياح بعيداً.

سنحت لي الفرصة في طريق العودة بالعبَّارة للحديث مع بعض اللاعبين الفاروسيين، وأخذت أسأل هانس هانسن – وهو أحد لاعبي الدفاع المهمين في الفريق ويلعب في المنتخب الوطني أيضاً– عن اللاعبين البرازيليين وما أضافوه للفريق، فقال: إن اللاعبين البرازيليين يتمتعون بروح إيجابية ولديهم تقنيات خاصة، ثم أضاف إنهم غير معتادين على طريقة اللعب الفاروسية التي تعتمد على القوة البدنية، وعلى الرغم من ذلك فهم إضافة رائعة للفريق من الناحية النفسية، فعندما تفكر في البرازيل فأول ما يخطر ببالك هو رقصة السامبا، والروح المرحة لهذا الشعب وهذا يدعم روح الفريق.

لقد عبّر هانسن بكلمات قليلة عن حقيقة رياضية عالمية يتفق عليها الجميع، ألا وهي جاذبية كرة القدم البرازيلية التي ترجع إلى عام 1938، ولكن هذه الجاذبية ترسخت بعد حصول البرازيل على كأس العالم ثلاث مرات عام 1958 و1962 و1970، وقد كان لهذا النصر صدى منقطع النظير، عززه وجود اللاعب الشهير بيليه بقميصه الأصفر الذي ساهم في انتشار أسطورة الكرة البرازيلية في كل مكان، حتى وصل تأثير هذه الأسطورة إلى جزر الفارو النائية. ويبدو أن هذا السحر يمس البرازيليين جميعهم، حتى أضحت عبارة «لاعب كرة برازيلي» تماثل في تأثيرها عبارة «طاهٍ فرنسي»، أو «راهب من التبت»، وهكذا فإن اللاعبين الفاروسيين كانوا يقدرون ما يمثله مارلون وزملاؤه ويثمنونه، ربما أكثر من تقديرهم لإمكانيات هؤلاء اللاعبين ذاتها.

حاولت أن أستطلع رأي مدرب الفريق جوناس جاكوبسن حول

هذا الموضوع، لكنه تحدث إليّ بدبلوماسية قائلاً: «لو أن هؤلاء اللاعبين البرازيليين انضموا إلى الفريق قبل خمسة عشر عاماً، لكانوا أفضل منا بكثير، غير أن الأمور بدأت تتغير الآن، والكرة الفاروسية قطعت أشواطاً بعيدة نحو الأفضل، ولم نعد نخسر مباريات كثيرة، ونحن لا نفكر في شراء مزيد من اللاعبين البرازيليين وإنما نفضل أن نستقطب عدداً من المحترفين الفاروسيين، فهم الأقدر على التأقلم مع طبيعة منطقتنا الصعبة، ويتفهمون أسلوب لعبنا أيضاً».

وصلت العبّارة إلى الميناء، وفي طريق العودة للمنزل سألت مارلون وماسياس عن رأيهما في زملائهما في الفريق، ويبدو أنهما يتفقان على أن مستواهما أفضل بكثير من مستوى اللاعبين الفاروسيين في الفريق، غير أنّ الفاروسيين مصابون بالغرور ولا يلاحظون ذلك. ويضيف الشابان البرازيليان إنّ الفاروسيين لا يفهمون كرة القدم، فهم لا يصلون قبل بداية المباراة مثلاً! كما أنهم لا يتدربون على المناورات داخل الملعب، أما النادي فلا يقدم مكافآت للاعبين عند فوزهم كما يحدث في البرازيل، فيفقد اللاعبون دافعاً مهماً لبذل مجهود إضافي.

يطمح مارلون إلى التأهل للفريق الوطني للفارو، وقد قيل له إذا لعب خمسة مواسم كروية في هذا البلد، يصبح من حقه الترشح للفريق الوطني، وللعب في كأس أوروبا، وهذا هو هدف مارلون الحقيقي، فهو يريد فرصة حقيقية لعرض مواهبه أمام المدربين الكبار، ومكتشفي المواهب الكروية -ومن يدري- فقد يلحظه مدرب أحد الأندية الكبيرة في أوروبا فيسعى لشرائه من ناديه الفاروسي، ويعرض مبلغاً أكبر من المال.

أترك توفتير لأذهب إلى جوتا حيث يوجد نادي جي آي، وهو النادي الذي كان يضم لاعباً برازيلياً آخر هو روبسون. تقع جوتا على طرف أحد الخلجان تحيط بها منحدرات من ثلاث جهات، وهناك أجد منزل روبسون الذي يرحب بوجودي بحرارة، وتبدو عليه الفرحة للقاء أي أحد كان. تشي ملامح روبسون بأصله البرازيلي، وبالمنطقة التي أتى منها وهي ولاية باريبا تحديداً، وهي منطقة صغيرة وفقيرة تقع شمال ريو، يعاني سكانها من التمييز العنصري ضدهم في البرازيل. يستقبلني روبسون في غرفة المعيشة حيث أجد طبقاً مليئاً بالتفاح على الطاولة، ويجلس هو على أريكة مرتدياً ملابس رياضية بسيطة، عارضاً عليّ ألبومه الخاص من الصور القديمة التي تصوره وهو يلعب مع ناديه القديم في البرازيل، كانت معظم الصور باهتة الألوان، وقد تم التقاطها بعدسات أشخاص غير محترفين، فظهرت غير واضحة تماماً يشوشها ضوء الشمس الساطع.

لقد حضر روبسون؛ ليلعب مع فريق جي أي هنا في جزر الفارو، لكنه لم يكن بالمستوى المطلوب فقرر الاعتزال، وهو في الثالثة والعشرين ليبدأ حياة جديدة في الفارو. اختار مصنع الأسماك؛ ليمارس عملاً يكسب منه عيشه، وأثبت مع الأيام أنه عامل مجتهد فبقي في المصنع، ثم قابل آنجا وتزوجا فيما بعد وأنجبا طفلهما ماتيوس، وتبدو هذه العائلة الصغيرة منسجمة في منزلها الحميم، على الرغم من أن كلا الزوجين لا يتقن لغة الآخر، ولكنهما يتفاهمان بطريقة ما. تقول آنجا: إنها تحب روبسون، فهو رب عائلة رائع، يكسب المال من أجل أسرته ويحب

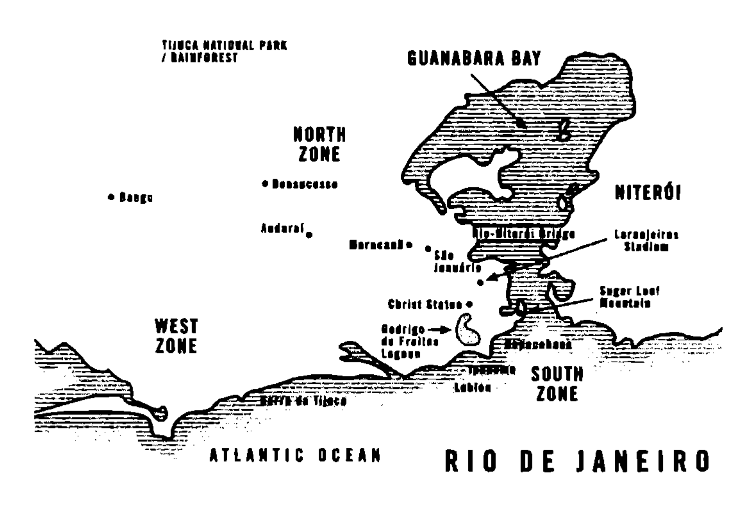
طفله ويرعاه. أما روبسون فيقول: إنه يمتلك الآن كل ما يحلم به أي رجل في مدينته في البرازيل، فلديه منزل وسيارة اقتناها حديثاً، وزوجة شقراء محبة وطفل، كما أن دخله يعدّ ممتازاً وهو يحمد الله على ذلك.

غير أن هذا الحماس لا يمكن أن يخفي حزن روبسون بسبب وحدته في هذا المكان؛ لأنه ليس لديه أصدقاء غير آنجا، ولا يستطيع العودة إلى البرازيل مع عائلته، فلن يتمكن من كسب ما يكفيهم هناك، لذلك فهو يعتقد أنه سيبقى في جزر الفارو طوال حياته.

انتهت مهمتي في جزر الفارو، وفي يوم رحيلي قرر نيكلاس أن يعير مارلون سيارته ليقلني بها إلى العبَّارة التي ستنقلني إلى المطار، أما مارلون فقد حصل على رخصة القيادة منذ وقت قريب، وهو لمّا يعتد بعد القيادة فوق الشوارع الزلقة المكسوة بالجليد، وعلى الرغم من ذلك فقد أخذ يزيد من سرعة السيارة حتى وصلت إلى خمسين ميلاً في الساعة، ولكنه سرعان ما فقد السيطرة عند أحد المنعطفات، وأخذ يدوس على المكابح لتخفيف السرعة مما أدى بالسيارة للاستدارة دورة كاملة والوقوف في عرض الطريق السريع! وصلت في النهاية إلى العبَّارة المقصودة، وكانت درجة الحرارة درجة مئوية واحدة فقط، وتحول الثلج المتساقط إلى مطر ينهمر بشدة، لوحت لمارلون مودعاً، وتمنيت له حظاً موفقاً في بطولة كأس إنترتوتو القادمة، واستقللت العبَّارة.

قبل ذهابي إلى جزر الفارو بعدة أشهر، كنت قد قابلت مارلون ومارسيلو في كوباكابانا على أحد شواطئها، وكان ذلك اليوم مشمساً شديد الحرارة حتى إنني أخذت أتعرق بشدة، لدرجة أن العرق تساقط

من جبهتي على دفتر ملاحظاتي. كنا نجلس على الشاطئ بملابس السباحة ونشرب الماء من حبات جوز الهند، بينما يخفي مارلون عينيه تحت نظارة شمسية، متأملاً الموجودين على الشاطئ. أخبرني الشابان أنهما تعلما كرة القدم ولعباها على هذا الشاطئ تحديداً، فهما يسكنان قريباً منه.



خريطة ريو دي جنيرو

بعد رحيل مارسيلو إلى توفتير، قمت بزيارة عائلته في كوبا كابانا، التي تعدّ من أكثر المناطق ازدحاماً بالسكان في ريو، ويبلغ عدد سكانها أربعة أضعاف عدد السكان في جزر الفارو، وخلافاً لمعظم المدن التي أعرفها، فإنّ ريو دي جنيرو تفسح المنطقة السفلى منها –وهي الشاطئ–

للأغنياء ليسكنوا حولها، بينما تظهر الأحياء الفقيرة المتزاحمة كلما صعدنا إلى الأعلى نحو التلال، وهكذا أخذت أصعد تلة كابريتوس بسيارتي في شوارع صغيرة متعرجة حتى وصلت قريباً من البيت، وهناك أوقفت سيارتي على جانب الطريق الذي كان يعج بأطفال يلعبون بطائراتهم الورقية، ورجال يجلسون على الجوانب يتجاذبون أطراف الحديث ويشربون الجعة. أكملت طريقي سيراً على الأقدام، وعلى الرغم من ذلك فقد كان وجودي يلفت أنظار المارة، حيث كان من الواضح أنني لا أنتمي لهذا المكان.

كانت والدة مارسيلو ماريا نازاريه تنتظرني عند الباب، وقبل أن أدخل أخذت أتأمل المشهد المفتوح أمامي، إذ كان منزل ماريا يطل على زرقة المحيط الأخاذة، وخليج غونابارا ويظهر في الأفق جبل رغيف السكر من بعيد أيضاً.

كانت ماريا سيدة نحيلة جداً لها وجه قاس لكنه مُعبّر، أما بيتها فقد كان صغيراً كأنه علبة مربعة مقسمة إلى غرفتي نوم، وغرفة معيشة ألمح على أحد جدرانها صورة لمرسيلو ضمن فريق لكرة القدم، وعلى الحائط الآخر علم فريق B68 الفاروسي، وستنضم إلينا بعد قليل ابنة ماريا ديلما، وهناك فتاتان أخريان، لكنهما لا تسكنان مع الأم في المنزل.

بدأت ديلما الحديث قائلة: «لقد تملكنا الخوف عندما سمعنا أن مارسيلو سيذهب للعب في جزر الفارو، فنحن لم نكن قد سمعنا عن هذه البلاد من قبل، كما أننا نسمع كثيراً في الإذاعة، وأحياناً في التلفاز عن لاعبين يباعون لفرق أجنبية، ثم يُتركون هناك للجوع والبرد من

دون أن يملكوا حتى ثمن تذكرة العودة».

تدخل في هذه اللحظة زوجة أخ مارسيلو ماريا دي فاطيمة مع أولادها الخمسة، وتصر على خبز بعض الكعك على شرفي، أما أكبر الأولاد الخمسة فيقترب مني ويخبرني أنه يلعب مع فريق كرة قدم صغير على الشاطئ، وأنه يريد أن يلعب كرة القدم ويحترفها في أوروبا عندما يكبر، مثل عمه تماماً. يبدو أن عائلة ماركولينوس عائلة كروية كلها، توارثت لعب كرة القدم منذ أجيال، فوالد مارسيلو كان لاعباً محترفاً في فرق ريو دي جنيرو، غير أنه لم يكسب يوماً ما يكفي لأن ينتقل من هذا الحي الفقير. أما مارسيلو فقد بدأ لاعباً ناشئاً في نادي فلومننسي، ثم نادي بوتافوغو وكلاهما من النوادي المحلية الجيدة، واحترف فيما بعد في نادي مادوروريا؛ أحد النوادي المتوسطة، إلى أن انتهى به المطاف في جزر الفارو في الجانب الآخر من العالم.

لو لم يرث مارسيلو مهارة والده في كرة القدم، لكان لقي مصير أقرانه الآخرين في الحي الذين يعملون الآن أجراء في المطاعم، أو سعاة وخدماً في مكاتب أبناء الطبقة الوسطى ومنازلهم في كوباكابانا.

تقدّم ماريا الكعك الذي خبزته ليتناول منه الجميع، بينما تقول ماريا الأم إنها تعرف كيف تسير الأمور في لعبة كرة القدم، فهي زوجة لاعب وأم لاعب. إنها تعتقد أن هناك العديد من اللاعبين الجيدين في البرازيل، ولكن لكي يجد أحدهم الفرصة ليظهر وينجح لا بدّ أن يكون هناك من يتبناه، ويدعمه كما حدث مع ولدها مارسيلو الذي تفخر بنجاحه في أوروبا، وتشير إلى أنه يحادثها هاتفياً كل أسبوع؛ ليخبرها أنه أحرز

العديد من الأهداف في المباريات.

وهنا تتفق ماريا وديلما أن مارسيلو يستحق ما وصل إليه، إذ إنه تعب كثيراً حتى حقق ذلك، وكان اللعب في أوروبا حلمه منذ كان طفلاً، ولذلك فهو سعيد الآن بتحقيق هذا الحلم. وعلى بعد 200 ميل من تلة كابريتوس يقع حي ليبلون، أحد أغنى أحياء ريو، وفي هذا الحي يقطن فابيو منزيز مع عائلته، يبلغ فابيو اثنين وثلاثين عاماً، وهو رجل أعمال مسؤول عن تصدير اللاعبين البرازيليين إلى كل مكان في العالم- حيثما توجد أندية لكرة القدم- ويفخر أنه استطاع إيصال اللاعبين البرازيليين إلى أماكن لم يعرفوها من قبل، مثل: أيسلندا وجزر الفارو.

يدعوني فابيو إلى بيته ليعرض عليّ مجموعته الضخمة من قمصان لاعبي كرة القدم، التي جمع منها زهاء 420 قميصاً على مدى سنوات، معظم هذه القمصان هي للاعبين معروفين من فرق مختلفة زارت البرازيل في مناسبات رياضية عديدة.

تبدو الغرفة كأنها محل لبيع الملابس القديمة، فهي مليئة بالقمصان من الألوان جميعها، يحمل بعضها تواقيع اللاعبين الذين كانوا يرتدونها. يُخرج فابيو قميصاً أزرق اللون منقوشاً عليه حروف KSI ، ويسألني إذا كنت أعرف لمن هذا القميص. لم أعرف الإجابة طبعاً، لكنه سارع بإخباري أنّه قميص من الفريق الأيسلندي حصل عليه عندما لعب هذا الفريق ضد الفريق البرازيلي في فلورينا بولس، وانتصرت البرازيل بثلاثة أهداف مقابل لا شيء، وقد كانت تلك المبارة الأولى التي يلعب فيها رونالدو مع المنتخب الوطني وقد سجل فيها هدفاً. ومن القمصان النادرة التي يحتفظ بها فابيو بمجموعة

من قمصان المنتخب البرازيلي، خيط عليها مواد إعلانية في مباراتهم ضد شيلي عام 1987، وكانت تلك هي المرة الوحيدة التي ارتدى فيها المنتخب البرازيلي قمصاناً تحمل إعلاناً لسلعة. يقول فابيو: إن هواية جمع القمصان الرياضية بدأت مع أبيه الذي كان معلِّقاً رياضياً معروفاً، استطاع بواسطة علاقاته الخاصة مع لاعبي كرة القدم أن يجمع عدداً كبيراً منها.

انطلقت مع فابيو إلى أحد المطاعم لتناول العشاء في هذه الليلة الباردة- إنها من أبرد ليالي الشتاء في البرازيل- فدرجة الحرارة قد وصلت إلى 15 درجة مؤية، وقد التف المارة بملابس ثقيلة تقيهم البرد، لكن هذا لم يمنع فابيو من الخروج بسروال قصير وقميص خفيف وحذاء صيفي، فهو يحب هذه البرودة -كما يقول- ويستمتع بالسير تحت المطر الخفيف الذي بدأ يهطل.

دلفنا إلى أول مطعم في الطريق، وقد كان مطعماً جديداً، يقدّم ضمن ما يقدمه وجبات نباتية، وعندما حضر الطعام وبدأنا بالأكل أخذ فابيو يحدثني عن تجربته في إبرام عقود عمل للاعبين البرازيليين ليلعبوا ضمن فرق أوروبا.

يشرح لي فابيو أن هناك هوساً عالمياً باستقطاب اللاعبين البرازيليين، ومهما كانت موهبة اللاعب البرازيلي وقدراته سواء أكانت عظيمة أم متواضعة، فإنه سيجد فريقاً يرغب به ليلعب في صفوفه، وفي المقابل هناك في البرازيل الآن حوالي 23,000 لاعب كرة قدم محترف، يلعبون ضمن 500 نادٍ، فلعبة كرة القدم مرغوبة في هذا البلد بشدة، وخير طريقة للظهور وتسلق السلم الاجتماعي هنا هي إرساء كنيسة ما، أو تكوين نادٍ لكرة القدم، فالناس يستغلون النوادي الرياضية لتحقيق مآربهم الخاصة.

وهناك الوضع الاقتصادي أيضاً، وما تراه من تفاوت طبقي في ريو دي

جنيرو ينعكس على كرة القدم أيضاً، فبينما تحصل قلة من اللاعبين المعروفين في النوادي المهمة على رواتب خيالية تعادل ما يحصل عليه اللاعبون الأوروبيون، تعاني الأغلبية الساحقة من الفقر، وقد لا يصل راتب اللاعب المحترف إلى 100 جنيه شهرياً أحياناً، وهو مبلغ لا يؤمن له حتى ضروريات الحياة اليومية.

عادة ما أشتري الجريدة الرياضية الأسبوعية «بلاسار»، وفي كل عدد يتم إلقاء الضوء على لاعب برازيلي يلعب في الخارج، فيتحدث اللاعب عن حياته وعمله في البلد التي يعيش فيه، ومهما اختلفت تعليقات اللاعبين وملاحظاتهم، أو البلدان التي يعيشون فيها سواء أكانوا في سنغافورة أم الهند أم جوانتمالا، فإنهم يشتركون في تعليقات متشابهة حول أوضاعهم المادية، ويتفقون جميعاً أنهم يكسبون في تلك البلاد أضعاف ما يمكن أن يكسبوه في البرازيل، كما أنهم يعبرون عن شعورهم بالغربة وافتقادهم لأمهاتهم والطعام البرازيلي عموماً.

يستطرد فابيو قائلاً: إنّ المئات من اللاعبين في النوادي البرازيلية يأتون إليه طمعاً في توفير عقد عمل في أوروبا، وقد يفعلون أي شيء في سبيل تحقيق هذه الغاية، فأحياناً يقدمون شهادات ميلاد مزورة تفيد أنهم أصغر سناً ليكونوا مرغوبين أكثر لدى الأندية الرياضية الأوروبية، وهم على استعداد للذهاب إلى أي مكان مهما كان بعيداً أو مختلفاً.

سألت فابيو كيف بدأ مهنته كوكيل تعاقدات للاعبي كرة القدم؟ فأجاب إنّ الموضوع بدأ مصادفة عندما كان طالباً في جامعة ريو الكاثوليكية يَدْرُس القانون، وقرر أن يذهب في رحلة إلى أوروبا في إحدى العطلات، وفي أثناء

وجوده في فنلندا قرر أن يزور صحفياً كان صديقاً لوالده تعرف إليه في إحدى المباريات، وبقي لديه بعض الوقت، بعد عام من هذا اللقاء اتصل به الصحفي الفنلندي في ريو؛ ليطلب منه المساعدة في اختيار لاعب برازيلي لينضم إلى فريق FC جاز في فنلندا.

فكر فابيو ملياً، ثم قرر اختيار دينوسيو، لاعبه المفضل في فريق بانجو، وهو هداف ممتاز، وهكذا كان، أرسل دينوسيو إلى فنلندا وحقق نجاحاً باهراً مع فريق FC جاز، ثم انتقل إلى فريق آخر فكان الهداف الأساسي في الفريق، ووصل بفريقه TPV إلى بطولة الدوري الفنلندي. حصل فابيو على مبلغ 1000 جنيه مقابل جهده، وكان هذا مبلغاً كبيراً بالنسبة لطالب مثله، ومنذ ذلك الوقت احترف عمله بوصفه وكيل تعاقدات، وأخذت الطلبات تتزايد من أيسلندا وجزر الفارو، وقد كانوا يريدون شراء لاعبين بالجملة، وتم التعاقد مع عشرة لاعبين في تلك الفترة، كما دعا المدرب الأيسلندي فابيو للذهاب مع اللاعبين والعمل مترجماً لهم؛ لأنه يعرف الإنجليزية، وفعلاً ذهب فابيو إلى أيسلندا وبقي هناك عامين ونصف، وهكذا فُتحت أمامه العديد من الأبواب وازداد نجاح عمله.

بعد فترة من وجوده في أيسلندا طلب منه فريق أيسلندي آخر ثلاثة لاعبين، فطار إلى البرازيل لتأمين اللاعبين، غير أن الوقت المتاح لم يكن كبيراً، فأحضر معه أفضل ما وجد من لاعبين، غير أنهم أعيدوا إلى البرازيل بعد شهر؛ لأنهم ضبطوا بسرقة ساعات اللاعبين في غرفة الملابس. يقول فابيو إنّ البرازيليين يختلفون في عقلياتهم وثقافتهم وتعليمهم، لذا عليه أن يحاول انتقاء الشخص المناسب دائماً، وإلا فقَدَ سمعته بوصفه وكيلاً جيداً.

عمل فابيو في مهن مختلفة أثناء إقامته في أيسلندا بالإضافة لعمله مترجماً للاعبين، فقد وجد طريقه إلى مصانع الأسماك، أما في نهاية الأسبوع فكان يعمل نادلاً في محل لبيع البيتزا. كانت حياته فارغة إلا من العمل وجمع النقود، ولذلك فهو لا يبدو سعيداً بتلك التجربة، ولا يفكر في العودة إلى أيسلندا مرة أخرى. يقول فابيو: إنه لم يكن مهتماً بإقامة علاقات مع فتيات أيسلنديات، إذ لم يفكر يوماً بالاستقرار هناك، وكلما كانت تشتد عليه الغربة كان يلجأ إلى معطفه الذي يجمع فيه النقود التي يكسبها فيخرجها ويبدأ عدّها، وكان هذا عزاءه الوحيد.

حاولت سؤال فابيو عن البرازيليين في الفرق الفاروسية، لكنه على ما يبدو لم يكن على علاقة جيدة بهم، وأخذ يصف المدرب الفاروسي نيكلاس دايفيدسون أنه محتال، فهو لم يخبره عند توقيع العقود أن ضريبة الدخل في جزر الفارو تصل إلى 40٪، وعندما علم اللاعبون المتعاقدون بذلك، بعد أن وصلوا إلى نادي B 68، لم تعجبهم شروط العقود التي قدموا بها، وقاموا بمفاوضة إدارة النادي بأنفسهم لتحسين الشروط من دون الرجوع إلى فابيو أو إشراكه في المفاوضات، وهكذا تم استبعاده تماماً، ومنذ ذلك الحين وهو يحمل مشاعر سلبية تجاه الفريق وتجاه البرازيليين الثلاثة الذين قدموا للعب فيه.

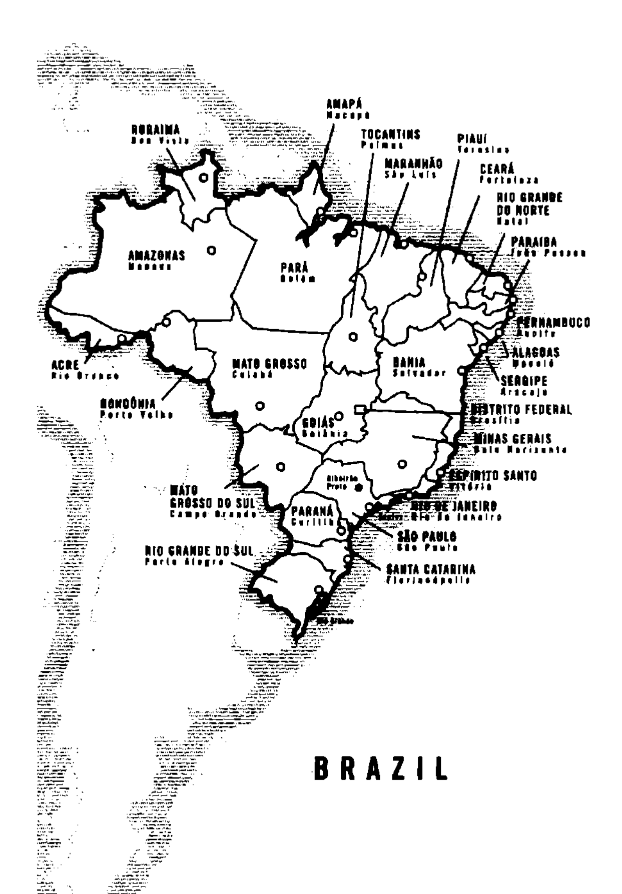
غير أن فابيو يكن احتراماً وإعجاباً خاصاً لروبسون، ويرى أن مستواه جيد، وأنه شخص نزيه وجدير بالثقة، وتعود علاقته به إلى زمن بعيد، فقد كان شقيق روبسون الحلاق الخاص لفابيو لمدة طويلة.

قبل حديثي مع فابيو بأسبوع كانت تدور مباريات الدور الأول لكأس

إنترتوتو، فقد تقابل فريق B 68 مع سبورتنج لوكيرن في جزر الفارو أولاً ثم في بلجيكا مرة أخرى. ويعدّ فريق لوكيرن من الفرق المتعددة الجنسيات في أوروبا، فهو يضم لاعبين من غينيا، وساحل العاج، وغامبيا، ويوغسلافيا، والبوسنة. لقد دارت المباراة الأولى في تافتير في طقس عاصف وبارد وهو الطقس المعتاد في صيف تافتير، وحضر المباراة زهاء 300 متفرج، وافتتح فريق لوكيرن المباراة بهدف بعد عشر دقائق من المباراة، لكن مارسيلو عادل النتيجة بعد نصف ساعة، وبعد سبع دقائق أحرز فريق B 68 هدفاً آخر محاولاً المحافظة على تقدمه، غير أن البلجيكيين سجلوا هدفاً، وظلوا متقدمين لتنتهي المباراة بنتيجة 2—4 لصالح لوكيرن.

كانت المقابلة الثانية بعد أسبوع في لوكيرن- بلجيكا، ولكنها كانت مباراة باردة التزم الفريقان فيها خططاً دفاعية، لتنتهي بالتعادل من دون أهداف لأيّ من الفريقين. خسر بعد ذلك فريق لوكيرن في الدور الثاني أمام نيوكاسل؛ ليخرج من كأس إنترتوتو في ذلك العام.

لم يشارك اللاعبان البرازيليان مارلون وماسياس في أيّ من المباراتين، بل بقيا على دكة الاحتياط. بعد عام من هذه الأحداث: أيْ في عام 2002 اختلف مارلون وماسياس ومارسيلو مع إدارة الفريق وعادوا إلى البرازيل جميعاً، ولم يعودوا إلى تافتير بعد ذلك، أما روبسون فمازال هناك وهو ينتظر ولادة طفله الثاني.



خريطة البرازيل

الفصل الثاني
أقدام الأبطال

يلعب البرازيليون كرة القدم كأنهم يرقصون، وقد يعود ذلك إلى أن أولئك البرازيليين ينحدرون من أصول إفريقية، أو تأثروا بالثقافة الإفريقية، فبالنسبة إليهم الرقص هو الحياة بكل ما فيها.

جلبرتو فريدي

«عالم استوائي جديد» 1959

دخلت كرة القدم إلى البرازيل للمرة الأولى عام 1894م، عندما وصل تشارلز ميلر إلى ميناء سانتوس وهو يحمل كرتي قدم في يديه الاثنتين، وعندما سأله والده جون ميلر الذي كان ينتظره في الميناء عما يحمله في يديه، أجاب تشارلز هذه شهادتي يا أبي، لقد تخرجت في كرة القدم.

كان ميلر الأب إسكتلندياً يعمل مهندساً في سكة الحديد، هاجر إلى البرازيل مثل كثيرين غيره من الأوروبيين في نهاية القرن التاسع عشر، وكان يعمل في مد خط سكة الحديد من ميناء سانتوس إلى مدينة ساوباولو، وقد أرسل ابنه شارلز إلى مدرسة داخلية في ساوث هامبتون في إنجلترا حتى يكمل تعليمه، غير أن شارلز برع



تشارلز ميلر

في كرة القدم هناك أكثر من أي شيء آخر.

كان شارلز ميلر أول من قدّم لعبة كرة القدم في البرازيل رسميّاً، غير أنه لم يتخيل طبعاً أن هذه اللعبة ستغير قدر البرازيل، بل وقدره هو شخصياً، فقد تحول شارلز إلى بطل قومي في البرازيل، وهناك شارع باسمه في ساو باولو حتى الآن، وقد دخل اسمه في مصطلحات اللعبة، فهناك تقنية كروية قام بتطويرها يطلق عليها «شاليرا» وهو تحريف لاسم شارلز.

لم يستطع شارلز جمع ما يكفي من المؤيدين للعبته المفضلة بعد وصوله مباشرة، إذ كانت الجالية البريطانية مشغولة بموسم الكريكت، وهي اللعبة المفضلة لدى البريطانيين، ولكنه استغل الوقت لإجراء مقابلات كروية بسيطة بين الأصدقاء والزملاء والموظفين في شركة الغاز، وشركة السكك الحديدية في ملعب أعدّه مستعجلاً في إحدى الساحات الفارغة في ساوباولو، وقد خلفت انطباعاً جيداً لدى الجميع.

أما بالنسبة لريو دي جنيرو فقد وصلت إليها لعبة كرة القدم عن طريق إنجليزي آخر هو أوسكار كوكس، الذي عاد من لوزان في سويسرا حاملاً كرة قدم عام 1901، وأخذ ينظم المباريات بعفوية بين أعضاء نادي الكريكت وبعض الشبان المحليين، وكان هذا أول انتشار للعبة في المدينة. وتكون أول ناد آخر في ساوباولو عام 1902، وبعد هذا التاريخ بعامين كتب شارلز ميلر في إحدى الرسائل عن الحماس العظيم الذي رآه لدى البرازيليين لكرة القدم. ويشير شارلز في الرسالة ذاتها، إلى أنه دعي للتحكيم في مباراة لكرة القدم بين بعض الفتيان،

وقد دهش من حماستهم وتنظيمهم، ومن عدد المتفرجين الذين حضروا المباراة، فقد تجاوز الألف شخص، كانوا يشجعون اللاعبين بحماس بالغ، وفي تلك السنة بيعت أكثر من ألفي كرة قدم، وأصبح لكل قرية فريق خاص بها تقريباً.

وجهت الأصول الأوروبية لكرة القدم البرازيلية، لتصبح رياضة النخبة البيضاء في البرازيل، وبعد أن شكّل أوسكار كوكس مع تسعة عشر من أصدقائه نادي كرة القدم الأول في البرازيل، وهو نادي فلومننسي في ريو، أصبحت المباريات حدثاً اجتماعياً راقياً، يلتقي فيه الرجال والنساء، وهم يرتدون أجمل الثياب وأغلاها، ويربطون الأشرطة الملونة بألوان الفريق حول قبعاتهم، ويهللون مشجعين للاعبين بلهجة إنجليزية مترفعة تشي بالعراقة والأصول النبيلة. لقد ناسبت لعبة كرة القدم في تلك الفترة النظريات الأوروبية الحديثة في مطلع القرن [العشرين] حول الرياضة والحفاظ على صحة الأجسام وتناسقها، أما عدا ذلك فقد كانت هواية لهؤلاء الأوروبيين فحسب.



أوسكار كوكس

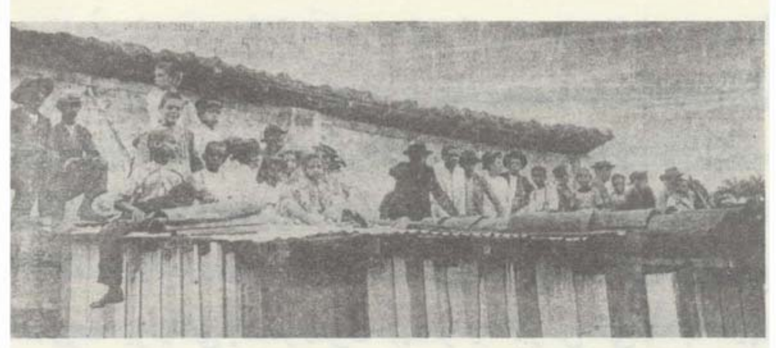
كانت البرازيل في بدايات القرن العشرين تعبر مرحلة مهمة من



لاعبو فريق ريو يلوحون لمضيفيهم في ساوباولو في محطة القطار، بعد المبارة الأولى بين الفريقين عام 1901م.

التغييرات الاجتماعية، إذ كان قانون إلغاء العبودية الذي صدر عام 1888 ما يزال حديثاً نوعاً ما، وقد كان في البرازيل في ذلك الوقت زهاء 3,5 مليون نسمة من العبيد، وهذا العدد أكبر بست مرات من عدد العبيد الذين كانوا موجودين في الولايات المتحدة، وقد نزح عدد كبير من هؤلاء العبيد المتحررين حديثاً إلى المدن البرازيلية الكبرى، مكونين طبقة فقيرة ظلت لفترة طويلة في أسفل درجات المجتمع.

لم تصبح كرة القدم في البرازيل برازيلية فعلاً، إلا عندما تمكن اللاعبون السود من الانضمام للفرق الكبرى، ففي البداية لم يكن مسموحاً لهم بالمشاركة في النوادي؛ لذلك لم يشاركوا في المباريات، ولكنهم



بعض السود يتسلقون أسطح المنازل؛ لمشاهدة مباراة لفريق فلومننسي 1905.

رغم ذلك كانوا يتسلقون أسطح المنازل المجاورة للملعب؛ ليشاهدوا أحداث المباريات، واكتشف هؤلاء البرازيليون المطحونون أن هذه اللعبة جميلة وممتعة، بل وأكثر إثارة من لعبة الكريكت. وهكذا بدأ أبناء الطبقة الفقيرة من السود بممارسة اللعبة في أي مكان فسيح، وكل ما كانوا يحتاجونه هو الكرة ذاتها، فليست هناك أدوات محددة للعب، ولا حتى ملابس خاصة، وإن لم تتوفر الكرة الحقيقية، كان الشبان يخترعون كرتهم الخاصة، فالجوارب المحشوة بالقماش وحبات البرتقال الكبيرة، كانت كلها تصلح للعب بالنسبة إلى هؤلاء المتحمسين للترفيه والمنافسة، وأخذت اللعبة تنتشر بين أبناء الطبقات الفقيرة في المدن انتشار النار في الهشيم، ومع دخول عام 1915 أصبحت كرة القدم الرياضة الأكثر شعبية في مدينة ريو، وتفوقت في ذلك على سائر مدن أمريكا الجنوبية.

جمعت رياضة كرة القدم في تلك الفترة بين نقيضين، فهي من جهة رياضة الأغنياء البيض وهوايتهم المفضلة، ومن جهة أخرى هي الرياضة المفضلة لقضاء وقت ممتع بالنسبة إلى جماعات الشباب في الأحياء

الفقيرة.

وصل إلى ريو فريق مدينة إكستر عام 1914 وهو في طريقه إلى الأرجنتين، وهناك شاهد أعضاء الفريق المباريات تجري في كل مكان، غير أن اللاعبين كانوا من الزنوج جميعاً، ويلعب معظمهم حفاة، مما آثار دهشتهم وحفيظة رئيس الفريق الذي بعث برسالة حول الموضوع للجريدة اليومية في إكستر يصف فيها نوعية الأرض التي يلعب عليها هؤلاء الزنوج أيضاً، وكيف كانت مليئة بالحجارة والحصى ولا تصلح لممارسة أي نوع من الرياضة البتة، وعلى الرغم من ذلك فلم تكن هناك مساحة مستوية في ريو، أو سانتوس إلا واستغلها الشباب لتحديد ملعب لكرة القدم وإجراء مباراة بين فريقين منهم.

كان أول نادٍ لكرة القدم في ريو يسمح للاعبين السود الاشتراك فيه، هو نادي بانغو الرياضي، وقد كونته الإدارة البريطانية لأحد مصانع النسيج عام 1904م، وسُمح لعمال المصنع -وأغلبهم من السود- بالاشتراك، لكنه لم يستطع منافسة النوادي الأرستقراطية الأخرى في البلاد، التي كانت مقصورة على البيض.

بدأ اللاعبون الملونون - الذين ينتمون إلى عرقين مختلفين- شيئاً فشيئاً يتسربون إلى النوادي الكبرى، لكنهم كانوا يعانون من التمييز العنصري ضدهم، ولذلك فقد كانوا يحاولون إخفاء أي علاقة لهم بالعرق الأسود، ومن هؤلاء اللاعبين كان آرتور فريدنريتش، وهو ابن لمهاجر ألماني وأم برازيلية سوداء، ولم يكن في مظهره ما يشير إلى عرق أمه الأسود إلا شعره المجعد، ولذلك كان دائماً يحاول قبل المباريات

أن يقوم بتمليس شعره قدر المستطاع باستعمال الزيوت، وكثيراً ما كان يتأخر عن المباريات بسبب ذلك.

أما أشهر هؤلاء اللاعبين فهو كارلوس ألبرتو وهو ابن أحد المصورين، وكان أول الملونين المنضمين إلى نادي فلومننسي. لقد كان كارلوس يطلي وجهه بدقيق الأرز قبل المباريات ليبدو أبيض، وعندما كان هذا الطلاء يزول أثناء المباريات، كان الجمهور يصيح «دقيق الأرز» وقد أصبح هذا الاسم الشعبي لفريق فلومننسي إلى هذا اليوم، حتى إن مشجعي النادي أصبحوا ينثرون مسحوق التالك في الهواء قبل المباريات المهمة تيمناً بكارلوس ألبرتو؛ لجلب الحظ في المباراة.

كرست شروط العضوية في النوادي الكبيرة مظاهر التمييز العنصري، وبذلك بقيت عضوية هذه النوادي مقصورة على البيض وأبناء الطبقات العليا في المجتمع، مرسخة بذلك مفهوم تفوق الجنس الأبيض على غيره، حتى بعد اختفاء العبودية، وظلت فكرة كرة القدم - بوصفها هوايةً تتطلب من اللاعبين الحصول على مصدر آخر للدخل- حاجزاً أمام اللاعبين الفقراء الذين لا يملكون هذا الدخل. كان على البرتغاليين أن يفتحوا أبواب كرة القدم أمام الجميع، فهم على كل حال مَن اكتشف البرازيل، وبقيت البرازيل لقرون تحت السيطرة البرتغالية، ولكن ومع بدايات القرن العشرين، أخذ البرازيليون يتطلعون إلى دول أوروبية أخرى يستمدون منها الثقافة والأفكار الجديدة، وبقيت البرتغال حتى هذا اليوم مجتمعاً منغلقاً على نفسه، يقوده التجار وأصحاب المحال التجارية.

وأخيراً، أصبح هناك نادي فاسكو دي غاما البرتغالي في ريو، وذلك

تيمناً بالملاح المعروف في القرن الخامس عشر. لقد كسر القائمون على هذا النادي الحصار الذي كانت تفرضه النوادي الأخرى على السود والملونين من البرازيليين، وتم اختيار مجموعة من أفضل اللاعبين للانضمام إليه من كل مكان في البرازيل، من دون النظر إلى خلفياتهم العرقية أو الاجتماعية، وللتغلب على الشروط التي تقول إنّ اللاعبين لا بد أن يكون لهم دخل خاص من وظيفة ما؛ حتى يستطيعوا أن ينضموا إلى النادي، قامت الجالية البرتغالية بتشغيل كل اللاعبين لديها في المحالّ التي تملكها. وهكذا تأهل فريق فاسكو عام 1923 لفرق الدرجة الأولى، وكان يتكون من: ثلاثة من اللاعبين السود، وواحد من الملونين، وسبعة من البيض الفقراء.

أثار تقدم فريق فاسكو حفيظة النوادي الكبرى الأخرى، بل غضبها، فاجتمعت وقررت إنشاء اتحاد خاص بها مستثنية نادي فاسكو منه، غير أن نادي فاسكو كان يتمتع بشعبية كبيرة جداً، فاضطر منظمو الاتحاد إلى دعوته ثانية، لكن بشروط تفصيلية صعبة كان هدفها محاولة إقصاء اللاعبين غير المرغوب فيهم اجتماعياً. من هذه الشروط أن يستطيع كل لاعب كتابة اسمه وتوقيعه على طلب العضوية، وقد كان هذا شرطاً محرجاً لنادي فاسكو، إذ كان معظم أعضائه من الأميين، لكنه استطاع التغلب عليه بإرسال لاعبيه إلى فصول لمحو الأمية؛ ليتعلموا الكتابة والقراءة، أما الذين كانوا يعجزون عن كتابة أسمائهم المعقدة فكان يتم تغيير أسمائهم إلى «سلفا» بكل بساطة. بعد ذلك أصر الاتحاد على أن يكون لكل نادٍ ملعبه الخاص، فما كان من البرتغاليين إلا أن تكاتفوا

وبنوا ملعب ساو جينيريو، وهو الملعب الأضخم في البرازيل في ذلك الوقت.

لقد مهد نادي فاسكو الطريق لإنهاء كرة القدم بوصفها هواية، وبداية عصر الاحتراف في هذه اللعبة، ومع دخول سنوات الثلاثينيات أصبح الاحتراف ضرورة ملحة للمحافظة على اللاعبين الجيدين بعد أن بدأت أوروبا باستقطاب لاعبين من أمريكا اللاتينية. وهكذا أخذت الحواجز الاجتماعية تنهار واحداً بعد الآخر أمام براعة اللاعبين وموهبتهم، وقد أخذت النوادي تتهافت عليهم، وظهرت فرق كاملة من اللاعبين السود مثل فريق بونسوكيسو في مدينة ريو، وأخيراً عادت كرة القدم إلى أبناء الشعب بعد أن كانت حكراً على النخبة.

يلعب البرازيليون كرة القدم بطريقة مختلفة أو على الأقل هذا ما كانوا يفعلونه، وحتى لو لم يفعلوا ذلك مجدداً، فإن طريقتهم السابقة في اللعب أصبحت علامة تجارية خاصة بهم، إنها السامبا البرازيلية! فهم يلعبون كما يرقصون، إذ يعتمد الفريق البرازيلي على المهارات الفردية للاعبين والركلات الفنية، والضربات المبتكرة، كما يختار الفريق الهجوم السريع دائماً وليس الدفاع، مما يوفر متعة فائقة للمشاهد وتوتراً عالياً في أثناء متابعة المباراة. وهكذا فالبرازيليون ليسوا رياضيين فقط، وإنما فنانون أيضاً، يقدمون لوحات جميلة داخل الملعب تلهب حماس الجمهور وتثير إعجابه.

يبدو أن البرازيليين كانوا يلعبون بهذه الطريقة منذ البداية، ومع أن المنافسات الحقيقية لم تكن موجودة، إذ كانت المقابلات الرياضية

نادرة، وليس هناك بطولات محددة تلتقي فيها الفِرق، وبحلول عام 1919 تمّ تنظيم بطولة كأس أمريكا الجنوبية، فبدأ الأسلوب البرازيلي يُظهر تميزاً عن الأساليب الكروية الأخرى. وفي مقال كتبه الصحفي أمريكو نيتو بعنوان «المبادرة البرازيلية» يظهر تميز السامبا البرازيلية مبكراً، فيقول الكاتب: «خلافاً للمدرسة الإنجليزية في كرة القدم التي تعتمد التقاط الكرات في خط الوسط، ثم التمرير حتى تصل الكرة إلى أقرب نقطة من مرمى الخصم ليتم التسديد، فإن المدرسة البرازيلية تعتمد على التسديد من أي نقطة في الملعب ومن أي مسافة، ذلك أن دقة التسديد تأتي في المقام الأول، لا المسافة التي يتم التسديد منها، وهكذا فليس بالضرورة أن يتقدم خط الهجوم كاملاً نحو مرمى الخصم، بل يكفي أن يستحوذ لاعب أو اثنان على الكرة، ثم يسددها من أي مكان لتتولى سرعة التسديد وعنصر المفاجأة إرباك خط الدفاع لدى الخصم والوصول إلى الهدف».

يعود الفضل في أسلوب اللعب هذا إلى أن معظم اللاعبين البرازيليين تعلموا لعب كرة القدم بطريقة غير رسمية في الشوارع والحارات، حيث الهدف الأساسي الحصول على الكرة بأي طريقة ثم التهديف من أي مسافة، ولم يعتادوا القوانين والحسابات في الملعب، وإنما كان الهدف إظهار المهارات الفنية الفردية والموهبة الفذة، وقد يرجع ذلك أيضاً إلى سمات الشخصية البرازيلية ذاتها، فالبرازيل هي بلد الكرنفالات وكلٌّ يسعى لإظهار أفضل ما لديه.

يقول آرشي ماكلين، وهو لاعب هجوم إسكتلندي انتقل إلى فريق

ساوباولو عام 1912: «كان هناك لاعبون رائعون في الفريق، غير أنهم يبالغون في تقدير المهارات الفردية، وينقصهم الانضباط وروح الفريق، وفي إحدى المباريات كان هناك اثنان من اللاعبين يتنافسان حول ضرب الكرة لأعلى مسافة ممكنة، وهذا لا يمكن أن يحدث في إسكتلندا مثلاً».

يرجع بعض المؤرخين اعتماد اللاعب البرازيلي على المناورات الفردية والتسديد عن بُعد إلى بدايات اللعبة في البرازيل، عندما كان اللاعبون السود يعانون من التمييز العنصري ضدهم؛ لذلك كانوا يتجنبون أي احتكاك جسدي مع اللاعبين البيض في الملعب؛ حتى لا يُطردوا من المباراة، وهكذا أخذوا يطورون مهاراتهم الخاصة في الاحتفاظ بالكرة والدوران حول دفاع الخصم، والتسديد من مسافات بعيدة، وأصبح هذا أسلوبهم المميز.

يقول دمنغوز دي غويا –لاعب الدفاع الموهوب في فترة الثلاثينيات–: إنه عندما كان صغيراً كان يخاف أن يلعب كرة القدم؛ لأنه كان يرى اللاعبين السود يُضربون داخل الملعب إذا ما اصطدموا ولو بطريق الخطأ مع أحد اللاعبين البيض. ويقول دومنغوز: كان أخي الكبير يقول لي حرك قدميك كأنك ترقص، ناور خصمك ولا تتركه يأخذ كرتك، وهكذا أصبحت أرقص حول الكرة وأخذت أطور أسلوبي الخاص.

هناك اختراع برازيلي آخر يصب في الموضوع نفسه، ألا وهو الكابويرا وهو: فن من فنون القتال مارسه سكان الغابات في إفريقيا،

ثم انتقل إلى البرازيل عن طريق المستعمرين البرتغاليين الذين كانوا ينقلون العبيد. ومن أهم مميزاته أنه يجمع بين الرقص والموسيقى والقتال ويهدف إلى التمويه على الأسياد بأنه رقص، ولا يتضمن هذا الفن أي تلامس جسدي، وإنما هناك ركلات وهمية ومناورات بالأرجل والأرداف حول الخصم، ويشبه في هيئته رقص السامبا والمناورات البرازيلية في الملعب.

قدّم عالم الاجتماع الشاب جلبرتو فراير عام 1933، تحليلاً مختلفاً للخلفية العرقية والثقافية للبرازيليين في كتابه المميز «أسياد وعبيد» الذي قلب فيه النظرية العرقية رأساً على عقب، فحتى صدور كتاب جلبرتو كانت البرازيل ترزح تحت ثقل الاختلاط العرقي المتفاوت الذي يشكل النسيج الاجتماعي الأساسي لهذه البلاد. أما جلبرتو فقد كان أول من طرح موضوع الأعراق المختلفة في البرازيل بصورة إيجابية قائلاً: إنّ ذلك يصب –في النهاية– في مصلحة البلاد، إذ إن اختلاط الأعراق الذي يرجع –حسب رأيه– إلى ولع البرتغاليين بالنساء البرازيليات –ولنقص عدد النساء البرتغاليات في فترة الاستعمار كذلك– أدى إلى تفاهم الأعراق المختلفة الموجودة وتجانسها في البرازيل، وعلى الرغم من بشاعة فترة العبودية، إلا أنه كان هناك تسامح عرقي فريد من نوعه أيضاً.

ويخلص فراير في النهاية إلى أن البرازيلي الأصيل نتيجةً لهذا الاختلاط العرقي الأوروبي الإفريقي، أصبح يحمل نبض العالمين والعرقين والثقافتين، ولذلك فهو يجنح للعقلانية والمنطق الأوروبي

أحياناً، وأحياناً أخرى يسيطر عليه الغضب والثورة والتمرد الإفريقي مع العلم أن فراير يعدّ الآن كاتباً عنصرياً. وقد لاقت كتابات فراير ترحيباً كبيراً في الثلاثينيات، خاصة نظرياته حول التجانس العرقي في البرازيل، وانعكس ذلك إيجاباً طبعاً على لعبة كرة القدم التي تقدم أوضح مثال على تعدد الأعراق.

لقد حوّل فراير كل السلبيات في الشخصيات البرازيلية من لهو ومرح وعدم انتظام إلى صفات إيجابية وعدّها جزءاً من الهوية الوطنية، مثل شخصية «مالاندرو[2]» تماماً، الشخصية الفلكلورية البرازيلية. وفي كرة القدم أخذ مالاندرو لعبة كرة القدم الإنجليزية بقوانينها الجامدة ليحولها إلى لعبة برازيلية مثيرة ومليئة بالمفاجآت، فالأسلوب البرازيلي في كرة القدم يتناقض مع الأسلوب الأوروبي، وما يميزه هو توليفة من المفاجآت والمكر والخفة التي يتميز بها اللاعبون بالإضافة إلى الذكاء والعفوية الفردية، كل ذلك يجعل من التمريرات والتسديدات فناً جميلاً، وليس لعباً بهدف الفوز فحسب.

وهكذا أخذت الصحافة الرياضية تتبنى نظريات فراير، وتكرس فكرة الأسلوب البرازيلي المميز في كرة القدم ليصبح فيما بعد جزءاً من الهوية القومية للبلاد، يجسده لاعبون عظام ظهروا في فترة الثلاثينيات أمثال دومينغوس دي جابا وليونيداس دي سلفا. بدأت كرة القدم تتعدى كونها لعبة رياضية لترتبط إيديولوجياً بالهوية القومية والولاء الوطني،

(2) مالاندرو: شخصية فلكلورية برازيلية برتغالية تمثل الشخص العابث اللاهي الذي لا يأخذ الحياة على محمل الجد، فهو لا يعمل البتة، بل يكتفي بالمرح وملاحقة النساء، وتظهر هذه الشخصية في الأدب البرازيلي، ولاسيما في أغاني السامبا: (المترجم).



فريق اكستر ستي في هجوم على مرمى البرازيل 1914.

وأخذت المباريات تجتذب حشوداً منقطعة النظير من الجماهير، كما حدث عام 1908 عندما لعب فريق أرجنتيني في ريو، وكذلك في مباراة إكستر ستي الفريق الإنجليزي ضد فريق من نجوم ريو وساو باولو عام 1914، وكان هذا اللقاء أول ظهور حقيقي للفريق الوطني البرازيلي، وقد فازت البرازيل في هذا اللقاء بحضور 10,000 مشاهد كانوا يصرخون ويرقصون كأنهم في كرنفال حقيقي. استضافت مدينة ريو دي جنيرو بطولة كأس أمريكا الجنوبية عام 1919، وفي اللقاء النهائي فازت البرازيل بهذا الكأس بفضل هدف أحرزه اللاعب فريدنرتيش، الذي أصبح بعد ذلك رمزاً قومياً ولقي من الشهرة ما لم يلقه أي رياضي قبله، وعرض

الحذاء الذي لعب فيه المباراة في أحد أشهر محالّ المجوهرات في المدينة.

لقد وصلت كرة القدم إلى البرازيل بالتزامن مع الصحوة القومية للبلاد التي تحولت إلى النظام الجمهوري عام 1889، وكانت في طور البحث عن سمات هويتها الخاصة، وهكذا أصبحت هذه اللعبة أحد الرموز التي تبناها أبناء هذا الشعب في أثناء بحثهم عن هويتهم، أما السياسيون فلم يدخروا الفرصة لاستغلال شعبية هذه اللعبة وتأثيرها على الناس، كما فعل الرئيس جيتاليو فارغاس الذي استلم السلطة عام 1930، واستغل اللعبة لتعزيز أفكاره القومية وترسيخ مبدأ التجانس الاجتماعي بين الأعراق المختلفة التي تكوّن المجتمع البرازيلي، ولتحقيق غاياته، أخذ يولي الرياضة اهتماماً خاصاً، فأنشأ مجلساً وطنياً أعلى للرياضة، وسعى لتأسيس الاتحادات الرياضية، كما موَّل نفقات الفريق الوطني للمشاركة في كأس العالم 1938، حتى إن ابنته كانت من المرافقين للمنتخب في رحلته إلى فرنسا حيث أقيم الحدث الكبير.

سافر المنتخب البرازيلي إلى فرنسا مليئاً بالحماس، ومعززاً بثقته بلاعبيه الأسطوريين: دومنغوز وليونيداس، كان دومنغوز لاعباً في خط الدفاع ذا شخصية قوية ورباطة جأش ومهارة في إبعاد الضربات الخطيرة، أما ليونيداس فقد كان هدّافاً في الهجوم ذا لياقة عالية ومرونة أكسبته لقب «الرجل المطاطي»، وينسب البرازيليون إليه الفضل في ابتكار ضربة الدراجة[3]. وهي ركل الكرة بالقدم، بينما جسد اللاعب معلق في الهواء.

كانت هذه هي المشاركة الثالثة للبرازيل في كأس العالم بعد أن

(3) في الحقيقة إن ضربة الدراجة ابتكرها اللاعب الشيلي رامون أنراجا أسلا عام 1914م، ولذلك تسمى هذه الركلة شلينا في الدول التي تتكلم الإسبانية: (المؤلف).

شاركت عامي 1930–1934، لكنها لم تتجاوز الدور الأول في تلك البطولات، أما في هذه البطولة فقد ظهر تطور كرة أمريكا الجنوبية منذ أول لقاء مع بولندا، إذ انتهت المباراة بالتعادل 4–4 ليتم التمديد لوقت إضافي، أظهر فيه ليونيداس مهارات غير مسبوقة، وفي كل مرة يلمس الكرة، كان يشعل فتيل الحماس بين صفوف الجماهير التي احتشدت لحضور المباراة. فازت البرازيل في المباراة بنتيجة 5–6، وأحرز ليونيداس هدف الفوز حافي القدمين بعد أن علق حذاؤه فوق العشب الرطب. لقد كانت الركلة من القوة والسرعة؛ لتترك الجمهور والمعلقين والصحفيين مشدوهين، إذ لم يروا من قبل مثل هذه المهارة والحرفية العالية. غير أن البرازيل هُزمت من الدور نصف النهائي، من قبل إيطاليا التي تأهلت للمباراة النهائية وفازت بالكأس في هذه البطولة.



ليونيداس دي سيلفا

وعلى الرغم من أن البرازيل لم يتوّج بطلاً، إلا أنه كان روح البطولة الحقيقية وبطلها غير المتوج بامتياز، كما اختير ليونيداس أفضل هداف إذ سجل سبعة أهداف رائعة في أربع مباريات،

واستحق بذلك اللقب الذي أطلقته عليه الصحافة الفرنسية «الماسة السوداء». وأصبح ليونيداس بعد عودته إلى البرازيل بطلاً قومياً، حتى إن إحدى شركات صنع الحلويات أطلقت نوعاً من الشوكلاتة باسمه «الماسة السوداء»، ولايزال هذا النوع من الحلوى يباع في البرازيل حتى الآن، وخارج البرازيل في اليابان والولايات المتحدة وأستراليا أيضاً. أراد البرازيليون بعد ذلك أن تحمل اللعبة الجميلة شخصيتهم الخاصة، التي تختلف عن لعبة كرة القدم التي جاء بها شارلز ميلر عام 1894، ولذلك حاول الصحفيون البرازيليون تغيير اسم اللعبة، ولم يجدوا أفضل من التسمية الشعبية لكرة القدم في البرازيل (فطبول – Futebol)، فهي على كل حال اللعبة التي وحدت هذا الشعب وأظهرت عظمته وقدراته.

تلخص جيلكا ماشادو –وهي شاعرة برازيلية معروفة– الشعور الوطني العام تجاه كرة القدم، ولاعبي المنتخب الوطني خلال بطولة كأس العالم عام 1938 بالأبيات التالية:

أحييكم أيها الأبطال،
يا مَن سطرتم ملحمة عظيمة
بخفة أقدامكم ورشاقتها
التي تفوق كل الكلمات

أيتها الأرواح البرازيلية الشفافة
التي تركض خلف الكرة

تطوي المدى
لتعيد مجد الأسلاف

هؤلاء هم رجال البرازيل
ليونيداس ودومنغوس
يراهم العالم معجزة حقيقية
ينحني الجميع أمامهم،
ويهتف لأقدامهم الرائعة

البرازيل ...
تنثر اليوم زهورها،
تحت أقدام أبطالها أيضاً.

الفصل الثالث

النهائي الحاسم

«كان للهزيمة وقع الكارثة في كل مكان من البلاد، كأنها هيروشيما تتكرر من جديد، كانت هزيمتنا أمام الأوروغواي عام 1950 كارثة حقيقية».

نلسون رودريغوس

يتذكر إيزاياس أمبروسيو وهو في السابعة والثلاثين من عمره الآن ذلك اليوم المشهود بكل تفاصيله، ويروي لي أحداثه بينما يقودني حول الملعب الأخضر الكبير الذي ساهم هو شخصياً في بنائه عام 1948، ملعب «ماراكانا» الذي جرت فوقه أحداث المباراة النهائية لكأس العالم عام 1950، التي تقابل فيها البرازيل مع الأورغواي وانتهت بفوز الأورغواي غير المتوقع 1—2.

يقول إيزاياس: «في ذلك اليوم المشؤوم كان اللقاء بين الفريقين في هذا الملعب تحديداً، هذا الماراكانا العظيم، وكانت البرازيل متفوقة بفارق نقطة واحدة على الأورغواي، كانت بحاجة للتعادل فقط لتتوج باللقب، فيما كانت الأورغواي تحتاج إلى الفوز، وقبل وقت قصير من نهاية الشوط الأول سجل فرياكا الهدف الأول للبرازيل، ولكنّ ألبيرتو ستيافينو ألحقه بالتعادل للأورغواي في الشوط الثاني، وقبل نهاية المباراة بحوالي إحدى عشرة دقيقة سجّل السيداس جيجيا المفاجأة القنبلة:

هدف الفوز لمنتخب الأوروغواي».

وهكذا اكتملت مأساة (ماراكانازو) وهو الاسم الذي أطلقه البرازيليون على هزيمة ذلك اليوم ويعني ضربة الماراكانا، وتُوّجت الأورغواي بطلة لكأس العالم للمرة الثانية في تاريخها، وغرقت البرازيل الذاهلة في بحر من الدموع. وبعد مرور أكثر من نصف قرن على كأس العالم 1950، مازالت هذه الهزيمة تشكل مصدر ألم للبرازيل، على الرغم من أنها حصلت على بطولة العالم خمس مرات.

ومن شدة الصدمة التي أصيبت بها البرازيل نسيت الدولة المضيفة إعطاء كأس البطولة للأورغواي، وأصيب المشاهدون بالذهول وحاول بعضهم الانتحار، فلم يكن أحد ليصدق ما حدث، فقد كانت البرازيل تنتظر النصر بكل ثقة، حتى نشيد النصر كان حاضراً انتظاراً للنتيجة، ولذلك فقد كان للهزيمة وَقْع شديد عظيم. ومن تداعيات الحدث أن إدارة المنتخب أمرت بتغيير زي الفريق الوطني الذي كان عبارة عن قميص أبيض مع خط أزرق حول العنق وسروال أبيض، فقد عدّت الإدارة أن هذا الزيّ مصدر للشؤوم بعد هزيمة الماراكانا، فتغير إلى اللون الأزرق لمدة ثلاث سنوات، وبعدها تم اعتماد اللون الأصفر مع السروال الأزرق الذي مازال الزيّ الرسمي للمنتخب البرازيلي حتى هذا اليوم.

يقول روبرتو دي مات، عالم الإنثروبولوجيا البرازيلي المعروف، إن هزيمة عام 1950 تعد أعظم المآسي في تاريخ البرازيل المعاصر، فقد كانت خسارة جمعية بالمقاييس كلها، إذ حدثت في وقت كانت البرازيل فيه تعد نفسها لتخطو خطوات واثقة تجاه المستقبل، وعوضاً عن ذلك،

غرق الجميع في دوامة اللوم والتساؤلات حول هذه الهزيمة المخجلة.

لقد أقرت البرازيل دستوراً جديداً عام 1946م يستند إلى الديموقراطية بعد أن عانت لعهود من الحكم الديكتاتوري، وكان حدث استضافة كأس العالم لكرة القدم على أرضها عام 1950، تكريساً لهذه الديموقراطية الجديدة، واحتفالاً بأجواء الحرية التي تعيشها البلاد، ولاسيما أن البرازيل كانت المرشح الأفضل للاستضافة في ذلك الوقت، إذ لم تكن أيّ من الدول الأوروبية مجهزة بما يكفي لإقامة الحدث على أرضها بعد أن أنهكتها سنوات الحرب العالمية، واستنزفت كثيراً من مواردها.

ولهذه الغاية قررت البرازيل أن تظهر كل ما لديها من موارد وطاقات ومساحات شاسعة أمام العالم، وهكذا بدأ بناء أضخم ملعب في العالم، ملعب ماراكانا في ريو دي جنيرو، ليكون أحد معالمها الرئيسية، مثله مثل جبل رغيف السكر، وشاطئ كوبا كابانا، وتمثال المسيح على قمة كوركوفادو.

خُطط لهذا الملعب أن يتسع لـ183,000 متفرج، وكان أكبر بخمس مرات من الملعب الذي يليه في الحجم في ريو، وهو ملعب نادي فاسكو ساو جينيريو، وقد بدأ العمل فيه عام 1948 وشارك في بنائه 10,000 عامل، كانوا يعملون يومياً من دون توقف كأنّهم المصريون القدماء يعملون لتشييد هرم حديث، وكان معظمهم من المهاجرين الذين كانوا يتطلعون إلى هذا البناء كبداية جديدة لحياتهم، كما هو بداية جديدة للبرازيل.

انتهى بناء الملعب في وقت قياسي، وأخذت الصحف تهلل لهذا

الإنجاز بوصفه مرآة لقدرات هذا الشعب، وتعبيراً عن تصميمه وصلابة إرادته، وهو تحفة أيضاً تزهو بها البرازيل أمام ضيوفها الذين سيأتون للمشاركة في أهم حدث رياضي حول العالم، وهي فرصة للبرازيل لتثبت قدراتها الحضارية والرياضية، وتبدأ باحتلال مكانها في هذا العالم الجديد. وقد عزز موقع الملعب في قلب المدينة على الخط الفاصل بين شمالها وجنوبها المبادئ والأفكار التي أرادت البرازيل إرساءها وإظهارها للعالم، فقد كان الماراكانا تحفة تعبر عن روح البرازيل الحديثة، التي بدأت تصحو وتفيق مثل عملاق طال سباته.

بدأ الاحتفال بكأس العالم قبل شهر تقريباً من موعد الافتتاح، فكانت الملصقات الخاصة بالحدث توزع في كل مكان في البرازيل، في الحوانيت والمطاعم والمتاجر وشرفات المنازل، وأطلقت مكاتب البريد طوابع خاصة لهذه المناسبة، وجابت العربات المزينة شوارع ريو تحمل الأعلام والشعارات الخاصة بكأس العالم، كما قام لامارتين بابو –وهو مؤلف معروف– بكتابة نشيد خاص للفريق



شعار بطولة كأس العالم 1950

الوطني يفيض بالحماس والأمل بتحقيق البطولة.

حضر إلى البطولة ثلاثة عشر فريقاً، من ست عشرة دولة كانت قد قررت المشاركة، ولذلك أصرت البرازيل على توزيع خاص للمباريات لم يحدث من قبل في دورات كأس العالم السابقة، فقد تم توزيع الفرق على أربع مجموعات تضم اثنتان منها أربعة منتخبات، وضمت مجموعة أخرى ثلاثة منتخبات، وضمت المجموعة الأخيرة منتخبين فقط، ويتأهل من كل مجموعة منتخب واحد فقط، وبذلك تتشكل المجموعة الأخيرة من أربعة منتخبات، وهكذا ألغي الدور قبل النهائي والنهائي.

كانت المباراة الافتتاحية يوم الرابع والعشرين من حزيران في ملعب الماراكانا، وقد كان افتتاحاً مهيباً أُطلقت فيه الألعاب النارية لتضيء سماء ريو، وتبهج الجماهير التي تشتعل حماساً وتأييداً لفريقها ضد المكسيك، ولم يخب المنتخب البرازيلي آمال جمهوره، ففاز على المكسيك بنتيجة 4–5. أمّا الخصم الثاني فقد كان المنتخب السويسري، وكان اللقاء في ساوباولو هذه المرة، ولذلك قام مدرب المنتخب باستبدال ثلاثة من لاعبي خط الوسط بلاعبين من فريق ساوباولو، وذلك إرضاءً لجماهير ساوباولو المحتشدة، وهو إجراء مألوف في البرازيل. لم يحقق المنتخب النتيجة المرجوة، فقد تعادل مع سويسرا 2–2، وأصبح في موقف حرج؛ لأنه يجب أن يتغلب على يوغسلافيا في ريو حتى يتمكن من التأهل عن مجموعته، وهكذا كان. فازت البرازيل على يوغوسلافيا 2–0، وربما كان من حظ البرازيل أن أحد لاعبي المنتخب اليوغسلافي الأساسيين قد انزلق عن السلالم في أثناء دخوله الملعب قبل بدء المباراة، وأكمل المباراة

معصوب الرأس، ولم يكن بلياقته كاملة.

تأهلت البرازيل وانضمت إليها منتخبات الأورغواي والسويد وإسبانيا، كلٌّ عن مجموعته التي كان فيها، وأجريت القرعة لحسم ترتيب المباريات، وبعد القرعة أصبح على البرازيل أن تقابل السويد ثم إسبانيا ثم الأورغواي على الترتيب. الغريب في الأمر أن مباراة البرازيل والأورغواي لم تكن مباراة نهائية حاسمة بعد تصفية عنيفة، وإنما كانت مباراة أخيرة في البطولة فحسب، غير أن أحداث هذه المباراة ونتيجتها جعلت منها المباراة الأكثر حسماً وقوة في البطولة.

خلقت المباراتان الأوليان هالة خرافية حول المنتخب البرازيلي، إذ سحق المنتخب السويدي 7–1، وأقصى المنتخب الإسباني بنتيجة 6–1 وأخذ المعلقون والصحفيون يبحثون عن كلمات تصف الأداء الرائع الذي قدمه المنتخب في تلك المباريات، وقد ظهر تقرير رياضي في صحيفة ميلانو يصف زيزينهو اللاعب البرازيلي أنه ليوناردو دافنشي، يرسم بقدمه لوحة رائعة فوق قماش ملعب الماراكانا.

وصلت نشوة الجماهير البرازيلية بأداء فريقها ذروتها خلال مباراة الفريق مع إسبانيا، فبعد الهدف الثالث أخذت الجماهير تلوّح بالمناديل البيضاء للفريق الخصم كأنها تقول له وداعاً، وقد بقيت هذه الصورة عالقة في أذهان كل من شاهد المباراة لوقت طويل، بالإضافة إلى الغناء الجماعي للجماهير بصوت واحد، الذي كان يرجّ الملعب من أقصاه إلى أقصاه بمصاحبة الفرق الموسيقية التي كانت موجودة فيه. وبعد كل هذا الحماس والأداء الرائع، لم يكن يتطرق إلى أحد ذرة من الشك أن

البرازيل ستكون حاملة للقب البطولة لهذا العام.

نظرياً كان فوز البرازيل محتماً، فالأورغواي كانت خصماً سهلاً، ورغم أنها هزمت بوليفيا 8–0 في الدور الأول، إلا أنها واجهت صعوبات كبيرة في المجموعة النهائية، فقد تعادلت مع إسبانيا 2–2، وتغلبت على السويد بفارق بسيط 3–2، فقد كان التعادل كافياً فحسب بالنسبة للبرازيل لتفوز بمجموع النقاط، وتستحق كأس البطولة.

بالإضافة إلى كل ذلك، فإن المنتخب البرازيلي يعرف منتخب الأورغواي عن كثب، فقد تقابلا قبل هذا الكأس سبع عشرة مرة، فازت فيها البرازيل ثماني مرات وخسرت خمساً، وتعادلت أربع مرات. لعب المنتخبان كذلك ثلاث مرات في ريو قبل مقابلات كأس العالم بثلاثة أشهر، فازت البرازيل في مقابلتين، بينما فازت الأورغواي في واحدة. لذلك كانت ثقة البرازيليين بالفوز في المباراة النهائية طاغية، حتى إن الصحف البرازيلية كانت تعلن خبر الفوز قبل يوم من مباراة الختام، وتصدرت صور لاعبي البرازيل صحف اليوم السابق تعلوها عناوين مثل: «هؤلاء هم أبطال كأس العالم»، ونتيجة لتصاعد هذا الشعور تدفق إلى ملعب الماركانا في ذلك اليوم حوالي 173,850 متفرجاً، من دون أن يُحصى الصحفيون والضيوف الرسميون، وبذلك وصل عدد المتفرجين في ذلك اليوم إلى 200,000 متفرج، وهو جمهور لم تحظَ به أي مباراة رياضية من قبل.

تشكيلة الفريقين في مباراة الختام:

الأورغواي: ماسبولي، جونزاليس، تيبيرا، جامبيتا، فاريلا،

أندرادي، جيجيا، خوليوبيريز، ميجوز، خوان شيافينو، موران.

البرازيل: باربوسا، أوجستو، جوفينال، باير، دانيلو، بيجود، فرياسا، زيزينيهو، أدمير، جايير دي روسا، بينتو، شيكو.



أوجستو وفاريلا يتصافحان قبل بداية المباراة في حضور الحكم البريطاني جورج ريدر.

لقد قيل في المباراة النهائية لكأس العالم 1950 الكثير الكثير، وقد نوقش الموضوع من الجوانب جميعها، ولوقت طويل جداً حتى لم تبقَ تفصيلة صغيرة قبل المباراة أو في أثنائها أو بعدها، إلا وكانت موضوعاً لمئات التقارير والمقالات، والكتب أيضاً.

قبل مباراة البرازيل ضد إسبانيا، نقل المنتخب البرازيلي موقع إقامته من فندق خارج المدينة إلى مبنى تابع لملعب ساو جينيرو في وسط

العاصمة، وقد كان هذا المبنى يعج بالزوار والصحفيين والسياسيين الذين كانوا يحضّرون لحملاتهم الانتخابية قبل الانتخابات المزمع عقدها في أكتوبر من ذلك العام، وقد أمضى اللاعبون صباح يوم المباراة في مقابلة المعجبين وتوقيع تذكاراتهم التي اشتروها بمناسبة كأس العالم، كما تعطلت الحافلة التي تقل اللاعبين قبل المباراة لبعض الوقت، وجرح أوغوستو جبهته في أثناء استقلالها.

لقد كان يطلق على منتخب الأورغواي اسم: «سيلستي» أي زرقة السماء، وهو لون قمصان لاعبيه، لكن الكلمة في اللغة البرتغالية تحمل معنى آخر أيضاً وهو «المقدّس»، والإشارة بهذه الكلمة للأورغواي تحمل معنى الإعجاب والتقدير لهذه الأمة الصغيرة التي تقبع بين العملاقين البرازيل والأرجنتين، ورغم ذلك فقد حققت هذا التاريخ الرياضي المشرّف. لقد فازت الأورغواي بالميدالية الذهبية لكرة القدم عام 1924، وذهبية الألعاب الأولمبية عام 1928، بالإضافة لكأس العالم لكرة القدم عام 1920، ويعدّ لاعبو الأورغواي مدافعين شرسين، وكانوا مصممين على حماية تاريخهم البطولي العريق، وهكذا فقد قادهم في بطولة 1950 أو بدليو فاريلا وهو ابن لأب إسباني وأم سوداء، وقد قاد فريقه وهو يلعب في خط الوسط.

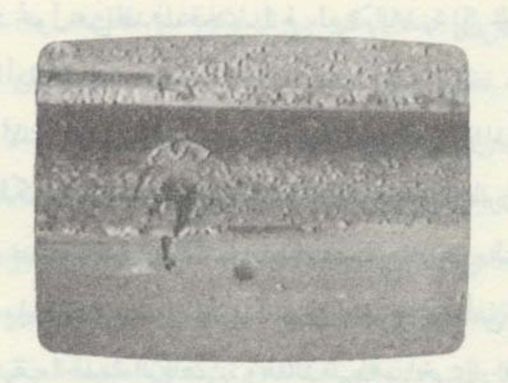
كانت تفاصيل تلك المباراة مذهلة لكل من شاهدها أو سمعها، فبعد انتهاء الشوط الأول بالتعادل من دون أهداف، أيقن البرازيليون أنهم قد قطعوا معظم الطريق لمنصة التتويج. ومع بداية الشوط الثاني وبعد مرور دقيقتين فقط مرر أدمير الكرة إلى فرياسا الذي أسكنها شباك

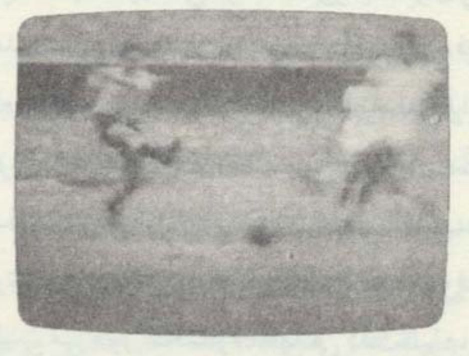
مرمى الأورغواي محققاً بذلك تقدماً للبرازيل 1–0 ومعززاً ثقة البرازيل بنفسها، إذ أصبحت متقدمة بهدف بعد أن كانت بحاجة للتعادل فقط، ولكن هذه الثقة سرعان ما تبخرت عندما بدأ هجوم معاكس من الأورغواي في الدقيقة السادسة والستين نتج عنه هدف للأورغواي حققه شيافينو بتمريرة من فاريلا.

ساد الوجوم جماهير الماراكانا، وأحس لاعبو البرازيل بالخطر المحدق، غير أن منتخب الأورغواي لم يضع وقتاً، وفي الدقيقة التاسعة والسبعين، استطاع جيجيا تجنب اللاعب البرازيلي بيجود وتسديد الكرة نحو مرمى البرازيل محرزاً بذلك الهدف الثاني والقاتل للأورغواي في مرمى باربوسا، والذي حافظت عليه فيما تبقى من مدة المباراة. أطلق الحكم الإنجليزي ريد صافرة النهاية معلناً نهاية حلم آلاف الجماهير البرازيلية بكأس العالم في ذلك اليوم، وهنا أجهش اللاعبون البرازيليون بالبكاء، وتحول كرنفال الماراكانا إلى مأتم جنائزي ذُرفت فيه أنهار من الدموع، وأصيب كثيرون بنوبات قلبية من جراء الصدمة.

وبعد مرور سنوات عدة، يتذكر اللاعب جيجيا ذلك اليوم قائلاً: لم يخيم الصمت المطبق على ملعب الماركانا في تاريخه إلا ثلاث مرات، عندما غنى فيه فرانك سيناترا، وعندما حضر إليه البابا يوحنا بولص الثاني، أما المرة الثالثة فعندما سجلتُ هدف الفوز للأورغواي في المباراة النهائية عام 1950.

يتطرق باولو بيردغيو في مقاله «شرح الهزيمة» إلى الهدف القاتل للأورغواي بقوله: «سيبقى هذا الهدف الأشهر في حياة الكرة







تسلسل الهدف القاتل الذي أنهى حياة باربوسا (حارس البرازيل) الرياضية.

البرازيلية، إذ تحول من هدف فحسب في لعبة رياضية إلى لحظة تاريخية غيرت حياة أمة كلها».

يبدو أن لدى البرازيليين استعداداً وميلاً نحو الميلودراما، وتضخيم للأحداث، لكن حزنهم هذه المرة قد يكون مفهوماً ومبرراً، فعادة ما يفوز الفريق عندما يلعب على أرضه وبين جمهوره، وفي السابق فازت الأورغواي وإيطاليا وفرنسا وألمانيا الغربية ببطولات كأس العالم عندما كانت تستضيف الحدث الرياضي. وهناك ظروف أخرى رافقت المقابلة الحاسمة وساعدت على تعميق الإحساس بمأساة الهزيمة، فهناك -مثلاً- وجود هذا العدد الضخم من المشاهدين الذين تدفقوا على ملعب الماراكانا الأكبر في العالم في ذلك الوقت، والذين خابت آمالهم جميعاً في لحظة واحدة عندما سجلت الأورغواي هدفها القاتل. والأورغواي هي ذلك الجار الصغير، الذي يعرفه البرازيليون جيداً، وقد لعبوا ضده مرات عدة، فليس من مبرر للخسارة أمامه في ذلك اليوم، وبخاصة في لعبة يعدّها البرازيليون جزءاً من هويتهم الوطنية.

ويقول الكاتب خوسيه ليس دو ريغو عن تلك الجماهير المفجوعة بفريقها في مقال له في مجلة رياضية أسبوعية: «لقد رأيت الناس يغادرون الماراكانا مطأطئي الرؤوس، كأنهم عادوا لتوهم من جنازة أحد أقربائهم، كانت الأمة مهزومة بلا أمل، ولن أنسى ما حييت منظر الجماهير الخارجة من الملعب كأنها بقايا الرماد الذي خلفته النار التي كانت مشتعلة في بداية المباراة. لطالما اعتقدت أننا أمة سيئة الحظ، حرمت من حلاوة الانتصار، وعاندها القدر طويلاً، ولو نظرنا إلى

تاريخ البرازيل لوجدنا الكثير من الدلائل على ذلك».

استقرت نظرية سوء الحظ هذه في أذهان البرازيليين لفترة طويلة بعد تلك المباراة، بل تطورت إلى إحساس بالدونية أمام الأمم الأخرى، ومهما لعبت البرازيل بعد ذلك، فإن شبح هزيمة الماراكانا ظل يطاردها ويقضّ مضجعها. ومع مرور الوقت، أطلت العنصرية بوجهها البشع من جديد، فقد انصب معظم الغضب على باربوسا وبيجود وجوفينال وجميعهم من السود، وظهرت أقلام تؤكد أن الخليط العرقي هو السبب في تأخر الأمة وفقدانها لشخصية قوية واضحة.

لقد رُشح باربوسا كأفضل حارس مرمى في البطولة، ورغم ذلك لم يلعب مع المنتخب البرازيلي بعد المباراة النهائية إلا مرة واحدة، وبقيت خطيئته في عدم صدّ الهدف القاتل للأورغواي تطارد حراس المرمى البرازيليين حتى يومنا هذا، وعندما لعب ديدا في حراسة مرمى البرازيل عام 1999 في بطولة كأس أمريكا، كان أول حارس مرمى أسود يلعب مع الفريق الوطني منذ خمسين عاماً.

لم يغفر أحد لباربوسا ما حدث في تلك المباراة، فقبل وفاته عام 2000 قال للصحافيين: إنّ أقسى لحظات حياته كانت عندما تعرفت عليه سيدة في أحد المَحالّ بعد عشرين عاماً من المباراة الشهيرة، وقالت لابنها مشيرة إليه، هذا الرجل أبكى البرازيليين جميعاً.

لقد عانى باربوسا طويلاً بعد تلك المباراة، وكان كبش الفداء الذي حاول الجميع الاقتصاص منه حتى زملاؤه اللاعبون، فعندما حاول زيارة أحد المعسكرات التدريبية للمنتخب البرازيلي عام 1993، لم

يسمح له بذلك، إذ خاف الجميع أن يجلب معه سوء الحظ للفريق. يقول باربوسا بمرارة: إن أقصى عقوبة بالسجن في البرازيل هي ثلاثون عاماً، بينما مازلت مسجوناً منذ خمسين عاماً.

يقول المدرب فلافيو كوستا، إن البرازيل لم تكن مهيأة للهزيمة البتة، فقد كانت دولة شابّة لا مخزون لديها من التجارب العميقة التي عاشتها الدول الأقدم، ومنذ أن تحولت إلى جمهورية عام 1889 لم تدخل البرازيل أي نوع من الحروب مع أحد من جيرانها، ولم تعرف تجربة الهزيمة أو النصر.

لقد كان لها تجارب وانتفاضات سياسية مهمة في أثناء تحولها من الحكم الدكتاتوري إلى الجمهوري الديموقراطي، غير أنها لا تحتفظ بكثير من اللحظات التاريخية التي تمسّ الأمة في الصميم. لذلك فقد كانت لحظات الهزيمة في كأس العالم عام 1950 لحظات تاريخية، حفرت عميقاً في ذاكرة الأمة.

ترسم بريطانيا –مثلاً– تاريخها الحديث بعلامات مميزة مثل: الحرب العالمية الأولى 1914–1918 والحرب العالمية الثانية 1939–1945، بينما ترسم البرازيل التي لم تكن طرفاً في أيّ من هذه الحروب تاريخها الحديث بمشاركاتها في دورات كأس العالم لكرة القدم كل أربع سنوات، فيمكن قياس قفزات الأمة خلال هذه الفترات.

ومن المفارقات في هذا السياق أن الأورغويين الذين فازوا بكأس العالم 1950، لم يفوزوا بهذا الكأس بعد ذلك إطلاقاً، ورغم ذلك فهم لا يتذكرون تلك المباراة بشغف، بل إنهم لا يعيرونها أيّ اهتمام يذكر.

وفي إحدى زياراتي للماراكانا عام 2000 وجدت مجموعة من السياح الأورغويين يتقدمهم دليل سياحي يطوف بهم الملعب، فسألته عن رأيه في هوس البرازيليين بهزيمة الماراكانا، فأجاب قائلاً: إنّ الجيل الجديد في الأورغواي لا يهتم كثيراً بالماضي، ولا يتذكر كأس العالم 1950، إذ حدث ذلك منذ زمن بعيد.

أليس من الغريب أن تترك الهزيمة أثراً أعمق بكثير من النصر!

أمّا بالنسبة إلى البرازيليين، فلم تساعد السنوات أو الانتصارات اللاحقة للمنتخب الوطني على اندمال جرح الهزيمة المهينة ذلك اليوم، وحتى الذين كانوا منهم أطفالاً في ذلك اليوم وحضروا تلك المباراة، ما زالوا يتذكرون تسلسل الأحداث التي أدت إلى خسارة كأس العالم في تلك المباراة. وظلوا يحملون عبء الهزيمة بمرارة حتى بعد أن كبروا. يقول الصحفي اللامع خولويز الذي التقيته في منزله الواسع في كوبا كابانا: «كانت هزيمة عام 1950 كارثة مأساوية بالنسبة لي عندما كنت طفلاً في ذلك الوقت، فالجميع كانوا يعدُون بانتصارات لم تحدث، كما لم يشرح أحد لنا ما حدث في تلك المباراة ولم يقدموا تفسيراً مقنعاً، لقد حملت إحباطي وخجلي في ذلك اليوم لمدة طويلة وكنت اعتقدت أنني الوحيد الذي يعاني هذا الشعور، ولكن بعد سنوات من الحدث، وبعد أن نضجت ما فيه الكفاية، عرفت أن كثيرين غيري كانوا يعانون ما عانيته سواء أكانوا أطفالاً في ذلك الوقت أم بالغين».

يفسر خولويز تضخيم شعور الفاجعة تلك بأن حدث خسارة المباراة النهائية في كأس العالم كان الحدث الأهم بالنسبة إلى البرازيلين، ولم يكن

يحدث آنذاك ما هو أهم، فلا حروب ولا ثورات، ولا كوارث طبيعية توحد أبناء الأمة في ألم واحد، فلم يكن هناك غير هذه الفجيعة، التي نال كل برازيلي في ذلك الوقت حصته منها.

واجهت البرازيل فريق الأورغواي مرة أخرى في كأس العالم بالمكسيك عام 1970 كان ذلك في الدور نصف النهائي. وكانت المباراة أول لقاء بين الفريقين منذ نهائي 1950، وما إن أعلن الحكم انتهاء المباراة 3–1 لصالح البرازيل، حتى أخذ خولويز سماعة الهاتف واتصل بسفارة الأورغواي، صارخاً من الفرحة ليغلق السماعة ويتنفس الصعداء.

يعترف خولويز بأن هذا كان تصرفاً صبيانياً طائشاً، ولا يليق بمثقف مثله، لكنه يقول: إنه كان يختزن هذا الصراخ منذ عشرين عاماً، أي منذ كارثة نهائي 1950. لقد وجد طريقة فريدة لتخفيف ألمه وفجيعته حيال خسارة فريقه في كأس العالم 1950 أمام فريق الأورغواي، بإعادة تركيب الصور الموجودة على أشرطة الفيديو التي صورت المباراة في ذلك اليوم. وبخبرته الصحفية الواسعة، استطاع لويز أن يجعل ذلك الهدف القاتل كأنه لم يحدث، بل استخرج صوراً من مباريات أخرى لهدف يرتد عن عارضة المرمى ليضعه مكان الهدف الذي كان يزعجه، وهكذا تنتهي المباراة بالتعادل ليفوز منتخب البرازيل بالبطولة. ولم يكتفِ بذلك، وإنما يكمل تصوير فيلمه الخاص بإضافة لقطات للاعبي الأورغواي، وهم يبكون في الملعب إثر خسارتهم المفترضة! ويعرض عليّ هذا الشريط المصور بفرح طفولي، كأنه يصدّق ما يراه فعلاً، وهو لا يرى أيّ حرج فيما يفعله، بل يعدّه علاجاً نفسياً لإحدى عقد الطفولة لديه، ومتنفساً

لخيبة الأمل التي عاناها إثر تلك المباراة الحاسمة.

يستعمل باولو بيردغاو –وهو أديب برازيلي معروف– أحداث المباراة النهائية 1950 في إحدى رواياته وهي بعنوان: «يوم خسرت البرازيل الكأس»، حين يحاول بطل الرواية تغيير نتيجة المباراة بالتأثير على أحداثها، فيقف خلف مرمى باربوسا، ويحاول تحذيره من الهدف القادم، لكن صراخه خلف المرمى يربك باربوسا عوضاً من تنبيهه فلا يستطيع صدّ الهدف القاتل، وعوضاً من أن يمحو البطل تلك الذكرى المؤلمة يصبح سبباً فيها. تحولت هذه الرواية فيما بعد إلى فيلم روائي قصير رُشح لأكثر من جائزة، ويعدّ أحد الأفلام المهمة في السينما البرازيلية.

يوصف اللاعب توماس سواريز دي سيلفا المعروف بالمعلم زيزا أو زيزينيهو أنّه أفضل لاعب برازيلي لم يفز بكأس العالم، وهو رمز مهم من رموز الكرة البرازيلية، إذ كان حلقة وصل بين جيل ليونيداس الذي كان زميله في فريق فلامنغو في بداية الأربعينيات، وجيل بيليه الذي لعب ضده في أواخر الخمسينيات. وكثيراً ما سمعنا بيليه ذاته يردد: إن زيزينيهو هو أعظم لاعب عرفه على الإطلاق. ولو لم يشترك زيزينيهو في بطولة 1950 لربما كان اسمه يتردد مع اسم بيليه بالدرجة نفسها، ولكن ما حدث أن زيزينيهو وُصم بالهزيمة بعد خسارة كأس العالم 1950، بينما ارتبط اسم بيليه بالانتصارات المتلاحقة للفريق البرازيلي التي بدأت عام 1958.

يتذكر زيزينيهو أنه لم يكن ينام جيداً في الأيام التي تلت الهزيمة الكبرى 1950، وقد منحه فريقه بانجو إجازة لمدة أسبوعين، غير أنه لم يستطع

المكوث في المنزل فاتصل بفريقه في اليوم الرابع ليعود إلى التمرين ضمن الفريق في محاولة منه للتغلب على إحباطه.

يبلغ زيزينيهو اليوم التاسعة والسبعين من عمره، لكنه لايزال حيوياً وعيناه براقتين وله شهية مفتوحة دائماً للحديث والذكريات. التقيت به في شقته الصغيرة المطلة على الخليج في ريو دي جنيرو، وسألته كيف تعامل أقرانه وزملاؤه مع تلك الهزيمة، فرد فوراً: إن الهزيمة قتلت باربوسا، أو بالأحرى إن الصحافة التي تعاملت مع الحدث هي التي قتلته.

لقد خرجنا من المباراة سيراً على أقدامنا ولم يزعجنا أحد، وكان الذين يلتقوننا في الطريق يعزوننا بطريقة أو بأخرى، ولكننا لم نتلقَ لوماً من أحد. ولكن بعد أيام بدأت الصحف تنشر الأخبار وتحلل أسباب الهزيمة، وكانوا ينهالون باللوم على باربوسا وبيجود، حتى إنهما لم يكونا يغادران منزليهما إلا نادراً. لم يستطع بيجود الاستمرار بهذه الطريقة فغادر ريو إلى ميناس، ثم ترك ميناس بعد أن تعرض للكثير من المضايقات ويعيش الآن في إسبيرتو سانتو، كما غادر جيوفينال المدينة كذلك بعد الهزيمة إثر مضايقات كثيرة ويعيش الآن في باهيا، ولا يفكر في زيارة ريو البتة.

يتصل زيزينيهو بأصدقائه خارج ريو في شهر حزيران من كل عام، ويعطيهم رقماً خاصاً للاتصال به؛ حتى يستطيع تمييزهم عن الصحافيين والفضوليين الذين يضايقونه باتصالاتهم في هذا الشهر، أي في ذكرى المباراة النهائية لعام 1950.

يعلق زيزينيهو في غرفة الجلوس صوراً لفرق كرة القدم التي لعب فيها، وصوراً أخرى تخلد اللحظات المهمة في حياته بوصفه لاعباً، منها أوسمة عن فوز فريقه فلامنغو ثلاث مرات متتالية في الدوري البرازيلي عام 1942، وعام 1943 وعام 1944، وهناك صور له مع فريق ساو باولو أثناء تتويجه في بطولة الولاية عام 1957، وعلى جدار آخر هناك صورة بحجم ملصق كبير للمنتخب الوطني البرازيلي في كأس العالم 1950، موقعة من قبل اللاعبين الذين شاركوا في تشكيلة ذلك المنتخب.

ويحتفظ زيزينيهو بميدالية المركز الثاني في كأس العالم 1950، في خزانة جانبية جنباً إلى جنب مع الكؤوس والجوائز الأخرى التي حصل عليها طوال مشواره، تبدو هذه الميدالية عتيقة سوداء اللون، وعندما سألنا زيزينيهو عن ذلك أجاب: إنه لا ينظفها البتة، فهي لا تساوي شيئاً في البرازيل، حيث لا يحفل أحد بالمركز الثاني، إمّا أن تكون بطلاً، أو لا شيء على الإطلاق، والأفضل أن يخسر المرء ويخرج من البطولة قبل الوصول إلى النهائي.

لقد عمل زيزينيهو في دائرة الأراضي في ريو بعد تقاعده من لعبة كرة القدم، وله حياة اجتماعية حافلة غير أنها خالية من لاعبي كرة القدم تقريباً، فيما عدا بعض اللاعبين القدامى من منتخب الأورغواي الذي شارك في نهائي كأس العام 1950.

ولقد كانت تلك المباراة نقطة البداية لصداقات قوية نشأت بينه وبين أفراد ذلك الفريق واستمرت حتى اليوم، ويقول في هذا الشأن: «لقد استمرت صداقتي مع الأورغويين أكثر مما استمرت مع البرازيليين،

وتربطني علاقة وثيقة جداً مع فاريلا، وكثيراً ما نلتقي كلما ذهبت في زيارة للأوروغواي، أو حضر فاريلا مع عائلته إلى البرازيل».

ألمح فوق أحد الرفوف عند زيزينيهو كتاب باولو بيردغيو: «شرح الهزيمة»، فأسأله إن كان قد قرأه، فيرد عليّ مبتسماً إنه لا يحب قراءة الكتب التي تبعث على الحزن والكآبة، ويقول: «لقد خضت هذه المباراة بنفسي وعشتها لحظة بلحظة، فوق أرض الملعب قبل أن يُكتب عنها أي حرف، فلماذا أقرأ شرحاً لها يشعرني بالمرارة والحزن»؟

هل تريد أن تعرف كيف هُزمنا؟ لأننا لعبنا حسب خطة 1950 WM[4] اللعينة. لقد لعبنا ضمن هذه الخطة للمرة الأولى في كأس العالم 1950، وقد فزنا على إسبانيا والسويد ويوغسلافيا، وهم كلهم كانوا يطبقون خطة WM، ولكن الأوروغواي لم تكن تلعب ضمن هذه الخطة، وإنما كانوا يشكلون رأس حربة متقدماً، وهي خطة سيئة، لكنها على أي حال أفضل من خطة WM، وهذه الخطة كانت سبب خسارتنا برأيي.

لعبت البرازيل في كأس العالم 1950 بزيها آنذاك، وهو القميص الأبيض ذو الياقة الزرقاء والسروال الأبيض، ولكن حتى هذه الألوان لم تسلم من النقد والتشريح، وظهرت في الصحف مقالات تدعو لتغيير الزي لأنه «يفتقر إلى رمزية خاصة تعبر عن روح البرازيل» حسبما جاء

---

(4) خطة WM: طور هذه الخطة مدرب فريق الأرسنال هربرت تشابمان، رداً على قانون التسلل الذي نص على وجوب وجود لاعبين أمام المهاجم بدلاً من ثلاثة، فإن ارتكب أحد المدافعين خطأ ما، سيجد حارس المرمى نفسه وحيداً بمواجهة مهاجم الفريق المنافس، فيصبح لدينا في هذه الخطة مدافعون يتمركزون على شكل حرف W، ومهاجمون على شكل حرف M: (المترجم).

في صحيفة كوريو دي مانا (البريد الصباحي). وهكذا أطلقت هذه الصحيفة بالتعاون مع الاتحاد الرياضي البرازيلي، والهيئة الوطنية لكرة القدم مسابقة مفتوحة لتصميم زي يحتوي على ألوان العلم البرازيلي الأزرق والأبيض والأخضر والأصفر؛ ليرتديه المنتخب في كأس العالم المقبل عام 1954 الذي سيقام في سويسرا.

كأن ألدير جارسيا شيلي في التاسع عشر آنذاك، ويعمل رساماً في صحيفة محلية في بيلوتاس، وهي مدينة تبعد زهاء 100 ميل عن حدود الأورغواي. وبما أنه كان يعمل رساماً فقد فكر بالاشتراك في هذه المسابقة من قبيل الفكاهة كما يقول: «كيف يمكن لزي المنتخب الوطني أن يتكون من أربعة ألوان؟ قد يمكننا تصميم زي بثلاثة ألوان على الأكثر، أما أربعة فلا يمكن. كما أن ألوان العلم البرازيلي لا تتوافق مع بعضها، فكيف يمكن مثلاً أن تصمم قميصاً باللونين الأبيض والأصفر؟



الحدود بين البرازيل والأورغواي

ما ستحصل عليه -في هذه الحالة- هو علم الفاتيكان»!

أخذني ألدير وزوجته لتناول العشاء في مطعمهما المفضل في بيلوتاس (لابيزانا)، حيث تُقدم أطباق شهية من اللحوم تُشوى فوق الحطب، وهي طريقة أهل الأورغواي في الشواء، التي تختلف عن طريقة البرازيليين الذين يشوون اللحم فوق الفحم، فالبرازيليون لا يأكلون سوى لحم الحيوان، أمّا أهل الأورغواي فيستهلكون معظم أجزاء الخاروف الأخرى، وقد حصلنا على طبقين شهيين من المقبلات كانا عبارةً عن الفلفل المحشو بالمخ، والكلاوي المشوية.

يبلغ ألدير الآن السادسة والستين من العمر، لكنه يبدو أصغر من ذلك بكثير، وربما يعود ذلك إلى ضحكاته المجلجلة طوال الوقت، أو ربما لشعره الطويل الذي لم يغزه الشيب بعد تماماً، والذي يمنحه هيئة بوهيمية مميزة. ويتابع ألدير حديثه حول تصميم زي المنتخب الوطني بعد عام 1950 فيقول: «لا مشكلة في اللونين الأبيض والأزرق فهما يتماشيان مع بعضهما، وقد اخترتهما للسروال، فهو أزرق وله حافة بيضاء من الجوانب، ولكن بقيت مشكلة القميص، وقد بقي لدي اللونان الأصفر والأخضر. لقد صممت ما يقارب المئة تصميم لخلط اللونين، ولكنني توصلت في النهاية إلى أن القميص يجب أن يكون أصفر كله، فالأخضر لا يتناسب مع الأصفر على مساحة واسعة، ولكنه يمكن أن يقتصر على حواف الياقة، أما الجوارب فهي بيضاء مع إضافات بسيطة من الألوان السابقة».

قدم ألدير تصميمه وفاز بالمسابقة التي شارك فيها ما يقارب الثلاثمئة

مصمم، فقد كان تصميمه الأفضل في تجانس الألوان وتوزيعها، وقد حصل على جائزة مالية، بالإضافة إلى دعوة للإقامة مع المنتخب في ريو دي جنيرو لمدة عام كامل، وقد كانت هذه فرصة ذهبية بالنسبة إلى ألدير ليضع اللبنة الأولى في مستقبله المهني، ويتمكن في الوقت ذاته من مقابلة لاعبيه المفضلين الذين طالما حلم ككل البرازيليين بمقابلتهم.

لكن التجربة كانت مؤلمة وصادمة لألدير الشاب اليافع، إذ اكتشف أنّ لاعبيه المفضلين هم مجموعة من الأوغاد، وليس بينهم إلا نفر قليل يتميز بالنزاهة والاستقامة، فقد كانوا يقضون معظم الأوقات خارج التمرين في الشراب ومرافقة النساء، فما كان منه إلا أن استغل أول فرصة سانحة للعودة إلى مدينته في ولاية ريو جراند دوسول، وظل يعيش فيها حتى اليوم.

لعب المنتخب البرازيلي للمرة الأولى، وهو يرتدي زيه الجديد في ملعب الماراكانا عام 1954 ضد منتخب شيلي وتغلب عليه بنتيجة 1–0، ولكنه لم يحرز كأس العالم لكرة القدم إلا بعد ثماني سنوات من تصميم الزي الجديد، كان ذلك عام 1958، عندما واجه المنتخب البرازيلي منتخب السويد، وقد كان المنتخب السويدي يرتدي قمصاناً صفراء أيضاً، ولأنه لم يتم تحضير زي آخر احتياطي للمنتخب البرازيلي، اضطر مسؤولو الفريق إلى نزع الشعارات عن قمصانهم الصفراء وإلصاقها على قمصان زرقاء تم شراؤها على عجل من أسواق مدينة ستوكهولم.

لقد ترافقت نجاحات المنتخب البرازيلي بعد ذلك مع القمصان الصفراء التي صممها ألدير، وأصبحت علامة مميزة للعب الجميل

والحرفية العالية، إذ كان توهج اللون الأصفر مناسباً لتوهج الأسلوب البرازيلي في اللعب، وعزز هذا الأصفر الذهبي من تفرد اللعبة البرازيلية وتألقها، حتى ارتبط بها ارتباطاً وثيقاً وأصبح من الصعب تخيل الفريق البرازيلي والكرة البرازيلية من دون إشعاع هذا اللون الذهبي الدافئ المليء بالحيوية.

ومع مرور الوقت أصبح لون القميص الأصفر يرمز للبرازيل البلد والأمة وليس للمنتخب الذي يلعب كرة القدم فقط، بل ربما تغلب هذا الرمز على العلم البرازيلي ذاته، الذي يتكون من خلفية -خضراء ترمز إلى غابات البرازيل، ومستطيل أصفر يرمز لثرواتها الكثيرة، أما الكرة الزرقاء ذات النجوم البيضاء فترمز لسماء ريو في الليل، ويحيط بالكرة شريط أبيض كتب عليه «النظام والتقدم» وهو شعار عسكري نوعاً ما، على الرغم من أن هذا العلم صمم بعد قيام النظام الجمهوري في البرازيل.

يعترف ألدير أنه كان سعيداً في البداية بشهرة الزي الذي صممه، وكان يتحمس جداً عند رؤية لاعبي المنتخب يرتدونه في المباريات، لكن حماسه هذا لم يدم طويلاً وأخذ يخفت شيئاً فشيئاً، ربما بسبب التجربة السيئة التي عاشها مع اللاعبين التي جعلته يفقد اهتمامه باللعبة نوعاً ما، ويضيف: إنه كان يمتلك قميصاً أهداه له اللاعب بيليه ذات يوم، إلا أنه تعرض للسرقة وفقد ذلك القميص، ولم يحاول الحصول على غيره، إذ لم يعد هذا الموضوع يثير اهتمامه.

ومن الغريب في الأمر أن الرجل الذي صمم أهم رمز للمنتخب

البرازيلي لم يعد يشجع الفريق البرازيلي، بل إنه يشجع فريق الأورغواي دائماً، وقد كان عليَّ أن أحزر ذلك من اختياره للمطعم الذي أخذني إليه، كما أنه يعلق علم الأورغواي في سيارته، وهناك شعار واضح للأورغواي معلق في مدخل بيته لا تخطئه العين.

يصحبني ألدير في اليوم التالي إلى بلدة غوراو حيث ولد، وهي بلدة حدودية بين البرازيل والأورغواي، وكانت تطالعنا مناظر خلابة طوال الطريق من أشجار وارفة، وقطعان من الأبقار تستلقي بكسل فوق الأعشاب الخضراء، لكن السماء لم تمهلنا طويلاً، فقد بدأ مطر غزير بالهطول أعاق رحلتنا واضطررنا إلى اللجوء إلى أول بلدة أمامنا وهي أريو غراندي، وعندما خرجنا منها بعد ساعة لإكمال رحلتنا، كانت الطريق تغرق في المياه والأوحال، ولكننا رغم ذلك تابعنا المسير.

ويحكي لي ألدير المزيد عن حياته وعمله ونحن في الطريق، فيقول: إنه صحفي ومصمم وأستاذ في الجامعة أيضاً، وقد حصل مؤخراً على جائزة «أيزو» عن أفضل تحقيق صحفي، وتعدّ هذه الجائزة المرادف لجائزة بولتيزر للصحافة في البرازيل، وكان تحقيقه حول مصادر النفط في البرازيل.

وقد ألّف ألدير كتابه الأول عام 1982، كان بعنوان «حكايات لا تنتهي» وقد حصل على جائزة الأدب البرازيلي عن هذا الكتاب، أما كتابه الثاني فقد صدر عام 1984 بعنوان: «أرض واحدة» وحصل عنه على جائزة أخرى في العام ذاته.

تعالج روايات ألدير الصراع بين الولاء الشخصي والوطني أو بين

الولاء الخاص والعام، وهو صراع يمثله هو شخصياً أفضل تمثيل، فولاؤه موزع –إن لم يكن ممزقاً– بين البرازيل والأورغواي، فقد ولد في بلدة حدودية تجعل منه مواطناً في الدولتين تقريباً. وهو كاتب برازيلي ولكنه يكتب باللغة الإسبانية، وتنشر كتبه في الأورغواي أولاً، فتلاقي هذه الكتب استقبالاً حافلاً من القراء. يحاول ألدير في رواياته أن يبحث عن علاقته بالآخر، وكأنه يتطلع دائماً إلى الجانب الآخر من الخط الحدودي الذي نشأ عنده، محاولاً ردم الهوة التي يبدأ فيها صراع الولاء لبلدين داخل نفسه.

وصلنا إلى باغوراد –مسقط رأس ألدير– وهي بلدة نظيفة ومنظمة عاش فيها ألدير طفولته وتشبع فيها بالثقافة الأورغواوية، حيث كانت البلدة أقرب إلى الأورغواي منها إلى البرازيل، كما أنها تعتمد على مونتفيديو في معاشها اليومي وقضاء حوائج سكانها، وذلك بعبور جسر ماوا الدولي، وهو الجسر الذي يربط البرازيل بالأورغواي ويفصلهما في الوقت ذاته. ويبدو الجسر مهيباً بطرازه المعماري المميز وأبراجه الأربعة على كلا الجانبين، وهو يثير ذكريات كثيرة لدى ألدير، الذي ما ينفك يشير إلى البرج ورمزيته في رواياته.

نجلس في أحد المقاهي في بلدة ألدير الصغيرة بعد أن بدأت الشمس تميل نحو المغيب، لتعكس بقايا أشعتها الذهبية على المنازل المحيطة بالساحة التي تضم المقهى. وفي هذا الجو الحميم يعاود ألدير الحديث عن كرة القدم، فهو مثل كل البرازيليين لم ينس البتة ما حدث في نهائي 1950، لكن أسبابه مختلفة قليلاً، فهو من الأقلية التي تعتقد أن منتخب

الأورغواي الذي لعب في ذلك اليوم كان يستحق الفوز فعلاً، وأنه فريق يضم لاعبين استثنائيين استطاعوا تجاوز خصومهم في تلك الدورة، بل وتجاوز البرازيل ذاتها، رغم أن فارق النقاط كان كبيراً بينهما، ولكنه كان فريقاً منظماً ومترابطاً استطاع من خلال اللعب الجماعي المتعاون الوصول، والحصول على كأس العالم 1950.

كانت الأورغواي إحدى مقاطعات البرازيل سابقاً، لكنها قاتلت من أجل استقلالها، ويبلغ تعداد سكانها 3,2 مليون نسمة وهو تقريباً ثلث عدد السكان الموجودين في ريو غراندي دو سول، الولاية البرازيلية الأقرب للأورغواي من جهة الشمال.

يقول ألدير: إن فوز الأورغواي بالكأس في ذلك العام كان محزناً جداً للبرازيل، لكنه أثار الإعجاب أيضاً بهذه الجارة الصغيرة التي أظهرت قدرات جبارة آنذاك.

نشر ألدير مجموعة قصصية قصيرة عام 1995 تحمل عنوان «حكايات كروية»، وهي قصص خيالية، يحكي في إحداها كيف كان يلعب وهو طفل صغير مع جيجيا لاعب الأورغواي الشهير، وبعد عدة سنوات من صدور الكتاب، قابل اللاعب الشهير في إحدى المناسبات فقرأ له القصة القصيرة، وهنا استغرب اللاعب وقال له: «هل هذا صحيح؟»، يبدو أن اللاعب الكبير لم يلحظ أنها قصة خيالية. كان ألدير في الخامسة عشرة من عمره عام 1950، وفي يوم المباراة النهائية تحديداً كان يقطع الجسر إلى الأورغواي للذهاب إلى السينما، وفي منتصف الفيلم، أضيئت الأنوار، ليعلن صوت المذيع خبر فوز الأورغواي بالبطولة وحصولها على الكأس،

فضج الجمهور بالتصفيق وأخذوا يغنون النشيد الوطني للأورغواي.

تحكي القصة الأولى في كتاب ألدير «حكايات كروية»، هذه القصة تحديداً، ولإظهار الصراع في الولاء لبلدين، يستخدم ألدير بطلين في القصة، يسمع أحدهما الخبر في قاعة السينما، بينما يشاهد الآخر المباراة في ملعب الماراكانا. يعود الولد الأول إلى بيته حزيناً صامتاً، وهو يركل الحجارة في طريق العودة. أما الولد الثاني فيبكي بحرارة بعد مشاهدة المباراة، وتختلط مشاعره لدرجة أنه ينسى السبب في بكائه ولا يعود يعرف أهو سعيد أم حزين، فائز أم خاسر في ذلك المساء المشهود، قد يبدو من عبث الأقدار أن ذلك الشاب الممزق بين ولائه للبرازيل والأورغواي، قام بتصميم الزي الخاص بالمنتخب البرازيلي الذي يستخدمه الأخير حتى اليوم، وهو الشخص ذاته الذي أصبح روائياً معروفاً بعد ذلك، وتعالج معظم رواياته العلاقة بين طرفي الصراع الذي يتنازعه دائماً، وهو عاشق متيم كذلك لكل ما له علاقة بالأورغواي وثقافتها وأهلها.

بني ملعب سنتيناريو على غرار الماراكانا، لاستضافة بطولة كأس العالم عام 1930، التي فازت فيها الأورغواي بذلك الكأس. كان هذا الملعب هو الأضخم في العالم في ذلك الوقت، لكنه بدا لي صغيراً جداً عندما رأيته مقارنة بالماراكانا، وخطر لي حينئذ كم تغير العالم ما بين عامي 1930و1950. يقع هذا الملعب وسط متنزّه كبير في منتيفيديو، وهناك خارج الملعب مسطح أخضر متوسط الحجم نصبت بجواره إشارة توضيحية «مسطح بطولة الماراكانا 1950 المفتوح». جئنا أنا

وألدير وزوجته مارلين لحضور مباراة بين البرازيل والأورغواي في هذا الملعب، وقد أرادت مارلين أن ترتدي قميصاً أصفر لتشجيع المنتخب البرازيلي، غير أنها لم تجد واحداً في المنزل! وعلق ألدير على ذلك مبتسماً «أرأيت كم أنا مهتم بالموضوع!». جلسنا جميعاً في الجزء المخصص لمشجعي البرازيل، لكن ألدير كان يحمل شعاراً للأورغواي يخبئه في جيبه، وعندما عُزف النشيد الوطني للأورغواي انحدرت دمعة على خده لاحظتها بصعوبة. يقول ألدير: إن هذا النشيد يذكره بطفولته، بالإضافة إلى أنه يشعر بالجميل لهذا البلد الذي احتضنه كاتباً وروائياً قبل البرازيل بسنوات. ألتفتُ إلى المدرج المقابل حيث يجلس مشجعو الأورغواي، لأجد يافطة ضخمة حملها مشجعو الفريق على طول الصف الأول من المدرج تحمل رقماً واحداً فقط (1950)، في محاولة مستفزة للتأثير في معنويات الفريق الضيف، حيث يعلم مشجعو الأورغواي أن البرازيليين لم ينسوا ذلك اليوم قط.

نستمر في متابعة مجريات المباراة، وأسأل ألدير عن شعوره عندما يرى الزي الذي صممه يرتديه لاعبو المنتخب البرازيلي، فيقول لي بسرعة، لا شيء، لا أشعر بأي شيء، بل قد ينتابني أحياناً شعور بالذنب، إذ إن الاتحاد البرازيلي لكرة القدم استولى على الزي وباع حقوق استثماره لشركة نايكي الرياضية، ليتحول هذا الزي من رمز وطني للبرازيل إلى رمز للفساد والاستغلال. انتهت مباراة ذلك اليوم بفوز الأورغواي 1–0، وانطلق ألديز وزوجته للعودة لمنزلهما، بينما استقللت أنا سيارة أجرة إلى لاس بيوراس وهي مدينة صغيرة تبعد عشرة أميال عن منتفيديو.

إنها المدينة التي يقطنها لاعب الأورغواي الأشهر السيداس جيجيا، وما إن وصلت إلى بيته الذي يبدو لي متواضعاً جداً، بل وأقرب إلى الفقر فهو عبارة عن مكعب صغير من الآجر الأحمر فوق سطح أحد المنازل، حتى طرقت الباب لكن لا أحد يستجيب لطرقاتي، وقد نصحني بعض الجيران بالبحث عنه في سوق البلدة القريب. وهكذا سرت على قدميّ إلى السوق الذي كان يعج بأهالي البلدة الذين يبيعون ويشترون احتياجاتهم اليومية، وما إن دخلت إلى وسط السوق حتى لمحت جيجيا؛ اللاعب الذي سجل هدف الأورغواي القاتل في نهائي عام 1950، يقف خلف طاولة على الرصيف صُفت فوقها بعض الثياب المعروضة للبيع وهو يرتدي ثياباً رياضية دافئة، ويبدو شعره الأسود الكثيف وشارباه المشذبان كما رأيته تماماً، في مباراة النهائي مع أنه الآن في الرابعة والسبعين من العمر. تقدمت منه وعرفته بنفسي، ثم سألته إذا كان قد شاهد مباراة الأمس بين الأورغواي والبرازيل، فقال إنه شاهدها في المنزل عبر التلفاز، فهو لم يذهب إلى ملعب سنتيناريو منذ ثماني سنوات.

يصحبني جيجيا إلى مقهى قريب لنكمل حديثنا، وأخذت أسترجع في رأسي ما قيل لي حول مقابلة جيجيا، فهو يطلب ثمناً للمقابلات التي تُجرى معه، ولا بد أن يكون الثمن نقداً وبالدولار الأمريكي، كما أنني عرفت أنه من أشد قدامى اللاعبين فقراً وحزناً، فهو لا يحب أن يتكلم إطلاقاً حول نهائي 1950، ويعدّ نفسه مهملاً من قبل القائمين على الرياضة في الأورغواي، غير أنه يعتقد أن هذه الحال تنطبق على

اللاعبين القدامى جميعاً حول العالم. وأحاول بلباقة سحبه للفترة التي لا يحب الحديث عنها وهي نهائي 1950، ولا يبدو أنه يمانع في ذلك.

يخبرني جيجيا عن اليوم السابق لتلك المباراة فيقول لي: إن بعض أعضاء وفد الأورغواي ومسؤوليه قرروا العودة إلى بلادهم قبل المباراة؛ لأن الفريق لا يملك أي فرصة للفوز بالكأس، لكنه يقول: «إن الفريق كان مجهزاً وهو يستحق الكأس التي حاز عليها، فلم يكن الفريق البرازيلي غريباً عنا، لقد كنا نعرفه حق المعرفة، وقد لعبنا معه عدة مباريات في السابق، ونعرف لاعبيه ونقاط ضعفهم، ما كنا نخشاه فعلاً هو الفرق الأوروبية التي كانت مجهولة بالنسبة إلينا في ذلك الوقت، لأن التلفاز لم يكن منتشراً، ولم نكن نعرف طريقتهم في اللعب، أما البرازيليون فقد كنا نعرف كل شيء عنهم».

يصل النادل في هذه اللحظة حاملاً فناجين القهوة وأكواب الماء ويضعها أمامنا على الطاولة، يرشف جيجيا من الفنجان ويحدثني عن الهدف القاتل الذي سدده في مرمى البرازيل فيقول: «لقد أخذت الكرة واتجهت بسرعة نحو الجهة اليمنى ولم يستطع جوفينال وبيجود اللحاق بي إذ كنت سريعاً جداً، اقتربت من المرمى ووجدت باربوسا يغطي الزاوية اليسرى من المرمى، وهو التصرف الصحيح والمعقول طبعاً، غير أنني تصرفت بطريقة أخرى وسددت نحو الزاوية اليمنى، ومع بعض الحظ إلى جانبي استطعت تحقيق الهدف. وأتذكر الصمت المطبق الذي خيم على الماراكانا ولم يكن يُسمع في الملعب غير أصواتنا المبتهجة، وقد عرفت أن هدفي أوصلنا إلى الكأس حتى قبل أن يطلق

الحكم صافرة النهاية. لقد كان الهدف مدمراً لثقة البرازيليين بأنفسهم، ولذلك لم يستطيعوا معادلة هدفي قبل انتهاء المباراة».

أسأل جيجيا إذا كان يشعر بالذنب إزاء البرازيل ومعاناتها فيجيب: «لا مكان للشعور بالذنب في لعبة كرة القدم، فإما أن تكون غالباً أو مغلوباً. لقد حققت ما يحلم به كل لاعبٍ محترف في العالم».

انتقل جيجيا بعد تلك المباراة للعب في إيطاليا مع فريق روما، ثم إلى فريق ميلانو، ولعب مع المنتخب الإيطالي كذلك، وسجل هدفاً أمام إيرلندا الشمالية في بلفاست. اعتزل جيجيا حياة كرة القدم وهو في الثانية والأربعين وعاد إلى الأورغواي عام 1970 ليواجه الإهمال من حكومة الأورغواي ومن الصحافة كذلك، ولكنه مازال يلتقي برفاقه القدامى لاعبي الفريق الوطني الذين فازوا بالكأس عام 1950 في السادس عشر من يوليو كل عام، حيث يجتمعون في منتفيديو يتحدثون عن حياتهم وعائلاتهم، لكنهم لا يناقشون أبداً كرة القدم، وشيئاً فشيئاً أخذ عدد أعضاء الفريق يتضاءل ولم يبق الآن على قيد الحياة إلا ثمانية من أحد عشر لاعباً، مثلوا الأورغواي في كأس العالم 1950 ومنحوا بلادهم ومواطنيهم فوزاً خالداً.

لا يحتفظ جيجيا بأي نوع من التذكارات الرياضية في بيته، فقد أهدى كل الكؤوس والميداليات والأوسمة التي حصل عليها لابنه، ويشير في هذا الصدد إلى أنه لا يحتفظ بأي شيء من ماضيه فهو لا يحب أن يعيش على الذكريات، بل يعيش لحظته فقط. وعلى الرغم من ذلك، فهو يدرك أن البرازيليين لم ينسوه وبقي حاضراً في ذاكرتهم وقتاً

طويلاً. ويؤكد جيجيا ذلك بحادثة وقعت له في أثناء إحدى زياراته للبرازيل عام 2000، إذ أمسكت ضابطة الشرطة الشابة بجواز سفره وحدقت فيه طويلاً وسألته إن كان هو حقاً جيجيا الشهير، فأجابها بنعم، ولكن كيف لها أن تعرفه بعد مرور كل ذلك الوقت على نهائيات كأس العالم 1950، فأجابت الشابة إن ذكريات ذلك اليوم محفورة في وجدان البرازيليين جميعاً، حتى الذين لم يكونوا قد ولدوا بعد.

الفصل الرابع

تجمع القبائل

يقال إن كرة القدم عرفت في البرازيل للمرة الأولى عن طريق شارلز ميلر، الذي أحضر معه كرتين عند عودته من إنجلترا. غير أن المستكشف الألماني ماكس شميت له رأي مخالف، إذ أظهر في مذكراته وصفاً للعبة رياضية رآها في أثناء إحدى حملاته في غابات الأمازون المطيرة، حيث تقف مجموعتان من شباب قبائل الباريس الهندية تواجه إحداهما الأخرى بحيث يتقاذف الشباب كرة مصنوعة من مطاط أشجار المناجابا المنتشرة في تلك المنطقة باستعمال رؤوسهم فقط. أما الرئيس الأمريكي الأسبق ثيودور روزفلت فقد زار المنطقة عام 1913 وصادف أن رأى قبائل الباريس تمارس هذه اللعبة، وأطلق عليها اسم «كرة الرأس». وهكذا انتشر الخبر في ريو وقوبل بترحاب شديد وصل إلى اقتراح بعض الصحف هناك استضافة مجموعة من قبائل الباريس للاطلاع على هذه اللعبة، التي أخذ الجميع يروجون لها، وفق أنها لعبة برازيلية خالصة وليست مستوردة من أوروبا، بل قد تكون هي أصل لعبة كرة القدم الأوروبية.

واستطاع الصحفيون إقناع ستة عشر فرداً من قبائل الباريس بالقدوم إلى ريو، وعرض لعبتهم أمام الجماهير وكان ذلك عام 1922، واستضاف الحدث نادي فلومننسي الذي عرض استخدام ملعبه الكبير لهذا الغرض، وقد استعمل الملعب كذلك لنصب خيام ينام فيها هنود الباريس الذين

قطعوا مسافة 1,200 ميل ليصلوا إلى ريو، كما غطت الصحافة الخبر باهتمام بالغ، وأصبح يطلق على اللعبة اسم «زيسوناتي».

أقيمت المباراة عصر يوم الأحد وسط مدرج غاص بالجماهير، ودخل أبناء قبيلة الباريس أرض الملعب مرتدين زياً موحداً للكشافة وقد صففت شعورهم بعناية، فبدوا كأنهم طلاب في مدرسة إيتون الإنجليزية العريقة، وليسوا من سكان الغابات البدائيين، وبدؤوا يغنون نشيدهم الوطني الخاص بلغة قبيلتهم مما أثار الضحك في صفوف الجماهير.



فريق قبيلة الباريس

عاد أبناء الباريس إلى أرض الملعب بعد أن قاموا بتغيير ملابسهم لينقسموا إلى فريقين، يتكون أحدهما من ثمانية لاعبين يرتدون القمصان البيضاء، بينما يتكون الآخر من سبعة لاعبين يرتدون القمصان الزرقاء، أما اللاعب الثامن في الفريق الأزرق فقد كان مريضاً منذ وصوله إلى

ريو، ثم مات بعد ذلك قبل أن يعود الفريقان إلى الأمازون.

وقف الفريقان متقابلين بالقرب من خط الوسط في الملعب، وضرب لاعب الكرة برأسه باتجاه الفريق الآخر، وكان على أحد لاعبي الطرف الآخر أن يصد الكرة برأسه باتجاه الفريق الأول أيضاً، وتحسب النقاط إذا سقطت الكرة على الأرض وأخفق أحد اللاعبين في صدها برأسه، وهي بذلك تشبه لعبة كرة اليد. كان الباريسيون يجرون ويتقافزون بسرعة ونشاط مثير للإعجاب، وشيئاً فشيئاً أخذ الجمهور ينجذب إلى اللعبة ويتابعها، بل أخذ يشجع ويصفق مما أربك اللاعبين الذين لم يعتادوا مثل هذا الصخب.

أسهبت الصحف بعد ذلك في وصف تلك المباراة، واستعملت في ذلك مصطلحات كرة القدم، ربما لأن اللاعبين كانوا يرتدون زي كرة القدم، وخلصوا إلى نتيجة أن الفريق الأبيض تغلب على الفريق الأزرق 21—20، أي بفارق نقطة واحدة. وأنّ اللعبة ليست عنيفة إطلاقاً، ولذلك فليس في قوانينها أي عقوبات كما يحدث في كرة القدم. أفردت إحدى الصحف في اليوم التالي صفحتها الأولى لمقابلة خاصة مع أحد أعضاء الفريق الذي كان زعيماً للقبيلة قال فيها: «إن المباراة لم تكن مرهقة البتة؛ لأنها لم تدم غير ساعة واحدة، بينما نلعب في قبيلتنا عدة ساعات في الصباح ومثلها بعد الظهر، إنها وسيلتنا المفضلة لقضاء الوقت، لكن أجواء المباراة كانت غريبة علينا، فنحن لم نعتد على هذه الملابس والأحذية، لقد شكلت عائقاً نوعاً ما، أما العشب على أرضية الملعب فقد كان زلقاً والأفضل لو لم يكن موجوداً، فنحن لا نلعب على

العشب في الأمازون».

لم تنتشر اللعبة على ما يبدو، وغادر اللاعبون الباريسيون إلى قبيلتهم التي تقطن الأمازون على حدود ولاية روندوينا ماتو جروسو.

تظهر المساهمة المحلية الثانية في كرة القدم البرازيلية بظهور لاعب برازيلي هندي من سكان البرازيل الأصليين يدعى إنديو، لفت الأنظار بوصفه لاعباً ماهراً ساهم في تأهل البرازيل لنهائيات كأس العالم، فقد سجل هدف البرازيل في مباراته مع البيرو حيث كانت النتيجة 1–1، كما صنع الهدف الوحيد في المباراة الثانية مع البيرو في ريو عندما حصل على ضربة حرة أدت إلى إحراز هدف الفوز في تلك المباراة. أُطلق عليه اسم إنديو؛ لأنه يشبه الهنود الأمريكيين بشعره الأملس وبشرته السمراء، أما اسمه الحقيقي فهو خوسيه ساتيرو دو ناسيمنتو، وقد ولد في قبيلة هندية حيث كان والده زعيماً للقبيلة، يبلغ من العمر اثنين وعشرين عاماً ويلعب في الجناح الأيمن في فريق كورينثيانس في مدينة ساو باولو.

تعدّ حياة إنديو مثالاً للكفاح المشرف، ويقع الهنود البرازيليون في أسفل السلم الاجتماعي في البرازيل، فهم فقراء مهمشون ومعزولون عن العالم المحيط، ولكن إنديو استطاع الوصول إلى القمة ليلعب مع المنتخب الوطني البرازيلي، وليس مع ناد كبير فقط في ساو باولو، يقول إنديو حول هذا الموضوع «لم أتخيل يوماً أنني سألعب كرة القدم، فقد كنت أعمل مع عائلتي في الحقول في زراعة البطيخ، وما إلى ذلك ولم تكن عائلتي تمتلك أي شيء، وغالباً ما كنا ننام جياعاً».

ولا يختلف إنديو في الملعب عن أي لاعب آخر، فحتى ملامحه لا تبدو غريبة هنا، أما خارج الملعب في مدينة ساو باولو فالوضع مختلف، حيث يعيش إنديو وحيداً مع وكيل أعماله، على عكس بقية اللاعبين الذين يسكنون مع عائلاتهم أو زوجاتهم، وهو لا يحظى بحياة اجتماعية مميزة، فيقضي وقته في البيت أو في التمرين، فهو لا يحب هذه المدينة الكبيرة، وربما تكون تسليته الوحيدة هي الذهاب إلى السوق وتناول المثلجات في أحد المقاهي، ويبرر إنديو ذلك بأن الهنود يحبون الغابة ولا يمكنهم التأقلم مع المدن.

لعب إنديو كرة القدم في المستوطنة التي كانت تقيم فيها قبيلته، ولم تكن هذه المستوطنة معزولة عن عالم المدينة تماماً. كانت كرته الأولى من حبات جوز الهند الخضراء فهي لا تؤلم القدم على حد تعبيره، أما فريقه الأول فكان ضمن مجموعة من الشبان في المستوطنة التي تقطنها القبيلة. اكتشفه بعد ذلك أحد مكتشفي المواهب عام 1995؛ ليرسله للعب مع فريق فيتوريا وهو فريق من الدرجة الأولى في السلفادور، وكانت هذه هي المرة الأولى التي يغادر فيها إنديو البرازيل، وعندما رأى البحر ظل مندهشاً لفترة وهو يفكر، ما أضخم هذا النهر!

عانى إنديو من صدمة ثقافية كبيرة عند انتقاله إلى السلفادور، ولاسيما فيما يخص الطعام، ولم يستطع تقبل الطعام الحريف اللاذع الذي يقدم هناك، ويقول إنديو: إنه في قبيلته كان يأكل أي شيء وكل شيء يمكن اصطياده، إلا أنهم لم يكونوا يستعملون البهارات مطلقاً، ولذلك فقد بقي يعاني من نوعية الطعام مدة طويلة، حتى إنه قرر أن

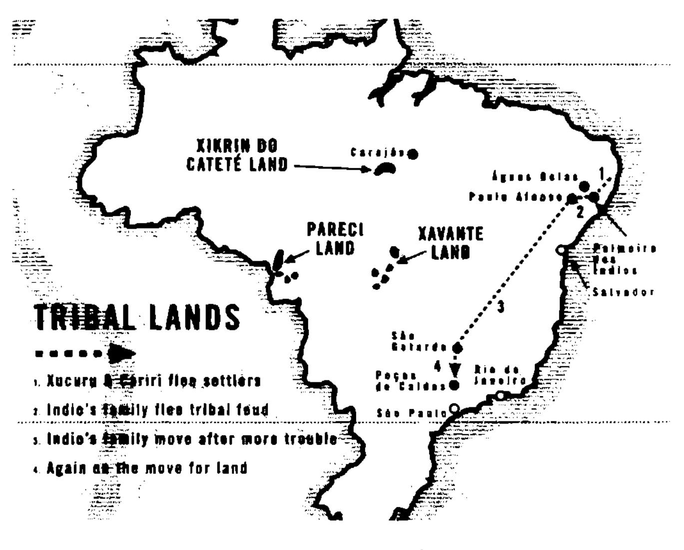
يعود إلى البرازيل بعد أن طفح به الكيل، لكن مسؤولي الفريق أعادوه إلى السلفادور بعد أيام.

وضع إنديو أسس مستقبله الكروي في سن مبكرة، فقد تم استدعاؤه لينضم إلى منتخب الشباب قبل أن يبلغ العشرين عاماً، ومن هناك بدأ يحلق من نجاح إلى نجاح. ولم يخلف إنديو والده في زعامة قبليته، لكنه الممول الوحيد لهذه العائلة الآن، ويعيل زهاء أربعين شخصاً من أقربائه كذلك، وقد نقل الجميع إلى بلدة تقع بالقرب من ساو باولو حتى يبقى على تواصل معهم.

لعب إنديو مع منتخب البرازيل الذي شارك في نهائيات كأس العالم عام 2000، لكنه واجه صعوبات بعد ذلك في الاستمرار بالمستوى ذاته، ويصفه المحرر الرياضي فابيو مازتيلي بأنه متذبذب، ولا يستطيع الحفاظ على مكانته، ويُرجع ذلك إلى ضعف ثقته بنفسه الذي قد يعود إلى نشأته الأولى في المستوطنة التي عاش فيها، وهذا حسب رأيه الشخصي. ولمعرفة شيء عن تاريخ إنديو قبل أن يصبح لاعب كرة شهيراً، قررت زيارة المستوطنة التي عاش فيها طفولته، التابعة لولاية ألاغوس.

وصلت إلى عاصمة الولاية ماسيو ومن هناك استقللت سيارة أجرة لتأخذني إلى المستوطنة في طريق يحفه قصب السكر من الجانبين، وبعد أن قطعنا مسافة نصف ساعة من الطريق أخذت حقول قصب السكر تختفي، لتحل محلها أعشاب السافانا الطويلة حتى وصلنا إلى بالميرا دوس إنديو وخرجنا إلى أطرافها، وعلى جانب الطريق كان هناك منزل بسيط من الآجر الأحمر تقف أمامه سيدة عجوز بلباس عادي، أوقفنا

السيارة وذهبت لأسألها عن منزل إنديو لاعب كرة القدم، فأجابت: إن إنديو هو حفيدها ودعتني للدخول. كانت فلورا جدة إنديو في الثامنة والستين من عمرها وتعيش وحدها في هذا المنزل الذي يكاد يقتصر فرشه على أريكة خشبية وتلفاز قديم الطراز، فقد كان الفقر هو المعلم الرئيس لهذا المنزل، ولم أجد فيه ما يربطه باللاعب الشهير، فليس هناك صور لفريق خاص أو شعارات رياضية، ولم يكن هناك غير صور قديمة كالحة لأحفاد فلورا، ومن ضمنها صورة لإنديو.



خريطة لتوزيع أراضي القبائل الهندية في البرازيل

أخذت فلورا تقص عليّ القصة المحزنة لعائلتها، إذ تزوجت ابنتها خوسيفا من زعيم القبيلة زيزينيو وأنجبت طفلها الأول وهي في الرابعة عشرة من عمرها، لكنه توفي بعد شهرين من ولادته، ولاقى طفلها الثاني

المصير ذاته وهو لمّا يزل رضيعاً. كان إنديو هو الطفل الرابع لخوسيفا لكن الأمور لم تسر على ما يرام، فقد حدث نزاع في القبيلة قُتل فيه أحد الرجال واتهم والد إنديو بقتله، وهكذا حكم على العائلة بالرحيل عن القبيلة ولم يعودوا إليها منذ ذلك الوقت.

يعدّ ما حدث في قبيلة إنديو مثالاً على الصراعات والنزاعات التي تحدث داخل القبائل الهندية، وسببها الأساسي هو الصراع على الأراضي، إذ كانت قبائل زوكورو وقبائل كاريري تعيش في منطقة كبيرة على ساحل برنامبوكو، ولكن مع وصول البرتغاليين عام 1500 أخذت القبائل الهندية تتراجع إلى الغابات، وعندما وصل المستكشفون في القرن الثامن عشر، بدؤوا يستولون على أراضي القبائل ويتخلصون من سكانها بحرق الأشجار وأسر أبناء القبائل عبيداً، أو قتلهم في أحيان كثيرة. وهكذا أصبح على القبائل الهندية أن تتعايش ضمن مساحات قليلة من الأرض، وأخذت مواردها تتناقص مع مرور الوقت مما أدى بهذه القبائل للتقاتل فيما بينها على كل شيء: بدءاً من المراعي الخصبة والحيوانات، وصولاً الى مصادر المياه النظيفة.

وبعد رحيل الزعيم زيزينيو عن قبيلته ظل يتنقل وعائلته من مكان إلى آخر، حتى استقر أخيراً قرب مدينة باولا أفونسو على ضفاف نهر ساو فرانسيسكو قرابة عشر سنوات، ثم حصل حادث مؤلم آخر، إذ قتل أخو إنديو رجلاً في أثناء شجار حدث بينهما في مباراة كرة قدم في الحي، فاضطرت العائلة إلى الرحيل من جديد إلى الجنوب. وعندما أصبح إنديو لاعباً معروفاً وتوافرت لديه القدرة المادية، قرر أن ينقل

عائلته كلها إلى ساوباولو ميناس قرب حدود جريس، بعد أن فقد الأمل في أن تعطيهم الدولة قطعة من الأرض؛ لتعيش عليها القبيلة وتستقر فيها. يحاول إنديو الآن شراء قطعة من الأرض من ماله الخاص؛ ليمنحها لأبناء القبيلة، وبالإضافة إلى ذلك فهو يتكفل بإعالتهم جميعاً، ولا يعدّ ذلك عبئاً عليه، بل على العكس فهو يرى أن من واجبه رعاية عائلته، فهو الوحيد الذي يمتلك الامكانيات المادية لذلك. ويبدو أن كل هذه الأعباء والقلق الذي يعانيه إنديو قد أثر سلباً على أدائه في الملعب، ولم يكن بالمستوى المطلوب في عدد من المباريات، ولذلك تقرر نقله إلى فريق جوياس، وهو فريق من الدرجة الأولى لكنه أقل من فريقه السابق كورنثيانس، ويلعب في هذا النادي الجديد لاعب آخر يدعى إنديو، لذلك أصبح يطلق على إنديو لقب قبيلته وهو إراكانا.

يُعد ظهور إنديو لاعباً محترفاً في كرة القدم، نتيجة حتمية للتغيرات التي قامت بها الحكومة البرازيلية تجاه مواطنيها الهنود، أي: السكان الأصليين للبرازيل، إذ أقر الدستور البرازيلي للمرة الأولى عام 1988 حقوق القبائل الهندية في امتلاك الأراضي التي كانت تعيش عليها منذ قرون، ومنذ صدور هذا القانون استعادت بعض القبائل أراضيها وعادت لتقيم فيها، ومازالت قبائل أخرى تنتظر دورها، وقد عزز صدور هذا القانون الشعور بالفخر والانتماء لدى الهنود، فلم يعودوا يخجلون من جذورهم التاريخية، مما دفع بالكثيرين منهم إلى التقدم للتعليم، وشغل الوظائف، والالتحاق بالنوادي الرياضية مثل: نوادي كرة القدم، التي تعد من أسرع السبل وأفضلها للتقدم في السلم

الاجتماعي في البرازيل.

التقيت السيد فرناندو فيدولا فينا للمرة الأولى في معهد سوسيو امبينتال في ساو باولو، الذي يعد منظمة مرموقة لدعم حقوق الهنود في البرازيل، ويعمل فيدولا في هذا المعهد منذ سنوات في قسم الدراسات العرقية (الأثنية) ومختص في كرة القدم، يقول فيدولا: «يوجد في البرازيل 216 قبيلة هندية معروفة وربما عدد قليل آخر لم يكتشف بعد، ويصل عدد أفراد هذه القبائل مجتمعة إلى زهاء 350,000 شخص يتحدثون 180 لغة، وتمتد أراضي الهنود وقراهم من غابات الأمازون إلى الشمال الشرقي وسهول البمباس في الجنوب، حيث ينعزل فيها الهنود ثقافياً وحضارياً عن باقي البرازيل، كما أن أوضاعهم الاقتصادية والسياسية سيئة للغاية».

ويتابع فيدولا قوله: «لقد كانت الرياضة من أهم التجمعات التي يلتقي فيها الهنود بعضهم ببعض، ففي منتصف التسعينيات بدأت الولايات التي تضم أكبر عدد من الهنود بتنسيق منافسات رياضية بين أبناء القبائل وتكلل ذلك بعقد دوري الألعاب المحلية عام 1996، الذي استقطب الهنود من أنحاء البلاد جميعها. أما الدورة الثالثة لهذه الألعاب التي انعقدت عام 2000 فقد شارك فيها أكثر من 600 رياضي، وكانت هذه الدورة تضم ألعاباً غير معروفة، وتقتصر على الهنود، مثل: لعبة رمي السهام بالأنابيب، وهي من أهم الطرائق التي يستعملها سكان الأمازون في الحرب والصيد على حد سواء، غير أن كرة القدم تمتعت بالنصيب الأكبر من المتابعة والمشاركة في هذه الدورة.

- أنجا، وروبسون، وطفلهما ماتيوس أمام منزلهما في جوتا.

- بيريرو، ومارلون، ومارسيلو مارسولينو مع رئيس نادي B68 نيكلاس دافيدسون.



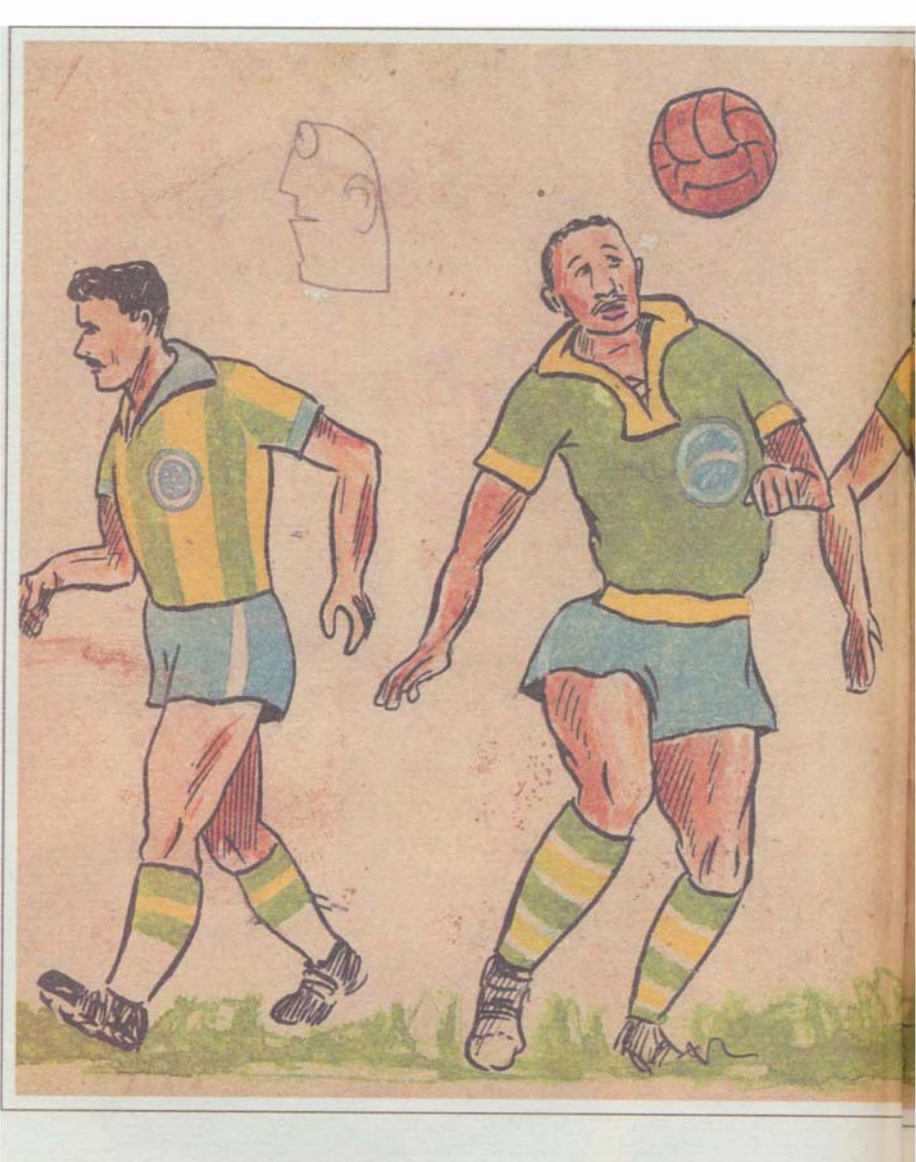
مارسيلو مارسيلينو في ريو يقبّل كأساً حصل عليها في الدوري الفيروسي، ويبدو في الصورة مع أمه وعائلته فوق سطح منزله المطل على كوبا كابانا.


– وزيزينهو في نهائيات كأس العالم عام 1950.
السيدس جيجيا في نهائيات كأس العالم عام 1950.



ملعب
الماراكانا


BRASIL
BRASIL



- تصميمات مقترحة لزي المنتخب البرازيلي رسمها ألدير جارسيا شيلي، قبل أن يستقر على تصميمه النهائي عام 1953.

- ألدير ومارلين في ملعب سانتينيريو في مونتيفيديو لحضور مقابلة بين البرازيل والأورغواي.

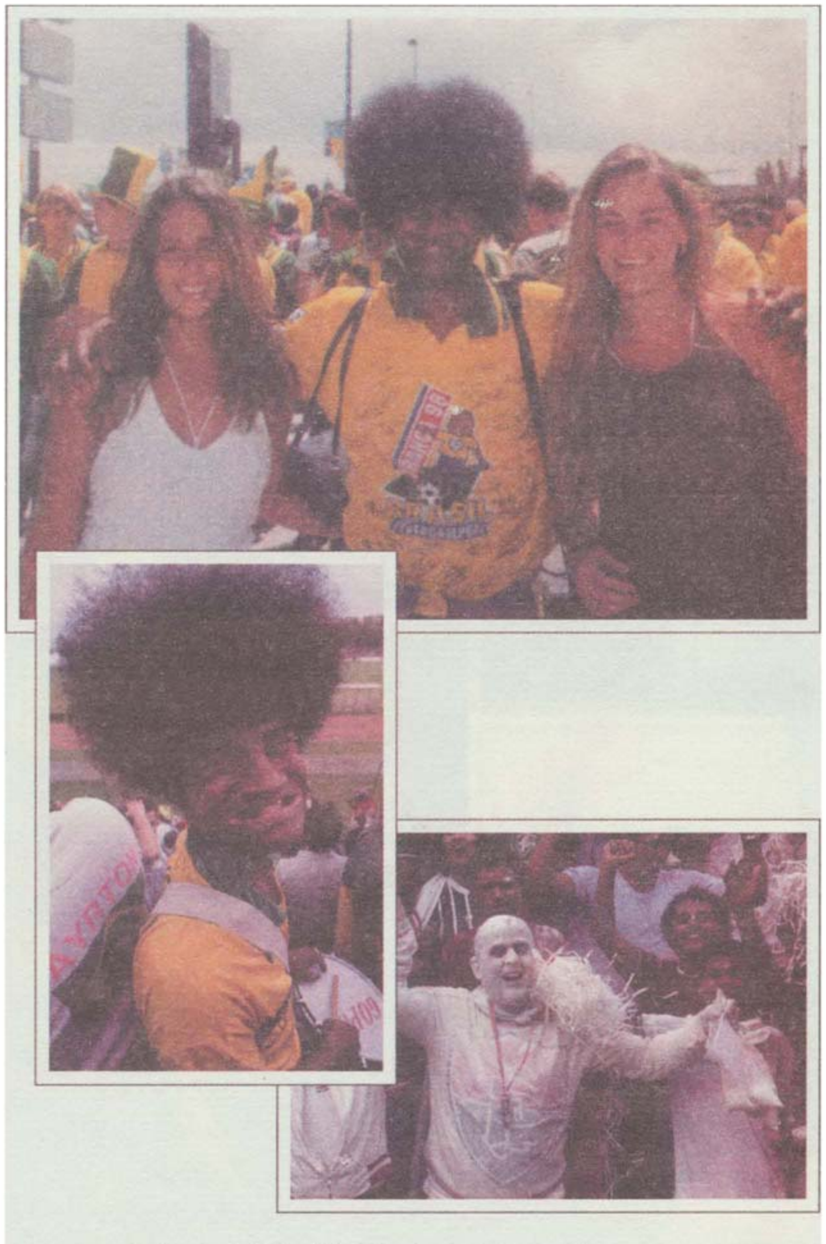




- بيليه وغارينشا، أشهر لاعبين برازيليين على الإطلاق، وقد التقطت هذه الصورة قبل شهرين من وفاة غارينشا.

الصور من الأعلى إلى الأسفل:

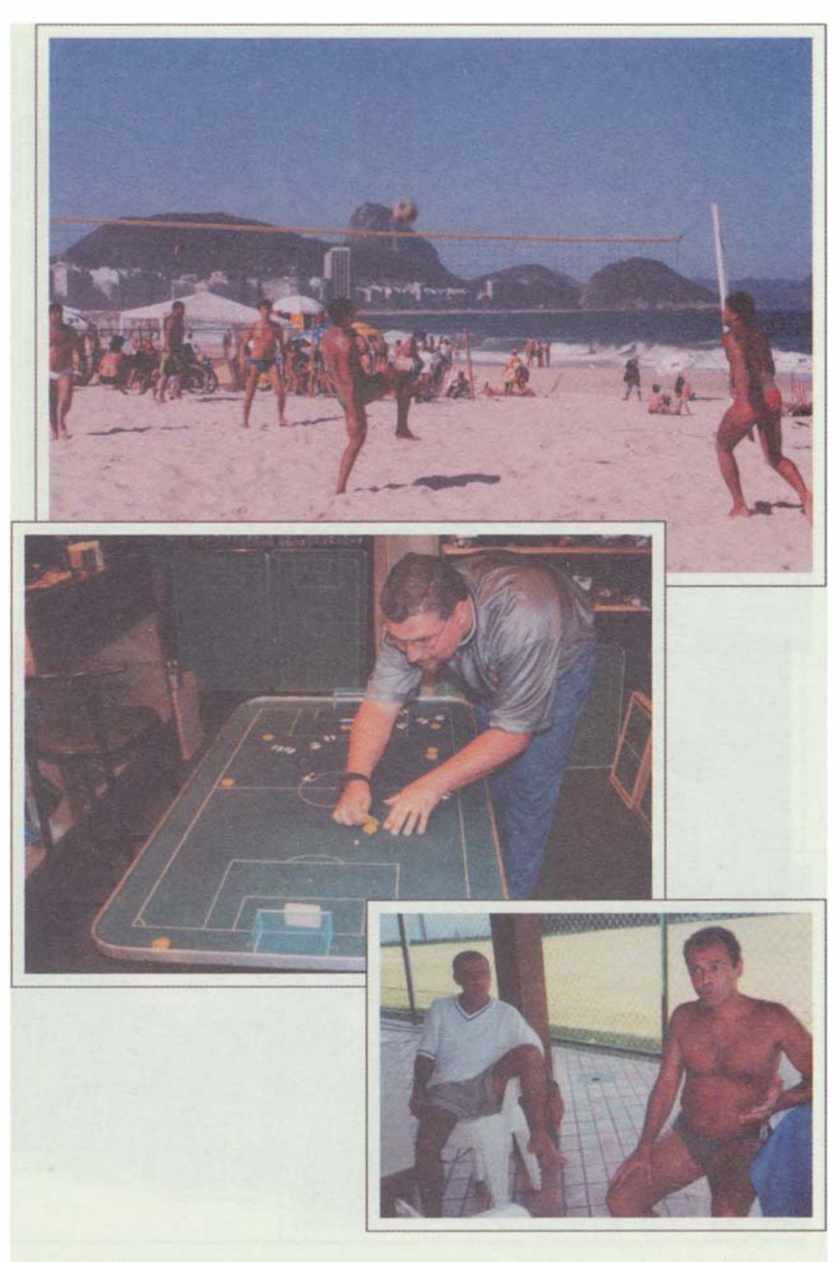
- الساحة الرئيسية في قرية فولينو.
- مدخل نادي إسبورتو باوغراندي، وهو النادي الأول الذي انضم إليه غارينشا وقد سمي باسمه.
- الحجر الأول والأخير من متحف غارينشا.
- ابنة غارينشا نينيل في بيتها المكون من غرفة واحدة.



صور لمشجعي المنتخب البرازيلي في بطولة كأس العالم في فرنسا عام 1998.



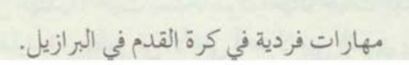
صور لمجموعة رابطة الصقور في كرنفال عام 2001.

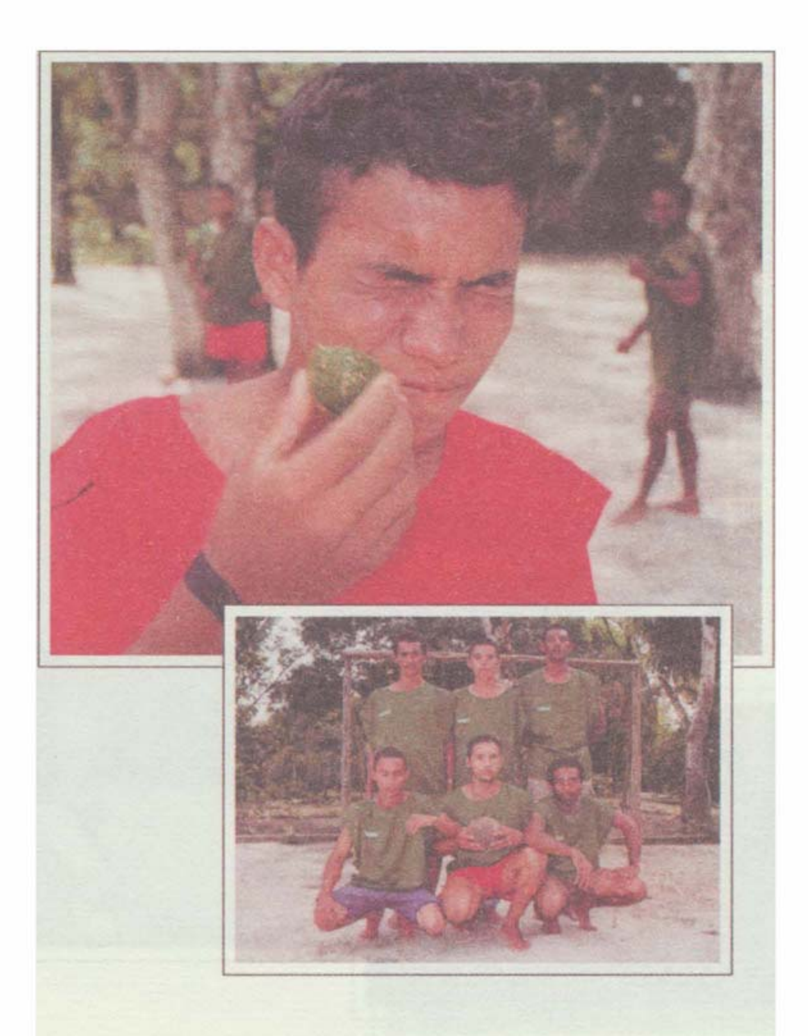


أنواع مختلفة من كرة القدم في البرازيل، كرة القدم الطائرة، وكرة الأزرار، وكرة قدم النخبة.






مهارات فردية في كرة القدم في البرازيل.



فريق إحدى القبائل الهندية، حيث يستخدمون أحياناً حبات الفاكهة الكبيرة لتحل محل كرة القدم التقليدية، ويظهر في الأعلى أحد لاعبي الفريق ينفذ عقوبة الحكم بأكله حبة من الليمون الحامض.

برزت قبيلة الزفانتي على قائمة الفرق في لعبة كرة القدم، فقد فاز فريقها بالميدالية الذهبية في الدورات الثلاث، وتعد هذه القبيلة من أكبر القبائل الهندية في البرازيل عدداً، فيبلغ عدد أفرادها زهاء 10,000، وهم مهتمون جداً بكرة القدم إذ تقام مباريات منظمة بين أبناء القبيلة، ثم يقابل فريق القرية الفائز فرقاً من القرى الأخرى.



أحد أبناء القبائل راسماً على جلده شعار فريق فاسكو.

يجتمع معظم سكان القرية في ذلك اليوم؛ ليستقلوا الحافلات ويذهبوا مع فريقهم لتشجيعه حيثما يذهب، وتعد هذه اللقاءات مناسبات اجتماعية مهمة لأفراد هذه القبائل، فهم لا يهتمون ربما بالذهاب إلى اللقاءات السياسية التي يقيمها المرشحون، أو أي نوع من الاحتفالات الأخرى، لكنهم يحرصون بالتأكيد على الذهاب لمتابعة هذه المباريات، التي يعدّونها متنفسهم الاجتماعي الوحيد، حيث يلتقون أبناء القبائل الأخرى، وربما يحتكون مع مجتمعات مدنية قريبة في أثناء هذه اللقاءات.

يُصنّف اللاعبون الهنود بتصنيفات خاصة بهم، فهم عادة ما يهاجمون بعشوائية ولا يدافعون البتة، كما أنهم يتميزون بالسرعة الشديدة في الملعب ولا يتعبون إطلاقاً، وهذا الرأي له ما يعززه، فقد قام فريق من أطباء الاتحاد الرياضي في ساوباولو عام 1997 بفحص عدد من اللاعبين الهنود من القبائل الهندية المختلفة؛ ليتضح أن كفاءة الجهاز التنفسي لهؤلاء اللاعبين تفوق غيرهم من اللاعبين المحترفين بنسبة 10٪، ورغم ذلك فهم لا يتمتعون بروح المنافسة الحقيقية، فالفوز لا يعني لهم شيئاً كثيراً، فهم يلعبون حبّاً في اللعب وقضاء وقت ممتع أكثر من أي شيء آخر.

زار فيدولا قبائل الزكرن دو كاتيه التي تعيش في الطرف الجنوبي من غابات الأمازون المطيرة عام 1996، وهناك طلب منه السكان أن يعلمهم بعض تمارين الإحماء التي تتطلبها كرة القدم، وبعد ثلاثة شهور من هذه الزيارة أقامت قبائل الزكرن احتفالاً في وسط القرية لممارسة طقوسها

الخاصة، ولكن الغريب هذه المرة أن الاحتفال بدأ باصطفاف شباب القرية في صفين متقابلين، وهم يرتدون ملابس كرة القدم ليقدموا رقصة تقليدية تؤدى عادة في مثل هذه الاحتفالات، ولكنهم أضافوا إليها تمارين الإحماء التي تعلموها من فيدولا قبل ثلاثة أشهر، وهكذا اختلطت تمارين كرة القدم مع طقوس الرقصة التقليدية للقبيلة تعبيراً عن قوة هذه التقاليد الهندية، وانفتاحها إزاء كل جديد، فهم لا يريدون أن يكونوا معزولين، ويرحبون بالمدنية الحديثة لكنهم يريدون أن يفهموها وفقاً لطريقتهم الخاصة.

انتهت الدورة الأولى لكرة القدم ضمن الألعاب المحلية بفوز قبيلة شافانتي على فلينو 2–1، وهي قبيلة لم أعرفها من قبل؛ لذلك فقد قررت أن أزورها، وهي تقع على بعد 50 ميلاً من بالميرا دوس إنديوز. كانت القرية التي تستوطنها هذه القبيلة مثلها مثل كل القرى الهندية الأخرى التي تقع على أطراف المدن البرازيلية، وتحاول الوصول إلى المدينة لكنّ فقرها يقف عائقاً أمام تحقيق ذلك، فالقرية تتكون من مجموعة من المنازل الصغيرة الفقيرة التي يفصلها عن المدينة المجاورة – آغوس بيلاس– حزام من الأراضي المقفرة، أمّا شوارع القرية فهي ترابية متعرجة بلا أرصفة تذكر، كما تختفي المتاجر والحوانيت فيما عدا مخبز القرية، ومتجر لبيع الصناعات الهندية التقليدية، وعلى الرغم من ذلك ففي هذه القرية نادٍ لكرة القدم، يسمى نادي جوراني سبورتي.

وصلت إلى القرية في الصباح الباكر، ولكنني استغربت خلو شوارعها ومنازلها من السكان كأنها قرية مهجورة، وسرعان ما علمت

ألا أحد من سكان قرية فلنيو يبيت ليلته في القرية، إذ كانت هذه الفترة هي فترة (أوريكوري) حسب التقاليد الهندية، حين يخرج الجميع من بيوتهم للمبيت في مخيم خارج القرية يبعد ثلاثة أميال عنها، وعندما حاولت تتبع الطريق الترابي للوصول إلى المخيم جوبهت بلوحات نصبت على الطريق تقول «ممنوع الاقتراب، قبيلة هندية».

وبعد ساعة تقريباً أخذت الحياة تدب في القرية بعودة قاطنيها، فقد طفقوا يصلون تباعاً فرادى ومجموعات، وكان بعضهم يتجه مباشرة إلى وسط القرية وتحديداً إلى نادي جوراني، حيث أخذ اللاعبون بالتجمع؛ ليبدأ التمرين بوجود أحد عشر لاعباً في كل جهة من الملعب، بينما يقوم المدرب رونالدو كورديرو بدور الحكم في المباراة التدريبية وهو حافي القدمين، وقد كان بقية اللاعبين يرتدون أحذية بلاستيكية تركت آثارها على الأرض الجافة.

يتحدث رونالدو حول فريقه مشيراً إلى عدد من العناصر الجيدة فيه قائلاً: «لدينا عدد من النجوم في هذا الفريق، ومنهم من يلعب ضمن المحترفين في عدد من الفرق الصغيرة، في الشمال الشرقي والجنوب، لدينا إيسايا وهو في الثالثة والعشرين ويلعب في خط الوسط والهجوم، بدأ حياته المهنية في فريق ريسيف للناشئين، ثم انتقل إلى فريق أولاريا في ريو دي جنيرو، ثم كولو كلو في باهيا، ثم إلى فريق أنابولس جوياس، وقد عُرض عليه مؤخراً أن يلعب مع فريق ريو لكنه أجل العرض حتى بداية السنة الجديدة». ويعقب رونالدو بعد ذلك قائلاً: إن اللاعبين الهنود لا يحسنون استغلال الفرص، وهم لا يحبون أن يبتعدوا عن

بيوتهم وذويهم حتى لا يتحملوا مسؤولية أنفسهم.

يبرع أهالي هذه القرية في كرة القدم ويحبونها، فيوجد فيها ثلاثة فرق لكرة القدم، في حين يبلغ عدد سكانها 3000 نسمة فقط، وهذه الفرق هي جوراني وبالميراس وجوفينتود، وهي بهذا تنافس المدينة الكبرى المجاورة آجوس بيلاس، مع أن عدد سكان قرية فولينو يبلغ عُشر عدد سكان آجوس إلا أن مستوى الفرق الثلاثة لديها أفضل بكثير من مستوى فرق المدينة، وقد كانت المباريات التنافسية تقام بين فرق المدينة والقرية لكن فرق فولينو كانت تفوز دائماً.

لقد وصلت شهرة كرة القدم في فولينو إلى المدن المجاورة أيضاً، مثل: جرانوس التي يختار فريقها اللاعبين المميزين الذين يظهرون في الدوري المحلي للقرية، ومن هؤلاء المميزين اللاعب إنديو الذي يتمركز في الجناح الأيمن في فريق AGA، أحد الأندية الكبرى في مدينة جرانوس. يقول ألفريدو فاريا رئيس نادي AGA عن إنديو: إنه يتمتع بلياقة عالية جداً، فهو يجول في الملعب بسرعة لا توصف طوال التسعين دقيقة وهي مدة المباراة، ثم لا يتوانى عن الركض حول الملعب عشرين مرة بعد المباراة مباشرة!

لا بد أن هؤلاء الهنود يتمتعون بجينات مختلفة وهبها الله لهم؛ ليتمكنوا من اللعب بهذا النشاط لفترات طويلة. إنها هبة الطبيعة كذلك؛ ليتأقلموا مع أسلوب عيشهم في الغابات، فهم أساساً يعتمدون على الصيد ومطازدة الفرائس لمسافات طويلة، وبعد ذلك عليهم العودة بالصيد إلى عائلاتهم بسرعة قبل أن يفسد بتأثير الحرارة العالية، وهكذا

أصبح هذا التأقلم مع الطبيعة القاسية في الغابات ميزة تُحسب لهم في كرة القدم.

يدعوني رونالدو إلى بيته وهو كوخ من الطوب، لكنه حفر على جداره الخارجي شعار فريق جوراني الذي يحمل الأحرف الأولى من اسم الفريق حول دائرة خضراء يحدها سهمان، وهو بذلك يرمز للعبة كرة القدم والتقاليد الهندية في الآن ذاته.

تتعامل قرية فولينو مع رياضة كرة القدم بجدية تامة، وهذه ليست ظاهرة جديدة، فقد ظهر فريق جوراني للوجود عام 1952، وتوافقني في هذا الرأي بلاندينا سبيسكا، المنسق الإقليمي للمؤسسة الهندية الخيرية، فهي تقول: إنّ كرة القدم قد أصبحت جزءاً من هوية القرية التي تعبر من خلالها عن تفوقها ورفضها للاضطهاد والتمييز العنصري ضدها، ولاسيما لما للعبة كرة القدم من أهمية ومكانة في البرازيل. أما الأخت ليدبوليدنا دي سوسا -وهي راهبة فرانسيسكانية عاشت في القرية مدة عامين- فتقول: إن كرة القدم تساهم في تعزيز التقاليد القبلية، بإتاحة الفرصة للشباب لإبراز رجولتهم وتعزيز ثقتهم بأنفسهم، كما أن هذه اللعبة تدعم الثقافة القبلية بطرائق أخرى كذلك، فاللاعبون الهنود يستعملون لغتهم الأم في الملعب لإرباك خصومهم، وهي لغة تكاد تنقرض في الحياة اليومية، لتحل محلها اللغة البرتغالية.

هناك خاصية تميز مجموعة من لاعبي كرة القدم في فولينو، وهي وجود تقوس في أرجلهم، وقد لا يبدو ذلك ميزة تحسب للاعب كرة القدم، لكنّ هؤلاء اللاعبين حولوا هذا الخلل -إن صح التعبير- إلى ميزة

تضاف الى رصيدهم، فأحدهم -وهو لاعب في خط الوسط- يستطيع الاحتفاظ بالكرة بين قدميه نتيجة تقوس رجليه من دون أن يستطيع أحد من لاعبي الخصم أن ينتزعها منه.

برز في سماء الرياضة في البرازيل عدد من هؤلاء اللاعبين مقوسي الأرجل، كان من أهمهم مانويل فرانسيسكو دوس سانتوس الذي عُرف باسم غارينشا، وأصبح فيما بعد من ألمع نجوم الكرة بعد بيليه، وبتتبع السيرة الذاتية لهذا اللاعب نجد أن أصوله تعود إلى قرية فولينو، ويشترك مع زعيم القبيلة هناك خوا فرانسيسكو دوس سانتوس في اللقب العائلي، وبالإضافة إلى ذلك، فإن عدداً من أفراد القبيلة يمتلكون صفات جسدية مشابهة لصفات غارينشا، مثل: الشفاه الغليظة والأنف العريض والفك الكبير، ولا يمكن أن تتشابه كل هذه الصفات مصادفة، وقد يكون غارينشا فعلاً أحد أبناء قبيلة فولينو. ويقول جاسون لونا دي سيلفا الذي يبلغ التاسعة والخمسين من العمر، ويلعب هدّافاً ضمن فريق جوراني للاعبين القدامى: «إن قرابتنا البعيدة مع غارينشا تثلج صدورنا، وتؤكد أن لعبة كرة القدم تجري في عروق كل فرد من أبناء هذه القبيلة».

الفصل الخامس
طائر بأرجل مقوسة

«كان غارينشا يحمل روح كل برازيلي، فقير لكنه عطوف وخلّاق. لقد كان عامل نسيج فقيراً، استطاع ببساطته وموهبته أن يسعدنا جميعاً».

جوا بيدرو ستيدل

مؤسس حركة «لا وطن».

تقول الأسطورة البرازيلية: إنّ هناك مخلوقاً يعيش في الغابة يسمى: كوربيرا، يحمي الحيوانات والأشجار الموجودة في الغابة، ويهاجم الهنود الذين يحاولون صيد هذه الحيوانات أو قطع تلك الأشجار. ويصف سكان الأمازون هذا المخلوق أنه فتًى ذو شعر أحمر، يملك قدمين معكوستين، وعندما يمشي في اتجاه معين في الغابة فإن آثار أقدامه تشير إلى الاتجاه المعاكس، وإذا حاول أحد ما تتبع آثار كوربيرا، فإنه سيضل طريقه في الغابة إلى الأبد.

وهناك أسطورة أيضاً مشابهة في التراث البرازيلي يرويها الكاتب مونتيريو لوباتو –وهو مختص في أدب الأطفال– تقول: إنّ هناك قزماً أسود، يدخن الغليون وله رجل واحدة فقط يدعى ساسي بيريرا، يحلو له أن يعكر صفو الهدوء أينما حلّ، فيطلق الخيول المربوطة ويكسر أعواد الذرة، ويثير الفوضى من حوله في كل مكان، وهو سريع جداً لا يمكن الإمساك به إلا إذا حوصر وسط عاصفة هوجاء.


كورو بيرا


ساسي بيريرا

تشترك الشخصيتان الأسطوريتان في استعمال أطرافهما السفلى استعمالاً خبيثاً وماكراً، لكنه يبعث على المرح والإعجاب. وكان غارينشا كذلك، لاعب كرة القدم الآسر الذي كان يشبه الشخصيات الأسطورية السابقة في استعماله الماكر لساقيه المعوجتين المقوستين.

ولد مانويل فرانسيسكو دوس سانتوس في الثامن والعشرين من شهر أكتوبر عام 1933، وفور ولادته لاحظت القابلة أنّ ساقيه مقوستان في

اتجاهين متعاكسين، ولم يكن ذلك بالتشوه الخطير لو وجدت الرعاية الطبية الكافية لإصلاحه، لكن مدينة باوغراندي حيث ولد غارينشا، كانت تعاني في ذلك الوقت من نقص في الكوادر الطبية المؤهلة لتشخيص مثل هذه التشوهات وإصلاحها، كما أن عائلة غارينشا كانت مثل باقي العائلات في تلك المدنية، فقيرة لا تملك ما يكفي للانتقال بطفلها إلى مدينة أكبر للعلاج والإقامة، ولذلك بقيت حال الطفل كما هي، طفل ضئيل الحجم بساقين معوجتين، ونظراً لصغر حجمه في طفولته اكتسب اسمه الشهير غارينشا، الذي يعني الطائر الصغير.

عاش غارينشا طفولته بين أحضان الطبيعة الخلابة للأمازون محاطاً بالشلالات والأنهار والغابات، فتعلم الصيد مبكراً واكتسب منه السرعة والمهارة في المراوغة والتملص من الأخطار. وفي الفترة ذاتها أيضاً تعلم كرة القدم، وساعدته كل المهارات التي تعلمها على البروز في هذه اللعبة، وسرعان ما أصبح أفضل لاعب في مدينته، لكن غارينشا اضطر للعمل في سن الرابعة عشرة، والتحق بمصنع النسيج في المدينة، مثله في ذلك مثل كل أبناء مدينته الفقراء.

كان غارينشا شخصاً بسيطاً ليس لديه الكثير من الطموحات، ولم يكن يفكر بكرة القدم بجدية، وإنما كان يحب اللعبة؛ لأنه يستطيع أن يظهر من خلالها مهاراته، وينسى لوقت قصير تشوهات ساقيه، لذلك كان يتردد في الذهاب إلى النوادي الكبرى لعرض موهبته، فهو لا يطمح بالانضمام إلى أحدها.

ذهب مرة لتجربة أدائه في نادي فاسكو لكنهم طردوه قبل أن يبدأ؛ لأنه لم يحضر معه حذاءً رياضياً ليرتديه في أثناء اللعب، أما تجربته مع نادي فلومننسي فلم تكن أفضل حالاً، فقد اضطر إلى مغادرة عرض الأداء قبل أن يصل دوره؛ ليلحق بالقطار العائد إلى بلدته، ولكن بعد ذلك بسنوات عندما أصبح في التاسعة عشرة من عمره، اضطر للذهاب لتجربة أدائه في نادي بوتافوغو تحت ضغط من أحد قدامى اللاعبين الذي شاهده وهو يلعب في بلدته.

قام النادي بضمه إلى الفريق فور أن رأى المدرب مهاراته، إذ كان يقوم بمناورات للاحتفاظ بالكرة لم يرها أحد من قبل، وهكذا أصبح غارينشا لاعباً أساسياً في نادي بوتافوغو، وبعد شهرين من التحاقه بالنادي وخلال مباراة للفريق سجل غارينشا ثلاثة أهداف دفعة واحدة، فما إن يمسك بالكرة حتى يستولي عليها ويظل يحاورها، ثم ينطلق بها كالسهم فلا يمكن لأحد اللحاق به حتى يصل إلى المرمى ويسجل هدفه. لقد أدهش هذا اللاعب الجميع؛ لأنه لم يتوقع أحد أن يكون صاحب هذا الجسد غير المتناسق والساقين المقوستين بهذه المهارة والسرعة والتوازن.

كان غارينشا يشعر بالمتعة وهو يخدع المدافعين في فريق الخصم، وتسعده ملامح الحيرة والارتباك التي تبدو عليهم حال اقترابه من أحدهم، غير أنه لم يكن الوحيد الذي يستمتع بذلك، إذ إن الجماهير العريضة كانت تحضر خصيصاً لرؤيته ومراقبة مهاراته الحركية التي تربك دفاع الفريق الخصم، لذلك فقد كان من أوائل اللاعبين الذين



ساقا غارينشا

هتفت لهم جماهير أمريكا اللاتينية هتافها الشهير «أوليه»؛ تعبيراً عن شدة الإعجاب بما يجري على أرض الملعب، ففي إحدى جولات فريق بوتافوغو في الأرجنتين أثناء مباراة مع الفريق الأرجنتيني هناك، أخذ غارينشا يراوغ نظيره الأرجنتيني فايرو ويسحب منه الكرة ثم انطلق بأقصى سرعته ليلحق به فايرو من دون أن ينتبه إلى أن غارينشا قد ترك الكرة خلفه متعمداً؛ ليمسك بها أحد لاعبي فريق بوتافوغو بينما كان فايرو مايزال يلاحق غارينشا، وهنا أخذت الجماهير تهتف له «أوليه»

من شدة إعجابها بمناورته الرائعة.

يقول نيلسون رودريغوز الكاتب المسرحي عن غارينشا: إنه اللاعب الذي علم الجماهير الضحك بحركاته البهلوانية داخل الملعب، حتى إنه كان يفضل الاستمرار في المراوغة ومحاورة الكرة أحياناً، على تسجيل هدف محقق.

لعب غارينشا ضمن المنتخب الوطني للمرة الأولى عام 1955، بعد أن خسرت البرازيل كأس العالم في السنة السابقة 1954 في مباراة عنيفة جداً أمام هنغاريا، طُرد فيها لاعبان برازيليان ولاعب هنغاري، كما قام لاعب هنغاري آخر في نهاية المباراة بشج رأس اللاعب البرازيلي بينيرو عندما ضربه بزجاجة على رأسه. وقد انتهت المباراة بفوز هنغاريا 4-2 وحصولها على كأس العالم 1954، وهكذا خاب أمل البرازيل للمرة الثانية بعد كأس العالم 1950 وبدأت الضغوط تتزايد على المنتخب من أجل الدفع به للفوز بكأس العالم 1958، فبدأت الترتيبات مبكرة وبشكل متواتر وصولاً إلى النهائيات التي استضافتها السويد، وعين المنتخب طبيباً نفسياً خاصاً للإشراف على اللاعبين، فأمر بإقامتهم في معسكر منعزل في هنداس -وهو منتجع قرب غوثينبرغ- لإبعادهم عن أي تأثيرات خارجية من شأنها أن تقلل من أدائهم.

لم يلعب غارينشا في أول لقائين للمنتخب، لكن المنتخب البرازيلي فاز على النمسا بنتيجة 3-0 في المباراة الأولى وتعادل مع إنجلترا بلا أهداف في الثانية، أما المباراة الثالثة فقد كانت ضد منتخب الاتحاد السوفييتي، ولعب فيها غارينشا، وبيليه للمرة الأولى، إذ كان في السابعة

عشرة آنذاك وأصغر لاعب في البطولة.

بدأ غارينشا يتحرك بعد الركلة الأولى، وانطلق بسرعته المعهودة نحو دفاع المنتخب السوفييتي؛ ليبدأ مناوراته التي حققت تسديدة أخطأت الهدف، ولم يلبث أن لحق به بيليه بتسديد كرة أصابت عارضة المرمى، أما الرمية الصائبة فكانت لفافا الذي سجل الهدف الأول في الدقيقة الثالثة من بداية المباراة.

يرى كثيرون أن هذه الدقائق الهجومية الثلاث هي من أجمل لحظات المنتخب البرازيلي، وانتهت المباراة بفوز البرازيل 2—0، ولكن الأهم أن هذه المباراة شهدت أول بزوغ للنجم الذي سطع فيما بعد: بيليه، كما ظهر بوضوح تفاهم الثنائي بيليه وغارينشا، فلم تخسر البرازيل بعد ذلك أيّ مباراة لعب فيها هذا الثنائي. بدأ وجود السود والملونين يزداد بعد هذه المباراة التي كان أبرز لاعبيها بيليه الأسود وغارينشا الهندي الملون، ومع وصول البرازيل إلى الدور النهائي وصل عدد الملونين في المنتخب إلى خمسة لاعبين، ثلاثة من السود واثنان من الملونين، وكان هذا الفريق أول فريق برازيلي مختلط الأعراق يفوز بكأس العالم. تغلبت البرازيل على منتخب ويلز، ومنتخب فرنسا في طريقها للقاء السويد في المباراة النهائية، ففازت البرازيل 5—2، وقد سجل أهداف البرازيل بيليه: هدفين، وفافا: هدفين، وسجل زجالو الهدف الخامس، صنع منها غارينشا هدفين من موقعه في الجناح الأيمن. وصفت مجلة التايمز في العدد الذي صدر بعد كأس العالم ذهول الفريق السويدي أمام مناورات غارينشا ومهاراته الحركية في استخلاص الكرة، والاحتفاظ

بها حتى إيصالها إلى المهاجم المناسب لتحقيق الهدف، وأضافت المجلة أن السويديين كانوا يشاهدون للمرة الأولى تقنيات في كرة القدم لم يعرفوها من قبل مما أربك لاعبيهم وخلخل صفوفهم. استلم كابتن الفريق البرازيلي بيليني كأس دورة 1958 ورفعه عالياً فوق رأسه ليراه الجميع، محققاً حلماً طال انتظاره بالنسبة للجماهير البرازيلية التي احتشدت في الملعب ذلك اليوم.

كانت هذه الدورة بالنسبة لغارينشا، هي مفتاحه للعالمية بعد أن شهدت الدنيا سطوع نجم فذ في عالم كرة القدم وخاصة أن بدء هذه المباريات تزامن مع بدء البث التلفزيوني دولياً، إذ كانت معظم دول العالم تنقل على الهواء مجريات المباريات لحظة بلحظة، وهكذا تعرف العالم خلال صيف 1958 على غارينشا وزملائه؛ لتبدأ اسطورة الكرة البرازيلية بالتشكل.

لقد ساهم الكثيرون في تكوين هذه الأسطورة من مشجعين وصحفيين وكتاب وشعراء، وكانوا جميعاً معجبين بهذا الأداء الجميل للفريق البرازيلي الذي لا يشبه في شيء كرة القدم الأوروبية الجامدة التي تتمسك بالتقاليد والقوانين، وقد وصف الشاعر باولو مينداس كامبوس غارينشا بقوله: «كأنه شاعر يستلهم وحيه من السماء، أو عازف يلاحق جملته الموسيقية الضائعة، هكذا كان يلعب غارينشا، كأن قوى سحرية تدفعه وتحمل ساقيه المقوستين لترسما لوحة فنية رائعة تبهر الجميع».

عاد المنتخب البرازيلي بعد أربع سنوات إلى دورة كأس العالم 1962 في شيلي، مسلحاً بتشكيلته الرائعة ذاتها التي حققت النصر عام 1958.

أصبح بيليه الآن في الحادي والعشرين من عمره، وقد أسس لنفسه مكانة محترمة في كرة القدم بوصفه مهاجماً محترفاً خلال السنوات الأربع التي تفصل بين الدورتين، ففي عام 1961 سجل 111 هدفاً في 75 مباراة. أما بقية اللاعبين في الفريق، فقد كانوا في آخر مسيرتهم الكروية تقريباً، فيما عدا غارينشا الذي كان مايزال في قمة عطائه، ولم يكن المنتخب البرازيلي ليستغني عنه بأي حال، لدرجة أن البرازيل حاولت بشتى الطرائق إرجاعه للملعب بعد أن طرده حكم المباراة في اللقاء نصف النهائي بين البرازيل، وشيلي إثر مشادة بينهما، وخشيت البرازيل أن يُحرم غارينشا من اللعب في المباراة النهائية فدعت رئيس البيرو للتدخل لدى الحكم للسماح له باللعب في المباراة النهائية ضد تشيكوسلوفاكيا، وفعلاً نجحت مساعي البرازيل ولعب غارينشا مع فريقه، ولكن من دون وجود بيليه الذي أصيب في مباريات الدور الأول، وقام المدرب بتنحيته عن باقي مباريات الدورة. ففازت البرازيل بكأس العالم للمرة الثانية على التوالي بنتيجة 3—1، إذ سجل أهداف المنتخب البرازيلي اللاعب أماريلدو في الدقيقة 17 وزيتو في الدقيقة 69 وأخيراً فافا في الدقيقة 78.

عاش غارينشا أيام مجده في تلك الفترة على المستوى العالمي وعلى المستوى المحلي كذلك، إذ فاز فريقه بوتافوغو ببطولة الدوري البرازيلي للمرة الثانية على التوالي عام 1962، لكنها على ما يبدو كانت بداية النهاية، إذ بدأت ساقاه المعوجتان تشكلان نقطة ضعفه بعد أن كانتا من أفضل نقاط قوته.

أخذ الاحتكاك المتزايد بين قصبة الساق، وعظم الفخذ يضغط على

ركبتيه مفتتاً الجزء الغضروفي الذي لم يعد يحتمل عنف لعبة كرة القدم والتدريبات المتواصلة، ونصحه الأطباء بإجراء عملية لترميم الغضروف، لكنه خاف أن تكون نتيجة العملية حرمانه من اللعب فرفض إجراءها.

وأخذ القلق يتزايد حول وضع غارينشا ونصحه زملاؤه اللاعبون أن يعين مستشاراً مالياً يساعده على تنظيم أعبائه المالية في حال توقفه عن اللعب، فأخذ غارينشا بالنصيحة واتصل بالمصرف الذي يتعامل معه لإرسال ممثل عنه لتقييم الوضع المالي لغارينشا، وكم كانت دهشة ذلك الموظف عظيمة عندما زار منزل غارينشا في باوغراندي، إذ وجد نقوده موضوعة في الأدراج والخزائن وأحياناً مخبأة في علب الفاكهة في المطبخ، وكان المنزل في حالة يرثى لها من الفوضى والتهالك. لقد كان بطل كأس العالم لمرتين، يعيش حياة عامل مصنع النسيج الذي كان يعمل به يوماً ما.

اكتشف ممثل المصرف أيضاً أن فريق بوتافوغو، كان يستغل جهل غارينشا وعدم درايته فيوقعه على عقود بيضاء يتم تعبئتها فيما بعد، بشروط تتيح للنادي دفع أقل ما يمكن من الأجور لغارينشا، وحتى أقل من جميع زملائه في النادي رغم أنه كان اللاعب الأبرز فيه، وهو من تأتي الجماهير لمشاهدته.

وبالإضافة للمشاكل المالية كان لدى غارينشا مشكلة خاصة مع النساء في حياته، إذ تزوج عندما كان في الثامنة عشرة بفتاة من قريته، كانت تعمل معه في مصنع النسيج، ولم تملك هذه الفتاة أي ميزات تذكر، فهي لم تحظَ بأي تعليم أو ثقافة، كما أنها لم تمتلك الطموح لدعم

غارينشا في حياته المهنية، لكنها مع ذلك أنجبت لغارينشا ثماني فتيات خلال عقد من الزمن، وبقيت في باوغراندي، بينما انتقل هو إلى ريو لمتابعة مسيرته المهنية.

تعرف غارينشا بعد ذلك على إلزا سوارس، وهي مغنية سامبا معروفة في البرازيل لكنها مثله تنحدر من بيئة متواضعة، وعاش الاثنان قصة حب طويلة، ولكن علاقة غارينشا بإلزا تزامنت مع توتر علاقته بفريقه بوتافوغو، إذ بدأ غارينشا بالمطالبة بزيادة أجره، وعندما ظهرت علاقته مع إلزا للعلن، ربطت الصحافة بين العلاقة ومطالبات غارينشا واتهمته بالجشع والأنانية وأخذت تهاجم إلزا بقسوة مما حرض الرأي العام في ريو ضدهما، ودفعهما للاختفاء فترة من الزمن في إحدى المناطق النائية قرب ريو.

غير أن علاقتهما صمدت في وجه كل تلك الصعاب بسبب حاجة كل منهما للآخر، فقد قاسى الاثنان كثيراً في طفولتهما، ولم يصلا إلى النجاح والاستقرار إلا بعد كفاح طويل. فلقد تزوجت إلزا في سن مبكرة بعد تعرضها للاغتصاب وهي في سن الثانية عشرة، وأنجبت ثلاثة أطفال كانوا يموتون في عمر مبكر، ثم أنجبت أربعة آخرين قبل أن تصل لعمر الخامسة والعشرين، ولكنها استطاعت بفضل موهبتها الفذة في الغناء أن تصعد سلم النجاح لتتربع على قمته في وقت قصير. وبالمقارنة مع حياة غارينشا نجد تشابهاً واضحاً في الظروف التي مرّ بها كلاهما من معاناة في الطفولة والصبا، ثم الموهبة التي صعدت بكليهما إلى المجد.

تزايدت الآلام في ركبتي غارينشا لدرجة لم يعد يستطيع معها أن يلعب مباراتين متتاليتين، لكنه كان يؤجل فكرة العملية دائماً، خوفاً من أن يفقد بعدها بعض مهاراته ولياقته فيصبح في وضع مالي أسوأ مما هو عليه، ولكنه في النهاية اضطر لإجراء تلك العملية عام 1964، وكما توقع لم يعد باستطاعته اللعب كما كان في السابق.

وعلى الرغم من ذلك فقد تم استدعاؤه؛ لينضم للمنتخب في دورة كأس العالم 1966 التي أقيمت في إنجلترا، وفي الثاني عشر من يوليو لعب غارينشا للمرة الأخيرة إلى جانب بيليه في مواجهة بلغاريا، ففازت البرازيل في هذه المباراة بنتيجة 2—0، أمّا المباراة الثانية فقد كانت ضد هنغاريا، حيث قدم الفريق البرازيلي أسوأ عروضه في تلك الدورة؛ ليخسر أمام هنغاريا 1—3، وكانت تلك هي المرة الأولى التي يخسر فيها الفريق البرازيلي بينما يلعب غارينشا في جناحه الأيمن، وهكذا خرجت البرازيل من الدور الأول للمسابقة من دون أن تحقق شيئاً يذكر.

انتهت حياة غارينشا الكروية في تلك المباراة، وبعد عودته للبرازيل أخذ يحاول ملء الفراغ الذي خلفته كرة القدم في حياته، فتارة يلجأ لقيادة السيارات التي كان يحبها كثيراً، وتارة يلجأ للكحول الذي كان فيما بعد السبب الرئيس لوفاته.

اصطحب غارينشا والدة إلزا في إحدى المرات إلى باوغراندي؛ لزيارة بناته وفي طريق العودة كان يقود السيارة بسرعة جنونية أدت به إلى الاصطدام بسيارة نقل كبيرة فانقلبت السيارة وتوفيت والدة إلزا في ذلك الحادث، ليدخل غارينشا بعد الحادث في حالة من الاكتئاب

المرضي حاول خلالها الانتحار، وأعقبتها بعد ذلك محاولات أخرى بعد أن فقد مهنته التي كان يحبها لاعب كرة قدم، وتسبب بقتل والدة المرأة التي يحب، كما أن إدمانه الكحول كان يؤدي به إلى الهاوية شيئاً فشيئاً.

لقد فقد غارينشا دخله ولم يكن لديه أي مدخرات تذكر، لذلك حاول أن يطلب قرضاً من الاتحاد الرياضي البرازيلي لشراء منزل يأويه غير أن طلبه جوبه بالرفض، فخرج من هناك محطماً ليختفي لعدة أيام، ثم يعود ليظهر بعد ذلك في إحدى كنائس ريو محطماً وغارقاً في دموعه.

ساءت حالة غارينشا أكثر فأكثر فأخذ يضرب زوجته إلزا التي خافت على طفلها منه فغادرت المنزل بلا عودة، وهكذا انتهت علاقتهما التي استمرت خمسة عشر عاماً، لكنه لم ييأس وتزوج للمرة الثالثة وأنجب طفلة أخرى لكن عاداته لم تتبدل وظل يتعاطى الكحول من دون توقف وانقطعت صلاته الاجتماعية كلها، حتى كان عام 1983 حين عاد إلى منزله متعباً لدرجة أن زوجته طلبت سيارة إسعاف لتقله إلى المستشفى القريب، وهناك لم يستطع أحد أن يتعرف عليه، إذ تغير كثيراً ولم يعد ذلك الرياضي الذي كان يعشقه الجميع. غاب غارينشا في غيبوبة من أثر الكحول، ثم توفي في اليوم التالي وهو في التاسعة والأربعين من عمره، ولم يخلف وراءه غير أطفاله وبصمة واضحة في عالم كرة القدم.

لاحقت الظروف المأساوية أبناء غارينشا من بعده، إذ توفي ابنه من زوجته إلزا بعد عامين من وفاة والده وهو في التاسعة، عندما انحرفت السيارة التي تقله واستقرت في النهر، كما توفيت اثنتان من بناته الثماني

من زواجه الأول بمرض السرطان وهما في الأربعينيات.

لقد قرأت مقالاً مطولاً ظهر في الثمانينيات حول جنازة غارينشا، وقد كان مقالاً مؤثراً حول علاقة البرازيليين بهذا اللاعب وتعاطفهم الطاغي معه، كتبه خوسيه سيرجيو الذي يرأس قسم الإنثروبولوجيا في جامعة ريو، فكان لا بد لي من مقابلة سيرجيو والتحدث معه، فذهبت إلى مكتبه في الجامعة حيث يقع قسم الأنثروبولوجيا ضمن مبنى المتحف الوطني الذي يشغل مبنى أثرياً يعود تاريخه إلى القرن التاسع عشر، على تلة تحيط بها الحدائق الغنّاء من كل جانب، وتضم هذه الحدائق بحيرة طبيعية وتستضيف كذلك حديقة الحيوان الأهم في المدينة.

كان سيرجيو في الحادية عشرة عام 1958 ولكنه يتذكر كيف التفت كل العائلة حول المذياع لتستمع إلى مباراة البرازيل ضد الاتحاد السوفييتي، ويصف بفرح الدقائق الثلاث الأولى من المباراة التي أسفرت عن تسجيل هدف البرازيل الأول بواسطة فافا، ويضيف سيرجيو بحماس: «تم انتخاب ديدي أحسن لاعب في كأس العالم 1958، إذ كان أقوى شخصية في الفريق وله خبرة طويلة، أما بيليه فقد كان أصغر اللاعبين سناً ولفت الأنظار إليه، غير أن غارينشا كان محبوب الجماهير حقاً، تستمتع برؤيته وهو يستولي على الكرة فلا يستطيع أحد استرجاعها منه».

عندما عاد سيرجيو إلى البرازيل، كانت أحاديث الأصدقاء عادة ما تصب في النهاية في نقاشات كرة القدم كما يحدث عادة في ذلك البلد، فيدلي كلٌّ بدلوه حول أفضل فريق أو أفضل لاعب، ومن الغريب في



غارينشا في مباراة البرازيل ضد الاتحاد السوفييتي في كأس العالم 1958.

الأمر أن الجميع كان يتفق في النهاية على أن غارينشا هو أفضل لاعب عرفته البرازيل وليس بيليه مثلاً! رغم أنه من المعروف أن توصيف بيليه أفضل لاعب في العالم أصبح يشكل ما يشبه حقيقة كونية لا جدال فيها. غير أن غارينشا له مكانة خاصة لدى البرازيليين حتى لدى أولئك الذين لم يكونوا قد ولدوا عندما كان غارينشا لاعباً مشهوراً.

يسهب سيرجيو في مقالته الشهيرة حول جنازة غارينشا في وصف أحداث ذلك اليوم المشهود وتفاصيله، فيقول: نُقلت جثة غارينشا يوم وفاته إلى ملعب الماراكانا حيث حضر أفراد عائلته وزملاؤه السابقون ومحبوه لإلقاء النظرة الأخيرة عليه. وهناك نشبت بعض الخلافات بين عائلة زوجته الأولى وعائلة زوجته الثالثة داخل الملعب، ثم ما لبث أن

ظهر خلاف آخر بين مشجعي نادي بوتافوغو وأقرباء غارينشا عندما حاول أحد المشجعين تغطية النعش بعلم النادي، وهنا اعترض أقرباء غارينشا لأن النادي كان بالنسبة لهم رمزاً للاستغلال الذي عانى منه غارينشا طوال حياته، ولطالما قام هذا النادي باستغلال قدرات غارينشا ولم يوفه حقه المادي، ولا المعنوي عندما كان بحاجة لذلك، ولم يُفض ذلك النزاع إلا بحضور نلتون سانتوس لاعب بوتافوغو القديم الذي غطى النعش بعلم البرازيل بدلاً من علم النادي، وأصر سانتوس الذي كان بمثابة أخ كبير لغارينشا على أن يدفن في بلدته باوغراندي حسب رغبته، خلافاً لرغبة الكثيرين الذين أرادوا أن يدفن في ضريح كبير تم إعداده لدفن اللاعبين المحترفين. نقل نعش غارينشا إلى باوغراندي على سيارة إطفاء كبيرة، طافت به وسط مدينة ريو حيث تجمعت الجماهير المحتشدة لوداع بطلها، وأطل آخرون من سطوح المنازل والشرفات المحاذية للشارع ملوحين بالأعلام والمناديل، ومع خروج موكب سيارة الإطفاء من ريو سلكت السيارة طريقاً محاذياً للشارع الرئيس، وكلما اقترب الموكب من باوغراندي كانت الحشود تتكاثف وصولاً للساحة الرئيسية للبلدة، حيث الكنيسة المحلية التي كانت تغص بمن فيها ممن أتوا لوداع اللاعب الكبير وقد رفعوا لافتة كُتب عليها «غارينشا، لقد زرعت الابتسامة على وجوه الملايين، وأنت الآن تُبكي الملايين». عندما وصل النعش إلى مقبرة البلدة، تدافع الآلاف لحمله إلى مثواه الأخير حتى فاضت أرض المقبرة بمن فيها، واضطر بعضهم لتسلق الأشجار وشواهد القبور حتى يستطيعوا أن يتابعوا الحدث، وقد خلّف ذلك

المقبرة في حالة من الدمار والفوضى بعد أن انفض الجمع الغفير.

يفسر سيرجيو هذا الاحتشاد غير المتوقع في جنازة غارينشا بشعور البرازيليين بالذنب، فغارينشا كان ضحية ظروف نشأته الصعبة، كما أنه ضحية استغلال الأندية وتجاهل المسؤولين الرياضيين لمحنته، وهكذا فهو رمز لجميع البرازيليين المقهورين والمستغلين في كل المجالات.

عادة ما يجري الحديث عن غارينشا وبيليه في السياق ذاته، فهما يشكلان معاً رمزاً لفترة ذهبية من فترات الكرة البرازيلية، ورغم ذلك فقد كانا يسيران في اتجاهين مختلفين تماماً، فيُعرف بيليه في البرازيل بالملك، بينما لُقب غارينشا بمتعة الجماهير والطائر ذي الأرجل المقوسة، ولعل هذه الألقاب التي منحتها الجماهير لهؤلاء الأبطال هي أبلغ تعبير عن إحساس العامة العفوي نحو هذين اللاعبين.

يشير خوسيه سيرجيو إلى أن اللاعبيْن كانا نتاج فترة زمنية واحدة، غير أنهما اختارا حياتين مختلفتين. لقد كانت لعبة كرة القدم لغارينشا هواية ممتعة تسعده وتسعد جماهيره، وقد تأتيه ببعض المال الذي ينفقه من دون حساب أو تفكير، أما بيليه فقد كان لاعباً محترفاً منذ البداية وكان يتصرف من هذا المنطلق، فقد كانت حياته مكرسة للتمارين وتحسين أدائه باستمرار، وكانت المنافسة حاضرة في ذهنه دائماً، كما بدأ التفكير بالشهرة والمال منذ احترافه، فهو ابن لاعب كرة قديم، ولكنه لم يصب حظاً من الشهرة بسبب إصابة في ساقه أنهت حياته الكروية مبكراً، ولذلك تعلم بيليه درسه جيداً فوضع نصب عينيه الوصول إلى القمة في عالم الاحتراف، ثم تأمين حياته في مرحلة الاعتزال، فقد كان يعي

جيداً أنّ عمر مهنته قصير جداً ويمكن أن ينتهي في أي لحظة إذا أصيب بإصابة بالغة في الملعب. لقد تعاقد بيليه مع مدراء محنكين لإدارة شؤونه المالية والقانونية، وسجل اسمه كعلامة تجارية تدر عليه الملايين، وشارك في الإعلانات التجارية وكان من السباقين في هذا المجال. لقد نجح بيليه لاعباً محترفاً ورجل أعمال أيضاً، أما غارينشا فقد كان على النقيض من ذلك تماماً، فقد عمت الفوضى حياته المالية ولم يكن لديه أي نوع من التأمينات لمستقبله. استمتع باللعب كهواية، وكان يلعب مثل طفل شقي يسعى لجذب الانتباه، ولم يفكر بالمنافسة يوماً ولا بتحسين لياقته



بيليه وغارنيشا يرتدي كل منهما زي النادي الذي ينتمي إليه: سانتوس وبوتافوغو.

للاستمرار في عمله، ولولا موهبته الطبيعية الفذة لما استمر في نوادي القدم أكثر من شهر، فما كان منه إلا أن وقع فريسة سهلة للاستغلال من قبل النوادي الرياضية مما قاده للاكتئاب والإدمان على الكحول الذي تسبب في إنهاء حياته سريعاً.

يلحظ المتابع للكتب والمقابلات التي نشرت عن غارينشا أنه لم يكن يجري أي مقابلات صحفية، ولا يدلي بأي تصريحات حول الأحداث الرياضية التي كان يشارك فيها، كأنه ممثل من ممثلي الأفلام الصامتة نراه في الملعب ونعجب بأدائه، لكننا لا نسمع له صوتاً ولا نعرف له رأياً، على عكس ما كنا نرى ونسمع من بيليه مثلاً، حيث كان يحرص دائماً على الحديث إلى الصحفيين ويختار عباراته بعناية لتكون مؤثرة وقوية، فعندما حقق بيليه هدفه الألف وهو ما توجه ملكاً للكرة البرازيلية، كان الصحفيون يحومون حوله ليسمعوا تعليقاً منه على هذا الحدث المهم في حياته المهنية، وبدلاً من أن يعرب عن فرحته بوصوله هذه المرحلة أو يشكر أسرته أو مدربه مثلاً أدلى بتصريح حول أطفال البرازيل الفقراء الذين تجب مساعدتهم، وهو تصريح لا يصدر عن لاعبي كرة القدم في العادة.

وبعد أن اعتزل بيليه كرة القدم، أخذ يدير مشاريعه الخاصة، إذ كان يملك شركة لتسويق المنتجات الرياضية، وفي عام 1993 أدلى بتصريحات يتهم فيها القائمين على رياضة كرة القدم في البرازيل بالفساد مما تسبب له بمشاكل عديدة مع رئيس الاتحاد البرازيلي لكرة القدم، ولكنه لم يأبه بذلك وكان يصارع من أجل فرض تشريعات أفضل لحماية اللاعبين

وحماية أخلاقيات اللعبة. وهو يكتب الآن مقالاً أسبوعياً في إحدى المجلات الرياضية، كما يقدم برنامجاً خاصاً به على إحدى الشبكات التلفزيونية.

لقد ساعد بيليه البرازيل في الحصول على كأس العالم في ثلاث دورات، لكنه رغم ذلك لم يكن اللاعب الأول في الفريق كما كان غارينشا عام 1962 مثلاً، وهناك إحساس دائماً لدى البرازيليين أن بيليه ينتمي للعالم كله وأنه ليس ابن البرازيل وحدها، ولا يرون فيه سمات برازيلية خاصة، فهو شاب أسود فقير استطاع بمهاراته الخاصة وجهده المتواصل أن يصل إلى مكانة رفيعة لم يصلها قبله أي من اللاعبين المحترفين، لكن ذلك لا يعني أن البرازيليين لا يحبون بيليه، بل على العكس، فهم يكنون له إعجاباً وتقديراً شديدين، وفي إحدى المرات أوقف مسلحون سيارته قرب إشارة ضوئية في ساو باولو بهدف سرقتها، لكنهم عندما عرفوا شخصية السائق قدموا اعتذارهم له وانسحبوا، وهذا ينم عن احترام كبير تحظى به قلة من الناس في البرازيل بمن فيهم لاعبو الكرة، فهناك حادثة مشابهة حدثت مع اللاعب روماريو في مدينة ريو، حيث أوقف مسلحون سيارته وسرقوها، كما استولوا على جهاز هاتفه المحمول، واضطر للعودة إلى منزله سيراً على الأقدام.

تعلن الصحف هذا الأسبوع من أغسطس 2001 أن بيليه قد وقّع عقداً مع شركة كوكا كولا ليصل دخله السنوي من هذا العقد إلى 18 مليون جنيه استرليني، وفي هذا الأسبوع تحديداً أذهب لزيارة إلزا سواريس في إحدى حفلاتها الموسيقية في مسرح ريغال الذي يقع وسط

مدينة ريو؛ لاستمع إلى إلزا وهي تغني، وما إن تعتلي خشبة المسرح حتى تضج القاعة بالتصفيق لهذه السيدة التي ربما فقدت ثروتها وزوجها وابنها، لكنها لمّا تفقد بعد ذلك البهاء والألق الذي طالما تميزت به، كما أن صوتها الشهير مازال يجذب إليها المستمعين الذين يحبون السامبا.

ربما تبلغ إلزا الآن السبعين من العمر، ورغم ذلك فهي حريصة على أناقتها، فهي تظهر على المسرح بثوب حريري ليلكي، وشال ينسدل على كتفيها لتبدأ الغناء بصوتها الأصيل الذي مازال يحتفظ بقوته وقدرته على غناء السامبا التقليدية بالإضافة للأغاني البرازيلية الحديثة، وعندما يصدح صوت إلزا بين جنبات المسرح وهي تغني أغنية بعنوان «يا بني» تسرد كلماتها قصة امرأة قُتل ابنها وهي تبكيه حزناً ولوعةُ، تنساب دموعها فوق وجنتيها ويشعر الجميع في القاعة أنها تحكي قصتها شخصياً، وتغني لوعة فقدان زوجها وابنها قبل عشرين عاماً. خرجت من حفلة إلزا الموسيقية وأنا أهم بالتوجه إلى باوغراندي مسقط رأس غارينشا ومأواه الأخير أيضاً؛ لتكون خاتمة مقالي من هناك.

لمّا تترك المدنية بصماتها على باوغراندي بعد، فهي مدينة صغيرة معزولة جغرافياً، تحيط بها الجبال والغابات المطيرة من ثلاثة جوانب، هواؤها لطيف ومنعش وشوارعها الصغيرة منظمة، وقد صُفت بيوتها المتواضعة جانب بعضها بتناسق قلما تجده في المدن البرازيلية الأخرى، حيث تعم الفوضى وتنتشر القذارة على أطراف الشوارع. إنها التركة التي خلفها الإنجليز عندما كانوا هنا، فهم من بنى مصنع النسيج وبيوت العمال الذين يعملون فيه، وحول هذا المصنع قامت المدينة فيما بعد،

ولايزال هذا المصنع قائماً وفاعلاً حتى الآن لكن انتاجه تغير من النسيج إلى المشروبات الغازية، وكان أول ما واجهني عند دخولي البلدة هو ملعب ماني غارينشا الذي سُمي باسم ابن باوغراندي الشهير، ولكن اللوحة التي تحمل اسمه على البوابة الرئيسية كانت باهتة ومنبعجة ويعلوها الصدأ، ويبدو أنها لا تلقى العناية الكافية.

حاولت أن أجد شخصاً لأتحدث معه داخل النادي فعبرت إلى مقهى صغير تناثرت فيه بعض الطاولات والكراسي، وقد جلس عليها بعض مرتادي النادي من متدربين وغيرهم، وهناك لمحت على الجدار المقابل بعض الصور المعلقة التي يظهر فيها غارينشا، وقد صُفت تحتها مجموعة من الكؤوس والنياشين، غير أنها لم تكن معروضة بعناية ولا شيء يميزها، وقد تجدها في أي مقهى آخر في العالم.

سألت بعض الصبية الذين يتسكعون في المكان عن منزل عائلة غارينشا فأشاروا إلى الاتجاه المناسب، حيث وجدت منزل خوسيه ماريو وهو زوج إحدى بنات غارينشا التي توفيت بالسرطان عام 1997، ولذلك يعيش الآن وحيداً في هذا المنزل. لم يظهر خوسيه أي تعاون وأجابني بجفاء أن جميع بنات غارينشا قد غادرن باوغراندي، وأنه لا يحب أن يتحدث إلى الصحفيين لأنهم جميعاً كاذبون فيما كتبوه عن غارينشا، إذ كان أسعد رجل قابله في حياته، بناءً على قوله.

حاولت التحدث إلى مازينو وهو ابن اخت غارينشا ويملك حانة قريبةً، لكنه رفض التحدث إليّ قائلاً: «إن كثيراً من الصحفيين قد أتوا إلى هنا، وأجروا معنا المقابلات خلال السنوات الماضية لكننا لم نحصل

على أي شيء». باءت محاولاتي للتحدث مع أحد أقرباء غارينشا حتى الآن بالفشل، ولكنني رغم ذلك لم أيأس وحاولت الوصول إلى عنوان روزا الأخت الكبرى لغارينشا. وبسؤال بعض المارة أرشدوني إلى منزل على الجانب الآخر من باوغراندي، وهناك وجدت عجوزاً في الخامسة والسبعين من العمر تعيش مع زوجها في منزل يتكون من غرفة واحدة، بعد أن تقاعدا من العمل في المصنع منذ سنوات.

لا تملك هذه العائلة هاتفاً في المنزل، فخطوط الهاتف لم تصل بعد إلى هذا الجزء من البلدة، كما أن روزا لا تحتفظ بشيء يشير إلى قرابتها بأخيها الشهير، فقد كانت توزع صوره والمجلات التي تتحدث عنه على كل من يطلب منها تذكاراً خاصاً بغارينشا، وهكذا لم تعد تملك شيئاً منها لكنها تؤكد لي أن هناك على الأقل واحدة من بنات غارينشا ماتزال تعيش في باوغراندي، وهكذا انطلقت إلى المكان الذي أشارت إليه روزا.

تعيش نينيل في غرفة صغيرة مع ولدها الذي يبلغ الثانية والعشرين، وهي إحدى بنات غارينشا فعلاً، وربما يظهر بعض الشبه بينهما، لكن الفقر ومصاعب الحياة كانت تبدو بوضوح على ملامح نينيل، فالتجاعيد تغزو الوجه المتعب، والأسنان التي نخرها التسوس تطل خلف الابتسامة الباهتة، وبالنظر إلى حجرة هذه السيدة التي تحتوي على سرير قديم وثلاجة وجهاز تلفاز صغير كان يعرض مباراة لكرة القدم عند وصولي، يضعب التصديق فعلاً أنها تمت بأي صلة لرجل كان شغل البرازيل الشاغل لفترة من الزمن.

تعمل نينيل الآن خادمةً بعد أن أغلق مصنع النسيج أبوابه حيث كانت تعمل سابقاً، ولم تغادر باوغراندي في حياتها، بل إنها لم تزر الشاطئ المحاذي مطلقاً، رغم أنه يبعد عن بيتها عشرة أميال فقط.

لم يبق في هذه القصة الحزينة غير زيارة المقبرة التي دُفن فيها غارينشا، وهناك حيث تتزاحم شواهد القبور على سفح تلة ريز دي سير أجد شاهداً حجرياً طويلاً كُتبت عليه الكلمات التالية:

«غارينشا، فرح باوغراندي، فرح البرازيل وفرح العالم، كان طفلاً لطيفاً وصديقاً للطيور».

يرجع تاريخ إقامة هذا الشاهد لعام 1985 أي: بعد ثلاث سنوات من وفاة غارينشا، فيما عدا ذلك يبدو القبر مهملاً، إذ لا زهور حوله ولا شيء يميزه عن باقي القبور.

يتجاور قبر غارينشا مع قبر آخر يبدو مهيباً بحجارته البيضاء، وشاهده الرخامي اللامع وقد حفر عليه: «مغيل كامبوس، توفي عن عمر يناهز خمسة وعشرين عاماً، لاعب عظيم، سيفتقده أهله وأصدقاؤه وزملاؤه في نادي فيلا أتليتكو»، وهناك لوحة معدنية باسم النادي معلقة على جانب الضريح.

تعزز المقارنة بين الضريحين عمق المأساة التي عاشها غارينشا ولاحقته حتى بعد وفاته، فهذا قبر للاعب غير معروف، لعب في فريق محلي صغير، لكنه يبدو أنظف وأفضل حالاً بكثير من قبر غارينشا، اللاعب الذي أهدى البرازيل كلها كأس العالم لكرة القدم مرتين.

الفصل السادس

كرنفال من نوع خاص

إيفالدو هو شرطي متقاعد يبلغ السادسة والخمسين من العمر يرتدي بنطالاً أسود من النوع الذي يستعمله رجال الشرطة، وله شارب كث غزاه الشيب يمنحه مظهراً فظاً غير مريح. كان لقائي بهذا الرجل في ناد ريفي حيث تقام مباراة بين فريق ريسيفي وفريق زائر، كان يحتل موقعاً مميزاً على المدرجات الأمامية للمشجعين حيث وقف يصيح بأعلى صوته مشجعاً فريقه، وفي الوقت ذاته يصب سيلاً من السباب واللعنات على لاعبي الفريق الزائر ومدربه، ويرافق كل ذلك صوت مذياعه المرتفع الذي لا يفارقه أبداً في المباريات كلها، وهي عادة برازيلية مألوفة في الملاعب، فيحضر المشجعون مذياعاً لمتابعة التعليق على المباريات التي تجري أمامهم.

غير أن مذياع إيفالدو كان مختلفاً بعض الشيء، فهو ليس مذياعاً صغيراً من النوع الذي يمكن حمله باليد وإلصاقه بالإذن لسماع التعليق وسط الضجيج والصخب الذي يملأ الملعب، بل هو مذياع أثري قديم ثقيل الوزن من نوع جنرال إلكتريك يُحمل بواسطة حزام جلدي عريض، لذلك فإن إيفالدو لا يحمله في يده بل يضعه على الحاجز الموجود أمامه مسبباً ضجيجاً وإزعاجاً لكل من حوله.

الغريب في الأمر أن إيفالدو لا يتابع المباراة التي حضر لمشاهدتها، بل يكتفي بالاستماع إلى مذياعه والصراخ والسباب طيلة الوقت، ولا

يتوقف إلا عندما يحرز فريقه هدفاً، فعندها يتحول من وصلة الصراخ إلى الرقص لفترة، ثم يعود لمواصلة مهمته في صب اللعنات على الفريق الزائر.

لقد اشتكى أحد المدربين في إحدى المباريات من إزعاج إيفالدو ومذياعه الشهير قائلاً: إن صراخ إيفالدو وإزعاج مذياعه منعه من التواصل مع لاعبيه في أثناء المباراة، وتعليقاً على ذلك، يعترف إيفالدو بفخر أنه أكثر المشجعين البرازيليين إزعاجاً في الملعب.

نجد ألواناً أخرى من المشجعين هنا، ففي الطرف الآخر من المدرج ألمح دونا مريكوينا وهي في الخامسة والسبعين من العمر وترتدي ملابس رياضية باللونين الأحمر والأسود، ألوان فريقها المفضل ولم تغير هذه الألوان منذ خمسة وعشرين عاماً والجميع هنا يعرفونها، فهي إحدى العلامات المميزة لهذا الملعب حيث تفتح دونا مظلتها الحمراء وترقص حولها عندما يسجل فريقها هدفاً في شباك الخصم. هناك فرقة نحاسية أيضاً في أحد المدرجات يعزف أفرادها لحناً يتكرر طوال فترة المباراة، وهناك عدد آخر من الأفراد يضعون أقنعة سوداء، والأسد هو رمز النادي الذي يشجعونه، أطفال ونساء، شيوخ وشباب أتوا جميعاً ليقفوا وراء فريقهم ويشجعونه وهم يرتدون ما يدل على ولائهم له، يطلون وجوههم بألوان علمه، ويحملون شعاراته ويرقصون ويغنون ويبتهجون لانتصاره.

يبدو أن بهجة المشجعين وحماسهم داخل الملعب، جزء من تراث كرة القدم البرازيلية يعبرون عنه بالأزياء والألوان والموسيقى الصاخبة

والرقص، وهم جمهور من الأعراق والأعمار والأجناس جميعاً يشكلون في مجموعهم كرنفالاً من نوع خاص يحتشد في الملعب؛ ليقدم كل ما هو جديد.

ليس ارتباط الرياضة بالكرنفال بجديد على البرازيل، ففي عام 1931 ظهرت في ريو صحيفة رياضية جديدة كان اسمها «موندو إسبورتغو»، وقد تزامن ظهور العدد الأول منها مع نهائيات دوري بطولة كرة القدم لمدينة ريو، وقامت الصحيفة بتغطية مباريات وأحداث الدورة، ولكن مع صدور العدد الثاني لم يكن هناك من أحداث رياضية كافية لتغطيتها في ذلك الوقت، ولكن ذلك تصادف مع موعد كرنفال ريو الشهير حيث تطوف مجموعات من أعراق وفئات مختلفة شوارع المدينة لعرض ما لديها من مواهب.

ومن تلك المجموعات كان سكان مدينة ريو من السود حيث يتنافسون في مجموعات تطوف الشوارع بعفوية في فترة المهرجان لتقدم ألعاباً مختلفة، فاستغلت الصحيفة هذه المنافسات غير الرسمية لتحولها إلى ما يشبه المسابقة، ولقد قسمت المجموعات المتنافسة إلى قوائم صدرت في الصحيفة، ثم أخذ الصحفيون يتابعون نتائج المنافسات يومياً حتى نهاية المهرجان، وهكذا استطاع الصحفيون ملء عشرات الصفحات بأخبار الكرنفال، وقد لاقت هذه المسابقة متابعة وتشجيعاً كبيراً من جمهور ريو لدرجة أنها أصبحت إحدى الفقرات الأساسية في المهرجان في كل عام وحتى اليوم.

كان ماريو فيلو هو المحرر المسؤول في صحيفة موندو إسبورتغو

الذي حول المقابلات الرياضية العشوائية التي كانت تقام على هامش المهرجان إلى حدث رياضي مهم، يتابع أخباره الآلاف من البرازيليين في ريو، لكنه لم يقتصر على ذلك، إذ استغل الفكرة ذاتها في تحويل مدرجات الملاعب الرياضية إلى كرنفال من نوع خاص.

وأخذ ماريو ينظم مسابقات بين مشجعي الفرق الرياضية هذه المرة؛ لتقديم أفضل زي أو أفضل فرقة تشجيع، وبدأ يحض المتفرجين على ابتكار الأزياء اللافتة التي تعبر عن الفريق الذي يشجعون، كما شجعهم على إحضار الطبول والأبواق والألعاب النارية لاستعمالها على المدرجات، ويفوز في هذه المسابقات فريق التشجيع الذي يقدم أفضل عرض في دعم فريقه، وطبعاً لم يكن غرض ماريو من ذلك الترفيه أو تشجيع الفرق فحسب، وإنما كان يأمل في مزيد من الاهتمام بكرة القدم، مما يؤدي إلى زيادة الإقبال على الأخبار التي تنشر في صحيفته، فيزيد من توزيعها.

بدأت مسابقات المشجعين عام 1934 بين جمهور فريق فلامنغو وجمهور فلومننسي، وهما الفريقان البارزان في مدينة ريو دي جنيرو، وأخذت هذه المسابقات تلقى رواجاً كبيراً بين الجمهورين حتى أصبح لها اسم خاص وهو مسابقات فلا- فلو (الحروف الأولى من اسمي الفريقين)، وأصبح الجمهور ينتظر المباريات بفارغ الصبر حتى يتمكن من المشاركة في مسابقات فلا- فلو الحماسية. لقد مزج ماريو ببراعة بين الصحافة والتجارة والأدب، وأخذ يكتب عن المباريات واللاعبين بأسلوب أدبي مشوق، فصنع منهم أبطالاً أسطوريين، وخلق حولهم

أجواء حالمة جعلت منهم محط أنظار الجماهير وأحلامها، فأخذوا يتوافدون على الملاعب دائماً؛ لرؤية أبطالهم يلعبون. لقد خلّد ماريو بعض المباريات من خلال وصفه لمجرياتها وكتابته حول الغرائب التي حدثت خلالها، ومن هذه القصص، قصة أحداث المباراة النهائية في الدوري البرازيلي عام 1941 التي عرفت بمباراة البحيرة، حيث أُقيمت المباراة بين فريقي فلامنغو وفلومننسي في ملعب قرب بحيرة رودريغو دي فريتاس في مدينة ريو.

كان فريق فلامنغو بحاجة إلى الفوز في المباراة للحصول على الكأس، أما فريق فلومننسي فقد كان يكفيه التعادل. وعندما وصلت نتيجة المباراة إلى التعادل 2—2، كان الباقي من وقت المباراة هو ست دقائق فقط، وكلما حصل لاعبو فريق فلومننسي على الكرة كانوا يركلونها لأبعد ما يمكن فتصل إلى البحيرة المجاورة، وينتظر الجميع استعادة الكرة من البحيرة بمن فيهم الحكم الذي يوقف ساعة التوقيت حتى تعود الكرة للملعب، وهكذا امتدت الدقائق الست حتى المساء وحتى أُنهك الفريقان، وفاز فلومننسي في النهاية بالتعادل وحصل على كأس البطولة.

كان ماريو فيلو شخصية مميزة في مجتمع ريو، فبالإضافة إلى مظهره المتميز بشعره الأحمر وحاجبيه الكثيفين والسيجار الذي لا يفارقه البتة مضفياً عليه مظهر النبل والعراقة، كان كاتباً ممتازاً وشخصاً طموحاً، فقد كان من دعاة بناء ملعب الماراكانا، كما أنه أول من نظم مسابقة كأس ريو التي كانت تجمع فرقاً متنافسة من أمريكا الجنوبية وأوروبا،

وقد صدرت له عدة كتب من أهمها «السود في الكرة البرازيلية»، الذي كان يشكل مرجعاً في الموضوع حتى وقت قريب.

يذكر ماريو في إحدى قصصه بعنوان «كرنفال الربيع» أن قنبلة قد انفجرت في افتتاح نهائيات مدينة ريو عام 1944، وقد كانت تلك قنبلة حقيقية فعلاً فجرها مشجعو نادي فلامنغو تحية لفريقهم عند دخوله، وقد تسبب التفجير في تغطية المدرجات بسحابة من الدخان لبعض الوقت، كما أتلفت القنبلة جزءاً من أرضية الملعب المزروعة بالعشب. كان تفجير قنبلة في الملعب سابقة سجلها خايمي دي كارفالو وهو مشجع مخلص لفريق فلامنغو، لم يكن يتوانى عن فعل أي شيء لإثارة الحماس بين صفوف الجماهير لتشجيع فريقه ومساندته، فكان يحضر إلى المباريات مرتدياً ألوان فريقه ومسلحاً باللافتات والأعلام التي كانت تصنعها له زوجته، فلم تكن تلك المواد تُصنع تجارياً بعد في تلك الأيام.

كوّن خايمي مع بعض أصدقائه فرقة نحاسية عام 1942؛ لتعزف على المدرجات في أثناء المباريات، وقد كانت تلك هي المرة الأولى التي تقدم فيها فرقة موسيقية متكاملة عروضها على مدرجات الملاعب لتشجيع فريق ما في أثناء المباراة، ولكن سرعان ما أصبحت هذه الفرقة جزءاً من فريق فلامنغو، حتى إن الفريق موّل الفرقة لمرافقته إلى الأرجنتين في إحدى البطولات.

انتُخب خايمي رئيساً لرابطة المشجعين البرازيليين، وأخذت فرقته تنتقل مع المنتخب حيثما ذهب، وقد برزت جهود هذه الفرقة خلال

نهائيات كأس العالم 1950 مسجلة جولات من التشجيع الحماسي التي ستبقى في ذاكرة البرازيليين ومحبي الفريق البرازيلي إلى الأبد. وبفضل خايمي وفرقته من العازفين أخذ المشجعون يكرسون اهتماماً خاصاً للظهور في المباريات ويتكرون أساليب لم تكن معروفة من قبل، مثل حمل لوحات ملونة لتشكل في مجموعها لوحة ضخمة يمكن رؤيتها عن بعد. لقد سبق المشجعون البرازيليون غيرهم من المشجعين بخطوات كبيرة، إذ كانوا سباقين دائماً لابتكار الأزياء والموسيقى والرقص واللوحات التعبيرية التي تُنفذ كلها في الملعب في أثناء المباراة، ويقول في هذا السياق المعلق الرياضي المخضرم لويس مانديس: إنه عندما ذهب عام 1949 إلى أوروبا للمرة الأولى؛ للتعليق على مباراة لكرة القدم بين الفريق الإنجليزي والفريق الإسكتلندي، دُهش أشد الدهشة عندما لم يجد أياً من مشجعي الفريقين يرتدي أزياء تنكرية في المباراة.

ترتدي الجماهير البرازيلية ألوانا موحدة تتعلق بالفريق الذي تُشجعه في الملعب مما يحيل المدرجات إلى مهرجان جميل للألوان، وقد تخفي هذه الرغبة وراءها توقاً دفيناً نحو توحد هذا الشعب الذي يعاني من التفرقة العنصرية بين الأعراق التي تؤلفه، والفروق الصارخة بين الطبقات الاجتماعية الموجودة فيه، فالشعب البرازيلي يتألف في غالبيته من السود ثم البيض ثم الهنود الملونين، وهناك تفرقة عنصرية واضحة بين البيض والسود والملونين من سكان البرازيل الأصليين، أمّا عن التفاوت بين الطبقات الاجتماعية فحدّث ولا حرج، وقد نشرت الأمم المتحدة تقريراً عام 2001 حلّت فيه البرازيل في المرتبة الرابعة من

حيث سوء توزيع الثروات في البلاد بعد سوازيلند وهي إحدى الدول الإفريقية الجنوبية، وجنوب إفريقيا ونيكاراغوا.

إن ارتداء زي موحد مثل: قميص فريق فلامنغو مثلاً، أو أي زي تنكري آخر هي طريقة لرفض الفروقات الطبقية والعرقية وإخفائها بين أبناء هذا الشعب التي تظهر بوضوح في تفاصيل الحياة اليومية، وبما أن كرة القدم تشكل السمة البارزة في الهوية الوطنية البرازيلية، فإن إخفاء الفروقات الصارخة بين الأعراق والطبقات يمنح الجماهير هذا الشعور بوجود البرازيل المفضلة التي تحتضن الجميع من دون تمييز.

يُعد كلوديو ربيريو النسخة الحديثة لخايمي دي كارفالو، فهو الوجه الأشهر من السود بعد بيليه في البرازيل، وهو أيضاً الوجه الذي يطالعك على شاشات التلفاز في أثناء نقل مباريات كأس العالم التي تشترك فيها البرازيل، حيث تنقل الكاميرات صورته وهو يقرع طبوله بحماس وفرح طوال فترة المباراة.

التقيت كلوديو حيث يعمل منذ ثلاثين عاماً على ناصية أحد الشوارع المزدحمة في ساو باولو، يبيع تذاكر لمواقف السيارات ويساعد أصحاب السيارات على إيجاد موقف مناسب وسط هذا الازدحام، وهو يرتدي قميص البرازيل الأصفر ويغطي شعره الكثيف المجعد بطاقية صوفية برتقالية تساعده على اتقاء المطر الذي كان يهطل.

يحدثني كلوديو بقصته مع كرة القدم، ويخبرني أنه من مدينة أرخيم التابعة لولاية ريو غراندي دو سول، وقد رافق والده عندما كان يعمل سائقاً لشاحنة كبيرة إلى مدينة ساو باولو وهو في التاسعة من عمره؛

لحضور مباراة لكرة القدم بين فريقي كورينثيانس وساو باولو، وعند انتهاء المباراة وخروج الجمهور الكبير العدد، فقَدَ الأب والابن كل منهما الآخر ولم يتمكنا من الالتقاء مجدداً، وهكذا اضطر كلوديو للعيش في الشوارع والعمل في أول مهنة صادفها، لكن الحياة راقت له في ساو باولو ولم يحاول العودة مجدداً لعائلته، لكنه أرسل لهم رسالة يطمئنهم فيها أنه بخير. وعندما يضحك كلوديو يبدو كأنه طفل صغير، إذ فقد معظم أسنانه في حادث سيارة أودى بحياة ثلاثة من الركاب الذين كانوا معه، وقد عرض عليه أطباء الأسنان لاحقاً إصلاح الوضع بزرع أسنان جديدة في فمه غير أنه رفض؛ لأنه يريد أن يبقى كما هو.

عانى كلوديو حياة قاسية في طفولته وشبابه، لكنه وجد ذاته في النهاية جزءاً من مشجعي فريق كورينثيانس، وكوّن مجموعة خاصة به وأطلق عليها اسم «قلب كورينثيانس المتدفق» وأصبح له أتباع كثيرون، وبلغ عدد أعضاء مجموعته حوالي 30,000 عضو، لكن فرصته للشهرة برزت عام 1978 عندما استطاع الحصول مصادفة على تذكرة لحضور نهائيات كأس العالم في الأرجنتين، فحزم ثيابه وطبوله وتوجه فوراً إلى بيونس آيرس، وهناك كان نجم المدرجات بلا منازع، إذ كان يقود جماهير المشجعين في الغناء وقرع الطبول، وسُلطت عليه الأضواء لحماسه ومظهره المميز بشعره الكثيف الذي يشكل هالة حول رأسه، وحاز كلوديو إعجاب الجماهير والمصورين حول العالم.

فمنذ ذلك اليوم أصبح كلوديو معجباً محترفاً، إذ تموله الشركات والمؤسسات في رحلاته لحضور مباريات المنتخب الوطني لقاء ارتدائه

أحد شعاراتها، أو لصق أحد إعلاناتها على قميصه وهي تعلم أنه سيكون محط أنظار المصورين والصحفيين.

دارت مباراة حاسمة عام 1997 بين فريقي كورينثيانس وسانتوس، فاز فيها فريق سانتوس بفارق هدف واحد بعد مباراة اتسمت بالعنف حين طرد حكم المباراة لاعبين من فريق كورينثيانس وأنذر ثلاثة آخرين ببطاقة صفراء. تبين بعد انتهاء المباراة أن عدداً من مشجعي كورينثيانس قد اختفوا مما آثار ريبة مسؤولي الفريق، فقد جرت العادة أن يبقى المشجعون بعد المباراة لتهنئة اللاعبين في حالة الفوز، أو تقريعهم في حالة الخسارة، ومما زاد الطين بلة أن النادي كان قد تلقى تهديدات من مشجعيه بسبب تدني مستوى فريق كرة القدم في الآونة الأخيرة.

استقل أعضاء الفريق حافلتهم بعد منتصف الليل ليبدؤوا رحلة طويلة للعودة إلى بلدتهم، ترافقهم مجموعة من رجال الشرطة، أما المدرب فقد استقل سيارته الخاصة وسار خلف الحافلة، وبعد قطع جزء من الرحلة لاحظ مسؤولو الأمن على الحافلة وجود سيارة سوداء تتبع الموكب يستقلها أربعة أشخاص، وأخذ سائقها يحاول الاقتراب من جانب الحافلة؛ ليطل أفرادها من النوافذ ويسخروا من أعضاء الفريق الذين يستقلون الحافلة، ثم أسرع سائق السيارة أمام الحافلة واختفى بسيارته، ثم حدث بعد ذلك ما لم يتوقعه أحد، إذ توقفت فجأة شاحنة كانت تسير أمام حافلة الفريق واضطر سائق الحافلة إلى الضغط على المكابح بشدة ليتفادى الاصطدام بالشاحنة التي أمامه. وكانت هناك حافلة بيضاء تقف في عرض الشارع أمام الشاحنة وقد بدت كأنها

معطلة، وحولها تجمهر عدد من مشجعي الفريق، لكن سرعان ما اتضح أن الأمر كله كمين نصبه المشجعون لإيقاف الحافلة، فقد بدأ عدد من هؤلاء المشجعين بالتوجه نحو الحافلة المغلقة وهم يصرخون ويشتمون ملوحين بعصي يحملونها في أيديهم، وأخذوا يحاولون تكسير النوافذ وفتح الباب للوصول إلى اللاعبين وإيذائهم.

كانت الضربة الأولى موجهة نحو النافذة الأمامية للحافلة فكُسرت وأصيب السائق بجروح في ذراعه الأيسر، وحاول أحد المهاجمين فتح باب الحافلة عنوة فتعرض له أحد رجال الأمن واستطاع إبعاده عن الباب، لكن بقية المشجعين تجمعوا حول الحافلة وأخذوا يدفعونها بقوة حتى بدأت تتحرك وأصيب اللاعبون بفزع شديد، ومرة أخرى حاول رجال الأمن إبعاد المشجعين المتجمهرين حول الحافلة، وهنا تعرف أحدهم على ميتاليريو بين المتجمهرين حول الحافلة وهو رئيس رابطة «صقور الايمان» أحد أكبر روابط المشجعين لفريق كورينثيانس، فأخذ يتحدث إليه على انفراد ويرجوه أن يوقف هذا الاعتداء، وفعلاً عاد ميتاليريو إلى رشده وأمر بوقف الاعتداء، ليعود المشجعون إلى حافلتهم البيضاء، ويفتحوا الطريق أمام الحافلة التي تقل اللاعبين لتكمل طريقها.

نشر مكتب المدعي العام في ساو باولو تقريراً حول الحادث بعد شهر من وقوعه جاء فيه: «إن هذا الحادث يعدّ تخريباً وتعدّياً على الممتلكات، أما أفظع ما فيه أنه كان موجهاً نحو أفراد الفريق الذي تشجعه رابطة صقور الايمان، والذين يرجون من مشجعيهم الدعم والمساندة، وليس

العنف والترهيب».

تضم رابطة صقور الإيمان ما يقرب من 56,000 عضو بين صفوفها، مما يجعلها أكبر رابطة للمشجعين في البرازيل، كما أنها الرابطة الوحيدة التي يقتضي الانتماء إليها حضور محاضرة حول مبادئ الرابطة وأهدافها قبل الانضمام إليها. تعقد هذه المحاضرة في المركز الرئيس للرابطة في وسط ساو باولو، وهو مبنى يشبه النوادي الشبابية تغطي جدرانه شعارات فريق كورينثيانس وأعلامه، أما الرجال الموجودون في المكان فهم غلاظ الهيئة يغطي وشم الصقور أذرعهم، بالإضافة لبعض الشباب والمراهقين الذين حضروا لسماع المحاضرة قبل أن ينضموا إلى الرابطة.

ويتجاوز عدد الحضور الخمسين شخصاً من الشباب والفتيات الذين اتخذوا مواقعهم في القاعة الفسيحة، واستعدوا بكل جدية للاستماع إلى المحاضرة التي بدأها إدواردو أحد المسؤولين في الرابطة – وهو شاب في مقتبل العمر يرتدي قميصاً أخضر اللون– بقوله: إن الرابطة بدأت عملها عام 1969 عندما كان فريق كورينثيانس في أسوأ حالاته، إذ مضى خمسة عشر عاماً لم يحقق فيها الفريق أي انتصار يُذكر، كما أن البرازيل كانت ترزح تحت حكم ديكتاتوري صارم ولم يكن بالإمكان المناداة بأي تغيير، وفي هذا العام تم اختيار اسم الرابطة وهو صقور الإيمان لما له من وقع قوي، فالصقور تطير لأعلى المستويات وتستطيع أن ترى أبعد ما يمكن. ويبدو لي إدواردو شابا متكلماً قوي الشكيمة، ويمكن أن يحقق نجاحاً في المجال السياسي، ولكن بما أن البرازيل تفتقر إلى العمل السياسي المنظم، فإن هذا الرجل يوجه جهوده نحو كرة

القدم.

ينهي إداوردو خطابه ويعود إلى مقعده؛ مفسحاً المجال لزميل له في الرابطة يكبره سناً بكثير، وينتمي لرابطة الصقور منذ اثنين وعشرين عاماً ويدعى سيرجيو. يتكلم سيرجيو بعقلانية وهدوء ويحث الأعضاء على الانتماء للرابطة وإظهار الولاء لها، لكن من دون أن يؤثر ذلك على مسؤولياتهم العائلية، فالعائلة تأتي أولاً ومن بعدها الرابطة ونادي كورينثيانس، ويطمئن سيرجيو الحضور إلى أن الرابطة تتسع للجميع من دون تمييز بين أبيض وأسود، غني أو معدم، ثم ينهي حديثه ويطلب من الموجودين التعبير عما يجول بخواطرهم وطرح الأسئلة إن أرادوا.

يتقدم شاب ليعرف نفسه باسم إيفالدو ويقول: إنه في الثالثة والعشرين وأنه مشجع مخلص لفريق كورينثيانس منذ كان طفلاً، ويحضر مباريات النادي جميعها من دون استثناء، ولكنه لم ينضم للرابطة من قبل لخوفه من أحداث العنف والشغب التي يسببها أعضاء الرابطة أحياناً في الملاعب، فيجيبه سيرجيو بثقة أنه سعيد لطرح مثل هذا التساؤل فهي فرصة لتبديد مخاوف الحاضرين حول هذا الموضوع، ويتابع قائلاً: «إن رابطة الصقور رابطة مسالمة ونحن لا نسعى للعنف أبداً، واللاعب الوحيد الذي تهجم عليه أعضاء الرابطة هو اللاعب فايولا؛ لأنه قام بإهانة قميص النادي بإلقائه على الأرض، وكما تعلمون فهذا القميص يعني الكثير لنا ولا يمكن أن نقبل بإهانته، فاللاعبون يأتون ويذهبون، أما النادي فهو باق إلى الأبد، وقميص النادي هو شعاره الذي يجب أن يُحترم».

يختتم المتحدثون محاضرتهم بدعوة الموجودين للمشاركة في النشيد الخاص بالنادي، وقد فعلوا ذلك بحماسة بالغة، وكانوا يحفظون كلمات النشيد عن ظهر قلب، فقد كانت كلماته بسيطة لكنها تضج بالقوة، وبالتأكيد كانت تناسب الأجواء الحماسية للمشجعين، وتقول كلمات النشيد:

كورينثيانس يا بطل الأبطال
مكانك في قلوبنا إلى الأبد
أنت فخر الرياضة في البرازيل
تسطر أمجادك كلّ يوم
ماضيك مشَّرف
وحاضرك معبر
محلق في الأعالي دائماً
أيها النادي العظيم.

أستغل الفرصة بعد انتهاء المحاضرة للحديث مع إدواردو بمزيد من التفاصيل حول الرابطة، فيصحبني معه إلى ما يسمونه بالجناح الرئاسي في الرابطة، وهو قاعة فسيحة ومكيفة ويدعوني للجلوس، لكنه يطلب مني ألا أذكر اسم عائلته في كتابي، فقد يتعرض للإحراج إذا علم مديره في العمل أنه ينتمي إلى رابطة الصقور.

أبادر إدواردو بالسؤال حول حادثة اللاعب فايولا، فيخبرني أن ذلك حدث عام 1988، عندما كان فايولا يلعب مع نادي كورينثيانس، فتم استبداله بلاعب آخر في إحدى المباريات فغضب وفقد أعصابه

وخلع قميص الفريق وركله بقدمه، مما آثار غضب أحد المشجعين الذي لحق به إلى غرفة الملابس وضربه، لكنه كان مشجعاً واحداً فقط -يؤكد إدواردو- لكن حوادث كهذه تُسهم في تعزيز شهرة الصقور بوصفهم مشجعين يمارسون العنف أحياناً، تجدهم في الملعب أكثر المشجعين تطرفاً وصخباً، فلديهم علم يحتاج حمله إلى ثلاثمئة رجل مجتمعين؛ لأن طوله يبلغ 100متر، ويحتلون قسماً كبيراً من المدرجات ويرهبون المشجعين الآخرين، بل إن أعضاء فريق كورنيثيانس ذاته يخافونهم أحياناً. نتطرق أنا وإدواردو إلى حادثة قريبة حدثت منذ ستة أشهر، حين تجمع مئات من الصقور في مبنى نادي كورنيثيانس للاعتراض على استبعاد النادي من بطولة ليبرتادور لكرة القدم، وأحضروا معهم البيض لقذف اللاعبين المسؤولين عن ذلك، وقد كان أول الضحايا المهاجم إديلسون الذي تلقى الهجوم بالبيض ما إن غادر مبنى النادي، وقد قرر إديلسون ألا يلعب لنادي كورينثيانس مجدداً إثر هذا الاعتداء وانتقل إلى نادي فلامنغو.

يبرر إدواردو ذلك بأن من حق المشجعين أن يضغطوا على الفريق من أجل الوصول إلى الأفضل، كما أن من حق الصقور أن يعبروا عن رأيهم في أداء فريقهم، لكنهم لا يريدون أن يتدخلوا في إدارة الفريق، رغم أن الأمور قد تبدو غير ذلك.

أعود لزيارة رابطة صقور الايمان بعد شهور من زيارتي الأولى؛ لألتقي برئيسها الجديد دنتينو، وهو رجل نحيل الجسم تبدو عليه علامات القلق لسبب غير معروف، وربما يكون لعمله سائق سيارة

أجرة علاقة بذلك، فساو باولو تُعد من أكثر المدن ازدحاماً بالسيارات في العالم.

ينظر دنتينو إلى رابطة الصقور وفق أنها رابطة مستهلكين لها الحق في الاعتراض على المنتج أي: النادي، إذا لم يكن مناسباً لمتطلباتها ولو كان ذلك الاعتراض بالقوة، كما أن النادي واللاعبين يعرفون قوة الرابطة ويحترمونها؛ لذلك فهم يسعون إلى إرضائنا.

أبادر بسؤال دنتينو عن رأيه في اقتحام غرف ملابس اللاعبين لمحاسبتهم على أدائهم، فيجيب: إنه يرى أن ذلك من حق الرابطة وحق المشجعين الذين يدعمون الفريق، فإذا ما قصر لاعب ما في التزاماته تجاه فريقه ومشجعيه فعلى الرابطة حينها التدخل لإعادته إلى طريق الصواب، وهذا ينطبق على حياة اللاعب الشخصية أيضاً، فإذا ما وردنا أن لاعباً ما كان يتعاطى الكحول، أو يرافق النساء قبل موعد المباراة فإننا نتدخل لوقف ذلك، فجسد هذا اللاعب ليس ملكاً له إنه ملك للنادي وللمشجعين، فهو محترف وعليه أن يراعي ذلك؛ ليكون في أفضل مستوياته في أثناء المباريات.

يستأجر معظم لاعبي كورينثيانس حراساً شخصيين لحمايتهم من المشجعين ولاسيما من الصقور، الذين يملكون نفوذاً قوياً ليس على اللاعبين في الفريق فحسب، وإنما على المدربين والإداريين أيضاً، وكثيراً ما يستشير إداريو النادي رابطة الصقور حول تعيين مدرب جديد أو استقطاب لاعب محدد، ولا يخفى على أحد أن رابطة الصقور كانت وراء طرد المدرب أوزاولدو أوليفيرا من النادي، على الرغم من أنه حقق

انتصارات مهمة للفريق في البطولة الوطنية.

وجد مشجعو فريق كورينثيانس متنفساً اجتماعياً وسياسياً في رابطة صقور الإيمان، ولاسيما في فترة السبعينيات التي كانت تشهد حكماً ديكتاتورياً صارماً، إذ كانت أعمال الرابطة عذراً مقبولاً لالتقاء الأعضاء مع بعضهم حتى في أيام العطل الرسمية، حتى إنّ الرابطة كونت فريقاً للسامبا خاصاً بها أخذ يكبر ويتطور حتى أصبح أحد الفرق الأربعة عشر التي تشارك في الكرنفال السنوي، وقد حصد الجائزة الأولى عام 1995 وعام 1999.

يُعد عرض فريق السامبا التابع للرابطة من أضخم العروض التي تقدم في كرنفال ساوباولو السنوي، فقد يصل عدد المشاركين فيه إلى 4,700 شخص جلهم من مشجعي فريق كورينثيانس، ولكن يمكن للآخرين الاشتراك في العرض كذلك، ولذلك قررت أن أشارك في ذلك العرض في كرنفال عام 2001، وكان لا بد أن أذهب إلى مقر الرابطة لاختيار زيّ تنكري للعرض، وهناك أخذت أتجاذب أطراف الحديث مع مسؤول الأزياء في المقر، الذي يشرح لي قائلاً: إنّ كلّ فرق السامبا في ساو باولو التي تشارك في الكرنفال، تمثل تجمعات مدنية مختلفة إلا فريق رابطة الصقور فهو يمثل مشجعي نادي كورينثيانس، ولذلك فهو يعبر عن الفن والرياضة في الآن ذاته.

يختار كل فريق من فرق السامبا موضوعاً خاصاً به كل عام؛ لتتمحور حوله أزياء الفريق وعروضه، وهذا العام يختار فريق الرابطة موضوع الانفجار العظيم وبداية الخلق، ولذلك فإن العربة التي ستطوف

الشوارع، والأزياء التي سيرتديها المشاركون تدور حول هذا الموضوع، وهناك أزياء مختلفة تعبر عن عوامل الطبيعة الأربعة، الماء والهواء والتراب والنار، فهناك ملابس زرقاء اللون تحوطها الفقاعات للتعبير عن الماء، وأزياء من الريش الأحمر الفاقع والبرتقالي ترمز إلى النار وهكذا.

وأخيراً جاء اليوم الموعود وهو يوم الكرنفال واستعد الجميع بأزيائهم المختلفة، كما جهزت السيارة التي ستحمل رمز الرابطة، وهو الصقر الكبير الذي تم إعداده لهذه المناسبة بارتفاع ستة أمتار يحتضن كرة ضخمة تمثل العالم بين جناحيه. أمّا المشاة المشاركون في العرض وأنا من بينهم، فقد ارتدوا أزياءهم الملونة التي تمثل عناصر الطبيعة الأربعة. توجهنا بالسيارات والحافلات إلى مكان الاحتفال وهو شارع سامبا دروم الذي يبلغ طوله كيلومتراً واحداً تحيط به الحواجز من الجانبين، حيث يقف خلفها جمهور حاشد من الفئات جميعها يلوح بالأعلام واللافتات الملونة، كلّ يشجع فريق السامبا الذي يريد، أما نحن فقد كان يشرف علينا مسؤولو الرابطة الذين كانوا يرتدون زياً أبيض لتمييزهم عن غيرهم، وكانت مسؤوليتهم الحفاظ على النظام في المسيرة حتى تظهر بأحسن صورة حتى انتهاء العرض، فهناك جائزة في نهاية المهرجان لأفضل فرقة من حيث الموضوع وطريقة عرضه.

استغرق العرض قرابة الساعة كانت مليئة بالحماس والإثارة، فرؤية هذه الأعداد الغفيرة من المتفرجين بالإضافة للفرق المشاركة التي تنشد أغانيها المقررة بمصاحبة قرع الطبول الذي لا ينتهي، يعطي شعوراً بالحماس والمنافسة من أجل الفوز بالجائزة، إنه يشبه شعور اللاعبين في

المباراة تماماً، وهكذا يتحول مشجعو فريق كورينثيانس ممثلين برابطة صقور الايمان، من موقع الجمهور على المدرجات إلى موقع اللاعبين في الملعب، وهو شعور غريب ومثير حقاً.

يتم منح الجائزة بالتصويت بعد ثلاثة أيام من الكرنفال، وتجتمع اللجنة في الشارع ذاته الذي أقيم فيه الاحتفال، وتحل رابطة الصقور في المركز الثالث، فيغضب مشجعوها ويبدؤون شجاراً مع أعضاء اللجنة مما يستدعي وصول قوات مكافحة الشغب إلى المكان لفك الاشتباك.

سمي فريق كورينثيانس بهذا الاسم تيمناً باسم الفريق الإنجليزي الذي زار البرازيل عام 1910، وهو الفريق الوحيد في ساو باولو من الفرق الكبيرة الذي أُسس على يدي أبناء الطبقة العاملة، مقارنة بالفرق الأخرى التي أسسها أصحاب المصانع وأبناء الطبقات العليا في المجتمع كنوع من الهواية والرياضة، لذلك فهو يعد فريق أبناء الشعب مما يفسر شعبيته الكاسحة بين العامة، ومن هذا المنطلق تكونت رابطة صقور الايمان التي بدأها أناس متواضعون يسعون لإبراز صوتهم المقهور في مواجهة المؤسسات العريقة.

يقول لويز من دون توليدو عالم الإنثروبولوجيا البرازيلي: إنه لا يمكن فصل ظهور رابطة الصقور عن السياق الاجتماعي الذي ساد البلاد في أواخر الستينيات وأوائل السبعينيات، عندما كانت البلاد ترزح تحت حكم ديكتاتوري قمعي، ومن هنا كانت رياضة كرة القدم هامشاً متاحاً للبرازيليين الذين يفتقرون إلى أبسط الحقوق المدنية آنذاك، للتعبير عن أفكارهم وآرائهم على الأقل بوصفهم

مشجعين لهذا النادي أو ذاك.

لقد كان تجمع الصقور أول رابطة مشجعين تنظم صفوفها وتشكل تنظيمها الخاص مستقلة عن النادي الذي تشجعه، وانتهجت باقي الروابط نهجها بعد ذلك، وأصبحت هذه الروابط في السبعينيات والثمانينيات بؤر جذب كبيرة بالنسبة لآلاف المهاجرين إلى مدينة ساو باولو من المناطق الريفية والشعبية المجاورة، ومع هذه الهجرة المتدفقة كانت تتدفق المشاكل الاجتماعية المصاحبة أيضاً، ولذلك وجد هؤلاء المهاجرون نوعاً من الانتماء والأمان في مثل هذه الروابط، فهم يصرون على ارتداء قمصانها ويتفاخرون بشعاراتها وينشدون نشيدها بولاء كبير، وحتى مع تصاعد العنف الذي تسببه رابطة الصقور خاصة، إلا أن هذه الرابطة كان لها تأثيرها الإيجابي على مدينة ساو باولو فقد أسهمت في إذكاء روح المنافسة في الكرنفال، واجتذبت أعداداً كبيرة من المتفرجين إليه، كما أن هذه الرابطة تعزز روح الديمقراطية، فهي تتيح لأعضائها فرصة النظر إلى المجتمع بطريقة مختلفة.

قد يكون توليدو معجباً برابطة الصقور، أما بالنسبة إليّ فإن هذه الرابطة تمثل قمة التناقض في المجتمع البرازيلي. فالبرازيليون شعب مرح وخلاق وودود جداً، ورغم ذلك فإن نسبة العنف والجريمة تتزايد باستمرار بسبب المشاكل الاجتماعية التي تعانيها البلاد، وكذلك الصقور فهم يمثلون الوجهين، قمة في الجمال والحماس والإبداع يرافقه العنف والتسلط عند الحاجة.

تصاعدت المواجهات العنيفة في الملاعب بين أعضاء روابط

المشجعين خلال الثمانينيات والتسعينيات حتى أصبحت مشكلة عامة، أما القشة التي قصمت ظهر البعير فقد كانت أحداث أغسطس 1995، عندما اندلعت أحداث شغب وعنف في ملعب باكامبو في ساو باولو خلال مباراة بين فريق ساو باولو للناشئين وفريق بالميرا، أسفرت عن سقوط مئات الجرحى ووفاة أحد مشجعي نادي ساو باولو. قررت السلطات معاقبة روابط المشجعين بعد ذلك بحرمانهم من حضور المباريات في ذلك الملعب، وسمحت بحضور المشجعين من غير أعضاء الروابط شريطة ألا يرتدوا أو يحملوا ما يدل على انتمائهم لأي روابط تشجيعية، كما تم إغلاق مكاتب الروابط التي كانت متورطة في أعمال الشغب بأمر من المدعي العام فرناند كابيز في ساو باولو.

كان لا بد لي من مقابلة هذا الرجل الذي تجرأ على إغلاق روابط المشجعين بسبب العنف الذي تسببه في الملاعب، ومما آثار فضولي أكثر أنه الآن يوجه اهتمامه نحو رابطة الصقور بعد تزايد أعمال الشغب التي تقوم بها. يقع مكتب كابيز في مقر الشرطة الرئيس في ساو باولو في إفينيدا بوليستا، وعندما أصل إلى مكتبه أجده شاباً في السادسة والثلاثين، طويل القامة ويتحدث بسرعة وبصوت مرتفع ليخبرني عن صراعه مع رابطة الصقور، فهم يتحدون القانون كل يوم، يغلقون الطرق، ويقتحمون المباني، ويكسرون الأبواب، ويتعرضون للأشخاص. «لقد بدأ صبري ينفد، إنهم يتحدونني، لقد استدعيت مسؤوليهم هنا وتحدثت معهم فأنا لا أريد أن أغلق رابطتهم، ولكن لا فائدة». ويتابع كابيز «لقد كادوا أن يتسببوا في كارثة عندما تعرضوا

للاعبي كورينثيانس في حادثة الباص، ولا بد أن نتصرف، إنهم يعتقدون أنهم فوق القانون بسبب شعبيتهم واشتراك فريق السامبا الخاص بهم في المهرجان».

يتوعد كابيز أنه سيأمر بإغلاق مقرهم ومصادرة كل ممتلكاتهم وقطع التمويل عنهم، وإذا أرادوا العودة بعد ذلك فعليهم أن يغيروا اسم الرابطة وشعارها، ولكن كابيز يعلم أن أمر إغلاق الرابطة لن يكون سهلاً، وقد يتعرض لضغوطات كثيرة، كما أن السلطة التنفيذية لديه وهي رجال الشرطة غير مدربة ولا مجهزة للقيام بمثل هذا العمل الصعب، وعلى الرغم من ذلك فهو يبدو مصمماً على أن يتم ما بدأه للقضاء على ظاهرة العنف في رياضة كرة القدم.

وهنا يخطر ببالي سؤال طريف لهذا المدعي العام المتحمس، فأسأله إن كان هو ذاته من مشجعي أحد النوادي الرياضية، فيهز رأسه بأسف ويقول طبعاً، أنا مثل كل البرازيليين أعشق كرة القدم وأشجع ناديّ المفضل منذ زمن بعيد، إنه نادي كورينثيانس! أتظنني سعيداً لأنني أريد إغلاق رابطة الصقور؟ لا، ولكن يجب تنفيذ القانون وحماية الجماهير، وإلا وصلنا إلى نقطة سنأسف عليها جميعاً.

الفصل السابع
ملعب توني الكبير

تشتهر المناطق الشمالية الشرقية في البرازيل بمساحاتها الواسعة المغطاة بالرمال، حيث الشمس الساطعة طوال العام والجفاف سمة هذه الأرض، ولكنها تتميز بتراث عريق أيضاً في مجال الشعر الغنائي الارتجالي، وعندما وصلت إلى بلدة بريخينو صادفت على مشارف البلدة رجلين من أولئك الشعراء المتجولين (تروبادور) يحمل كلّ منهما غيتاره، فطلبت منهما أن يغنيا لي قصيدة في وصف الملعب المحلي في البلدة فوافقا فوراً، وبدأ أحدهما يدندن على غيتاره الأبيات التالية:

نحن من بلدة صغيرة وبعيدة
ومع ذلك فهي بلدة سعيدة
لأن فيها ملعب توني الكبير

وهنا يتدخل زميله بنقرات خفيفة على أوتاره صادحاً:

ملعب توني الكبير فيه كل ما تريد
يسطع بأنواره الخاطفة، يراه القريب والبعيد
هو فخر هذه البلدة، أقول ذلك بكل تأكيد

تبعد بريخينو مسافة 300 ميل عن الشاطئ، لذلك فهي قليلة المطر، وعندما تشح الأمطار لفترات طويلة يجوع الناس وتموت الحيوانات كما حدث عام 1993، إذ جفت الأرض ولم ينبت محصول الذرة، وبقيت حبوب الفاصولياء تحت الأرض، فاضطر الناس لأكل نباتات الصبار

التي تنبت حول المدينة التي تكافح من أجل البقاء دائماً، واضطر عمدة المدينة إلى طلب المساعدات من عاصمة الولاية حتى لا تحدث مجاعة في المدينة، وفعلاً تم شحن العشرات من أكياس الذرة والقمح؛ لتوزيعها على الأهلي ليستطيعوا تجاوز محنتهم في ذلك العام. لكن الغريب في الأمر أن العمل في بناء ملعب توني الكبير بدأ في عام 1993 ذاته، وقد كان أضخم مشروع عرفته المدينة في تاريخها، وقد سمي بهذا الاسم تيمناً بالدكتور الراحل أنتونيو زوج ابنة عمدة المدينة.

يبلغ عدد سكان هذه البلدة الصغيرة زهاء 3,000 نسمة، وهناك 4,000 آخرون يعيشون في المناطق الريفية المجاورة، غير أن ملعب توني الكبير أُعد ليستوعب 10,000 شخص، وفي ذلك يقول خوا بدرو عمدة المدينة الذي جاهد لتأسيس هذا الملعب، إنه كان يفكر في مستقبل البلدة وليس في حاضرها فقط، فلا بد أن تتوسع ويتزايد عدد سكانها، ولذلك فلا بد للملعب أن يكون مجهزاً لاستقبال تلك الأعداد المستقبلية من المتفرجين. لقد كان هذا الإنجاز قمة أعمال العمدة في المجال العام، إذ لطالما أراد سكان البلدة ملعباً كبيراً أسوةً بكل المدن والبلدات المحيطة بهم، ويتذكر العمدة يوم الافتتاح بكل فخر واعتزاز، فقد حضر المسؤول السياسي في الولاية ورافقه رئيس شركة الكهرباء في ريسيف عاصمة الولاية، وعدد آخر من المسؤولين وأعجبوا جميعاً بهذا الإنجاز الضخم.

وكان لا بد لي أن أزور الملعب بنفسي للإطلاع على هذا الإنجاز، الذي يتحدث عنه الجميع، وعندما وصلت هناك أُخذت بضخامته ولونه الأبيض الذي جعله مميزاً وسط هذه الصحراء الجافة. يحتوي

الملعب على أربعة مداخل لقطع التذاكر ودخول المتفرجين، وفيه ثلاثة أجنحة منفصلة لغرف الملابس، غرف للفريق المحلي وغرف للفريق الضيف وغرف للحكام، أما مساحة الملعب ذاته فهي تتناسب والمقاسات العالمية ومزروعة كلها بالعشب الأخضر، وربما يكون هذا الملعب المساحة الخضراء الوحيدة في البلدة، أما المدرجات فهي واسعة ومضاءة كاملة، كما يوجد مقصورة خاصة بكبار الزوار، ومقصورة أخرى مغلقة لاستضافة المعلقين الذين ينقلون أحداث المباراة.

لا بد أن أعترف أنني دهشت من جاهزية الملعب وضخامته، ومن وجوده في هذا المكان النائي، وجلست على المدرجات أراقب بعض الفتيان يركلون الكرة على أرضية الملعب وبجانبي خو فيلارم المسؤول عن شؤون الرياضة في البلدة الذي أخذ يحدثني عن الرياضة وكرة القدم المنتشرة في البلدة، وكم طال انتظار البلدة لمثل هذا الصرح الذي فرح به الجميع، إذ كان أهالي بريخينو يخجلون من عدم وجود ملعب ضخم في بلدتهم، فكل بلدة يجب أن تحظى بواحد، يقول فيلارم: «نحن في بلاد كرة القدم».

شجع الحاكم الديكتاتوري العسكري في البرازيل في فترة السبعينيات بناء الملاعب الضخمة في أرجاء البرازيل جميعها؛ لأنها جزء من هوية البلاد وفخرها القومي، ووفق كتاب غينيس للأرقام القياسية كان في البرازيل عام 1978 سبعة وعشرون ملعباً يتسع كلّ منها لـ45,000 شخص، وخمسة ملاعب ضخمة يستوعب كلٌّ منها أكثر من 100,000 شخص، وهذا يفوق أيّ ملاعب أخرى موجودة في العالم. إنها أرض كرة القدم،

وكما أن ريو تفخر بملعب الماراكانا وتعده أحد معالمها الرئيسية، فإن بريخينو تفاخر أيضاً بملعب توني الكبير فهو جزء من روح المدينة، وأهم معلم فيها.

يرحب سكان بلدة بريخينو بوجود هذا الملعب الكبير في بلدتهم الصغيرة، ولا يشتكون، مثلاً من عدم وجود سوق كبير في البلدة يعرضون فيه بضاعتهم ويبتاعون منه حاجياتهم اليومية مما قد يحسن مستواهم المعيشي في هذا المكان، وعلى العكس فهم يعتقدون أن عمدة البلدة قد اتخذ القرار الصحيح ببناء هذا الملعب الضخم في هذه البلدة الناشئة التي وُجدت عام 1963.

لا أحد في البلدة يرى أن الميزانية التي وُضعت لإنجاز هذا الملعب، كان يمكن أن تُسخّر لخدمة البلدة بطرائق أخرى، وأن بناء سور ضخم حول الملعب الذي يدخله الجميع مجاناً كان إهداراً للنقود، أما مقصورة المعلقين فلم تُستعمل إطلاقاً! لكن ذلك لا يبدو أنه يثير استياء أحد. فكل ما يريده سكان هذه البلدة هو أن يكون لديهم ملعب على أحدث طراز، يحتوي على كل التفاصيل الموجودة في الملاعب الأخرى في المدن الكبيرة، وهذا ما حققه لهم عمدتهم.

يبدو أن توفير الطعام والعمل لسكان البلدة لا يحقق وحده فوز المرشحين بالانتخابات في هذا المكان، فكان لا بد للعمدة من توظيف مشروع ملعب توني الكبير لمصلحته في دعمه ودعم زوج ابنته خوسيه فاندرلي في انتخابات البلديات عام 2000، التي فاز بها خوسيه من دون منازع.

يعيش خوسيه في منزل جديد وحديث على أعلى تلة في البلدة، لكنه على عكس العمدة يبدو مبتسماً دائماً وودوداً، وعندما أسأله حول أوليات التصرف بميزانية البلدة يقول لي: «يعتقد بعضهم أنه كان من الأفضل لو أن النقود استثمرت في بناء سوق محلي هنا، ولكن السياسي يجب أن يمتثل لما يريده الناس، فهم يريدون ملعباً ضخماً يفخرون به وهذا ما قدمه العمدة. صحيح أننا صرفنا 50,000 جنيه، ولكن المبلغ ذهب لبناء الملعب ولم يستعمله العمدة لأغراضه الخاصة».

كان في بلدة بريخينو فريقا كرة قدم عندما أُنشئ الملعب الكبير، فريق سبورت سنتر بريخينو يونايتد الذي يدعمه ويموله العمدة والبلدية، ولذلك فهو الفريق الرسمي للبلدة، أما منافسه فهو فريق جيوفانتس وقد سمي بذلك تيمناً باسم الفريق الإيطالي المعروف، ويديره اللاعب المنشق عن الفريق الرسمي للبلدة أرلندو فورمينغا. ويمتلك أرلندو النادي الليلي الوحيد في البلدة أيضاً، ويديره كاملاً فهو لا يمتلك موظفين، فيقوم بتحضير بعض التسجيلات الموسيقية ليلة السبت –وهو اليوم الوحيد الذي يفتح فيه النادي أبوابه للرواد– لتشغيل الموسيقى، ويخدم الزبائن بنفسه طوال الليل.

كان فريق جيوفانتس يحظى بشعبية كبيرة في وقت من الأوقات حتى أن رابطة تشكلت لتشجيعه، ولكن مع الأسف لم يحظَ هؤلاء المشجعون بمباراة حقيقية بين فريقي المدينة، إذ لم تُقم مباراة واحدة بين الفريقين في ملعب توني الكبير، وعندما أبدي دهشتي الشديدة من ذلك أمام أرلندو، يقول لي إنه لم يزر ذلك الملعب البتة، وكان يتمنى لو

تقام مباراة فعلية بين الفريقين على أرضه. كان أرلندو في السابق أحد لاعبي الفريق الرسمي في البلدة، ولكن خلافاً بينه وبين العمدة: الرئيس الفعلي للنادي، أطاح به خارج الفريق ومُنع بعد ذلك من اللعب ضمن الفريق، أو على أرض الملعب الكبير مما سبب لأرلندو غصة دائمة وجعله يسعى لتكوين فريقه الخاص، ولم يجد هذا الفريق الجديد إلا الأرض الخالية أمام ملعب توني لاستعمالها في التدريبات، وقد استمرت تلك الحال لعدة سنوات، حتى باع مالك الأرض أرضه واضطر الفريق إلى الخروج من ذلك المكان، فباع أرلندو عارضات المرمى الخشبية والأزياء الرياضية التي كان يرتديها اللاعبون بالإضافة للأحذية، ولم يبقَ غير شعار الفريق وعلم رابطة مشجعيه.

يبلغ أرلندو الآن الثانية والخمسين من عمره، وهو يعيش وحيداً في هذه البلدة، ولا يجرؤ على الاقتراب من الملعب الكبير الذي طُرد منه سابقاً، ويقول إنّه ملك للعمدة، وليس ملكاً لأبناء البلدة، وعمدة البلدة رجل متنفذ له أصدقاء في الحكومة الفيدرالية يدعمونه ويساعدونه في مقابل خدمات يؤديها لهم، أما آخر إنجازات العمدة الآن فهي بناء مجمع رياضي مغلق في البلدة، ربما لن يستعمله أحد، وحتى الآن لا يوجد سوق محلي في بريخينو.



إلى اليسار اللاعب أرلندو مع مشجعي فريق جيوفانتس.

الفصل الثامن

تنويعات برازيلية

يتتابع الشريط المصور أمامي؛ ليعرض إحدى مباريات (كرة السيارات)، حيث تتدافع السيارات خلف كرة مطاطية ضخمة الحجم تتقافز أمام السيارات حتى يصل بها أحد السائقين إلى المرمى، أمّا الحكم فهو الوحيد الذي يسير على قدميه في هذه المباراة الجنونية.

نحن هنا في منزل إيفان سانتانا الموجود في الطابق الحادي عشر في أحد أحياء ريو دي جنيرو الحديثة، تحيط به المجمعات التجارية والسكنية حتى تصل إلى حافة البحيرة حيث تظهر المساحات الخضراء من بعيد. ويجلس إلى جانبي ماريو بوكيش ويقوم بشرح تفاصيل المباراة التي تُستعمل فيها السيارات، وهنا أسأله بفضول عن سلامة الحكم في مثل هذه المباريات، فيخبرني أن سلامة الحكم مضمونة، فساحة الملعب صغيرة؛ لذلك لا يمكن للسيارات أن تسير بسرعة تشكل خطورة على الحكم الذي يتنقل بين السيارات على قدميه، ورغم ذلك فقد دهست إحدى السيارات حكماً في واحدة من المباريات، ولكن إصابته لم تكن خطرة.

ظهرت هذه اللعبة الغريبة في السبعينيات ويمتزج فيها اللهو الطفولي بضجيج المحركات ونزق الرجال، حيث تنقسم اللعبة إلى فريقين من السيارات يطاردون كرة كبيرة من جلد الجاموس المتين المطاطي، وتظل الكرة تقفز من مكان إلى مكان مثل بالون ثقيل، أما الحكم فيبدو هنا أقرب إلى شرطي المرور منه إلى حكم مباراة، ولكنه من حين لآخر يبرز

بطاقة صفراء في وجه إحدى السيارات المزمجرة.

يبلغ إيفان الستين من عمره، أما ماريو فهو في السابعة والخمسين، وكلاهما كان يشارك في مباريات كرة السيارات منذ زمن، وعندما تقاعدا حافظا على صداقتهما حتى الآن، على الرغم من أنهما يعملان في مجالات مختلفة. وأسألهما عن أسوأ حادث صادفاه في أثناء اللعب في ذلك الوقت فيجيب ماريو، إنه إصابة أحد المتفرجين، فقد كان قريباً جداً من الملعب حين فقد أحد السائقين السيطرة على السيارة وجثم بسيارته فوق صدر المتفرج المسكين الذي أصيب بعدة كسور، وقد تمت محاكمة السائق فيما بعد، فدهس شخص يُعد جريمة حتى لو حدث في مباراة رياضية.

يتدخل إيفان بحماس بالغ قائلاً: لقد كانت المباريات مثيرة جداً، سيارات تنقلب ونيران تشتعل، وعلى الرغم من ذلك فلم تكن هناك خطورة كبيرة على السائقين، لقد كنا مجهزين دائماً لمثل هذه الحوادث، وأقصى ما يمكن أن يتعرض له المرء هو كسر في الذراع أو الساق، لقد كانت رياضة مثيرة حقاً، ونظيفة من دون شك أيضاً.

لقد ظلت رياضة كرة السيارات الرياضة المفضلة لدى شباب النخبة لأكثر من خمس سنوات في ريو دي جنيرو، إذ كانوا يشترون السيارات القديمة ويجهزونها للمشاركة بها في المباريات، ولذلك فقد تبنت النوادي الخمسة الكبرى في ريو هذه الرياضة، وهي فلامنغو وفلومننسي وبوتافوغو وفاسكو وأمريكا، وأصبح لكل نادٍ فريقه الخاص الذي يمارس هذه اللعبة وينافس الآخرين للوصول للبطولة فيها،

ثم برز نجوم في اللعبة يعرفهم الجميع مثل: إيفان، الذي برع في خط الهجوم، وعُرف هدافاً لا يُشق له غبار، ولايزال المشجعون يذكرونه حتى اليوم، إذ قابله أحدهم مرة في سوق المدينة وطلب توقيعه بعد أن أخبره أنه كان أفضل لاعب كرة سيارات في ذلك الوقت.

ينبض إيفان بالحيوية والإثارة ويكاد لا يستقر في مكان واحد، وقد وجد في رياضة كرة السيارات إشباعاً حقيقياً لرغبته في المغامرة، وعندما مُنعت هذه الرياضة، توجه لرياضة الطائرات البهلوانية، وقد قاد طائرته في إحدى المرات فوق أحد القطارات الذي كان يسير ببطء على سكة الحديد، وأخذ يحثه على الإسراع لإيصال شحنة كان يحملها وكان إيفان بحاجة إليها.

لقد ظهرت كرة السيارات إلى الوجود كحل لمشكلة وجود كرة ضخمة تزن اثني عشر كيلوغراماً، أنتجها مصنع ساو باولو للكرات في إحدى المناسبات الوطنية للمنتخب الوطني البرازيلي لكرة القدم، وبقيت هذه الكرة في المصنع حتى عام 1970 عندما أعارها المصنع لأحد النوادي في محاولة من النادي لإيجاد نوع جديد من الرياضة وهي كرة الفروسية، ولكنها غير رياضة البولو التي يضرب بها اللاعبون الكرة من فوق أحصنتهم، إذ كان اللاعبون هذه المرة هي الخيول ذاتها، لكن المحاولة لم تنجح، فقد خافت الخيول من حجم الكرة وهيئتها، ولم يتقدم أي حصان نحوها، وفشلت المباراة الأولى فشلاً ذريعاً.

وقعت تلك الكرة العجيبة في النهاية بين يدي ماريو تورينو الطبيب الجراح المسؤول في نادي أمريكا لكرة القدم وعضو رابطة السائقين في

مدينة ريو أيضاً، وهكذا قرر ماريو أن يجمع بين شغفه بقيادة السيارات وحبه لكرة القدم في رياضة واحدة، فكان الأمر. ويعتقد ماريو أن رياضة كرة السيارات تخفف من توتر السائقين ولاسيما في مدينة مثل ريو، حيث الازدحام الجنوني على طرقاتها يساعد في زيادة توتر أعصاب السائقين، ومن الجدير ذكره، أن ماريو هو الجراح الذي أجرى العملية الجراحية لغارينشا اللاعب الشهير الذي كان يشكو من احتكاك في ركبتيه.



لاعبون في أحد فرق كرة السيارات يستعرضون مهاراتهم.

أقيمت أول مباراة لكرة السيارات في 19 سبتمبر عام 1970 بعد ثلاثة شهور من فوز البرازيل بكأس العالم في المكسيك، وخلال الاستراحة في مباراة بين فريقي فلامنغو ومداريرا دخلت الملعب عشر سيارات مكونة

فريقين أخذا يتقاذفان كرة ضخمة للوصول إلى مرمى الفريق المنافس، وقد دخلت هذه المباراة التاريخ من أوسع أبوابه عندما ضرب حارس مرمى فريق فلامنغو الكرة بسيارته ليبعدها عن هدفه، وعلى ما يبدو أن الضربة كانت قوية بما يكفي لتحمل الكرة مباشرة إلى مرمى الفريق المنافس ويتم تسديد هدف في الشوط الثاني من المقابلة، وقد كانت تلك المرة الأولى والأخيرة التي يسدد فيها حارس مرمى برازيلي هدفاً من دون أن يغادر مرماه.

أخذت اللعبة تتطور بعد ذلك، ووُضعت لها قوانينها الخاصة التي تتمحور حول كرة القدم المعروفة مع بعض التعديلات التي تناسب استعمال السيارات بدل الأرجل، فبالنسبة إلى عدد السيارات المشاركة كان ذلك يعتمد على حجم الملعب، فيمكن أن تشارك ثلاث أو أربع أو حتى ست سيارات في كل فريق، أما نوعية السيارات المشاركة فقد كانت تتراوح بين الفورد والشيفروليه والرينو والفولكس فاجن، لكنها كانت جميعاً سيارات قديمة. لم يُسمح لحارس المرمى باستعمال جوانب السيارة في صد الكرة، كما ألغيت الرميات من جانب الملعب وزواياه من قانون اللعبة، وتم رفع العوارض الخشبية للمرمى لمسافة أعلى.

أخذت اللعبة تتطور وفقاً للحاجة، وفي عام 1971 سمح للفرق بدهن السيارات بألوان الفريق الذي تتبعه، وبعد ذلك نظمت بطولة دورية لكرة السيارات. بدأت المباريات بين فرق فلومننسي وفاسكو وفلامنغو وأمريكا وبعد ستة أشهر انسحب فريق أمريكا؛ ليحل محله فريق بوتافوغو، وأدخلت بعض التعديلات على السيارات لتناسب

المباريات، إذ تم تركيب عمود داعم من أرضية السيارة حتى سقفها؛ حتى لا ينبعج سقف السيارة على من فيها إذا انقلبت، وكان الميكانيكيون على أهبة الاستعداد دائماً لأي طارئ خلال المباراة؛ ليتدخلوا بمطارقهم ومفكاتهم، إذا كانت هناك فرصة لإصلاح العطل، وإلا يتم استبدال السيارة بغيرها لتستمر المباراة.

تتطلب رياضة كرة السيارات مهارة وجرأة بالإضافة للكثير من التمويل، كما يقول إيفان الذي كان يمول هوايته من جيبه الخاص في ذلك الوقت. وكان الأمر يتطلب تغيير السيارات باستمرار، وشراء سيارات جديدة قبل كل مباراة تقريباً، فقد كانت اللعبة تستهلك جسم السيارة ومحركها.

لقد أشبعت هذه الرياضة حب البرازيليين وشغفهم بلعبة كرة القدم وسباق السيارات أيضاً، وفي فترة السبعينيات كان البرازيليون يبرعون في كليهما، فبالإضافة لفوز المنتخب الوطني البرازيلي لكرة القدم بكأس العالم 1970، كان فريق السائقين في بطولة الفورميلا 1 يحصد المراكز الأولى أيضاً، ولذلك أخذت هذه اللعبة تنتشر وتتطور، فقد تحسن أداء السائقين في المباريات وأضافوا حيلاً جديدة لركل الكرة بمقدمة السيارة أو زجاجها الأمامي، كما تحسنت نوعية السيارات المستعملة بعد التعديلات التي أُضيفت إليها، ولكن بقيت مشكلة واحدة برزت قبل كل مباراة ألا وهي إيجادِ ملعب مناسب يستضيف المباراة، حيث إن هذه المباريات كانت تُدمّر أرضية الملعب المعشبة، لذلك سمح نادي فلومننسي لمحبي هذه الرياضة بإقامة مبارياتهم على

أرض ملعبه لارانخاريس في الفترات التي تفصل بين البطولات، وكان جمهور هذه المباريات يتراوح بين 4,000 و15,000 متفرج يحضرون لمتابعة هذه الرياضة، التي اقتصرت على النخبة في ريو تماماً مثلما كانت كرة القدم في بداياتها، لكن كرة القدم انتشرت فيما بعد لتصبح الرياضة الأولى والمتنفس الأهم للعامة من البرازيليين، بينما بقيت رياضة كرة السيارات محصورة في فئة قليلة تملك المال والوقت لممارستها، ورغم ذلك فقد لمعت أسماء مهمة في سماء هذه الرياضة مثل: والتر لاسيت، وهو الآن أحد المدراء التنفيذيين في القناة الثانية SBT في التلفزيون البرازيلي، وهناك رونالدو سيزار كويلو أيضاً، وهو أحد مؤسسي الحزب الديمقراطي الاجتماعي البرازيلي وتم انتخابه عضواً في مجلس الشعب ثلاث مرات.

أما إيفان سانتانا فهو شخصية منفردة، فبعد أن قضى سبعة وثلاثين عاماً يعمل في السوق المالي بالإضافة لهوايته في قيادة السيارات، اتجه إلى كتابة القصص حول مغامراته الكثيرة التي خاضها في الفترة ما بين عامي 1970 و1977، ولقد أنفق معظم نقوده على تنقلاته لحضور المباريات الرياضية المختلفة داخل البرازيل وخارجها، ولم يترك مباراة لعبها فريق فلومننسي إلا وحضرها، فمن بوتسوانا وملاوى وتنزانيا وصولاً إلى سراييفو، لقد رافق إيفان فريقه المفضل إلى كل مكان، وكان يقيم في الفندق ذاته الذي يقيم فيه الفريق حتى أصبح كأنه أحد أعضائه فعلاً، وظل يفعل ذلك حتى نفدت نقوده عام 1977 ولم يعد يستطيع الإنفاق على رحلاته.

لقد عكست الفترة التي ظهرت فيها رياضة كرة السيارات الفورة الاقتصادية التي عاشتها البرازيل وريو دي جنيرو تحديداً ما بين عامي 1969 و1973، حيث كانت البلاد تعيش أوج الحكم العسكري الذي كان يقترض من البنك الدولي من أجل تحقيق مشاريع ضخمة مثل الطريق السريع عبر الأمازون الذي فتح للمرة الأولى مناطق كانت مجهولة في غابات الأمازون، وجعلها عرضة للأطماع الاستعمارية. كان الاقتصاد يبدو قوياً وتدفقت السيولة إلى البلاد، غير أن ذلك كان وهماً فحسب، أدى إلى تراكم الديون على البرازيل، وأخذ بعد ذلك نجم ريو دي جنيرو بالأفول شيئاً فشيئاً حتى انتقلت القوة الاقتصادية بعد ذلك كاملة إلى ساو باولو، حيث انتقلت البنوك والشركات الكبرى إلى غير رجعة، حتى اضطر أخيراً السوق المالي في ريو لإقفال أبوابه عام 2000. لقد انتهت رياضة كرة السيارات بعد سنوات قليلة من بدايتها، ولا يعود ذلك لخطورتها أو لقلة محترفيها، وإنما مُنعت بقرار من الحكومة بإيقاف أنواع الرياضة جميعها المتعلقة بالسيارات؛ إثر أزمة المحروقات العالمية عام 1974، ولو لم يصدر هذا القرار لكانت هذه الرياضة بقيت، بل انتشرت حول العالم وفق رأي إيفان.

هناك شكل آخر من أشكال كرة القدم ظهر في البرازيل وانتشر وبقي حتى اليوم، إنه كرة الأزرار، وهي عبارة عن مجموعة من الأزرار الملونة تنقسم إلى نصفين في كل نصف أحد عشر زراً تمثل فريق كرة القدم، وتلعب بأصابع اليد فوق سطح أملس يأخذ شكل ملعب كرة القدم وفي نهاية كل طرف من أطراف السطح يوجد مرمى صغير تسدد إليه

الكرة التي تتحكم في مسارها الأزرار التي يحركها لاعبان يمثل كلّ منهما فريقه.

يدير مارسيلو كويتفو صالة صغيرة لممارسة هذه اللعبة في الطابق العلوي من أحد المجمعات التجارية الضخمة في شمال ريو دي جنيرو، حيث تنقسم الصالة الى عدة طاولات ملساء خضراء اللون، يبلغ حجم الواحدة منها نصف حجم طاولة التنس تقريباً، تحددها خطوط بيضاء تمثل الملعب وعليها مجموعة أزرار اللعب.

تتيح هذه اللعبة الفرصة لمحبي كرة القدم ممارستها في منازلهم وقتما يشاؤون، من دون الحاجة للبحث عن ملعب كبير وفريق يشاركهم اللعب، وصالة مارسيلو هذه هي الصالة الوحيدة في ريو المخصصة كاملة لممارسة هذه اللعبة، حيث يؤمها الكثير من الهواة محبي اللعبة. يحتفظ مارسيلو بفريقه من الأزرار في علبة خشبية خاصة يسميها غرفة التبديل، كما يحرص دائماً على وجود حقيبة خاصة للمعدات اللازمة لصيانة الأزرار، مثل: أدوات التلميع، والشمع المخصص لدهن الأزرار حتى تنساب بسهولة، وغيرها من الأدوات الضرورية، ويطلق مارسيلو أسماء لاعبين مشهورين على أزراره، فهذا بيليه وذاك زيكو والآخر بيكنباور وغيرهم، وأحياناً يحلو له أن يطلق أسماء زعماء يحبهم مثل كاسترو أو جيفارا أو زاباتا على الأزرار التي يتفاءل بها، ويقول: إنها تفوز دائماً، وطبعاً هذه الأزرار لا تفوز بإرادتها، لكنها أصابع مارسيلو التي تتحكم بسير المباراة، ورغم ذلك فالتأثير النفسي مهم في هذه الأمور، كما يقول مارسيلو.

ظهرت قوانين لعبة كرة الأزرار للمرة الأولى عام 1930، عندما نشر جيرالدو ديكورت كتيباً يضم القوانين التي تنظم هذه اللعبة، وأسماها كرة القدم سيلوتكس؛ لأن السطح الخشبي الذي تدور فوقه كانت تستورده شركة سيلوتكس من شيكاغو، ولكن الأزرار ذاتها كان يصنعها حرفيون متخصصون بأيديهم من أمثال أدريانو مرتينو الذي يبلغ من العمر أربعة وأربعين عاماً، ويقضي ثماني ساعات يومياً في منزله يصنع هذه الأزرار من البلاستيك، بالإضافة لمواد أخرى مثل: قشور جوز الهند، وقد تتحول بعض هذه الأزرار في النهاية إلى قطع فنية حفرت وزخرفت بعناية واهتمام.

تتغير قوانين اللعبة من مكان إلى آخر في البرازيل، على الرغم من وجود إطار عام يستند إليه الجميع، ففي باهيا يُستعمل قرص صغير جداً بدلاً من الكرة، ويُسمح بضربة واحدة فقط في كل مرة، أما قوانين ريو فتسمح بثلاث ضربات في كل مرة، بينما تتيح قوانين بوليستا اثنتي عشرة ضربة للاّعب في كل مرة، ولكن الطاولة المستعملة أصغر حجماً، وتعلق مجلة بلاسار الرياضية على هذه الاختلافات في إحدى مقالاتها بقولها: «لا يوجد قانون أفضل من الآخر، ولكنها خيارات وأذواق مختلفة»، وبعد عدة سنوات من انتشار اللعبة بقوانينها المختلفة، تكوّن وفد من ممارسي هذه اللعبة وقرر الذهاب إلى برازيليا للضغط على المجلس الوطني للرياضة؛ للاعتراف بها رياضةً يشرف عليها المجلس، ففي عام 1988 أصدر المجلس الوطني للرياضة قراراً ينص على أن لعبة «كرة قدم الطاولة» هي أحد أنواع الرياضة المعترف بها؛ نظراً لكثرة

عدد ممارسيها ووجود بطولة تنافسية تقام سنوياً بين الفرق المختلفة التي تمارسها، وقد اتضح أن اللاعب يمشي حوالي 3,5 كيلومتر خلال كل مباراة، أي أنه يمارس جهداً بدنياً وهو أحد متطلبات الرياضة عموماً، لذلك وجب إنشاء اتحاد رياضي خاص بها، يترأسه بالتناوب أحد الفرق المشتركة في اللعبة.

يخشى الكثيرون على كرة الأزرار من الانقراض الآن بعد انتشار ألعاب الفيديو والحاسوب التي تحاكي الواقع، وتضع اللاعب على أرض شبه حقيقية مع لاعبين آخرين يرتدون الزي الرسمي للفريق الذي يمثله، ولذلك فهي تقدم متعة أكبر وأجواء مختلفة، ورغم ذلك فإن لعبة كرة الأزرار لاتزال تحتفظ بمحبيها، وماتزال بعض النوادي تحتفظ بقسم خاص لديها لهذه اللعبة، مثل: نادي كورينثيانس في ساو باولو، الذي يرتدي لاعبوه زي النادي الخاص في أثناء المقابلات التي تجري في لعبة كرة الأزرار، كما تُلون الأقراص الخاصة باللعبة بألوان النادي أيضاً، ويعدها بعض البرازيليين جزءاً من التراث القومي مثل السامبا وكرة القدم.

لا يتوقف الأمر عند كرة الأزرار، فحيثما يجد البرازيليون مسطحاً فارغاً يستعملونه لاختراع لعبة جديدة تتعلق بكرة القدم، ومع صعوبة إنشاء الملاعب الكبيرة المعشبة والمحافظة عليها في هذا البلد النامي، وما يتضمنه ذلك من تكاليف فإن تزايد عدد الألعاب التي تتعلق بكرة القدم يبدو منطقياً جداً. فقد اخترع البرازيليون كرة المسامير، حيث يضرب اللاعب قطعة معدنية تخترق صفوف أحد عشر مسماراً مزروعة على

لوح خشبي، أما كرة الإيكو فهي لعبة وُجدت في غابات الأمازون، حيث يضرب اللاعب كرة على أرض مزروعة بالأشجار، وإذا صدمت كرته جذع إحدى الأشجار فإنه يخرج من الملعب وهكذا.

وهناك طبعاً لعبة كرة الفتسال (كرة القدم الخماسية)، وهي لعبة تتمتع بشعبية كبيرة ربما تساوي أو تفوق شعبية لعبة كرة القدم، يلعب فيها فريقان يتكون كل منهما من خمسة لاعبين فقط في ملعب مغلق



يشبه ملعب كرة السلة، ومدة المباراة شوطان يستمر كلّ منهما عشرين دقيقة، وتعتمد هذه اللعبة على التمريرات السريعة والقصيرة نظراً لصغر حجم الملعب، لذلك فإن اللاعب يضطر لتطوير مهاراته في هذا المجال، وقد أنجبت هذه اللعبة لاعبين مميزين في كرة القدم العادية مثل ريفيلينو وزيكو.

لقد بدأت هذه اللعبة في الأورغواي على يد جان كارلوس كريناي في مونتيفيديو في الثلاثينيات، ولكن البرازيليين أخذوا الفكرة إلى ساو باولو وحولوها إلى رياضة حقيقية وغيروا في حجم الكرة ووزنها حتى تتناسب مع حجم الملعب وعدد اللاعبين، وتأسس فيها بعد ذلك أول اتحاد لكرة القدم الخماسية في ريو عام 1954، وفي بداية اللعبة كانت المباريات تدور بصمت تام، إذ كان يحظر على اللاعبين والجماهير الكلام، وإذا صدر أي صوت في الملعب يحتسب ذلك خطأ على الفريق الذي أصدر الصوت، ومن قوانينها الغريبة أيضاً عدم السماح للاعب بلعب الكرة إذا لامست يده الأرض، مما يعني أن اللاعب لا يستطيع الاستناد على يديه إذا وقع أرضاً، أو تعثر حتى لا يفقد حقه في ركل الكرة، ولذلك كان اللاعبون يحاولون الوقوع على ظهورهم أو أكتافهم أو حتى رؤوسهم، وقد ساهم ذلك في زيادة خطورة اللعبة بسبب الإصابات الكثيرة التي تعرض لها اللاعبون، مما اضطر الاتحاد لتعديل كل هذه القوانين عام 1959.

وقد انضمت اللعبة عام 1989 لاتحاد الفيفا لتنتشر حول العالم، وتلقى شعبية كبيرة حتى أن 160 دولة تقدمت بطلب للاشتراك في بطولة العالم للكرة الخماسية عام 2000، أما البرازيل فتمتلك فريقها الوطني للمحترفين منذ عام 1996 الذي يتميز بعدد من اللاعبين المهمين، الذين تصل أجورهم إلى مئات الآلاف من الجنيهات أسوةً بزملائهم المحترفين في نوادي كرة القدم العادية، وطبعاً فإن البرازيل تسيطر على بطولات العالم في هذه اللعبة، فقد فازت بخمس وثلاثين بطولة من بين ثمان

وثلاثين بطولة دولية.

تتربع ولاية سيارا وعاصمتها فورثاليزا على عرش كرة القدم الخماسية في البرازيل وتقع هذه الولاية في الجزء الشمالي الغربي من البرازيل، وتشتهر بشواطئها البكر وتاريخها الكاثوليكي العريق، ورغم ذلك فهي الولاية الوحيدة التي لا تمتلك إلا فريقين لكرة القدم[العادية] من فرق الدرجة الأولى، وربما يكون هذا السبب بخاصة هو ما دفع هذه الولاية إلى تكريس كل جهودها وطاقاتها باتجاه كرة القدم الخماسية بالدرجة الأولى، حيث أحرزت أكبر عدد من البطولات في بطولة كأس البرازيل التي تقام سنوياً في هذه اللعبة، ولا بد أن يضم أي فريق برازيلي كبير في كرة القدم الخماسية لاعباً من سيارا على الأقل.

إن كرة القدم الخماسية هي النسخة المصغرة لكرة القدم العادية لكنها تدور في ملعب مغلق، ولكن في ريو هناك نسخة أخرى من لعبة كرة القدم، هي كرة قدم النخبة التي يرجع تاريخ ظهورها إلى خمسينيات القرن العشرين مع ظهور الطبقة البورجوازية في ريو، ضمن هامش الحرية السياسية الذي كان سائداً آنذاك. فقد اخترع أعضاء المجتمع المخملي في ريو هذه اللعبة؛ لتمضية أوقات الفراغ، حيث كان بعضهم يمتلك أراضي شاسعة تؤهله لأن يقيم عليها ملعباً معشباً يحتاج إلى الكثير من المال للعناية به في أجواء ريو الحارة، ويقوم بدعوة أصدقائه للعب في هذا الملعب في أوقات فراغهم، بعيداً عن شوارع ريو الرملية التي يغزوها العامة من أفراد الشعب.

يمتلك باولينو فيجيريدو ملعباً خاصاً به، يمارس فيه كرة النخبة مع

أصدقائه متى شاؤوا وهو لا يكتفي بهذا الملعب الضخم الذي تبلغ مساحته زهاء نصف مساحة الملعب التقليدي لكرة القدم العادية، وإنما قد ألحق به مجمعاً صغيراً يضم الحمامات وغرف الملابس وغرفة للمساج ومسبحاً وغرفة لحمام البخار، وطبعاً تحتاج كل هذه المرافق بالإضافة للملعب إلى عدد ضخم من الموظفين الذين يقومون بالإشراف على جاهزية المجمع كله، وصيانته بصورة دورية؛ ليظل نظيفاً دائماً، وصالحاً للاستعمال عند الحاجة.

يبدو لي أن باولينو وملعبه خير مثال لشرح جذور كرة قدم النخبة، فوالد باولينو هو الجنرال خوسيه فيجيريدو الذي حكم البرازيل ما بين عامي 1979 و1985، وهو آخر حكام النظام العسكري في البرازيل، وقد بدأ باولينو هوايته في ممارسة كرة النخبة عام 1977 في ملعب أحد أصدقائه، وهو ليدو توليدو الطبيب الخاص للمنتخب الوطني البرازيلي، وبعد مرور سنوات قرر باولينو أن يقيم ملعبه الخاص على أطراف ريو قريباً من البحيرة، حيث الهدوء والسكينة واللون الأخضر الذي يغطي كل شيء.

إنه صباح السبت هنا، وقد بدأ باولينو وأصدقاؤه مقابلتهم مبكرين في الثامنة صباحاً لتفادي حرارة الشمس في أثناء النهار، وهم يلعبون بجدية وحماس كأنهم في مباراة حقيقية، وما إن تنتهي المباراة حتى يجتمعوا قرب الملعب؛ لتناول الطعام والشراب ويتخلل ذلك أحاديث مطولة حول كل شيء، وطبعاً لا بد أن ينجر الحديث إلى العمل، وقد تعقد بعض الصفقات الجانبية خلال اللقاء. وهذا ليس غريباً، فنادي

باولينو يضم نخبة من رجال الأعمال والسياسيين والمتنفذين الذين يجتمعون هنا أسبوعياً للترفيه عن أنفسهم في لقاء رياضي اجتماعي حميم، وبالإضافة إلى ذلك يمكنهم أيضاً مقابلة لاعبين محترفين في كرة القدم، مثل: برانكو وهو عضو في نادي باولينو منذ عام 1994 وجيرزينو اللاعب البارز في المنتخب الوطني البرازيلي الذي سجل كثيراً من الأهداف في بطولة كأس عام 1970.

التقيت باولينو أخيراً بعد أن غادر بعض أصدقائه النادي، فوجدته رجلاً لطيفاً ومضيافاً لا ينم مظهره عن عمره الحقيقي، ويبدو أصغر بكثير، فهو نحيل يحافظ على رشاقته كما يضفي عليه شعره الأسود اللامع مزيداً من الحيوية والشباب، وبالاضافة إلى ذلك فهو شخص لطيف المعشر يجيد إدارة الحديث بسلاسة، ولا عجب في ذلك فهو رجل المجتمعات من دون منازع، يلتف حوله كثير من الأصدقاء والمعارف الذين يستمتعون بصحبته، وبما يقدمه من خدمات.

لم تقتصر كرة قدم النخبة على ريو وحدها، وإنما ظهرت في ساو باولو أيضاً، في حدائق الأغنياء ومزارعهم، ولكنها اتخذت منحى مختلفاً في الثمانينيات، بعد تزايد أعداد سكان ساو باولو بصورة غير مسبوقة مما أدى إلى نقص حاد في مساحات الأراضي المتاحة، فكانت كرة قدم النخبة حلاً مثالياً لهذه المشكلة؛ لأنها تحتاج الى ملاعب أصغر حجماً، وعدد أقل من اللاعبين، فيمكن أن يلعبها سبعة لاعبين في كل جانب. كما عزز اختراع العشب الصناعي إمكانية انتشار هذه اللعبة بشكل أوسع حيث أصبحت في متناول الجميع من كل الفئات، وليست

مقتصرة على نخبة المجتمع، وهكذا تزايد عدد الملاعب التي تستضيف هذه اللعبة، ليفوق عدد ملاعب كرة القدم التقليدية في مدينة ساو باولو.

يمارس البرازيليون كرة القدم في كل مكان متاح، وقد رأيت ملعباً صغيراً لكرة القدم في وسط منطقة الأمازون، حيث كان جزءاً من الخدمات التي يقدمها فندق فخم هناك، جنباً إلى جنب مع برنامج رحلات لصيد أسماك البيرانا المتوحشة، وزيارة القبائل الهندية الأصلية التي تقطن المنطقة، وفي أماكن أخرى من الأمازون يمارس اللاعبون كرة القدم في المستنقعات، حيث تغطي المياه أرجل الرجال لتصل إلى الركبة أحياناً، أما العمال الذين يعملون على محطات استخراج النفط في عرض المحيط، فيرسمون ملعباً لكرة القدم ويحيطونه بسياج لممارسة هوايتهم المفضلة فوقه.

ليس هناك مثال أفضل على تطويع البرازيليين لبيئتهم في خدمة لعبتهم المفضلة كرة القدم من لعبة كرة قدم الشاطئ، إذ كانت شواطئ البرازيل كلها ولاسيما شواطئ مدينة ريو دي جنيرو ملعباً فسيحاً لمباريات كرة القدم في الخمسينيات والستينيات، وقد أفرزت هذه المباريات لاعبين مهمين انتقلوا فيما بعد إلى كرة القدم الحقيقية على أرض الملاعب الخضراء مثل باولو سيزار الذي لعب في صفوف نادي أوليميك مرسيليا بالإضافة لصفوف المنتخب الوطني البرازيلي. غير أن هذه اللعبة بدأت الآن بالانقراض نظراً لازدحام الشواطئ بالرواد، وتقلص المساحة المتاحة لاستيعاب أحد عشر لاعباً في كل فريق لتحل محلها لعبة كرة الشاطئ التي تقتصر على خمسة لاعبين في كل جانب

من الملعب، وتنقسم إلى ثلاثة أشواط يستمر كلّ منها مدة اثنتي عشرة دقيقة فقط، بالإضافة إلى الاستراحات، فتصل بذلك مدة المباراة إلى ساعة كاملة يتخللها عدد كبير من الأهداف، ولذلك فإن مباريات كرة الشاطئ توفر مشاهدة ممتعة للمتفرج، فلا عجب إذاً أن تقوم القناة الرسمية في التلفزيون البرازيلي جلوبو بتمويل هذه المباريات، ونقلها مباشرة من الشاطئ ضمن فقرات برامجها الرياضية بناءً على طلب المشاهدين الذين يتابعون بشغف مثل هذه المباريات، ويأمل القائمون على هذه الرياضة أن تنضم إلى قائمة الألعاب الأولمبية قريباً على غرار لعبة كرة الطائرة الشاطئية.

ومع انتشار هذه اللعبة، أخذت الحكومة تقيم ملاعب مخصصة لها من دون الحاجة إلى وجود شاطئ فعلي، فقد أنشأت ملاعب رملية في المناطق الداخلية من ولاية ريو حيث إن هذه اللعبة تناسب الأطفال الفقراء أكثر من كرة القدم العادية؛ لأنها لا تحتاج لامتلاك حذاء رياضي للعب، وإنما يمكنهم أن يلعبوا حفاة على الرمال، أما في ولاية الأمازون حيث لا شواطئ أو بحار، فإن أهالي المنطقة يمارسون كرة الشاطئ على ضفاف الأنهار، لوجود مساحات رملية واسعة.

لقد تسبب فيما بعد تزاحم الشواطئ وكثرة الملاعب فيها، في ظهور رياضة جديدة تتعلق بكرة القدم وهي كرة القدم الطائرة، وهي عبارة عن رياضة هجينة تجمع بين كرة القدم والكرة الطائرة يمكن ممارستها على ملعب للكرة الطائرة، وتستعمل فيها الأقدام والصدور والرؤوس بدون الأيدي لكنها تحتاج إلى مهارات كبيرة ولياقة بدنية عالية.

تبدو شواطئ ريو كأنها مختبر كبير للتجارب الثقافية في المدينة، فتعكس هذه الشواطئ أفكار الشباب وطموحاتهم، وأزياءهم كذلك، التي يبتكرونها من حين لآخر، والآن تكتسح كرة القدم الطائرة جزءاً كبيراً من هذه الشواطئ، يمارسها اللاعبون ببراعة ومرح بينما يتراكضون في الملعب الرملي حفاة شبه عراة إلا من ملابس السباحة، ومن الرواد في هذه اللعبة الفريدة لاعب كرة القدم البرازيلي ألمير الذي كان يلعب في فريق سانتوس، ثم انتقل فيما بعد إلى نادي فاسكون ثم فلامنغو وقد عرف بقوته البدنية وعنفه في التعامل مع الآخرين مما أدى في النهاية إلى مصرعه في أحد مقاهي كوباكابانا عام 1973 بعد أن أطلق مجهولون عليه الرصاص، وقد أقيمت مباراة في كرة القدم الطائرة في حفل تأبينه تخليداً لذكراه.

أمّا أبرز الأسماء في لعبة كرة القدم الطائرة فهو روماريو، وعندما انتقل من نادي برشلونه للعب مع فريق فلامنغو طلب من إدارة النادي أن تقيم له ملعبين رمليين للتدريب، أحدهما في مقر النادي والآخر في موقع التدريب، وانصاع النادي لطلبه، فهو يعشق كرة القدم الطائرة ويرى فيها مجالاً مهماً لتطوير تقنياته ومهاراته الفردية، وقد ظهر في أحد المسلسلات التلفزيونية وهو يقوم بدور لاعب في كرة القدم الطائرة. يقول كريلو رئيس اتحاد كرة القدم الطائرة في ريو: إن ممارسة روماريو لهذه اللعبة ساهم كثيراً في توسعها وانتشارها بين الشباب من الجنسين الذين وصل عددهم الآن إلى 5,000 شخص في ريو وحدها، ولذلك ازداد عدد الملاعب المخصصة لهذه اللعبة ليصبح تقريباً مساوياً

للملاعب المخصصة للعبة كرة الطائرة.

يبلغ شغف البرازيليين بهذه اللعبة حداً لا يوصف ولا يستثنى من ذلك أحد حتى المكفوفين، فيوجد في البرازيل ستة وخمسون فريقاً للمكفوفين الذين يمارسون كرة القدم الخماسية، يمثلون ولايات البرازيل كلها. ويتكوّن الفريق من خمسة لاعبين، أربعة منهم من المكفوفين بينما يكون حارس المرمى مبصراً، فيمكنه إعطاء توجيهات مفيدة للاعبين الأربعة داخل الملعب، الذين يستعيضون بإحساسهم بالكرة بين أقدامهم عن حاسة البصر التي فقدوها.

تتمتع البرازيل بأضخم عدد من قطعان الأبقار والثيران في العالم، وفي جنوب البرازيل حيث تربى هذه القطعان بكثرة، تجد كرة القدم سبيلها للترفيه عن أصحاب مزارع الأبقار، فتحتشد الجماهير أسبوعياً حول ملعب لكرة القدم، ينتظم فيه فريقان من خمسة لاعبين في كل جانب، ثم يطلق ثور شرس بين اللاعبين لإضافة الإثارة على اللعبة، وطبعاً فإن الثور لا يلاحق الكرة لكنه يلاحق اللاعبين المنتشرين في الملعب، ويفقد صوابه أحياناً فيبدأ في مطاردة الحكام على طرفي الملعب.

يقدّر البرازيليون بشدة المهارات الفردية في كرة القدم ربما أكثر من تقديرهم للعب الجماعي للفريق، وتتجسد هذه المهارات في أجمل صورها في محاولة ترقيص الكرة، إذ يمكن الاحتفاظ بالكرة في الهواء عدة ساعات من دون أن تلمس الأرض، بركلها بالرأس والأكتاف والقدمين. ظهرت براعة ميلاني دومنغوس في هذا المجال في سن السابعة عشرة حين استطاعت الاحتفاظ بالكرة في الهواء من دون أن

تلمس الأرض مدة تسع ساعات وست دقائق وقد كان رقماً قياسياً في ذلك الوقت، أما المشرف على تدريبها فقد كان موراس سانتانا الذي كان يعمل مدرباً للياقة في المنتخب البرازيلي عام 1994، وقد أصبحت ميلاني رمزاً قومياً في البرازيل بعد تحقيق رقمها القياسي الأول، وكانت صورها تغطي جدران النوادي الرياضية في تلك الفترة.

نشأت ميلاني في عائلة من الطبقة المتوسطة في ساو باولو وكانت تلعب كرة القدم مع أشقائها الذكور، ولكن بعد فوز البرازيل بكأس العالم عام 1994 وفرح البلاد بهذا الفوز، ظهر توجه نحو تفعيل كرة القدم لدى النساء فأنشئت عدة نواد مخصصة لكرة القدم النسائية، وانضمت ميلاني إلى أحد هذه النوادي وأخذت تمارس اللعبة بإخلاص وحماس كبيرين، وهناك بدأت تتشكل هوايتها في إبراز مهاراتها الفردية في ترقيص الكرة في الهواء لساعات، وبدأت تُدعى لإظهار هذه المهارة في النوادي والمناسبات الرسمية والاجتماعية مشكّلة بذلك ظاهرة خاصة شغلت المجتمع البرازيلي لفترة.

تزوجت ميلاني من لاعب كرة القدم بروديجي رونالدو عام 1999 ليشكلا ثنائياً مميزاً في لعبة كرة القدم، ويلعبا سوياً في المباريات الودية أحياناً، ولكن الحياة الزوجية أخذت ميلاني بعيداً عن هواية ترقيص الكرة، لتظهر بعدها فتيات كثيرات في هذا الميدان، مثل: كلوديا ماجلاخيس التي نشأت في ساو باولو أيضاً، وبرزت مواهبها داخل نواديها وقد تعاقدت معها بعض النوادي لتقديم فقرتها في أثناء فترة الاستراحة بين الشوطين في المباريات المهمة خلال دوري كرة القدم،

وتقول كلوديا إنّ تطوير المهارات الفردية يناسب الفتيات أكثر من الفتيان؛ لأنه لا يتضمن الاحتكاك المباشر العنيف مع اللاعبين الآخرين ويتطلب تركيزاً عالياً تجده طبيعياً لدى الفتيات. ولا تقتصر المهارات الفردية على الفتيات فقط، وإنما هناك رجال موهوبون في هذا المجال مثل: لامنتس زاغوينا الذي يقول: «أنا لست فتاة جميلة، بل إنني عجوز فقير أبلغ التاسعة والأربعين، لكنني أمتلك هذه المهارات وأطورها؛ لتصبح فنّاً خاصاً بي». وفعلاً لقد طور زاغوينا ثلاثاً وعشرين حركة، لترقيص الكرة وسجلها تحت أسماء لاعبين مشهورين في كرة القدم، فهذه حركة باستعمال أطراف أصابع القدم يسميها حركة روماريو، وأخرى تنفذ بباطن القدم يدعوها حركة مارسيليونو، أما آخر اختراعاته فهي حركة تقوم على ركل الكرة إلى الخلف ثم التقاطها وركلها بكعب القدم، يدعوها التحدي العالمي.

إن زاغوينا ليس الاسم الحقيقي فهو يدعى مانويل دي سيلفا، وهو الاسم الأكثر شيوعاً في اللغة البرتغالية، يحمله معظم الفقراء والمهمشين في هذه البلاد الشاسعة، وقد كان ذلك حال زاغوينا قبل أن يحالفه الحظ، إذ توفي والده وهو في الثالثة عشرة، واضطر بعد ذلك للعمل في الحقول والمزارع المجاورة لكسب عيشه، لكنه في الوقت ذاته كان يطور هوايته التي يحب، وهي ركل الكرة وترقيصها مستعملاً في ذلك حبات البصل أو الأناناس، حتى استطاع تطوير بعض الحركات الخاصة به وصولاً الى عام 1994 عندما استمع مصادفة إلى أحد البرامج التلفزيونية الحوارية التي تحث الشباب على تحقيق أحلامهم، فما كان منه إلا أن

حزم أمتعته وتوجه إلى ساو باولو التي تبعد 450 ميلاً عن بلدته، وذهب فوراً إلى الساحة الرئيسية في المدينة، حيث كانت تجتمع الجماهير التي تتابع مباريات العالم التي كانت تدور في الولايات المتحدة، وقد كان هناك العديد من الصحفيين والمراسلين الذين يرصدون ردود أفعال الجماهير البرازيلية، وهناك في وسط الساحة أخذ يعرض مهاراته المميزة فالتفت حوله الحشود ونقلت كاميرات المصورين صورته على شاشات التلفاز، وهو يرقّص الكرة بمهارة غير مسبوقة، ومنذ ذلك اليوم تغيرت حياته وبدأ يكسب رزقه من عرض مهاراته في المناسبات المختلفة.

يعيش زاغوينا الآن في ساو باولو، وهو أرمل وجدّ لأربعة أحفاد وتموله شركات دال بونتي الرياضية، حيث يرتدي ملابسها الرياضية في عروضه وينتعل أحذيتها ويستعمل الكرات التي تنتجها، وهو دائم المثابرة على تطوير حركات جديدة في مهارات ترقيص الكرة ويعرض مهاراته في المناسبات والأماكن كلها بما فيها الكرنفال السنوي.

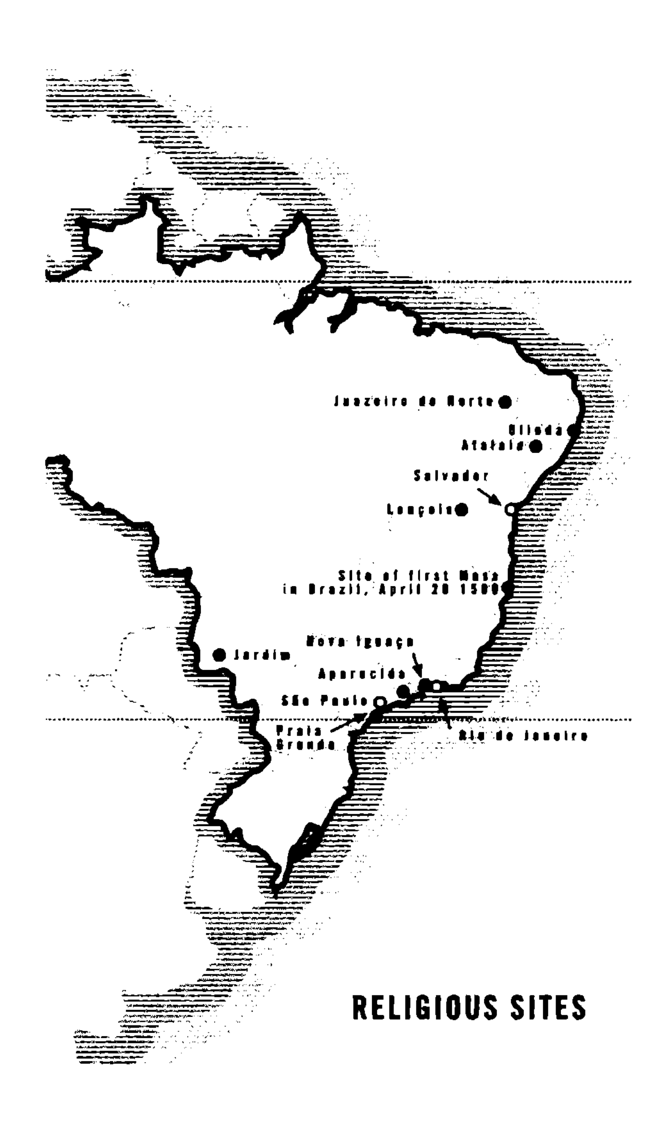
وهناك شخص واحد في ريو لا يعجبه زاغوينا ويعدّه صغيراً جداً! إنه خانكل شور الذي يبلغ الرابعة والسبعين من عمره ويكبر زاغوينا بحوالي ربع قرن، ولكنه يمارس الهواية ذاتها، ترقيص الكرة. يعتقد خانكل أنه أكبر اللاعبين عمراً في العالم وقد حصل مؤخراً على دعوة مجانية من ملعب الماراكانا لحضور المباريات جميعها التي تقام في الملعب من دون مقابل بوصفه الرياضي الأقدم في البرازيل.

ينحدر خانكل من عائلة يهودية قدمت من روسيا إلى ريو دي جنيرو عام 1933، وكان خانكل بارعاً في كرة القدم منذ نعومة أظفاره، لكنّ

والده المحافظ منعه من احتراف هذه الرياضة ليساعده في عمله، ويبدو أن خانكل يندم حتى الآن على تفويت فرصة الاحتراف مما دفعه فيما بعد إلى اللعب في نوادي الجالية اليهودية في ريو، لكنه مع التقدم في العمر تقاعد من الملاعب وتفرغ لتنمية موهبته في ترقيص الكرة حتى رآه يوريكو ميراندا نائب رئيس نادي فاسكو، فطلب منه أن يقدم فقرته في ملعب ساوجينيريو حيث يدخل الملعب في كل مباراة حاملاً الكرة على رأسه من دون أن يفقد توازنه، فهو لا يفتقد المهارة اللازمة، بل إنه يستطيع أن يبقي الكرة في الهواء أكثر من ساعة، لكنه يود لو أنه يمتلك الوقت الكافي للتدريب حتى يستطيع أن يتطور أكثر، ويحسن لياقته البدنية التي بدأت تتراجع مع العمر.

وهناك العديد من محترفي المهارات الفردية في البرازيل، ولكنّ أغربهم على الإطلاق هو الرجل ذو العكاز، الذي تنتهي إحدى قدميه عند الركبة وهو يستعمل الفخذ والركبة في ترقيص الكرة لإبقائها في الهواء، وقد ظهر هذا الرجل الذي يدخل الملعب على عكازه في أوقات الاستراحة، ثم يبدأ بترقيص الكرة بمهارة يحسد عليها، من دون أن يعرف أحد اسمه، أو عنوانه وقد حاولت غير مرة أن ألحق به لأتعرف عليه وباءت محاولاتي كلها بالفشل، حتى استطعت عام 2001 أن ألحق به وهو يغادر ملعب الماراكانا وسألته عن قصته، فأجابني إنَّ اسمه فرناندو سوسا، وإنه في الثامنة والثلاثين وقد ولد في بيرنا ممبوكو، وقد فقد ساقه بعد أن تعرض لحادث سيارة عام 1984 وكان وقتها لاعباً محترفاً في نادي أمريكا في ريو، ولكنه الآن مشرد لا منزل لديه، ويتنقل من

ملعب إلى ملعب لعرض مهاراته حتى يكسب عيشه، ولكنه بدا حذراً بل وخائفاً من مقابلة الصحفيين، وأخذ يختصر في الحديث ليختفي من جديد خارجاً من ملعب الماراكانا من دون أن أتمكن من طرح مزيد من الأسئلة على هذا اللاعب القديم البائس الذي لم تمنعه حتى الإعاقة من مزاولة هوايته التي يحب: كرة القدم.



خريطة للمواقع الدينية في البرازيل

الفصل التاسع

تعاويذ ومعجزات

«لا يمكن لبرازيلي أن يمارس حياته الطبيعية سواء في كرة القدم أم في أي مجال آخر، من دون أن يحمل تعويذة أو أيقونة حول عنقه تذكره بالقديسين والتعاليم الدينية التي يؤمن بها».

نيلسون رود ريغوس

حاول الأب إيدو الوصول إلى رونالدو بطرق شتى، وراح يسألني إن كنت أعرف رقم هاتفه، وإن كنت أستطيع أخذه إليه، فهو يعتقد أن لعنة قد حلت برونالدو، وقد انتقلت إليه عن طريق روماريو عندما كانا يلعبان سوياً في المباريات التحضيرية لكأس العالم عام 1998؛ لذلك فهو سيخفق في هذه البطولة وفق اعتقاد إيدو، ولن يستطيع أن يسترجع كفاءته ولياقته إلا بتعويذة خاصة يعدها له الأب إيدو، ولكنه يحتاج إذن رونالدو قبل أن يشرع في عمله، حتى لو كان ذلك عن طريق مكالمة هاتفية بينهما. ساهم بعد ذلك التراجع الذي أصاب المستوى الرياضي للاعب رونالدو في تثبيت نظرية الأب إيدو حول اللعنة التي أصابت هذا اللاعب، التي لن تزول إلا بمجهود خاص، يتمثل بإعداد التعويذة المناسبة التي لا بد أن يطوق بها اللاعب عنقه في كل الأوقات ولاسيما في أثناء المباريات المهمة.

قمت بزيارة الأب إيدو عام 1999 في البلدة التي يسكن فيها أولندا،

وهي مدينة قديمة تعد من أوائل المدن التي تأسست في البرازيل، قامت على ثروات أصحاب مزارع قصب السكر التي تحيط بالمدينة، ويقطن الأب جانب كنيسة سادو سلفادور التي يرعاها ويلتقي فيها بأبناء رعيته بانتظام.

التقيتُ الأب إيدو في مكتبه حيث كان يجلس بهدوء ووقار يتناسب مع عمره الذي يقترب من التاسعة والخمسين، كما أن حديثه لا يقل هدوءاً، فهو يتحدث بسلاسة وحرارة تجذب المستمع وتجعله يطلب المزيد، فهو كالبرازيليين كلهم يتطرق في حديثه إلى كرة القدم ويعلق على الفرق واللاعبين، وبعد أن تحدثنا بعض الوقت حول رونالدو واللعنة التي حلّت به، تطرقنا مباشرة للموضوع الأساسي الذي حضرت من أجله، وهو فريق نوتكو من مدينة ريسيف المجاورة، إذ يعتقد الأب أنه متعثر ولا يبلي بلاء حسناً في المقابلات؛ لأنه لم يقدم أضحية مناسبة للإله إكسو، وهو إله قوي وسريع الغضب حسب معتقدات ديانة كندومبلي، وهي إحدى الديانات التي نشأت بتأثير اختلاط الديانة الكاثوليكية المسيحية مع الديانات الإفريقية القبلية التي كان يعتنقها السود قبل أن يحضرهم البرتغاليون إلى البرازيل عبيداً، ويفرضوا عليهم المسيحية ديناً رسمياً للجميع، وحتى بعد أن تنصّر هؤلاء العبيد بقيت جذور دياناتهم القديمة جزءاً من تراثهم، وأخذوا يخلطون بين قديسي الكاثوليكية المسيحية والآلهة في دياناتهم السابقة، ولهذه الديانة قساوسة خاصون ينتمون إلى العرق البرازيلي الإفريقي مثل الأب إيدو، يقدمون النصح والمشورة لأتباع الديانة، ومنهم فريق نوتكو الذي كان يقوم الأب

بمباركته قبل كل مباراة، وظل هذا الفريق يفوز ببطولة دوري الولاية لكرة القدم ما بين عامي 1963—1966 من دون انقطاع، إلى أن اعترض مجموعة من أعضاء النادي البيض على رعاية هذا القس الأسود لأمور النادي الروحية، فتمت تنحيته وإبعاده عن الفريق ولاعبيه.

بدأ النادي بالتدهور وخسر كثيراً من المباريات، ففزع أعضاء الفريق وهرعوا إلى الأب إيدو يطلبون المساعدة ووعدوه بثور كبير يذبح من أجل الرعية إذا فازوا ببطولة عام 1967، وقد فازوا بالبطولة فعلاً لكنهم لم يفوا بوعدهم بشأن الثور، فأصر عليهم الأب أن يحضروا الثور في العام الذي يليه، وفي يوم المباراة النهائية في البطولة أُحضر الثور أمام الكنيسة من الصباح الباكر، لكنه لم يكن ثوراً مناسباً للأضحية، فقد كان هزيلاً لا يليق بمقام الآلهة، ورغم ذلك فقد فاز فريق نوتكو ببطولة هيكسا؛ ليصبح أول فريق يفوز ببطولة الولاية ست مرات متتالية، ولكن كان لا بد أن يدفع الفريق الثمن بعد ذلك.

تراجع أداء الفريق بعد الانتصارات المذهلة التي حققها في الستينيات، فلمدة ثلاثة عقود لم يصل فيها لكأس البطولة إلا ثلاث مرات، أما آخر بطولة حققها فقد كانت عام 1989، وجرب النادي كل شيء لإيقاف هذا التدهور فلم يفلح، وأخيراً خطر لإدارة النادي أن تعيد النظر في وعدها القديم للأب إيدو بأضحية مناسبة تذبح للرعية، وفعلاً تم إحضار ثور كبير لهذه الغاية، وكانت الاستعدادات تسير على قدم وساق يوم وصولي للمدينة لتقديم الأضحية، حيث زينت الساحة وصُفت بعض زجاجات الخمر وزيت النخيل، كما كان هناك أطباق

مليئة بالملح والفلفل وأخرى بالبصل والعسل أيضاً، واستعد الأب إيدو مع انقضاء النهار فلبس رداءً خاصاً بالمناسبة، مكون من سروال وقميص أبيضين يعلوهما رداء فضفاض باللونين الأحمر والأسود، وأخذ يشحذ سكينه.

قد يبدو هذا الاحتفال للكثيرين مناسبة فلكلورية للمرح والطعام والشراب تعبر عن ثقافة المكان، وتظهر شغف أهالي المدينة بكرة القدم، لكنّ آخرين وجدوا في الاحتفالية سادية غير مبررة وتعذيباً للحيوان المسكين، ولاسيما مع وجود قانون يمنع تعذيب الحيوانات في البرازيل، وهكذا وصل الخبر إلى ساو باولو، وتوافد رجال الشرطة إلى المكان وأحاطوا بالقس الذي بدا مرتبكاً ومذهولاً فهو يقدم الأضحيات في هذا المكان دائماً، غير أن رجال الشرطة لم يستجيبوا لتبريراته وأعذاره ومنعوه من الاستمرار في الطقوس، فلم يجد مناصاً من إلغاء الاحتفال وإطلاق سراح الثور لكنه طمأن إدارة نادي نوتيكو أن أضحيتهم مقبولة حتى لو لم تذبح، وأن حظ الفريق سيتغير لا محالة في الأيام القادمة.

لقد خسر الأب إيدو طقسه الاحتفالي تلك الليلة، ولكن الفريق بدأ يتحسن حقاً، وفاز ببطولة الدوري عام 2001، فاتصلتُ بالأب الشهير لأهنئه فوجدته راضياً وسعيداً، لكنه كان لايزال مصراً على الحصول على هاتف رونالدو الذي كان يتعافى من إصابة قوية في ركبته في تلك الفترة، ليستأذنه في صنع تعويذه خاصة له تحميه من سوء الحظ في كرة القدم.

كان فريق فاسكو دي غاما ضحية أشهر لعنة حلت بفريق في تاريخ

كرة القدم البرازيلية، ويرجع تاريخ اللعنة إلى عام 1937 عندما كان فريق فاسكو دي غاما على موعد للقاء كروي مع فريق أنداريا –وهو من الفرق الضعيفة في الدوري– في ملعب ساوجنيريو، غير أن فريق فاسكو تعرض لحادث تصادم مع شاحنة على الطريق، فتأخر عن الوصول إلى الملعب في الوقت المحدد للمباراة، وحسب القانون كان يمكن لفريق أنداريا أن يعدّ فائزاً بالنقاط في تلك المباراة بعد تخلف الفريق المنافس، ولكن عند وصول فريق فاسكو اتفق الفريقان على إتمام المباراة على أن يحترم فريق فاسكو الروح الرياضية العالية التي تمتع بها فريق أنداريا ولا يستغل ضعفه، غير أن لاعبي فريق فاسكو تجاهلوا كل الاتفاقات ما إن بدأت المباراة، وأخذهم الحماس إلى نهايته، فسجلوا في هذه المباراة اثني عشر هدفاً من دون أن تتاح للفريق الآخر أي فرصة.

وكان على مقاعد الاحتياط أحد لاعبي فريق أنداريا اسمه أروبينا، وكان غاضباً جداً من مخالفة لاعبي فاسكو لاتفاقهم مع فريقه، فما كان منه إلا أن ركع على حافة الملعب ورفع كفيه إلى السماء داعياً أن يخسر فريق فاسكو اثنتي عشرة بطولة بعدد الأهداف التي سجلوها تلك الليلة، ولتثبيت دعائه قام بدفن ضفدع ميت تحت عشب ملعب ساوجنيريو، وهي وسيلة مضمونة حسب المعتقدات البرازيلية لتثبيت اللعنات وإيصال الدعاء.

عُرفت القصة سريعاً وانتشرت بين اللاعبين، لكن مسؤولي نادي فاسكو سخروا منها وعدوها هلوسات من فريق مهزوم، غير أنهم بدؤوا بإعادة النظر بعد عدة سنوات من الهزائم التي توالت على فاسكو، إذ

لم يحرز أي بطولة منذ أن لعب مع فريق أنداريا، أي منذ لعنة الضفدع، وأخذ الجميع يفكر في حل لهذه المشكلة، وقام بعض العمال في النادي بمحاولة إيجاد الضفدع المدفون بنبش أجزاء من الملعب لكنهم لم يجدوا شيئاً، واستمر الفريق في التدهور من هزيمة إلى أخرى، فخسر الدوري أمام فريق فلامنغو عام 1943 و 1944 أيضاً، ولم يبق أمام النادي إلا حل واحد وهو نبش أرضية الملعب كلها بالجرافات للبحث عن أي ضفادع مدفونة، ورغم ذلك لم يظهر شيء. فتُرك الأمر لإدارة النادي، وما كان من المدير شخصياً إلا أن توجه إلى اللاعب صاحب اللعنة يرجوه أن يدلهم على مكان الضفدع المدفون، لكن اللاعب أنكر المسألة، وقال: إنه لم يدفن شيئاً، ووعده أن اللعنة ستزول قريباً، فكان الأمر، وفاز فريق فاسكو ببطولة الدوري عام 1945 من دون منازع.

قلما تجد شخصية تجمع بين رياضة كرة القدم والروحانيات في الوقت ذاته، مثلما تجد لدى الأب سانتانا المدلك المعروف للمنتخب البرازيلي الذي شارك في بطولات كأس العالم عام 1962 وعام 1966، ووظيفة المدلك هي الوظيفة الرسمية لهذا المارد الأسمر اللطيف الذي يعالج عضلات اللاعبين ويحافظ عليها، لكنه يشبع أرواحهم ويزودهم بالتمائم والتعاويذ التي تقيهم الشرور أيضاً.

لقد كان سانتانا يعمل في فريق فاسكو عندما حلت اللعنة للمرة الثانية بالفريق، ولمدة اثني عشر عاماً أخرى، كأنها لعنة ذلك اللاعب تعود من جديد، فلم يفز فريق فاسكو بأي بطولة في ولاية ريو منذ عام 1958 وحتى عام 1970، وللتخلص من تلك اللعنة وإلى الأبد نظم

سانتانا طقوساً خاصة على أرضية ملعب ساوجنيريو تتضمن بعض الطعام والشراب، وإيقاد الشموع والصلاة في ساحة الملعب، كما تم دفن صليب خشبي خلف أحد المرميين، واستمرت تلك الطقوس حتى الخامسة صباحاً، ولكنها أثمرت في النهاية وفاز فريق فاسكو ببطولة ولاية ريو دي جنيرو عام 1970، وظل يتحسن منذ ذلك الوقت حتى الآن.

يقطن الأب سانتانا في الحي المتوسط بين ملعب ساوجنيريو وملعب الماركانا، وعند دخولي منزله لم ألحظ أي شيء يدل على وجود رجل دين في هذا المكان، فقد كان سانتانا يرتدي ملابس بيضاء عادية، ويبدو صلباً قوي البنية رغم بلوغه السابعة والستين، ولكن ربما يعود ذلك إلى أنه كان ملاكماً في شبابه، وعندما يبتسم تظهر أسنانه البيضاء الناصعة لتضيء هذا الوجه الأسمر الحليق. اسمه إدوارد سانتانا وهو ليس رجل دين، غير أنه اكتسب لقب الأب؛ لأنه عادة ما يقيم الشعائر الدينية قبل المباريات، وهو لا يعترض على تسميته بالأب سانتانا إذ يكسبه ذلك مزيداً من الاحترام، وهو يلعب دور المرشد الروحي لفريق فاسكو، ويضيء الشموع في الملعب ويقيم الصلوات ويرتل التراتيل والأدعية قبل المباريات وبعدها.

يتجاوز تأثير سانتانا كرة القدم ليعم مدينة ريو دي جنيرو كلها، فهو معروف أنه أهم شخصية روحية في البرازيل من العرق الأسود، والمدينة جميعها تسعى لكسب بركاته، إذ نُصَّب عام 1991 «الملك الأسود للكرنفال»، وهو لقب مستحدث له خصيصاً يستطيع من خلاله

الإشراف على سير الكرنفال ومباركته، ولكن سانتانا لا يصف نفسه أنه رجل دين، وإنما يقول إنه روحاني، وهو مصطلح غامض بعض الشيء، يتضمن ممارسات عديدة ظهرت في البرازيل في القرن التاسع عشر للمرة الأولى عندما نادى الفرنسي ألان كارديك بالتنوير عن طريق التواصل مع أرواح الأسلاف، وانتشرت هذه الأفكار الروحانية فيما بعد بين أبناء الطبقة الوسطى، واختلطت مع المسيحية والمعتقدات الدينية الإفريقية القديمة؛ لتظهر ديانة جديدة تدعى أومباندا، وعلى الرغم من ذلك، فالأب سانتانا مرن جداً فيما يتعلق بالديانات، فهو يأخذ منها جميعاً سواء المسيحية الكاثوليكية أم الروحانية أم الديانات الإفريقية القديمة.

يستبعد كثير من البرازيليين معتقدات الأومباندا، ويعدونها ضرباً من السحر والشعوذة، ولكن سانتانا يؤمن أن المعتقدات جميعها تؤدي في النهاية إلى الطريق ذاته الذي يسير عليه الجميع، ويؤكد ذلك بإطلاعي على إحدى صوره القديمة مع مجموعة من العرب الذين يرتدون الأثواب التقليدية البيضاء لمنطقة الخليج العربي، ويقول إن هذه الصورة تجمعه مع المنتخب الكويتي لكرة القدم عندما كان يعمل مدلكاً للاعبي المنتخب، وبالإضافة إلى ذلك يظهر في الصورة عدد من الوزراء الكويتيين يقفون خلف اللاعبين. ولا تقف مفاجآت سانتانا عند هذا الحد، وإنما يخرج من صندوقه ورقة رسمية مكتوبة باللغة الإنجليزية تفيد أن سانتانا قد اعتنق الإسلام عندما كان في الكويت، وشهد أن لا إله إلا الله وأن لا دين غير دين الإسلام ومحمداً رسول الله ونبيه، وقد تغير اسمه تبعاً لذلك إلى أحمد، ويؤكد أنه استمتع بتجربة الإسلام، وذهب للحج في مكة

برفقة عدد من أعضاء الفريق، كما يضيف سانتانا أنه لا يرى غرابة في ذلك إذ يؤمن أن للمرء أن يختار ما يشاء من المعتقدات، أو الأديان ما دام لا يرفض أو يعارض الأديان الأخرى.

لطالما ارتبطت الرياضة بالطقوس الدينية، منذ ظهور الألعاب الأولمبية في اليونان القديمة على الأقل، وألعاب الكرة لدى شعوب المايا التي كانت تترافق مع عدة شعائر دينية أخرى. كذلك الأمر بالنسبة للكرة البرازيلية، فقد اكتسبت جانباً روحياً منذ بداياتها في الثلاثينيات من القرن العشرين، ويذكر ماريو فيلو في كتابه حول تاريخ كرة القدم البرازيلية كثيراً من الشعائر والطقوس المختلفة التي كانت تقام جماعياً، أو فردياً من جانب اللاعبين؛ لجلب الحظ والتبرك قبيل المباريات، مثل إقامة طقوس الماكومبا عام 1932 قبل نهائيات كأس ريو برانكو، حيث فازت البرازيل بشكل غير متوقع على الأورغواي حامل اللقب السابق في مونتيفيديو، بعد أن قام أوسكارينو –وهو لاعب ووسيط روحاني– بمباركة قدمي اللاعب ليونيداس بإقامة شعائر الماكومبا، وحقاً كان ليونداس هو صاحب هدفي الفوز في تلك المباراة.

لا يدخر اللاعبون البرازيليون وسيلة لجلب الحظ والبركة قبل المقابلات المهمة، فهم يغسلون أحذيتهم بالماء إرواءً للقديسين، وهو إجراء عادي بالنسبة لمعظم اللاعبين، كما أنهم يغسلون أرجلهم ثم يحملون الماء الملوث بعد الغسل إلى ملعب الفريق المنافس ليرشوه عليه. أمّا أكثر الممارسات تنوعاً فتأتي من باهيا، البيت الروحي للعرق الأسود في البرازيل حيث تنتشر معابد ديانة الكاندومبولي ذات الجذور

الإفريقية، ويفوق عدد هذه المعابد الكنائس الموجودة في تلك الولاية، ومن المألوف جداً في المباراة النهائية لبطولة ولاية باهيا أن يتوزع اللاعبون على الزوايا الأربع للملعب؛ ينثرون حبات البقول ويرشون الماء على أرضيته لجلب الحظ.

تقابل فريق فاسكو مع كورينثيانس عام 2000 في نهائي بطولة العالم لأندية كرة القدم، وقد كان لقاءً مهماً حاسماً بالنسبة إلى كلا الفريقين المتنافسين على البطولة، وسخرت له كل الوسائل والسبل من أجل الفوز، ومن هذه الوسائل كانت محاولات استرضاء الأرواح البعيدة وكسبها إلى جانب الفريق، وهذا ما فعله فريق كورينثيانس، إذ قام الأب نيلسون – وهو المرشد الروحي لفريق كورينثيانس– باسترضاء أهم الأرواح وأكثرها بأساً وهو إكسو، والمعروف بحبه للطعام الجيد والشراب المعتق، بوضع كمية كبيرة من اللحوم المشوية والشراب البرازيلي التقليدي المعتق قرب سكة القطار في لينخواس التي تقع شمال ولاية باهيا، وليس في ساو باولو معقل فريق كورينثيانس كما قد يتبادر للذهن.

إن مدينة لينخواس هي مسقط رأس الأب نيلسون وتحيطها الغابات والشلالات من كل جانب، وهي المدينة التي يلتجئ إليها الأب كلما أراد التأمل والاستزادة من قوى الطبيعة لإثراء مخزونه الروحي، غير أن محاولة استرضاء روح إكسو لم تكن بالبساطة التي تبدو عليها، فبالإضافة لترك الطعام والشراب قرب سكة القطار، كان على الأب نيلسون أن يسافر إلى شاطئ بريا غراندي قرب سانتوس حيث قوة الطبيعة اللامتناهية

المتمثلة في البحر العظيم. وهناك كان على الأب إقامة خمسة طقوس مختلفة على شاطئ البحر العظيم، يتضمن كلٌّ منها إرسال قارب خشبي إلى البحر محمل بأنواع الطعام والشراب والشموع، مع إضافة بعض ملابس لاعبي الفريق الرياضية.

لقد استغرق تنفيذ هذه الطقوس أياماً وأياماً قضاها الأب على شاطئ البحر يقتل الوقت بالصيد، أو السباحة على الشاطئ؛ منتظراً حلول المساء للشروع في دفع القوارب نحو البحر، كما كان يتوجب على الأب أن يصوم عن اللحوم تماماً طوال فترة إقامة الطقوس، لكن الطقوس والشعائر آتت أكلها في النهاية، وتمكن فريق كورينثيانس من الفوز ببطولة الأندية: وهي المكافأة الكبرى التي كان الأب ينتظرها، وفقاً لتعبيره.

قابلت الأب نلسون للمرة الأولى في ساو باولو في منزل والدته، وكان يرتدي قميص نادي كورينثيانس الأسود ذا الياقة البيضاء، وقد أخذ زمام المبادرة منذ اللحظة الأولى بأن أدار آلة التسجيل الخاصة به لتسجيل الحوار الذي سيدور بيننا، كأنه هو من يقابلني وليس العكس. يقول الأب إن أرواح آلهة ماكومبا تساعد على الفوز في المباريات بكل تأكيد، ولكن عليك أولاً أن تؤمن بهذه الأرواح حتى تساعدك، فالمؤمنون بها يستمدون ثقتهم بأنفسهم منها لعلمهم أنها تساعدهم وتحميهم وتقف وراءهم.

يذكرني حديث الأب نيلسون بمقابلتي السابقة مع الأب إيدو، فكلاهما يعيش في عالم من الأرواح والقديسين الذين ينحدرون من

المسيحية والديانات الإفريقية أيضاً، وهو مثل إيدو قس حقيقي ولج إلى عالم كرة القدم بالمصادفة المحضة، ولم يخطر بباله يوماً أنه سيكون مرشداً روحياً لفريق كورينثيانس، لكنه الآن يكرس كل جهوده لخدمة هذا الفريق، ولا يتخيل حياته من دون المشاركة في كرة القدم، «إنها مشيئة الرب» يقول الأب نيلسون.

دُعي الأب نيلسون للعمل في فريق كورينثيانس عام 1982 من قبل مدير النادي آنذاك فسنتي ماثيوس، أو بالأحرى من قبل زوجة مدير النادي مارلين التي كانت تزور معبد نيلسون بانتظام؛ طلباً للتوجيه والإرشاد الروحي، وقد كان لديه مكتبه الخاص في النادي، ويتقاضى راتباً يصل إلى 200 جنيه شهرياً، غير أن تلك الوظيفة لم تكن رسمية ولا تظهر في كشوفات موظفي النادي من الإداريين أو غيرهم، إذ لا أحد في النادي يمكن أن يعترف بوجود وظيفة دينية لراهب من ديانة الماكومبا يساعد الفريق في المباريات، فذلك قد يقوض جهود اللاعبين والمدرب.

ورغم ذلك فقد كان عمل نيلسون جوهرياً بالنسبة للجميع، إذ يتوجه نحوه اللاعبون قبل المباريات فرداً فرداً لطلب الدعم والتشجيع، وعليه يقع عبء المواساة وشحذ الهمم في حالة الخسارة، وتقديم الدعم النفسي والروحي للاعبين السود خاصة بتذكيرهم بأسلافهم العظام من العبيد الذين قدموا من إفريقيا وكافحوا وعانوا طويلاً، ليثبتوا أقدامهم على هذه الأرض، متشبثين بعقائدهم القديمة التي تحميهم الآن وتدفعهم.

يقول الأب نيلسون إنه يعدّ ذلك نوعاً من غسيل الدماغ الإيجابي، فهو يقوي هؤلاء اللاعبين ويشد من أزرهم بكلماته وطقوسه التي يمارسها. أستغرب هذا الكلام من رجل تسيطر عليه الهواجس ويحيط نفسه بسلسلة من الأساطير التي تسير حياته، فهو كما يخبرني يتطير من اللون الأرجواني، ولم يكن ليقابلني بارتياح لو أنني كنت أرتدي هذا اللون، وهو يحرص على الدخول إلى أي مكان بقدمه اليمنى أولاً، كما أنه يدخل إلى أي مبنى ويخرج من الباب ذاته، ويصر على الجلوس إلى يسار ضيفه بغض النظر عن شخصيته، وإذا صادف عربة إسعاف في الشارع فإنه يتوقف إلى جانب الطريق مدة خمس عشرة دقيقة على الأقل حتى تعبر، فعربات الإسعاف تحمل المعاناة والألم دائماً، ولا يسير أبداً خلف عربة نقل الموتى، بل يدخل إلى شارع جانبي مباشرة، ويخبرني أنه طالما تأخر عن بدايات المباريات بسبب مثل هذه الأمور.

تُعد لعبة كرة القدم أرضاً خصبةً للخرافات والأساطير؛ بسبب طبيعتها الاحتمالية واعتمادها على الحظ في أحيان كثيرة، ولذلك فقد اتفقت هذه اللعبة مع ميل البرازيليين للاعتقاد بالأمور الباطنية اللاعقلانية، وتطيرهم من أمور يرونها مدعاة للتشاؤم أو التفاؤل.

تصادف قدومي إلى مدينة ريو للمرة الأولى مع حلول دورة كأس العالم لكرة القدم عام 1998، وقد خبرت في تلك الفترة كثيراً من ممارسات البرازيليين وطقوسهم المرتبطة بمتابعة المباريات، فإذا أردت متابعة المباريات مع مجموعة من الأصدقاء فعليك أن تبدأ معهم من أول مباراة وتستمر حتى نهاية الدورة، فلن يُسمح لك بالانضمام إلى مجموعة

ما إذا فوَّتّ المباراة الأولى؛ لأن الطقوس تقتضي أن تحضر المجموعة ذاتها من المشاهدين المباريات جميعها ولن يُسمح لغريب أن ينضم إليها في وقت لاحق؛ لأن ذلك يُعد نذير شؤم. ومع أن البرازيليين شعب مهووس بالنظافة الشخصية من استحمام وغسل ملابس إلا أنه من غير المسموح أن يغسل الشخص قميصه الذي يعتقد أنه يجلب له الحظ، بل عليه أن يرتديه دائما كما هو عند حضور المباريات، ويجلس في المكان ذاته دائماً ومع المجموعة ذاتها؛ لأنه يعد بذلك مشجعاً حقيقياً وليس عابر سبيل.

يُعد كارليتو روكا من أكثر مشجعي كرة القدم تطيراً، وعندما كان رئيس نادي بوتافوغو في فترة الأربعينيات والخمسينيات، كان يصر على أن يتكرر روتين اليوم الذي ينتصر فيه فريق بوتافوغو حرفياً من دون نقص أو زيادة، وفي إحدى المرات تم إيقاف حافلة النادي التي تقل اللاعبين إلى إحدى المباريات؛ لأنها كانت تسير في الاتجاه الخاطئ فكان على السائق أن يعود بالحافلة إلى الخلف حتى يصل إلى الاتجاه الصحيح، لكن روكا رفض أن يسمح للسائق بالتراجع معللاً ذلك بأن الفريق لا يمكن أن يتراجع، وأجبر اللاعبين أن يكملوا الطريق إلى ملعب الماراكانا سيراً على الأقدام.

وكان يرش جدران الملعب بالسكر قبل كل مباراة، ويُعد طعام اللاعبين بنفسه، ويمسح بيديه على شعر أول لاعب يصادفه من فريقه، كما يعطي لكل مدافع في الفريق ورقة مطوية كتب عليها اسم نظيره في الفريق المنافس؛ ليضعها في حذائه الرياضي حتى يشعر المدافع بالتفوق

قبل بداية المباراة، أما ستائر غرف النادي فكانت ترفع وتعقد قبل بداية المباريات؛ لخلق بعض التعقيدات في صفوف الفريق الخصم، وكان روكا يحتفظ بعدد كبير من التعاويذ التي تجلب الحظ، يبقيها في خزانة ذهبية ضخمة صنعت خصيصاً لهذا الغرض.

أما التعويذة الأساسية للفريق، فقد كانت الكلب بيربا الذي دخل عالم فريق بوتافوغو بالمصادفة، عندما تسلل إلى الملعب في إحدى المباريات التي كان بوتافوغو طرفاً فيها، مما تسبب في إرباك حارس مرمى الخصم فسهّل تسجيل هدف لفريق بوتافوغو، لكن الحكم احتسبه هدفاً صحيحاً، ومنذ ذلك اليوم أصبح الكلب بيربا ذو اللونين الأبيض والأسود عضواً في الفريق، يحضر المباريات جميعها من المدرجات، ويتم أحياناً تسريبه إلى أرض الملعب؛ ليسهم في إرباك الخصم وتعزيز الروح المعنوية للاعبي بوتافوغو، كما كان يلقى معاملة خاصة من



كارليتو روكا والكلب بيربا.

الجميع، إذ يُطعم أفضل أنواع اللحوم، ويسمح له ولصاحبه بالمبيت في مبنى النادى ولاسيما بعد وصول إدارة النادي تهديدات باختطاف بيربا أو تسميمه. لم يخذل بيربا فريقه البتة، وتوالت انتصارات النادي في وجوده حتى فاز في بطولة الولاية عام 1948.

وللأحلام والهواجس في مسيرة نادي بوتافوغو نصيب أيضاً، ففي إحدى الليالي حلم الصحفي الرياضي جيرالدو روميولدو أن فريق بوتافوغو سيخسر المباراة التي كانت محددة له في اليوم التالي، وقد حاول أن يبقى بعيداً عن النادي ولاعبيه طيلة اليوم التالي حتى لا يجلب لهم سوء الحظ، ورغم ذلك فقد خسر الفريق تلك المباراة، ومنذ ذلك اليوم أصبح شغل النادي الشاغل ألا يتكرر حلم الصحفي مرة أخرى خلال تلك البطولة، وقام إداريو الفريق بحجز طاولة ثابتة مساء كل جمعة في نادي أوركا الليلي؛ ليسهر فيه الصحفي حتى الصباح، فلا يتمكن من النوم حتى صباح السبت وهو موعد المباريات المعتاد، وقد استمر الصحفي بالسهر كل ليلة سبت من دون نوم ومن دون أحلام حتى انتهت البطولة.

لا عجب إذن أن فريق بوتافوغو يتمتع بسمعة تؤكد أنه أكثر النوادي تطيراً وإيماناً بالخرافات حتى هذا اليوم، وقد حدث أن خسر الفريق أمام فريق فاسكو في التاسع والعشرين من نيسان عام 2001، وكانت خسارة مدوية بفارق 0–7، فقامت الدنيا ولم تقعد حول تحليل الأسباب الخفية وراء هذه الخسارة، فالرقم سبعة رقم يحمل كثيراً من الرموز، كما ظهر أن الفريق خسر خسارة مماثلة عام 1994، أي قبل سبع سنوات، وفي

الحالتين سجل الهدف السابع في المباراة لاعب يحمل الرقم سبعة، لكن مدرب الفريق حاول تفسير ظهور هذا الرقم بشكل إيجابي بقوله إن الرقم سبعة هو رقم مبارك، فقد خلق الله العالم في سبعة أيام كما ورد في الإنجيل، وإذا كان الله يختبرنا بهذه الخسارة فلأنه سيعوضنا فيما بعد بفوز رائع. وهناك الرقم 13 أيضاً، الذي كان له حضوره في كرة القدم البرازيلية من خلال اللاعب القديم ماريو زجالو، الذي تزوج في الثالث عشر من حزيران يوم القديس أنطونيو قديس بادوا، ومنذ ذلك اليوم أصبح الرقم 13 رقم الحظ بالنسبة لزجالو، فهو يعزو كل نجاح يحققه لرعاية القديس أنطونيو، وقد فاز ببطولة العالم لكرة القدم للمرة الأولى عام 1958، كما فاز بالبطولة للمرة الرابعة كمساعد مدرب عام 1994، ومجموع الأعداد 8 + 5 و4+9 هو العدد 13، كما أنه يسكن في الطابق الثالث عشر وتنتهي أرقام لوحة سيارته بالرقم 13. وفي عام 2001 كان مدرب فريق فلامنغو عندما تربع هذا الفريق على عرش بطولة ولاية ريو بعد أن فاز بنتيجة 3−1 على منافسه.

قد تبدو هذه المعتقدات الخرافية غريبة بالنسبة إلى المنطق الأوروبي العقلاني، ولفهم الخلفية الحضارية لمثل هذه المعتقدات، لا بد أن ننظر إليها من خلال سياقها الثقافي العام وسنجد أنها لم تنبت من فراغ، فالإرث الثقافي البرازيلي يعج بمثل هذه المعتقدات الغريبة والقصص القديمة التي تربط الحظ والسعادة في الحياة بأرقام معينة أو أحداث وشخصيات بعينها.

فنحن نجد في التراث البرازيلي حكماً وقصصاً مأثورة تسمى

«سمباتيا»، وهي حكم تتناقلها الأجيال ويعرفها الجميع، تتعاطى مع جميع شؤون الحياة وفيها عصارة خبرات الأجداد وحكمتهم، ونجدها حاضرة في الإرث الشفاهي للبرازيليين، وتخصص لها المجلات والكتب زاوية خاصة بها أحياناً، وقد حصلت على كتيب صغير من ساو باولو يحصر بعضاً من «السمباتيا» أو الحكم المأثورة، وقد وجدتها مثيرة للاهتمام وتلقي بعض الضوء على ما كان غامضاً عليّ من تصرفات اللاعبين والمشجعين والمعنيين بكرة القدم عموما، وهذا بعض مما قرأت في هذا الكتيب:

كيف تتزوجين من رجل ثري: «أحضري رأسين من البصل وثلاثة فصوص من الثوم وعودين من البقدونس، وضعيها كلها في صحن أبيض اللون وأهرسيها معاً لتحصلي على خليط كثيف، ثم أضيفي رشة من الملح. اكتبي اسم الرجل الذي ترغبين بالزواج منه على ورقة بيضاء، ثم اغمسيها في الخليط واتركي الصحن مع الورقة في الهواء الطلق مدة ليلة كاملة، ثم تخلصي من كل شيء بإلقائه في القمامة».

كيف تكسب رهاناً على مباراة رياضية: «احصل على حافر أرنب وضعه في كيس المخدة التي تنام عليها مدة سبع ليالٍ، بعد ذلك خذ الحافز إلى الغابة ومعك قلم حبر أخضر وورقة بيضاء، اكتب اسمك وعنوانك على الورقة وغلّف الحافر بها، ثم ادفن كل شيء تحت شجرة ضخمة مزهرة، وادع أرواح الغابة أن تمنحك حظاً مزهراً مثل تلك الشجرة، اشكر الأرواح وغادر المكان من دون أن تنظر إلى الخلف، ثم باشر بوضع رهاناتك».

ومن الممارسات الأخرى الشائعة في البرازيل، الدعاء للأولياء والقديسين في طلب المساعدة في الشؤون الدنيوية، بتقديم النذور التي توفى في حال تحقيق المساعدات المرجوة، وعادة ما يكون النذر متعلقاً بالمساعدة أو الطلب المرجو تحقيقه من القديس، وقد يكون النذر زيارة للأماكن المقدسة أو تقديم الطعام والشراب للفقراء، أو القيام بما هو أكثر من ذلك وأحياناً يكون في تحقيق النذر بعض المشقة إذا كانت المساعدة المرجوة مهمة لصاحب الطلب، كما يظهر في قصة الفيلم البرازيلي الناجح: «الوعد المطلوب» الذي حصل على جائزة السعفة الذهبية في مهرجان كان عام 1962، ويروي قصة فلاح فقير ينذر أن يسير إلى السلفادور حاملاً صليباً خشبياً على كتفيه كما فعل المسيح إذا ما شفي حماره الوحيد الذي يعتمد عليه في عمله، ويقوم فعلاً بتنفيذ نذره.

نذر ديدي اللاعب الشهير على الملأ عام 1957، أن يسير بملابس الفريق من ملعب الماراكانا إلى مبنى نادي بوتافوغو إذا فاز نادي بوتافوغو ببطولة ريو لكرة القدم، وفعلاً وفى ديدي بنذره وقطع المسافة سيراً على قدميه، لكنه وصل إلى النادي شبه عارٍ بعد أن تخاطف المعجبون ملابسه الرياضية كلها على الطريق حيث رافقه زهاء 5000 معجب طوال مشواره. وقد فاز ديدي بلقب أحسن لاعب في بطولة كأس العالم لكرة القدم في العام الذي تلا تلك الحادثة، أي عام 1958، حيث كانت تقام البطولة في السويد.

شددتُ الرحال إلى مدينة خوزيرو دو نورت عام 2000، وهي مدينة مقدسة في شمال شرق البرازيل يؤمها الحجاج من جميع أنحاء البلاد،

حيث كان يقطنها راهب كاثوليكي عُرف بمعجزاته وبركاته الكثيرة حتى وفاته عام 1934، فقد أقيم له تمثال كبير على قمة تلة تطل على المدينة وهو يمسك بقبعته العريضة في يده اليمنى وعصاه في اليسرى، ويقول البرازيليون إن التمثال يعد ثالث أضخم تمثال لشخص في العالم بعد تمثال المسيح في ريو دي جنيرون وتمثال الحرية في نيويورك. يؤم الحجاج هذه المدينة بأعداد غفيرة ويزورون بيت الراهب القديم، ويتمسحون بما بقي من ممتلكاته ومقتنياته؛ طلباً للبركة والقوة الروحية، كما يتركون نذوراً وهدايا أحضروها معهم لشكر الراهب على بسط بركاته عليهم وتحقيق أمنياتهم، وقد تتنوع هذه الهدايا من الزهور إلى التماثيل الخشبية والطعام، وألمح في الزاوية قميصاً أيضاً لأحد الفرق الرياضية، وقد ألصقت عليه ملاحظة كتب عليها «شكراً لك أيها الراهب العظيم على بركاتك التي منحتني إياها»، وقد وقّع اللاعب صاحب القميص باسمه تحت العبارة وهو لاعب كرة القدم ألويزيو، الذي كان يلعب ضمن صفوف فلامنغو، ثم انتقل إلى فريق سانت إيتيان عام 1999، ومن بعدها انتقل إلى نادي سان جرمان الفرنسي.

ينحدر اللاعب الويزيو من مدينة ألاغوس في الشمال الشرقي للبرازيل، وهي مدينة صغيرة يعتمد اقتصادها على زراعة قصب السكر بالطرائق البدائية، ولم يتغير فيها الكثير منذ مئات السنين، وبعد عدة محاولات لتتبع أثر اللاعب استطعت أن ألتقي والدته التي تقطن في ألاغوس، التي أخبرتني أنها هي من أحضر القميص إلى منزل الراهب بعد أن قطعت رحلة طويلة وشاقة لتشكره على توفيق ولدها في الحصول

على فرصة للعب في فريق أوروبي، ولكن الغريب في الأمر أن ألويزيو أصيب في ركبته إصابة بالغة بعد رحلة إيصال القميص بوقت قصير، لكن الأم لم تيأس ولم تفقد إيمانها، بل حضّرت هدية أخرى لتحج بها من جديد إلى بيت الراهب، ولكن اللاعب كان في ذلك الوقت يتلقى أفضل علاج على يدي الطاقم الطبي في فريقه، لكنه رغم ذلك كان لا بد أن يبقى خارج الملعب مدة عام كامل.

تستقطب مدينة خوزيريو آلاف المؤمنين من كل مكان وفي الفصول كلها، ففي شهر أكتوبر من كل عام يأتي الحجيج للمشاركة في احتفال الناصري، أما في عيد الفصح فتنعقد احتفالات دينية واجتماعية كبيرة في أضخم مسرح مفتوح في البرازيل في القدس الجديدة في مدينة بيرنامبوكو، التي يشرف عليها الأب بادر مارسيليو روسي، كما يحيي القداس الخاص بالمناسبة الذي يُعدّ مناسبة اجتماعية بالإضافة لصبغته الدينية، فهو يعطي البرازيليين الفرصة للتعبير عن هويتهم الدينية المتجذرة بالإضافة لثقافاتهم المختلفة.

يعد البرازيليون «سيدة الظهور» الراعية الروحية للبرازيل في إشارة لتمثال السيدة العذراء الخزفي الذي ظهر في شبكة أحد الصيادين عام 1717، وجلب كثيراً من الخيرات والمعجزات لسكان المنطقة، وقد ظهر هذا التمثال في منطقة متوسطة بين ريو دي جنيرو وساو باولو، أكبر مدينتين في البرازيل، حيث أقيم ضريح ضخم في المكان ذاته وتحول فيما بعد إلى مزار يؤمه 100,000 شخص أسبوعياً، ويرون في «سيدة الظهور» ملكتهم، التي يرتدي تمثالها عباءة زرقاء منذ القرن الثامن عشر.

أصيب لاعبو المنتخب البرازيلي بالرعب في نهائيات كأس العالم عام 1958 التي أقيمت في ستوكهولم عندما علموا أنهم سيتخلون عن القمصان الصفراء التي يتفاءلون بها، ليرتدوا بدلاً منها قمصاناً زرقاء، بسبب تشابه ألوان الملابس مع الفريق الخصم، ولم يزل خوفهم إلا بعد أن أخبرهم رئيس الوفد البرازيلي آنذاك باولو ماكادو دي كارفالو، أن اللون الأزرق هو لون ملكتهم، وأن السماء لا بد ستدعمهم في المباراة المقبلة إكراماً لها.

قررتُ زيارة ضريح «سيدة الظهور» عام 2001 بعد فوز كلٍّ من فريق كورينثيانس وفلامنغو ببطولة ولايتي ساو باولو وريو دي جنيرو لكرة القدم، وقد فكرت بأنه إذا قام أحد مشجعي أيّ من الناديين بتقديم نذور قبل ذلك الفوز، فإنه لا بد سيوفيها الآن في ضريح العذراء «سيدة الظهور»، وفعلاً ذهبت بسيارتي إلى الموقع حيث أبقيتها قريباً من مجمع استقبال الحجاج، وتوجهت نحو الضريح متتبعاً اللافتات الإرشادية التي تشير إليه.

وعندما وصلت إلى المكان توجهت مباشرة إلى قاعة المعجزات، وهي القاعة التي تُعرض فيها نذور الشكر على البركات والمعجزات التي تحققت سلفاً، يحضرها أشخاص تحققت أمنياتهم ورغباتهم بعد أن قدموا نذورهم لسيدة الظهور، وقد بدت لي القاعة أشبه بمتحف صغير، حيث رُصت مئات الأشياء المختلفة على رفوف ثبتت فوق الجدران من نماذج خشبية لسيارات وطائرات، إلى أدوات موسيقية متنوعة مثل طبول وغيتارات وأحجار ثمينة وأدوات تستعمل في المطبخ، وصولاً

إلى نسخة من الكتاب المقدس كُتب تحتها إنّ هذا الكتاب هو ما تبقى بعد أن أتت نيران الحريق على جميع ما في المنزل. أما أكثر ما لفت نظري فهو صندوق كبير مليء بخصل من الشعر، قصها أصحابها في قاعة المعجزات وفاءً؛ لنذر قطعوه على أنفسهم، بالإضافة إلى ذلك كانت هناك مئات الصور التي تغطي الجدران، وجزءاً من السقف والأعمدة وكل واحدة من هذه الصور تمثل معجزة تحققت بفضل «سيدة الظهور»، اقتربت من أحد الأعمدة الذي كان مغطى كله بصور لفرق برازيلية مختلفة ولاعبين ينتمون لهذه الفرق، وحتى للفريق الوطني، وهناك صورة كبيرة للمنتخب الوطني الذي شارك في بطولة العالم لكرة القدم عام 1994، كما حفظت بعض الكؤوس والجوائز الرياضية في خزانة زجاجية بجانب العمود، بالإضافة لبعض القمصان الرياضية التي تعود إلى فرق رياضية مختلفة، علقت جميعها خلف الزجاج، كأنك تنظر إلى واجهة محل لبيع المستلزمات الرياضية، فقد كان هناك ما يزيد عن السبعين قميصاً معلقاً وعدد آخر لم يتسع له المجال فبقي مطوياً فوق الرفوف.

لقد شعرت وأنا أتجول داخل هذه القاعة، كأنني أتجول داخل عقول البرازيليين وأجس همومهم واهتماماتهم، فكل هذه المعروضات إنما تعبر عن شؤون حياتهم اليومية، من صحة ومرض وهموم عائلية وشغف بكرة القدم خصوصاً.

عندما يقصد الحجاج قاعة المعجزات فإنهم يقومون بتسجيل نذورهم وهداياهم لسيدة الظهور لدى الأخت ماريا دوكارمو روزا،

ولمعرفة إذا تقدم أحد مؤخراً بنذور تتعلق بالبطولات الأخيرة في كرة القدم، أتقدم نحو مكتب الأخت ماريا وأسألها عن هذا الموضوع، فتبتسم إحدى مساعداتها وهي الأخت جوسلين دي أولفيرا، وتخبرني أن عم اللاعب كليبر الذي يلعب في الظهير الأيسر في فريق كورينثيانس أحضر بالأمس قميص قريبه الرياضي؛ ليشكر «سيدة الظهور» على فوز الفريق بالبطولة، وتضيف أن اللاعب ذاته لم يستطع الحضور؛ لأنه مرتبط بتدريبات مع فريقه استعداداً لبطولة البرازيل.

يعد طقس الحضور إلى هذا المكان لتقديم النذور طقساً اعتيادياً بالنسبة للرياضيين عموماً، إذ ما إن تبدأ منافسات بطولة ما، حتى يبدأ الرياضيون وأقرباؤهم بالتوافد إلى الضريح لتقديم النذور وطلب الدعم والمساعدة في المباريات القادمة، وعندما فتحت لي الأخت المشرفة على خزانة الهدايا باب الخزانة، استطعت أن أجد ضمن القمصان المتراكمة قميصاً لفريق فلامنغو عليه توقيع روماريو، وقميصاً آخر يخص المنتخب البرازيلي مُوقع من قبل أعضاء الفريق جميعاً الذي شارك في بطولة كأس أمريكا عام 1999، وفي زاوية أخرى وجدت حذاءً رياضياً يخص سانديرلي بيريلا الذي حلَّ في المركز الرابع في مسابقة قطع 400 متر في دورة الألعاب الأولمبية التي أقيمت في سدني، بالإضافة لقفازات بطل سباقات السيارات إيرتون سينا.

يحضر المعجبون معظم تلك الهدايا والنذور؛ طمعاً في تحقيق أمانيهم في انتصار فريقهم أو لاعبهم المفضل، ومنهم من يطمح إلى أن يصبح لاعباً مشهوراً مثل ذلك الطفل الذي أحضر قبعته؛ لتوضع في

قاعة المعجزات آملاً أن تساعده «سيدة الظهور» في احتراف كرة القدم عندما يكبر بعد أن احتضنته مؤسسة تعليمية خيرية، وأبعدته عن شوارع ساو باولو التي كان يعيش فيها حتى وقت قريب.

يحدثني القس بادر باريرو المسؤول الأول عن قاعة المعجزات عن أهمية هذه القاعة، وعدد زوارها ويخبرني أنها القاعة الأهم في هذا الضريح بعد قاعة المذبح، ويؤمها عدد كبير من الزوار حتى إنهم يفكرون بتوسعتها، ويضيف بأسى أن معظم مرتادي هذه القاعة هم من الفقراء الذين يعيشون على هامش المجتمع، ولا يجدون ملاذاً إلا في هذه القاعة، ويشير إلى عدد ضخم من الهدايا والنذور التي ترمز إلى أمراض في عضو من أعضاء الجسد، قائلاً إن وجود هذا العدد الهائل من الأعضاء يؤكد فشل النظام الصحي في البلاد الذي لا يعنى بهؤلاء المساكين، أما صور المنازل والنماذج المصغرة المتفرقة في القاعة، فتؤكد صعوبة الحصول على منزل خاص في البرازيل، حيث أصبح ذلك مطلباً صعب التحقيق؛ لذلك يلجأ الناس إلى «سيدة الظهور» لتساعدهم في اقتناء منزل يؤويهم وعائلاتهم.

يقدر باريرو عدد القمصان الرياضية التي يحضرها المشجعون شهرياً بحوالي عشرين قميصاً يعود معظمها إلى نادي كورينثيانس، الذي يمتلك أكبر عدد من المشجعين من الطبقات الشعبية الفقيرة، ويضيف أنه أحياناً تحضر إلى الضريح فرق كاملة من أجل أن تتلقى البركة من سيدة الضريح، ولكنها عادة ما تكون فرقاً صغيرة من أندية الدرجة الثالثة.

هناك سوق صغير في الضريح تُعرض فيه النذور والهدايا التي تتراكم

مع الوقت في قاعة المعجزات، حيث تجد فيه كثيراً من الحاجيات التي تباع بثمن زهيد من أدوات المطبخ والألعاب والثياب، أما التماثيل الشمعية فيعاد تذويبها وقولبتها؛ لتصبح شموعاً تستعمل في الضريح، لكنني لا أرى أياً من القمصان الرياضية الشهيرة التي رأيتها محفوظة في القاعة، وعند سؤالي عن مصير تلك القمصان والتذكارات الرياضية الأخرى، أتلقى جواباً حاسماً بأن تلك الأشياء لا تباع، بل تبقى محفوظة في قاعة المعجزات ولاسيما الأدوات والثياب التي تخص مشاهير الرياضيين، إذ لا يمكن التفريط فيها أبداً.

قررت قبل مغادرتي الضريح أن أستعين بالقس باريريو في توزيع بعض الاستبيانات التي أعددتها حول النذور التي تتعلق بكرة القدم؛ لتوزيعها على حجاج المكان وزواره فوعدني أنه سيبذل ما في وسعه لمساعدتي، فهو يعتقد أن قاعة المعجزات ومقتنياتها لم تحظ بكثير من الدراسة والبحث، ولكن بعد عدة أيام لم يصلني غير سبعة نماذج معبأة من الاستبيان الذي تم توزيعه، وقد فسر لي القس ذلك أن بعض الزوار لا يرغبون في الحديث عن نذورهم، ويفضلون أن تبقى معلوماتهم سرية، بالإضافة إلى أن كثيراً من حجاج المكان أميون يجهلون القراءة والكتابة، فلا يمكنهم تعبئة البيانات المطلوبة.

وجدت ضمن الاستبيانات السبعة التي وصلتني اثنين يتعلقان بلاعبين معروفين، الأول عبأه إنريكي دوس سانتوس الذي يلعب في فريق بيلينينيس البرتغالي وهو فريق من الدرجة الأولى، أما هدية إنريكي فقد كانت حذاءً رياضياً، وصورة للنادي أحضرهما لشكر تمثال «سيدة

الظهور» على مساندته في الالتحاق بفريق عالمي خارج البرتغال، وبالنسبة إلى الاستبيان الثاني فقد كان للملاكم أنتونيو نيتو الذي جاء ليشكر صاحبة الضريح على فوزه في بطولة أمريكا اللاتينية للوزن الخفيف قبل خمسة أشهر وأحضر معه رداء الملاكمة الذي دخل به إلى الحلبة.

أما باقي الاستبيانات السبعة فقد عبأها مشجعون للفرق الرياضية المختلفة، وبعضهم كان متأخراً سنة كاملة في الوفاء بنذره، لكنه أتى لمحاولة التسديد قبل بداية العام الجديد حتى لا تلحق بفريقه أي خسائر خلال الموسم الرياضي القادم، وأحد المشجعين أتى من أحد أحياء ساو باولو يعمل في دائرة الإطفاء في المدينة، وقد جلب معه القميص الرياضي الذي كان يرتديه في الملعب عندما فاز فريقه المفضل كورينثيانس ببطولة أندية العالم عام 2000 واسمه سيرجينت مايا، وقد قابلت ذلك الرجل لاحقاً عندما كنت في زيارة لساو باولو وأمضيت معه بعض الوقت، إذ كان سعيداً بوجودي وعدّ ذلك من حسن الطالع، فهو متفائل بأن فريق كورينثيانس سيفوز ببطولة البرازيل في المباراة المقررة في الأسبوع التالي، غير أن ذلك لم يحدث.

كان سيرجينت رجلاً ميسور الحال يمتلك منزلاً فسيحاً وسيارة فخمة، وهو ناجح في عمله مما يخالف فكرتي حول حجاج الضريح أنهم طبقة من الفقراء الأميين الذين لا ملاذ لهم، ولذلك فهم يتقربون من سيدة الضريح لمساعدتهم. وتزداد دهشتي عندما يصطحبني سيرجينت إلى مقر عمله، حيث يحتفظ بعدة أفاعٍ محنطة في أوانٍ زجاجية يعرضها

على رفوف مكتبه ويُطلع زواره عليها متباهياً، أن صيد الأفاعي هو هوايته المفضلة، لكنه فخور بعمله أيضاً، فهو يقول إنه أنقذ آلاف الأرواح، وقد أهداه أحد الذين أنقذهم من حريق كبير قميصاً رياضياً لفريق كورينثيانس، يريني إياه باعتزاز وحرص.

يؤمن مشجعو فريق كورينثيانس أن الله يقف خلف فريقهم دائماً، وأن سيدة الظهور هي الراعية الأولى لهذا الفريق، لذلك فإن سيرجينت يحرص دائماً على تقديم النذور في ضريحها، وهو سعيد أنها تقبلت دعواته وساندت فريقه عام 2000 للفوز ببطولة أندية العالم. تدور حياة سيرجينت كلها حول النذور وزيارة الأماكن المقدسة، وكلما طرأ حادث مهم في حياته يقدم نذراً أو هدية لأحد القديسين، فعندما ترقّى في عمله، قدم بزته العسكرية لقديسي الضريح الوطني، وإذا احتاج إلى نصيحة مالية يقدم نذراً للقديس هيدويغ، أما في مجال كرة القدم هوايته المفضلة، فإنه يلجأ للقديس جورج راعي فريق كورينثيانس.

ولا يقتصر الأمر على سيرجينت وحده وإنما تشاركه زوجته ماريا شغف زيارة القديسين وتقديم النذور، فقد قدمت ثوب زفافها هدية للقديسين في الضريح الوطني، وبعد ولادة طفلها الأول سارعت بتقديم الزهور إلى سيدة الولادة –إحدى القديسات البرازيليات– كما تشارك ماريا شغف زوجها بكرة القدم، لكنها مع الأسف تشجع الفريق المنافس لكورينثيانس وهو فريق بالميراس، وتلك هي نقطة خلافهما الرئيسة، وعندما خسر بالميراس أمام مانشستر يونايتد عام 1999 في بطولة أندية العالم، قام سيرجينت بإطلاق الألعاب النارية في الشارع

ابتهاجاً بالخسارة مما أغضب ماريا لأسابيع.

يعود تاريخ المسيحية الكاثوليكية في البرازيل إلى تاريخ اكتشاف أمريكا الجنوبية ذاتها، إذ ما إن حط الملاح البرتغالي بيدرو الفاريس كابرال رحاله فوق شواطئ القارة، حتى أمر بإقامة قداس ضخم يضم البحارة المرافقين ومن وجدهم على الشاطئ من السكان، كان ذلك عام 1500. ومنذ ذلك الوقت والديانة الكاثوليكية تُعدّ عماد الحياة في البرازيل، ولم تتغير الحال إلا قليلاً في بدايات قيام الجمهورية عام 1889، حين انقطعت الصلة بين الدولة والكنيسة ورغم ذلك فقد ظلت جذور الكاثوليكية عميقة في نفوس البرازيليين جميعاً، وما من دليل أقوى على ذلك من بناء تمثال المسيح الضخم في ريو دي جنيرو عام 1931، وقد ظلت الحكومات المتعاقبة تستغل السطوة الكبيرة للكاثوليكية على أبناء البرازيل عاماً بعد عام، وحتى الآن فإن 70٪ من سكان البرازيل هم من الروم الكاثوليك، مما يجعل البرازيل أكبر دولة كاثوليكية في العالم.

تعتز الجالية البرتغالية في البرازيل بتراثها الديني، لذلك فإنك تجد رموزاً كاثوليكية في كل مكان يتعلق بالبرتغاليين، ولا بد من وجود كنيسة صغيرة في النوادي الاجتماعية كلها، أما في نادي فاسكو دي غاما –وهو النادي الذي أسسه البرتغاليون منذ زمن بعيد– فهناك كنيسة ضخمة داخل النادي لا تضاهيها أي كنيسة أخرى تابعة لناد رياضي، ويعود تاريخ هذه الكنيسة إلى خمسينيات القرن الماضي، تسمى كنيسة سيدة الانتصارات، وهي عبارة عن مبنى ضخم أبيض اللون تزينه شبابيك ملونة وتقع على بعد عشرين متراً خلف المرمى

في ملعب ساو جنيريو، حيث يمكن رؤيتها من الاتجاهات كلها في الملعب، أما القس المسؤول عن الكنيسة فهو الأب بادرو لينو، الذي يقوم بأداء واجباته الدينية في هذه الكنيسة كل يوم سبت، وقد دعاني لزيارة الكنيسة فلبيت دعوته؛ إشباعاً لفضولي، وللحصول على مزيد من المعلومات حول عمله في النادي والكنيسة. بدت لي الكنيسة نظيفة ومليئة بالزهور، كما أنها فسيحة جداً تتسع لمئة شخص تقريباً، فقط عشرون كانوا موجودين في ذلك اليوم، وقد اتخذت مجلساً قريباً لأستطيع مراقبة عمل القس في ذلك اليوم، الذي بدأه بتعميد رضيع يُدعى ثيوغو غارسيا وهو ابن أحد المشاركين في رابطة معجبي فريق فاسكو، وقد أصر الوالد على تعميده في هذا المكان حتى يكبر ويصبح أحد المؤيدين والمشجعين لنادي فاسكو. أما الواجب الثاني للقس في ذلك اليوم فهو مباركة فتاة في الخامسة عشرة جاءت تحتفل بعيد ميلادها في الكنيسة، وقد أحضرت معها مصوراً لتسجيل هذا الاحتفال، إنها مارسيلا بيسوا وهي ضمن فريق السباحة في النادي.

ما إن يفرغ القس من أداء واجباته في ذلك اليوم حتى يخلع ثوب الكنيسة ويعلقه في الحجرة الخلفية، ليرتدي ملابسه الرياضية ويمارس رياضته اليومية، ولذلك فهو يتمتع بلياقة عالية وجسد ممشوق رغم أنه في الأربعينيات من عمره، ويقول بادرولينو إن مهمته ضمن النادي غير واضحة تماماً، لكنه يسعى دائماً لإيجاد صيغة توفق بين الرياضة والدين من أجل خير الجميع، وقد حاول مرة التوفيق بين لاعبي الفريق الكبيرين إدمندو وروميريو إثر خلاف نشب بينهما على الملأ، لكنه يقول إن

أمزجة لاعبي كرة القدم مختلفة عن باقي الرياضيين، لأن معظمهم يحملون خلفيات اجتماعية وثقافية صعبة، وعادة لا يحاولون إظهار مشاكلهم ويجدون صعوبة في طلب المساعدة.

تعمل كنيسة سيدة الانتصارات أيام السبت فقط، لأن القس لينو يعمل في أبرشية في أحد أحياء ريو خلال أيام الأسبوع، لكنه يحضر معظم مباريات الفريق في ملعب ساوجنيريو وقد يوجد مع اللاعبين في غرف الملابس قبل المباراة إذا طلب منه المدرب ذلك، وإذا كان المدرب من المؤمنين المخلصين فقد يطلب منه إقامة قداس قبل المباريات المهمة، وقد يقوم أيضاً بعقد زيجات للاعبي الفريق بعد أن أصبحت تربطه بهم علاقة وطيدة.

إن نادي فاسكو هو النادي الذي ألفه التجار البرتغاليون في البرازيل؛ ليمنحوا الفرصة للاعبين البرازيل السود للانضمام إلى فريق لكرة القدم كلاعبين محترفين، ولذلك فإن هذا النادي يملك إرثاً عريقاً في تمازج الأعراق والأديان أيضاً، ويقول لينو إنه يحترم الأب سانتانا الأسود سليل الثقافة والديانة الإفريقية لما يمثله من روح البرازيل الأصيلة.

يعتقد الأب لينو أن عقد قداس للاعبين يفيدهم حقاً، حتى وإن لم يفدهم فهو لن يضرهم على الأقل، وقد يمنحهم صفاءً ذهنياً ونوعاً من الاسترخاء الذي يساعدهم في التركيز على خطة المدرب، ويضيف إن مدرب الفريق طلب إليه في إحدى المباريات أن يتدخل لمباركة الملعب برشه بالماء المقدس بعد أن كان الفريق خاسراً في الشوط الأول للمباراة بنتيجة 0–2، وقد أتى الماء المقدس ثماره، إذ انقلبت نتيجة المباراة في الشوط الثاني لمصلحة الفريق

ليفوز في النهاية بنتيجة 3–2، وقد لا يبدو هذا الحديث بعيداً عن قصص الضفادع والمعجزات التي سمعناها من القساوسة أصحاب الديانات الإفريقية، ولكن ما يميز هذه القصص هنا هي ارتباطها بالكاثوليكية التي ترتبط بالطبقات الأعلى في المجتمع البرازيلي.

يحضر لينو من أبرشيته في ريو قبل كل مباراة؛ ليجتمع مع اللاعبين في غرفة الملابس ويباركهم برش الماء المقدس عليهم قبل المباراة، ويكتفي بعضهم ببضع قطرات بينما يطلب آخرون مزيداً من الماء ولاسيما حراس المرمى، فيرفع هيلتون حارس مرمى فريق فاسكو يديه الاثنتين في الهواء ويصر على الأب أن يرشهما كلهما بالماء المقدس، ويخبرني لينو على سبيل الفكاهة أنه وصل متأخراً في إحدى المباريات ولم يجد ما يكفي من الماء المقدس، فاضطر لمباركة قليل من المياه المعدنية الموجودة في غرفته، ثم رشها على اللاعبين قبل دخولهم أرض الملعب.

يعتقد لينو أن حراس المرمى هم في العادة أكثر اللاعبين تديناً، فهم يُصلُّون أمام المرمى قبل كل مباراة، كما يصرون على مباركة عوارض المرمى، وقد يرجع ذلك إلى حاجتهم القصوى للدعم الروحي والمعنوي، لأنه يقع عليهم كل اللوم إذا خسر الفريق أمام منافسه، رغم أنهم في العادة أقل اللاعبين حظاً في الشهرة والمجد، لكنهم جميعاً يعيشون دائماً خوف حارس المرمى باربوسا الذي لم يغفر له أحد خطيئة الهدف الذي اخترق مرماه في نهائيات عام 1950.

يمارس حراس المرمى عدداً من الطقوس قبل المباريات؛ جلباً للحظ الجيد ودرءاً للحظ السيئ مثل ركل عوارض المرمى بكعب القدم، أو



حارس مرمى يصلي أمام مرماه.

تقبيل العوارض الخشبية، أو الصلاة داخل المرمى، لكنّ أحداً من هؤلاء الحراس لم يفعل ما يفعله دارسي حارس مرمى فريق براغانتينو، فهو يقوم قبل كل مباراة بركل الكرة عدة مرات حول الحكم ثم يركع على الأرض؛ ليصلي بينما يتظاهر بربط حذائه وينهي طقوسه بتسديد عدة ركلات إلى مرمى الفريق المقابل.

يعكس تدين حراس المرمى العقلية البرازيلية، فيرى البرازيليون في حارس المرمى قدرات خارقة وليس فقط مهارات رياضية، ويظهر ذلك في اللغة التي تستعملها الجماهير، ويصف بها المعلقون الرياضيون حراس المرمى، فعادة ما يطلق على حارس المرمى الماهر لقب القديس أو الملاك، ولا ينطبق هذا الوصف على اللاعبين الآخرين في الفريق. نلحظ تلك

اللغة بوضوح في نشيد كتبه الأديب البرازيلي كارلوس دراموند ونشرته صحيفة جورنال دوبرازيل عام 1998 بعد يوم واحد من فوز المنتخب البرازيلي على منتخب هولندا في المباراة قبل النهائية في بطولة كأس العالم لكرة القدم عام 1998، إذ انتهت المباراة بالتعادل لتحال النتيجة إلى ركلات الجزاء المباشرة؛ لتقرير المنتصر، وطبعاً فإن الركلات المباشرة هي أقصى امتحان يمكن أن يواجه حارس المرمى في فريق كرة القدم، وقد كان في ذلك الوقت الحارس تافاريل، الذي استطاع أن ينقذ فريقه؛ لتفوز البرازيل في نهاية المباراة.

يقول كارلوس في نشيده:

أيها القديس تافاريل

أيها الملاك الحارس

أنقذت مرمانا وأحلامنا وسعادتنا

بوركت يداك اللتان دافعتا عن ترابنا

حتى آخر شبر من أرض الأجداد.

كان حارس المرمى خواليت يعرف بمبعوث العناية الإلهية؛ لأنه كان يوزع نسخاً من الكتاب المقدس قبل كل مباراة على الحكم ولاعبي الفريق المنافس، وقد انضم عام 1981 إلى لاعب آخر يدعى بلتزار ليؤسسا معاً حركة «رياضيو المسيح» وفي ذلك الوقت كان خوليت يلعب ضمن الفريق الوطني البرازيلي، أما بلتزار فقد انضم لاحقاً إلى الفريق الإسباني أتليكو مدريد حيث حقق رقماً قياسياً في عدد الأهداف التي سجلها في موسم واحد. انبثقت عن تلك الحركة لاحقاً ظاهرة دينية جديدة في

البرازيل تمثلت في التبشير بالبروتستانتينية وهي الظاهرة الدينية الأوضح في الوسط الرياضي البرازيلي الآن، حيث يقوم أعضاء الحركة بالتبشير ونشر معتقداتهم بين زملائهم من الرياضيين، ويقضون أوقات فراغهم في قراءة الإنجيل، كما أنهم يخصصون 10٪ من دخلهم للكنيسة. ولا تقتصر هذه الحركة التبشيرية على الرياضيين لكنها تتعداهم إلى المعجبين والمشجعين الذين يمثلون الطبقة الأدنى في المجتمع، حيث ينتشر الفقر وتشيع الجريمة ولا يجد الناس من ملاذ وخلاص إلا بالتقرب المباشر من الروح القدس، الذي سيحقق لهم المعجزات إذا تقربوا إليه بالصلاة والمشاركة في أنشطة الكنيسة المختلفة، وتنعكس هذه الاعتقادات على حياتهم اليومية، فهم يظهرون الالتزام والتقوى دائماً، كما يتمسكون بالرموز المسيحية التي تظهر في ملابسهم وبيوتهم من صلبان وأيقونات ومسابح.

تعتقد ريجينا نوفيس الباحثة في معهد الدراسات الدينية في ريو أن هذه التوجهات الدينية الجديدة في أوساط الرياضيين لها ما يبررها، فمهنة كرة القدم صعبة، تحتاج إلى كثير من الالتزام والتضحيات، وعلى الرغم من أنها تدر كثيراً من الأموال فإنها مهنة غير ثابتة، فربما تُقوض إصابة بالغة جهود اللاعب لسنوات منهية مسيرته الرياضية؛ ليعود إلى منزله عاطلاً عن العمل من دون دخل أو دعم من أحد، وهنا يبرز الدعم الديني الذي يمنح اللاعب نوعاً من الأمان وإحساساً بالانتماء.

تتكون حركة رياضيي المسيح من مبشرين، ينتمون إلى طوائف عدة يقدّر عددهم الآن بزهاء 7,000 مبشر، معظمهم من لاعبي كرة

القدم وبعضهم من المشهورين والمعروفين في البرازيل وخارجها، وفي صفوف المنتخب البرازيلي لكرة القدم الذي مثّل البرازيل في بطولة كأس العالم عام 1994، كان هناك ستة من اللاعبين ينتمون إلى حركة رياضيي المسيح، وهم: زينهو ومازينهو وجورجينو ومولر وباولو سيرجيو وطبعاً مؤسس الحركة وحارس مرمى الفريق تافاريل، وقد لعب أربعة منهم في المباراة النهائية، وكان يرافق المنتخب الرياضي السابق في سباقات السيارات إليكس دياز ربيرو، وهو عضو في الحركة أيضاً، وقد وضع كتاباً فيما بعد حول نهائيات كأس العالم 1994 بعنوان «من الذي فاز بالكأس؟».

يلتقي أعضاء حركة رياضيي المسيح المقيمين في ريو مساء كل اثنين في قاعة كنيسة المعمدانية قرب ملعب الماراكانا في ريو، ويتضمن قداسهم الترانيم الخاصة بمجموعتهم التي أصبحت معروفة في معظم كنائس ريو الآن، أما أيام الجمعة فيلتقي أعضاء المجموعة من اللاعبين العاطلين عن العمل في مدرسة جورجينو لكرة القدم الواقعة على أطراف ريو، ويُعدّ بناء مركز رياضي خاص تقليداً متبعاً لدى اللاعبين الناجحين في البرازيل، لخدمة أبناء المنطقة أو الحي الذي نشؤوا فيه، وتضم مدرسة جورجينو أربعة ملاعب ومقهى يلتقي فيه اللاعبون حيث يعلق قميص جورجينو الذي يحمل رقم (2)، والذي كان يرتديه في المباراة النهائية لكأس العالم 1994 .

كان المبشرون في بداية حركتهم يحاربون النشاطات الدنيوية مثل كرة القدم وموسيقى البوب، ويقولون إن كرة القدم هي لعبة الشيطان،

ولكن ما إن بدؤوا بتقبل الثقافة المحلية للبلاد بما فيها كرة القدم حتى زاد عدد الأعضاء على نحو كبير، ولذلك فهم يشعرون الآن أن مهمتهم قد أصبحت أهم من ذي قبل، وبعد أن ينهوا تمريناتهم على أرض ملعب مدرسة جورجينو يتحلقون حول اللاعب الكبير إدلسون، الذي عاد إلى البرازيل بعد انتهاء عقده مع الفريق البرتغالي ماريتيمو، ليشرح لهم أن الله قد اختار البرازيل بطريقة خاصة، فهي أرض كرة القدم، لذلك فلا بد أن تكون هذه اللعبة إحدى الوسائل التي يجب أن تستعملها الحركة في التبشير ونشر تعاليم المسيح، وهنا يتدخل اللاعب سيرجيو موراليس الذي كان يلعب في المملكة العربية السعودية ليقول: إن التبشير ليس فقط بالكلمات، فالأفعال هي أفضل دليل، وعندما تكون سعيداً في مهنتك حتى لو كنت في صفوف الاحتياط ولم يسمحوا لك باللعب، فإن ذلك سيظهر في أفعالك وقناعتك بإيمانك وسيعلم الجميع أن المسيح يحيا داخلك ويمنحك القوة والثبات.

يحدثني إدلسون عن قصته، وكيف كان مدمناً على الكحول قبل أن يدخل الإيمان قلبه وينضم إلى حركة رياضيي المسيح، وكيف أصبح سعيداً جداً وقانعاً بمهنته بعد ذلك، فهو يرى أن مهمته تتلخص في تعريف الآخرين برسالة المسيح وتأثيره على حياة الناس، أما سيرجيو فيذكر لي أنه تعرض لإصابة شديدة في الركبة أثناء التمرين وظلت تؤلمه حتى قرأ عليه أحد أعضاء الحركة صلاة خاصة للمساعدة في شفاء ركبته، وفعلاً فقد زال ورم الركبة نهائياً بعد ذلك، ويضيف سيرجيو أن الله موجود وقريب من عباده الذين يختارون الإيمان به، والتسليم له في

شؤون حياتهم.

تعد كنيسة مملكة الرب في ريو، أضخم كنيسة تبشيرية في البرازيل، وقد أسسها الأسقف إدير ماكيدو عام 1977، وبحلول عام 1999 كان عدد أعضائها يفوق 3,5 ملايين يتوزعون في أكثر من ثلاثين بلداً، وتمتلك هذه الكنيسة محطتها التلفزيونية الخاصة، أما في عام 2000 فقد أصبح الأسقف يمتلك فريقاً لكرة القدم وهو فريق يونيفرسال FC الذي ينتمي إلى فرق الدرجة الثانية، لكن عدد مشجعيه أصبح يوازي الآن عدد مشجعي فرق الدرجة الأولى، بعد أن اقترن اسمه باسم كنيسة مملكة الرب، وتحضر هذه الجماهير مباريات الفريق بانتظام حيث تمتلئ المدرجات وتنفد التذاكر كلها، كما تحافظ هذه الجماهير على هدوئها وانضباطها في المدرجات فلا شتائم ولا سباب، بل تشجيع نظيف وسعادة بالنتيجة مهما كانت ربحاً أم خسارة، وقد يبدو ذلك مثالياً بالنسبة للجماهير البرازيلية، لكنه حقيقي، فجماهير فريق الكنيسة تلتزم بالتعاليم الدينية التي ينص عليها المبشرون، فلا شراب في الملعب ولا احتفالات صاخبة بعد المباريات كما يحدث عادة.

كان مدرب فريق يونيفرسال FC ماركوينوس لاعباً متوسطاً في السبعينيات، يلعب في فرق الشباب وقد قطع مرحلة لا بأس بها في حياته المهنية، لكنه يرى الآن أنّ مهنته الجديدة بوصفه مدرباً لفريق الكنيسة فرصة ذهبية للعودة للإيمان واستعادة ارتباطه بالكنيسة من جديد، ويقول إنه يشعر بتغيير إيجابي في الفريق منذ أن اشتراه الأسقف، فقد أصبح اللاعبون أكثر وعياً ولطفاً وتناقص عدد الأخطاء التي يرتكبونها في أثناء

المباريات؛ لأنهم أصبحوا أقل عدوانية وشراسة، وهذا يعطي انطباعاً حسناً عن الفريق. لقد بدأ الفريق موسمه بنتائج جيدة، وعلى الرغم من أن اللاعبين لا يتمتعون بقوة جسدية كافية فإنهم يتعاملون بروح الفريق، فهم يتعاونون في التمارين ولا يستحوذون على التمريرات في المباريات، ويرى ماركونيوس أن لدى الفريق فرصة للتحسن والوصول إلى موقع أفضل في الموسم القادم.

هناك فريق آخر في البرازيل تمتلكه الكنيسة، وهو فريق نيوهوب (الأمل الجديد) الذي يحمل اسم الحركة التي ترعاه، وقد أسس حركة الأمل الجديد القس مون الذي قدم إلى البرازيل عام 1995، وقرر الإقامة في جارديم وهي مدينة على الحدود مع البارغواي، وهناك اشترى 55,000 هكتار من الأرض حول المدينة، وأقام فيها مركزاً تعليمياً وتدريبياً لأهالي المنطقة بالإضافة للكنيسة، وفيما بعد أسس نادي كرة القدم التابع للكنيسة، ويعدّ الأهالي هذا النادي أجمل هدية قُدمت لهم، لذلك فهم يدعمونه ويشجعونه باستمرار، وقد وصل النادي إلى المركز الثامن من بين سبعة عشر فريقاً منافساً في الموسم، وهو مركز جيد بالنسبة إلى فريق مبتدئ.

يشكل الدين والكرنفال وكرة القدم الدعائم الرئيسية في الثقافة البرازيلية، وفي ريو دي جنيرو تجد هذه الدعائم الثلاثة واضحة في تمثال السيد المسيح وفرق السامبا وملعب الماراكانا، وهناك علاقة تفاعلية بين الثلاثة دائماً؛ لأنّ كرة القدم توفر أرضية فسيحة للديانات في البرازيل لتعبر عن ذاتها، فقبل كل مباراة سواء أكانت في فرق الدرجة الأولى أم

حتى في فرق الهواة، لا بدّ للاعبين أن يؤدوا صلاتهم الخاصة، مهما كانت ديانتهم أو توجههم العقائدي، كما يمكن للشخص الواحد أن يحمل أكثر من اعتقاد في الوقت ذاته، فيرتدي صليب المسيح في عنقه بالإضافة لأيقونة دينية إفريقية، من دون أن يشعره ذلك بالتناقض أو الانحياز لطرف من دون آخر، لذلك فإن كرة القدم البرازيلية تعكس طيف الأديان والمعتقدات الموجودة في البرازيل في تمازج فريد من نوعه، فلن تجد بلداً مثل البرازيل تقام كنائسه داخل الملاعب، وتستعمل ملاعبه لإقامة المراسم والشعائر الدينية.

ملحق:

كان كأس العالم عام 2002 حدثاً دينياً بامتياز بالنسبة إلى البرازيليين، وقد تابعت عدسات المصورين اللاعبين الثلاثة إدملسون ولوشيو وكاكا، وهم يركعون على عشب الملعب في صلاة شكر بعد الفوز، أما المدرب سكولاري فقد حجَّ إلى موقع ديني مقدس قرب مدينة بورتو أليجرا، وبالنسبة إلى الهداف رونالدو فقد اصطحب والدته في طائرة عمودية إلى ضريح «سيدة الظهور»؛ لتقديم شكره والوفاء بالنذور التي سبق أن نذرها للفوز في المباراة، ولاحقاً حصل حارس المرمى ماركوس على صفة مواطن فخري في مدينة ساو ماركوس المقدسة جنوبي البرازيل.

الفصل العاشر

ألقاب، وأسماء، وحكايات

«في لعبة كرة القدم عليك أن تعرف كل شيء، لا الكرة فقط».

نيلسون رودريغوز

يمتلك مارو شامبو صالوناً للحلاقة، لكنه لاعب كرة قدم سابق أيضاً، ولذلك فهو اليوم يرتدي الزي الرياضي وما إن ينتهي من حلاقة شعر أحد الزبائن حتى يُخرج كرة من إحدى الزوايا، ويبدأ أمامي بتقديم عرض جميل لضرب الكرة بالرأس. كان مارو يلعب ضمن صفوف نادي إيبس وهو أحد فرق الدرجة الأولى في بيرنامبوكو، لكن الفريق أخذ يتدهور في أواخر السبعينيات، ومرت عليه ثلاث سنوات من دون أن يفوز بمباراة واحدة، وهكذا اكتسب لقب أسوأ فريق في العالم، وأصبح له نادٍ خاص من المعجبين الذين غضبوا جداً عندما عاود الفريق نشاطه وأخذ يفوز بالمباريات!

عمل مارو مصفف شعر طوال حياته حتى عندما كان لاعباً محترفاً، وهكذا اكتسب لقب شامبو، وإنه يطلق ألقاباً مماثلة تتعلق بمهنته على أولاده أيضاً، وهو يمتلك صالوناً للحلاقة في مدينة ريسيف، حيث يزوره اللاعبون المحليون بانتظام لحلاقة شعرهم، أو الحديث وشرب القهوة فحسب.

لا يقتصر إطلاق الألقاب في البرازيل على لاعبي كرة القدم أمثال

مارو فقط، وإنما يتعداه إلى غيره من اللاعبين القدامى والمعاصرين، ومنذ أن تكوّن الفريق الوطني عام 1914 والألقاب الجميلة والقبيحة تلاحق اللاعبين باستمرار، وقد تطغى على أسمائهم الحقيقية التي يطويها النسيان بعد انتشار اللقب، وفي قائمة اللاعبين القدامى نجد لاعب الهجوم فورميغا (أي: النملة)، واللاعب بريغوينو (أي: الظفر الصغير) الذي قاد المنتخب البرازيلي في كأس العالم 1930، وفي الأربعينيات برز اللاعب بيغودا (أي: الشارب) واللاعب ناريز (أي: الأنف) واللاعب بوكوينا (أي: الفم الصغير) وكلهم كانوا يمثلون بلادهم في المنتخب الوطني، أما قائد الفريق المنتصر في نهائيات كأس العالم عام 1994 فقد كان دونغا، وهو اسم أحد الأقزام في قصة الأطفال «بيضاء الثلج والأقزام السبعة» التي ترجمت إلى البرتغالية.

يتعلق البرازيليون بالألقاب بشدة، ويطلقونها على الأشخاص بكل سهولة لتلتصق بهم مدى الحياة، وربما يعود ذلك إلى سيادة الثقافة الشفهية أكثر من المكتوبة في هذا الجزء من العالم، وهناك مدينة في البرازيل تعتمد بلديتها الألقاب في دليل الهاتف، وهي مدينة كلوديو في ميناس التي يبلغ عدد سكانها 22,000 نسمة، يُعرف معظمهم بالألقاب من دون الأسماء، لذلك كان لا بد من إدراج هذه الألقاب ضمن دليل الهاتف.

ولا تقتصر الألقاب على الفئات الشعبية أو الحرفيين، وإنما تطلق على المسؤولين في مختلف المناصب في الدولة أيضاً، فالحاكم السابق لولاية بايوي يلقب بماوسانتا (أي: اليد المقدسة)، أما رئيس اتحاد كرة القدم

في مدينة ريو، فهو كيكسا داغوا (أي: خزان الماء). أمّا بالنسبة للمرشح السياسي اليساري لويس إناسيو دا سيلفا، فقد قرر إضافة لقبه لولا إلى اسمه في الانتخابات المقبلة حتى يستطيع الناخبون التعرف عليه.

أصابتني الدهشة في إحدى المرات حين كنت أتابع برنامجاً رياضياً يبثه التلفاز، فقد كان المعلق الرياضي يؤكد أن كانيغيا ومارادونا قد سجلا هدفين لفرق ريو برانكو في بطولة ولاية برانا لكرة القدم، وأنا أعرف حق المعرفة أن اللاعبين الشهيرين لا يلعبان في فرق برازيلية، ولكن الأمر اتضح بعد قليل، عندما علمت أن الاسمين لم يكونا غير لقبين أطلقا على لاعبين برازيليين؛ بسبب شبههما الملاحظ باللاعبين الشهيرين.

تطلق على لاعبي الكرة أسماء لاعبين آخرين معروفين، وهو أمر طبيعي في لعبة كرة القدم، فاللاعب الموهوب في التمريرات والتهديف قد يلقب بزيكو مثلاً، أما اللاعب البرازيلي لويس أنطونيو كوريا دا كوستا فقد لُقب بمولر؛ تيمناً باللاعب الألماني الشهير الذي شارك في بطولة كأس العالم مرتين عام 1970 و1974، وقد أذهل العالم بقدراته، أما مولر البرازيلي فلم يكن يقل مهارة وإبداعاً عن صاحب الاسم الأصلي، إذ شارك في ثلاث بطولات لكأس العالم عام 1986 و 1990 و 1994، وأظهر مهارات حرفية عالية، لكنّ اللاعبين لم يتقابلا مطلقاً في أيّ من المباريات بسبب فارق العمر بينهما، ولكن في البرازيل قد يتقابل اللاعب صاحب اللقب مع اللاعب الشهير، كما حدث مع اللاعب روماريو وروما الذي أطلق عليه أصدقاؤه هذا اللقب لأنه يذكرهم

بروماريو اللاعب المعروف الذي يكبر روما بثلاث عشرة سنة، وقد تقابل اللاعبان عام 2000 في المباراة ذاتها، فكان روماريو يلعب لفريق فلامنغو بينما لعب روما لفريق فاسكو، وقد علق الصحفيون على هذا اللقاء بقولهم إن روما لعب بطريقة روماريو أكثر مما فعل روماريو ذاته.

تصف الألقاب أحياناً الطريقة التي يلعب بها اللاعب، مثل لقب الزبدة الذي أطلق على اللاعب مانتيغا؛ لأن تمريراته كانت زلقة كالزبدة، وفي أحيان أخرى يحمل اللقب صبغة اجتماعية خاصة كما حدث عام 1919 عندما ظهر ضمن فريق الأورغواي الذي قدم ليلعب في ريو لاعب أسود، وهو اللاعب غرادن الذي كان أول لاعب أسود اللون يلعب في ريو ضمن فريق وطني، وهكذا أصبح يطلق على كل لاعب أسود فيما بعد لقب غرادم، بتغيير حرف النون إلى ميم ليناسب الترجمة البرتغالية للكلمة.

وبالنسبة لأوروبي مثلي، ينحدر من ثقافة حساسة ضد العنصرية، كانت مناداة بعض اللاعبين بألقاب تشير إلى لون بشرتهم أمراً غريباً لم أعتده مثل اللاعب إسكورينو (أي: الأسمر) واللاعب بتروليو (أي: بترول في إشارة إلى اللون الأسود)، وكذلك اللاعب ميانويت (أي: منتصف الليل) وكلها ألقاب تشير إلى لون البشرة الداكن للاعب. وهناك ألقاب أخرى تلتصق باللاعبين وربما لا تتعلق بلون بشرتهم لكنها بالتأكيد تحرجهم أحياناً، كما حدث مع ماريليا دوس سانتوس التي كانت ضمن لاعبي المنتخب الوطني البرازيلي في دورة الألعاب

الأولمبية في أتلانتا عام 1996، إذ كانت ماريليا قد سُجلت تحت اسم مايكل جاكسون وهو لقبها في البرازيل؛ لأنها كانت تمتلك موهبة موسيقية بالإضافة لإمكانياتها الرياضية، وعندما أعلن عن اسمها في الملعب ضجّ الجمهور بالضحك وأخذ بعضهم يسخر منها.

وفيما يخص الألقاب التي تشير إلى جنسية اللاعب، فحدث ولا حرج، فتستطيع أن ترسم خريطة واضحة للجنسيات المهاجرة إلى البرازيل بتتبع الألقاب الخاصة باللاعبين الأجانب، فهناك مكسيكانو (أي: المكسيكي)، وباراغوايو (أي: من باراغواي)، وجابينا (أي: الياباني الصغير)، وشنسينو (أي: الصيني الصغير)، وصوماليا (أي: الصومالي) وكنغو (أيك من الكونغو) إلى آخره، وهناك قرب حدود البرازيل مع الأورغواي عدد من اللاعبين يلقبون بكاستالينو (أي: القشتالي) لأنهم يتحدثون الإسبانية فحسب.

أما إذا تأملنا الألقاب التي تشير إلى المدينة التي قدم منها اللاعب داخل البرازيل فإننا سنجد المزيد، وهي عادة مألوفة جداً، فيضاف اسم المدينة إلى اسم اللاعب لتمييزه عن زملائه في الفريق ولاسيما إذا كان هناك أكثر من لاعب يحملون الاسم الأول ذاته، كما حدث مع اللاعب جونينو عندما عاد إلى البرازيل بعد أن كان يلعب مع أحد الأندية في الخارج. وكان هناك لاعب آخر في فريقه يدعى جونينو، ولحل هذا الإشكال أصبح اللاعب العائد يدعى جونينو باوليستا (أي: من ساوباولو)، واللاعب الآخر حمل لقب جونينو بورنامبوكانو (أي: من بورنامبوكو)، وكان ذلك هو الحل الأسهل والأفضل بالنسبة للفريق

عوضاً عن استعمال اسم العائلة لكل منها مثلاً! يا للغرابة! تتوسع دائرة الألقاب لتشمل حتى الأرقام، فهناك لاعب يحمل لقب 84، وآخر يقال له 109، وأحدهم يدعى دوزنتوس (أي: 200)!

قد تضفي الألقاب هالة من السحر على لاعبي الكرة البرازيلية، إذ إن بيليه مثلاً سيبقى هو اللاعب الرائع ذاته حتى لو عُرف باسمه الحقيقي أديسون أرانتس، ولكن لقب بيليه يحمل بعضاً من سحر اللاعب وهالته بالنسبة إلى معجبيه ومحبي كرة القدم البرازيلية، فهو لقب بسيط ويسهل حفظه لكنه ارتبط باللاعب الأسطورة؛ ليصبح فيما بعد رمزاً للعبقرية الكروية أكثر منه رمزاً للشخص ذاته.

لا يعني لقب بيليه شيئاً في اللغة البرتغالية، فهو لقب مخترع كأي علامة تجارية أخرى تبدأ بلا معنى، ثم تكتسب معناها وقوتها من قوة المنتج وتأثيره، مثل اسم كوداك أو كومباك، وكلها أسماء تجارية بلا معنى إلا أنها تشير إلى منتج يعرفه العالم كله، وقبل أن يصبح اللاعب بيليه لاعباً يعرفه الجميع، كان يدعى في منزله ديكو عندما كان طفلاً، وعندما التحق بفريق سانتوس كان يسمى غازولينا (أي: البنزين) لما كان يثيره من حماس وطاقة في صفوف الفريق، وفيما بعد أُطلق عليه لقب بيليه عندما أصبح يلعب في المباريات الدولية.

يعكس استعمال الألقاب بشكل موسع فكرة التشبث بالطفولة لوقت أطول، وانعدام الثقة بالنفس وتأخر في النضج، لكن الكاتب لويس فرناندو فيريسمو يذهب أبعد من ذلك في تحليل انتشار الألقاب، فهو يُرجع ذلك إلى مخلفات فترة العبودية التي كانت سائدة في البرازيل،

حيث كان لكل عبدٍ لقبه الخاص الذي يُعرف به، بعد أن مُنع العبيد من استعمال أسمائهم الأصلية، وهكذا كانت هذه الألقاب تحدد للعبد مكانه الخاص وإمكانياته التي لا يمكن أن يتخطاها، ولذلك فالكاتب يرى أن الألقاب تُعبر عن إرث كامل من الخضوع والقهر يتناقله البرازيليون حتى الآن.

يعتقد المعلق الرياضي أديسون ليت، أن السبب في إخفاق المنتخب البرازيلي الذي تشكل بعد كأس العالم عام 1962 في تحقيق أي نتائج مرضية كان الألقاب التي يحملها لاعبوه، فألقاب مثل بيكولي (أي: قطعة الحلوى) وسوليتيرو (أي: الرجل الوحيد) وجوردو (أي: السمين) وأستروناتا (أي: رجل الفضاء) قد تصلح لفريق أطفال في مرحلة الروضة وليس لفريق رياضي عالمي، وبناءً على ذلك تزعّم ليت حملة لمحو ألقاب اللاعبين ومناداتهم بأسمائهم فقط، وقد لاقت الحملة بعض القبول لكنها سرعان ما فشلت؛ ليعود الناس إلى تداول الألقاب لسهولتها وسرعة حفظها.

يعمل لويز غستافو فيرا دي كاسترو في سجل الأسماء في مكتب اتحاد كرة القدم البرازيلي، وهو المسؤول عن إدراج عشرات الأسماء والألقاب يومياً التي يود أصحابها الانضمام إلى الاتحاد الكروي كلاعبين محترفين، وقد كان يبدو عليه الاستياء في ذلك اليوم عندما زرته في مكتبه لاستطلاع رأيه حول الألقاب الغريبة المنتشرة في رياضة كرة القدم.

يستل لويز ملفاً يحمل طلباً للانضمام إلى الاتحاد من بين مجموعة

كبيرة من الملفات المتراكمة على مكتبه، ويبدأ بقراءة اسم مقدم الطلب بصوت مرتفع «بِلزيران خوسيه دي سوسا»، ثم يلتقط طلباً آخر، ويقرأ «إلروبيز دياز داسيلفا»، ويعلق «أية أسماء هذه؟» «لا يوجد في هذه الكومة اسم برازيلي طبيعي واحد!» يعتقد لويز أن ظهور هذا الكم من الأسماء الهجينة والغريبة عن الثقافة البرازيلية يشير إلى تدهور في التعليم ونقصٍ في الثقافة، وهو مؤشر خطير يجب الانتباه إليه ومعالجته. غير أن ابتكار الأسماء والألقاب ليس حالة فريدة في البرازيل، وما هو إلا امتداد لحالة الابتكار والتغيير الدائمة التي تطال كل شيء في البرازيل ولاسيما كرة القدم، التي استطاع البرازيليون فرض أسلوبهم الخاص عليها بكسر القوانين القديمة، وتحدي الطرق الكلاسيكية الموروثة في اللعب، لجعلها لعبة أكثر حيوية وحرارة تسعد مشاهدتها ملايين المتفرجين حول العالم.

أنتجت عملية التغيير وكسر القوانين هذه اسم «توسبيريكا جيرجا»، وهي ليست كلمةً إغريقية مثلاً، بل هي اسم أطلق على طفل ولد عام 1970 عندما فازت البرازيل بكأس العالم لكرة القدم، وقد اختار والداه أن يطلقا عليه اسماً يخلده ويجمع بين أسماء ستة من لاعبي المنتخب البرازيلي الذين مثلوا المنتخب في ذلك العام، وهم توستاو وبيليه ورفيلينو وكارلوس ألبرتو وجيرسون وجيرزنيو، فظهر بذلك اسم توسبيريكا جيرجا.

لطالما كان للمباريات النهائية في كأس العالم أثرها الواضح على أسماء المواليد الجدد في البرازيل، فقد أطلق اسم «غول» أي: هدف،

على الطفل غول سانتانا سيلفا إثر فوز البرازيل بكأس العالم عام 1962؛ احتفالاً بالنصر العظيم ذلك العام، أما اسم تفاريل فقد كان الأكثر شيوعاً بين مواليد عام 1998 حيث شهد ذلك العام نهائيات كأس العالم لكرة القدم، التي كان لحارس المرمى تفاريل دور جوهري فيها. والأخوان زيكومنغو وفلاموزير ليسا عضوين في فرقة مهرجين كما قد يبدو من اسميهما الغريبين، ولكن والدهما فرانسيسكو نيغو دوس سانتوس أطلق عليهما هذين الاسمين؛ احتفاءً بنجميه المفضلين في فريق فلامنغو وهما زيكو وموزير، وحتى ابنته فلامينا لم تنج من شغف والدها بفريق فلامنغو، ولكن فرانسيسكو أصيب بخيبة أمل شديدة عندما اصطحب ولديه لمقابلة اللاعب زيكو، إذ عامله زيكو بقسوة ولامه على منح ولديه هذه الأسماء الغريبة.

يعتمد البرازيليون أحياناً طرقاً غريبة لتسمية أبنائهم، مثل أن يسمي الوليد باسم يتكون من اسم الأب والأم معاً كرمز لتوحد الزوجين في علاقة متينة، وهذا ما حدث مع جيلمار الذي يتكون اسمه من جمع مقطعين من اسمي والديه جيلبرتو وماريا، ولكنه كبر فيما بعد؛ ليصبح من أشهر حراس المرمى البرازيليين وقد شارك في نهائيات كأس العالم 1958 و1962، أما جيلمار لويز رينالدي فقد ولد بعد حارس المرمى الشهير بأكثر من عشرين عاماً، لكنه رغم ذلك ظل أسير الاسم الذي يحمله، وقد كان موهوباً في كرة القدم، لكنه كان دائماً يبقى في حراسة المرمى، ومع الوقت اعتاد وجوده هناك، بل إنه برع في حراسة المرمى حتى استطاع المشاركة في نهائيات كأس العالم عام 1994 حارس مرمى احتياطياً مع تفاريل.

يمكن مناداة أي شخص باسمه الأول في البرازيل، فهو التقليد المتعارف عليه؛ لأن ذلك يعكس مشاعر المودة والبعد عن الرسميات، وبالنسبة إلى لاعبي كرة القدم فإن هذا التقليد يتخذ منحًى أبعد بإضافة اللقب لاسم اللاعب الأول؛ لتمييزه عن الآخرين الذين قد يحملون الاسم ذاته. يقول المؤرخ سيرجيو بوركوا دي هولندا: إن هذا التقليد يسري على الجميع من دون استثناء ومهما كانت صفتهم السياسية أو الاجتماعية من أطباء ومحامين ومعلمين وسياسيين، فالجميع يتخاطبون كأنهم أصدقاء مقربون، وبالتأكيد ينطبق ذلك على لاعبي كرة القدم. ولكن ذلك يخلق بعض الإشكالات أحياناً، كما حدث في التسعينيات عندما كثر عدد اللاعبين الذين يحملون اسم رونالدو في المنتخب الوطني، ولتمييزهم عن بعضهم أضيفت لاحقة (آو) التي تعني الكبير لاسم أحدهم ليصبح رونالداو، وأضيفت لاحقة (ينو) التي تعني الصغير للآخر ليصبح رونالدينو، وهكذا أصبح لدينا رونالدو العادي ورونالداو الكبير ورونالدينو الصغير، غير أنّ أمراً غير متوقع حدث عام 1999، إذ انضم للمنتخب لاعب آخر يحمل اسم رونالدو! ولم يجد الفريق من حل إلا إضافة اسم البلدة التي قدم منها حلاً للمشكلة، فأصبح اسم اللاعب رونالدينو جواشو أي (رونالدو الصغير من ريو غراند دو سول)، ثم وبعد أن غادر رونالدينو الأول الفريق، استقر اسم اللاعب على رونالدينو فقط من دون الحاجة لذكر اسم مدينته مقترنا باسمه.

لقد كان استعمال الأسماء المجردة والألقاب الحميمة، طريقة برازيلية

خالصة ميزت كرة القدم البرازيلية عن مثيلاتها في الدول الأوروبية والإنجليزية ولاسيما في بداية انتشار اللعبة في هذه البلاد، إذ كانت نوادي كرة القدم الإنجليزية تسجل أسماء لاعبيها بأسماء عائلاتهم أولاً ويلحق به الاسم الأول للاعب، غير أن البرازيليين عدوا ذلك طريقة غير مجدية، فماذا لو كان في الفريق ذاته أخوان يحملان اللقب العائلي ذاته؟ وهكذا ومنذ البداية اعتمدت الفرق البرازيلية الاسم الأول للاعب مع إضافة لقب خاص به غير لقبه العائلي لتمييزه عن آخر قد يحمل الاسم ذاته، ويرى البرازيليون أن هذه الطريقة تحمل كثيراً من الحميمية والألفة، فيتعامل أفراد الفريق جميعاً كأنهم أصدقاء مقربون يعرف بعضهم بعضاً، وقد أتوا للملعب لقضاء وقت ممتع ليس إلا.

تعكس أسماء اللاعبين غير المألوفة أحياناً اهتمامات البرازيليين في فترة من الفترات، وولعهم بكل ما هو جديد، فهم شعب منفتح على العالم وفضولي. ومن الأسماء التي انتشرت حديثاً بين اللاعبين البرازيليين اسم دونيزت، إذ كان هناك ثلاثة لاعبين يحملون هذا الاسم في نوادي الدرجة الأولى في البرازيل على الرغم من أنه ليس من الأسماء البرازيلية التقليدية المتداولة، ولم يكن متداولاً إطلاقاً قبل خمسين عاماً، ولكن في عام 1950 ظهر راهب مسيحي في ساو باولو يدعى دونيزت، وقد أطلق عليه والده هذا الاسم؛ تيمناً بعازف أوبرالي إيطالي يدعى دونيزيتي كان قد زار البرازيل في بدايات القرن وأحبه البرازيليون كثيراً. اشتهر راهب الخمسينيات دونيزت بتقواه وإيمانه وإتيانه بالكثير من المعجزات التي كان أهالي ساو باولو شهوداً عليها، وهكذا انتشر هذا الاسم انتشار النار

في الهشيم بين مواليد تلك الحقبة، ليصل العدد إلى مليون طفل يحملون ذلك الاسم حسب الإحصائيات البرازيلية.

يبرز تأثير الحضارة الغربية في أسماء أخرى أيضاً، مثل اسم أوليود وهو النسخة المحرفة من اسم هوليود، مركز صناعة الأفلام والسينما في الولايات المتحدة، وقد كان هناك لاعب معروف جداً في التسعينيات يحمل هذا الاسم، لكنه كان يعرف بلقب الكابتن أيضاً؛ لأنه غالباً ما كان يقود فريقه في المباريات. يبرز في هذا السياق اسم اللاعب البرازيلي آلان ديلون أيضاً، الذي لمع عام 2001 عندما حقق في ذلك العام أكبر عدد من الأهداف حتى إن الممثل الفرنسي آلان ديلون الذي يحمل اللاعب البرازيلي اسمه، اعترف أنه كان يفضل لو كان لاعب كرة قدم على أن يكون ممثلاً، ويبدو أن لاعبي كرة القدم يحظون بنصيب أكبر من النجاح والشهرة، ويعلق اللاعب البرازيلي على تصريح الممثل بقوله: إنه لا يمتلك عيني آلان ديلون الساحرتين، ولكنه يمتلك قدماً ذهبية أوصلته إلى قمة النجاح، وهو مدين لوالدته التي اختارت له هذا الاسم الذي يحبه ويتفاءل به.

ومن مشاهير كرة القدم البرازيلية الذين يحملون أسماء مميزة، اللاعب روبرتو كارلوس الذي كان يلعب في الجناح الأيسر للمنتخب البرازيلي، وقد أطلقت عليه والدته هذا الاسم لإعجابها الشديد بالمغني البرازيلي روبرتو كارلوس، غير أن هذا المغني صاحب الحنجرة الذهبية كان قد تعرض في طفولته لحادث أدى إلى تشويه إحدى قدميه إلى الأبد، وهنا تكمن المفارقة الصارخة، إذ سمي اللاعب صاحب القدم الثمينة تيمناً

بالمغني الشهير صاحب القدم المشوهة! أما والدة اللاعب أوديغان الذي كان يلعب ضمن صفوف المنتخب البرازيلي عام 1998 فقد اختارت أن تخلد إحدى أغنيات روبرتو كارلوس التي كانت معجبة بها، بأن تطلق اسم الأغنية على ابنها، وهكذا تحولت الأغنية الشهيرة «أوديغا» إلى اسم لاعب كرة معروف.

ساهمت الأخطاء الإملائية أيضاً، في تكوين بعض الأسماء غير المألوفة في عالم كرة القدم البرازيلية، وقد تعود هذه الأخطاء الإملائية إلى جهل الوالدين بكيفية كتابة الاسم أحياناً، ويكون كاتب السجل مجبراً على تسجيل اسم الطفل كما يمليه عليه الوالدان. أما الأسماء الأجنبية التي يطلقها الوالدان على ابنهما فقد تضم أحياناً أحرفاً أو أصواتاً ليست موجودة في اللغة البرتغالية، فيضطر الوالدان للاستعاضة عنها بالأحرف البرتغالية، مما يؤدي إلى تغيير تهجئة الاسم وطريقة نطقه.

يبدو أن البرازيليين لا يعلقون أهمية كبرى على طريقة كتابة الاسم ما دام في النهاية سينطق بالطريقة ذاتها، وربما يعود ذلك -كما أسلفنا- إلى اعتماد البرازيليين على الثقافة الشفاهية المحكية أكثر من المكتوبة، فهناك كثير من الأمثلة الصارخة التي يكتب فيها اللاعبون أسماءهم بطريقة مختلفة في مناسبات متباينة، مثل اللاعب الكبير زجالو، الذي ولد عام 1931 وأصبح لاعباً معروفاً في الأربعينيات، وتنقل بين فرق فلامنغو وبوتا فوغو ثم انضم للمنتخب الوطني وفاز بأربع بطولات في كأس العالم لكرة القدم، وفي هذه المناسبات جميعها كان اسمه يُكتب Zagalo بالأحرف اللاتينية حتى عام 1995 حين أجرى معه أحد

الصحفيين مقابلة في ساو باولو وسأله عن طريقة كتابة اسمه، فأجابه زجالو أنه مكتوب في شهادة ميلاده Zagallo ، أي بمضاعفة حرف L، وتدريجياً أخذت الصحف المكتوبة ووسائل الإعلام تتناقل اسمه بهذه الطريقة، وبعد مدة من الزمن أصبح لزجالو عموده الخاص في إحدى المجلات الرياضية الذي يكتبه أسبوعياً، فعاد لتوقيع اسمه Zagalo أي بالطريقة التي عرفها طيلة حياته، فهو يؤمن أن الاسم الذي رافقه طيلة حياته الكروية، وشهد نجاحاته هو الاسم الذي سيوقع به مقالاته، كما يعدّ زجالو نفسه استثناءً جميلاً لقاعدة مناداة اللاعبين باسمهم الأول، فزجالو هو اسم عائلته أما اسمه الأول فهو ماريو، ولكن لا أحد يعرفه منذ صعود نجمه في كرة القدم وحتى الآن إلا باسم عائلته زجالو.

وللتأكد من هذه القاعدة حاولت أن أجمع قائمة بأهم اللاعبين والهدافين في المنتخب البرازيلي الذين تركوا بصمة في لعبة كرة القدم، واستطعت أن أحصر خمسة وعشرين لاعباً ليس بينهم من يعرف باسم عائلته إلا ريفيلنيو، وحتى هذا الاستثناء قد لا يعتدّ به، فاسم ريفيلنيو لا يعدّ اسماً لعائلة برازيلية، وإنما هو لقب –ربما– اكتسبه اللاعب في وقت ما.

قد لا تنطبق هذه القاعدة على حراس المرمى في المنتخبات البرازيلية، وقد أثار ذلك انتباهي، فقد وجدت أن عدداً من حراس المرمى يعرفون بألقابهم العائلية، كما يسمى آخرون باسمهم الأول، لكنهم لا يحملون ألقاب شهرة البتة، وهذا ما آثار فضولي، فيبدو أن البرازيليين يعدون حارس المرمى لاعباً هامشياً لا يلفت الانتباه؛ لذلك لا يستحق لقب

شهرة يُعرف به ويجذب إليه الانتباه، باستثناء وحيد هو الحارس ديدا الذي اكتسب شهرته بعد تألقه في كأس العالم عام 1994.

إذا سلمنا أن ألقاب الشهرة تعكس العلاقة الحميمة، وتؤكد المحبة بين صاحب اللقب وجمهوره، فإننا سنجد أن هذه العلاقة تظهر في أوج حميميتها بين المهاجمين البرازيليين والجماهير، فهم الذين يحملون أكبر عدد من ألقاب الشهرة التي يعرفها الجميع، ويحفظها، كما يرددها المعلقون الرياضيون عبر الأثير وشاشات التلفاز، ويأتي في الدرجة الثانية المدافعون؛ لأن معظمهم لا يتمتع بذاك الألق الذي يحيط بالمهاجمين الذين يسددون الأهداف، أما حراس المرمى فهم الأسوأ حظاً في هذا المجال، وهناك قول مأثور في البرازيل حول تعاسة حراس المرمى وقلة حظهم يقول: «ما أتعس حارس المرمى، لا يتذكره أحد بعد المباراة، وحتى العشب الأخضر لا يحب أن ينبت في المكان الذي يقف فيه».

تُظهر المتابعة التاريخية أن سوء الحظ، والإهمال كان يلاحق حراس المرمى البرازيليين منذ البداية، ففي العشرينيات كان جاغوار أفضل الحراس البرازيليين على الإطلاق، إذ كان يلتقط الكرات بيد واحدة، ثم يديرها على أصبعه قبل أن يقذفها بقدمه إلى النصف الثاني من الملعب، وقد لفت إليه أنظار الفرق الأوروبية التي طلبته للعب في صفوفها، فلعب مع فريق برشلونه ثم انتقل إلى أوليمبك مرسيليا، فجمع كثيراً من الأموال لكنه كان ينفقها سريعاً، وقد وجد ميتاً في أحد الأحياء بعد سنة واحدة من عودته للبرازيل عام 1940. أما حارس المرمى كاستيلو الذي كان يلعب في فريق فلومننسي ما بين عامي 1947 و1964 فقد انتحر بعد

ذلك بفترة. وتبقى مأساة باربوسا حارس مرمى المنتخب البرازيلي في كأس العالم عام 1950 ماثلة في الأذهان؛ لأنه بقي طوال خمسين عاماً يعاني جراء إخفاقه في صد الهدف الذي تسبب في خسارة البرازيل للكأس ذلك العام.

يتناول الكاتب البرازيلي الأهم جورج أمادو شخصية حارس المرمى، وعلاقته بالكرة في إحدى قصص الأطفال التي كتبها، حيث تقع كرة قدم في حب أحد حراس المرمى المهملين، فهي تتجه إلى ذراعيه دائماً مهما كان اتجاه الركلة، وهناك تجد الحب الذي تنشد حيث يحتضنها حارس المرمى بحنان ويقبلها، وفي إحدى المباريات يجري حارس المرمى بعيداً عن مرماه؛ لأنه لا يريد أن يعترض طريق الهدف الآتي، لكن رغم ذلك تجري الكرة خلفه بعد أن قررت أن تبقى معه إلى الأبد؛ ليعيشا بعد ذلك بسعادة وهناء.

ولا يقتصر احترام الكرة واعتبارها شخصية حية على الأدب البرازيلي فقط، فكثير من اللاعبين يرون أنّ اللاعب يجب أن يعامل الكرة باحترام وتعاطف، ويقول ديدي: إن على حارس المرمى أن يحب الكرة حتى تطيعه وتحترمه، ولكنه إذا استهان بها وعاملها بعنف فإنها قد ترد ذلك العنف، وتكسر قدمه أو إحدى يديه بالمقابل.

تساهم اللغة في إثراء مثل هذه العلاقة الحميمة بين اللاعب والكرة أيضاً، فكلمة الكرة في اللغة البرازيلية مؤنثة، ولذلك ترى اللاعبين يستعملون تلك الكلمات الرقيقة في مخاطبة الكرة والحديث عنها، وقد حصر هارولدو مارانهاو سبعة وثلاثين مرادفاً للفظة الكرة في معجمه

«قاموس كرة القدم» نذكر منها: «الجلد المنفوخ، والمستديرة، وماريا، والسيدة الصغيرة، والإطار، والشيطان، والجوزة، والصديق، ولينور، ومورتاديلا، إلى آخره».

يقول المعلق الرياضي واشنطن رودريغوز «في البرازيل يمكنك أن تسمي الكرة بما تشاء من الأسماء إلا اسم الكرة» ثم يضيف ساخراً أنه في إحدى المباريات بين فريقين من الفرق الصغيرة في ريو، قرر أن يجري حواراً متخيلاً مع الكرة الموجودة في الملعب، وأخذ يسألها عن شعورها وهي تجري بين أقدام هؤلاء اللاعبين الصغار، بعد أن كانت يوماً تجري بين قدمي بيليه وغيره من اللاعبين العظام، وهل تفكر يوماً في الاعتزال والتقاعد...ثم انتهت المقابلة والكرة تبكي حظها التعس الذي أوقعها في هذا المأزق.

أدّت الإذاعة دوراً حيوياً في نشر رياضة كرة القدم، وتحويلها إلى رياضة شعبية تهتم بها الفئات والطبقات كلها، ويبدو ذلك منطقياً في بلاد شاسعة مثل البرازيل، لايزال يرزح عدد كبير من سكانها تحت نير الأمية، فهم لا يستطيعون متابعة الصحف وقد لا تكفي مواردهم المالية لاقتناء أجهزة التلفاز، ولذلك كانت الإذاعة هي الوسيلة الأكثر شعبية وانتشاراً بين الناس الذين استطاعوا من خلالها التواصل مع ما يجري في أنحاء البرازيل وخارجها أيضاً، وقد تجلى هذا التواصل في الخمسينيات والستينيات عندما كانت كرة القدم في عصرها الذهبي والإذاعة في قمة انتشارها.

لقد أعطت الإذاعة كرة القدم لغة خاصة بها، ومنذ البدايات الأولى

للبث الإذاعي الرياضي، كان الهدف الأساسي للمعلقين الرياضيين نقل الإثارة والحماس الموجودين في الملعب إلى بيوت المستمعين، وقد تطلب ذلك لغةً خاصة مليئة بالمفردات الغريبة التي استعملها المعلقون الرياضيون وتميزوا بها عن غيرهم. ومن المعلقين الرياضيين الذين صنعوا التاريخ بأسلوبهم المميز في التعليق على المباريات ونقلها، المعلق روبيلو جونيور الذي لقب برجل الأهداف الصريحة؛ لأنه كان ينقل لحظة تسديد الهدف بقوة وهو يصرخ «غووووول» فتتردد صرخاته في أرجاء البرازيل كلها، وظلت طريقته في التعليق علامة فارقة لعقود ومصدر إلهام للمعلقين الآخرين ومحبي كرة القدم، أما زميله راؤول لونغاس فقد اقتبس منه الفكرة وقلدها، فكان يصرخ مثل صفارة الإنذار عند تسديد الهدف، ويبقى مدة طويلة على هذه الحال حتى يتمكن زميله من الحصول على اسم اللاعب صاحب الهدف، ليكتبه في ورقة يمررها إليه فينقل راؤول الاسم للمستمعين؛ لأن راؤول كان يعاني من قصر النظر ولم يكن يستطيع أن يرى من هو اللاعب الذي سجل الهدف تحديداً.

كان أري باروسو من أشهر المعلقين الرياضيين في فترة الأربعينيات والخمسينيات وأكثرهم شعبية في البرازيل، إذ كان صاحب أسلوب متفرد ولغة رائعة، حتى إنه كتب العديد من كلمات أغنيات المغنية المعروفة كارمن ميراندا، كما كتب كلمات أغنية السامبا الشهيرة «البرازيل» أيضاً، التي ماتزال تؤدى حتى الآن في كل الأماكن الترفيهية داخل البرازيل وخارجها.



آري باروسو.

كان آري فناناً شاملاً، يكتب الأدب ويؤلف الموسيقى، ويعزف البيانو بالإضافة لعمله معلقاً رياضياً، ومقدماً للبرامج التلفزيونية، وقبل كل ذلك كان آري مشجعاً مخلصاً لفريق فلامنغو، حتى أنه دعي في أوائل الأربعينيات للعمل مع شركة ديزني للأفلام؛ ليقوم بتأليف قطع موسيقية للأفلام التي تنتجها الشركة، لكنه رفض أن يبقى في هوليوود معللاً ذلك أنه لا يستطيع الابتعاد عن فريقه المفضل فلامنغو، إذ كان شغوفاً بهذا الفريق إلى أبعد حد، حتى إن انحيازه للفريق كان يظهر من خلال تعليقاته على المباريات التي يخوضها ضد الفرق الأخرى، فكان يصرخ بأعلى صوته ويطلق الصفير والهتافات إذا كان فريق فلامنغو هو

صاحب الهدف، بينما يعلن خبر الهدف بصوت منخفض وحزين إذا كان الهدف من نصيب الفريق المنافس، وفي إحدى المباريات، انقطع الإرسال تماماً وساد الصمت لمدة دقائق في البث الإذاعي؛ لأن آري لم يكن في مكانه خلف المايكروفون لينقل هدف فلامنغو، بل كان في وسط الملعب بين اللاعبين يشاركهم فرحة الهدف بالرقص والصراخ وقد نسي أنه معلق رياضي، عليه أن ينقل الحدث من خلف المايكروفون وليس مشجعاً متحمساً لفريقه فحسب. ورغم ذلك لم يقتصر جمهور آري ومحبيه على مشجعي فريق فلامنغو فقط، وإنما كان البرازيليون جميعاً يحبونه وينتظرون صوته عبر المذياع بفارغ الصبر، وفي إحدى المباريات التي كان يشارك فيها فلامنغو، كان خاسراً بنتيجة 0–6 حتى اللحظات الأخيرة قبل النهاية، عندما ظهر رجل على البوابة الخارجية للملعب يطالب بالدخول إلى المنصة، وعندما اعترضه رجال الأمن، أخذ يوضح لهم أنه لم يأت لحضور المباراة، بل لينظر إلى وجه آرى المعلق في هذه اللحظات العصيبة!

تسمح السلطات البرازيلية بوجود المعلقين والصحفيين والمراسلين على الخط الأبيض الذي يحيط بالملعب، وقد كان آري باروسو أول معلق رياضي يبعث مراسلاً خاصاً به إلى أرض الملعب؛ لينقل له مجريات الأحداث من زوايا عدة، وقد سبب ذلك إرباكاً كبيراً للفريق الإنجليزي ساوث هامبتون عندما زار البرازيل عام 1948 للاشتراك في مباراة على أرضها، إذ رفض المراسلون والصحفيون مغادرة الملعب، ولم يستطع الحكام إجبارهم على ذلك، وظل المصورون يحاولون التقاط صور

خاصة للاعبين كلما اقتربوا من طرف الملعب، ويحاولون إجراء أحاديث صحفية مقتضبة معهم في أثناء سير المباراة.

وقد خلقت العلاقة الوثيقة بين الإذاعة وكرة القدم ظاهرة خاصة في البرازيل، وهي ظاهرة المعلقين الرياضيين البارزين الذين يطلق عليهم اسم «رادياليستا»، وهم معلقون رياضيون كغيرهم ولكنهم يمتلكون سرعة البديهة والحضور القوي خلف المايكروفون، مما يؤهلهم للبروز في مجالات أخرى غير كرة القدم، ومنهم من تحول إلى رجل أعمال ناجح أو محام، ومنهم أيضاً بعض السياسيين، مثل حاكم ولاية ريو أنتوني غاروتينو، الذي بدأ مشواره المهني معلقاً رياضياً في المباريات، ثم تدرج بعد ذلك في المناصب مستخدماً مهاراته في الحديث والقيادة والتأثير على الجماهير؛ ليصبح رئيساً للبرازيل لاحقاً.

وتختلف قصة المعلق الرياضي واشنطن رود ريغوز قليلاً، إذ انتقل من موقع التعليق على المباريات إلى موقع التدريب في فريق فلامنجو. ورغم أن مظهر رودريغوز لا يدل أبداً على أي علاقة له بالرياضة، إلا أنه كان فعلاً مدرباً لفريق فلامنغو لمدة أربعة أشهر عام 1995 عندما كان فريق فلامنغو يمر بفترة عصيبة، جعلت رئيس النادي يجتهد في إيجاد أي حل قد يرفع من مستوى الفريق، ولذلك استشار واشنطن حول كيفية الرفع من معنويات الفريق وإعادته لمستواه السابق، وكان رأي واشنطن أن الفريق بحاجة إلى إعادة تنظيم صفوفه، وتحسين علاقته مع جمهوره، ويضيف رودزيغوز قائلاً: «أنا لست لاعباً ولا مدرباً، ولكن الجميع هنا يعرفون عن كرة القدم بطريقة ما». وقد قضى واشنطن فترة

عمله مدرباً للفريق خلف شاشة تلفاز تنقل له ما يجري في الملعب، ولم يستطع إدارة فريقه من داخل الملعب؛ لأنه اعتاد مشاهدة المباريات على شاشة التلفاز عندما كان معلقاً رياضياً، ورغم ذلك فقد استطاع النهوض بالفريق بعض الشيء، وبث بعض الروح في صفوف لاعبيه، أمّا بالنسبة له فيعتبر أن تلك التجربة كانت مفيدة للغاية، إذ أتاحت له التعرف على اللاعبين من زاوية مختلفة، والاطلاع على حياتهم الشخصية ومعاناتهم أحياناً، حتى إنه ندم على كثير من الانتقادات التي كان يوجهها للاعبين وللمدربين في أثناء تعليقه على المباريات، وأصبح الآن أكثر حذراً ومراعاة في أحاديثه الصحفية والشخصية حول ما يحدث على أرض الملعب.

كانت الصحافة الرياضية محطة الانطلاق لعدد من البرازيليين الذين احتلوا مواقع بارزة في الحياة العامة البرازيلية، ومنهم جولمير بتنغ الذي كان مراسلاً صحفياً لإحدى المجلات الرياضية عام 1961، وأثناء وجوده في ملعب الماراكانا؛ لتغطية أحداث مباراة بين فريقي سانتوس وفلومننسي، شاهد اللاعب الشهير بيليه يراوغ ستة لاعبين قبل أن يصل إلى مرمى الفريق الخصم ويسجل هدفاً من أجمل الأهداف في تاريخ الكرة، ولكن مع الأسف، لم تكن المباريات في تلك الفترة قد دخلت بعد عهد التصوير التلفزيوني، ولذلك فإن أحداً لن يستطيع رؤية ذلك الهدف الرائع ثانية، لكن جولمير فكر في طريقة لتخليد ذلك الهدف إلى الأبد، بتخليده على لوحة برونزية عُلقت في الملعب، وكُتب عليها عبارة «تخليداً لذكرى أجمل هدف على أرض الماراكانا»، وبتلك

اللوحة قدَّم جولمير مصطلح الهدف الخالد للصحافة البرازيلية المكتوبة التي مازالت تستعمله حتى الآن، غير أن جولمير ترك الصحافة الرياضية؛ ليختص في التعليق على مجريات السوق المالي فيما بعد، ويصبح من أبرز المشتغلين في هذا المجال.

لقد بدأت شهرة الثنائي الفكاهي كاسيتا وبانيتا من كرة القدم أيضاً، وبدآ رحلتهما بإصدار مجلة فكاهية في السبعينيات، ثم خصصت لهما قناة غلوبو وهي القناة التلفزيونية الأولى في البرازيل برنامجاً ثابتاً يعرضان فيه موهبتهما أسبوعياً، وفي عام 1994 طلبت منهما القناة تقديم فقرات يومية؛ لمواكبة أحداث كأس العالم لكرة القدم في الولايات المتحدة، وقد تألق الثنائي في هذه الفقرات وطبقت شهرتهما الآفاق، إذ كانت الجماهير تتابع عرضهما كما تتابع مباريات البطولة ولاسيما أنهما كانا يقدمان العرض من الولايات المتحدة ذاتها، إذ كانا يرافقان البعثة الإعلامية البرازيلية الموفدة لتغطية مجريات البطولة، وقد نُظم لهما استقبال حافل لا يقل عن استقبال المنتخب الوطني عند عودتهما إلى أرض الوطن.

يقدم الآن الثنائي كاسيتا وبلانيتا برنامجاً أسبوعياً ثابتاً على قناة غلوبو، يستمدان فقراته من لعبة كرة القدم فهي مادة ثرية جداً للبرامج الفكاهية، وليست رياضة يمارسها بعضهم فحسب، وإنما هي أحد أعمدة الحياة في البرازيل وتمس الفئات كلها من دون استثناء. وينتقد الثنائي الجميع في برنامجهم، فهم يسخرون من اللاعبين والمدربين والسياسيين، وحتى القناة التلفزيونية التي تبث برنامجهما، ولا يبدو أنهما يواجهان أي

مشاكل رقابية حول المواضيع التي يعلقان عليها، لكن ذلك حدث مرة واحدة فقط، عندما تعرض الثنائي الفكاهي في برنامجهما بالنقد لنادي فلومننسي، إذ قام البرنامج بدعوة اللاعب الشهير روماريو الذي كان أهم لاعب في فريق فلامنغو آنذاك، وهو الفريق المنافس لفلومننسي، وقد اتفق الثنائي مع روماريو على ارتداء قميص يحمل عبارة «تجنبوا المخدرات، وتجنبوا فريق فلومننسي»، فما كان من فريق فلومننسي إلا أن رفع قضية في المحكمة ضد البرنامج لمنع عرض هذه الفقرة، ولم يملك البرنامج إلا الانصياع لأوامر المحكمة بقطع اللقطة التي يظهر فيها روماريو بالقميص الذي يحمل الشعار المعادي، لكن تلك الحادثة لم تمر ببساطة، إذ تلقى البرنامج عدداً من الشكاوى والتهديدات حول تلك الفقرة لدرجة جعلت المقدمين يخافان على حياتهما، فيمكنك انتقاد أي شيء وأي شخص في البرازيل، لكن لا يجوز لك أبداً أن تستفز مشاعر المشجعين المتعصبين لفريقهم.

أثرت رياضة كرة القدم في حياة عدد آخر من الإعلاميين والموسيقيين الموجودين في الساحة الإعلامية البرازيلية، مثل بيكسينجوبنا، وهو موسيقي أسود كان رائداً في دمج الموسيقى الإفريقية بآلاتها المميزة في الموسيقى البرازيلية. وقد ألّف مقطوعته الموسيقية الأولى عام 1919 التي كانت بعنوان (واحد صفر) وأهداها للمنتخب البرازيلي عقب فوزه على فريق جنوب إفريقيا في مباراة بينهما انتهت بنتيجة واحد – صفر لصالح المنتخب البرازيلي. ومن الفنانين المعاصرين هناك شيكو بوركي وهو أحد أهم المغنين والملحنين البرازيليين وقد كتب لكرة القدم وغنى

لها، كما كان يمتلك فريقاً ناشئاً لكرة القدم وملعباً يمارس فيه هوايته الرياضية ثلاثة أيام في الأسبوع.

طلب فريق كورينثيانس من الفنان البرازيلي نيلسون ليرنير تصميم شعار خاص للفريق عام 1976، لكن نيلسون أراد أن يصمم شعاراً مميزاً وغير تقليدي، فقام بصنع علم للفريق بطول ثمانية أمتار وعرض أربعة، وربطه ببالون ضخم مليء بغاز الهيليوم وقدمه للفريق في إحدى المباريات في ساو باولو، ثم أُطلق البالون الذي يحمل العلم قبل بداية المباراة؛ ليختفي في سماء ساو باولو، تكمن المفارقة في أن فريق كورينثيانس خسر تلك المبارة واتهم الفنان بجلبه سوء الحظ للفريق بسبب ذلك الشعار الذي انطلق في سماء المدينة ليحط بعد أسبوع في مزرعة تبعد 400 ميل عن الملعب الذي أطلق منه، فأخذه المزارعون إلى أقرب مدينة ووضعوه في الحانة الرئيسية فيها، ومنذ تلك اللحظة أخذ الفريق المحلي يخسر مبارياته كلها، فعاد المشجعون لإلقاء اللوم على الشعار المشؤوم، وفي النهاية وصل الخبر إلى محطة تلفزيونية محلية فقامت باسترداد الشعار وأعادته إلى ساو باولو.

وقد ارتبط الأدب بكرة القدم منذ بداياتها، ففي عام 1916، قام الأديب الأكاديمي البرازيلي كويلو نيتو باقتحام الملعب مع مجموعة من المشجعين في اعتراض صريح على ضربة حرة أقرها الحكم ضد فريقه المفضل فلومننسي، وعلى الرغم من شغف كويلو الكبير بكرة القدم إلا أنه لم يتطرق إلى هذه الرياضة في رواياته، إذ لم تكن كرة القدم في ذلك الوقت تحظى بالأهمية ذات التي تتمتع بها الآن. أما أول ذكر

لهذه الرياضة في الروايات والمسرحيات فقد ظهر عام 1953 في مسرحية بعنوان «الراحلة»، التي تحكي قصة أرمل ينفق نقود زوجته الراحلة على كرة القدم؛ ليثأر منها بعد علمه أنها لم تكن مخلصة له، وقد كتب هذه المسرحية الأديب نيلسون رودريغوز، الذي عُرف بكسره للتقاليد، وطرحه للقضايا الشائكة والمسكوت عنها في المجتمع البرازيلي، وله مجموعة مهمة من القصص القصيرة صدرت ما بين عامي 1951 و1961، انتقد فيها بشدة سلوكات الطبقة المتوسطة في ي ودي جنيرو كما لم يفعل أحد من قبل بأسلوب لاذع ساخر تميز به عن غيره في ذلك الوقت.

تعاون نيلسون مع أخيه الأكبر ماريوفيلو، وهو رائد في الصحافة الرياضية في البرازيل على إصدار صحيفة رياضية متخصصة عام 1955، وقد كانت مقالات نيلسون في تلك الصحيفة تؤسس لنهج جديد في الكتابة عن الرياضة، إذ كان يخترع شخصيات وأحداثاً خيالية لوصف مجريات المباراة، ويُرجع سوء الحظ في تحقيق ركلة ما إلى شخصيات أسطورية من التراث البرازيلي بأسلوب ساخر وطريف، لكن هذه الطريقة في الكتابة لاقت قبولاً واستحساناً لدى القراء مما وسَّع من رقعة انتشار الصحيفة وتداولها، وهكذا أعطي نيلسون للكرة البرازيلية من دون أن يقصد صوتاً مسموعاً وشخصية خاصة، وعلى الرغم من أن أسلوبه في الكتابة كان يختلف تماماً عن أسلوب أخيه التحليلي الجاد، فإنهما استطاعا معاً تأسيس نوع جديد من الأدب الرياضي أحبه الكثيرون وساروا على نهجه بعد ذلك.

لقد قدم نيلسون للبرازيليين ما يريدونه من كرة القدم، وليس



نيلسون رودريغوز في ملعب الماراكانا.

أحداث المباراة وتاريخ اللاعبين ومهاراتهم فقط، فقدّم شغفه الخاص باللعبة وأسلوبه الساخر الجريء، الذي حول عدداً من اللاعبين إلى أساطير حية بالنسبة إلى الجماهير، وهو من أطلق العديد من الألقاب على اللاعبين البارزين مثل: بيليه وغارينشا، ليحولهم من أشخاص يحترفون رياضة كرة القدم إلى ملوك وطيور بلا أجنحة، وجواهر تلمع في سماء الملاعب، وهكذا كان نيلسون يحلق في تلك المساحة الضبابية ما بين الحقيقة والخيال مستخدماً أسلوبه الأدبي الساحر؛ لينقل لقرائه ما يجري في الملعب، مضيفاً إليه ما في حوزته من قصص وأساطير؛ ليخلق هالة من الشعرية والسحر أمتعت الملايين.

الفصل الحادي عشر

بطولة الغابة

«كانت مباراة فاصلة تحولت إلى معركة شرسة، وأخذ الفريق الخاسر حتى الآن بنتيجة 5–1 يناضل من أجل الفوز بطرق شتى، وفجأة ركل لاعب ركلة جانبية قوية لتطير الكرة في الهواء وتستقر في غدير صغير خارج الملعب، لكن ذلك لم يوقف الفريق الخاسر عن محاولة الفوز، فخرج لاعب الجناح الأيمن من الملعب وقفز إلى الغدير في محاولة لاسترجاع الكرة، ليخرج بعد دقائق وهو يرتعد وقد اصفر لونه واصطكت أسنانه، ولم يستطع أن ينطق حرفاً واحداً، لكنه كان يشير إلى نقطة محددة في الغدير، فركض الجميع باتجاه الغدير حيث أشار اللاعب، ليجدوا ثعباناً ضخماً يلتف بهدوء حول الكرة ولا يريد أن يفلتها». *

يُحضر أودمير للبطولة الكروية القادمة بإعداد فريقه وتجهيزه، لكنه لا يكتفي بذلك، فهو يعد أيضاً ملكة جمال الفريق الآنسة إريكا التي ستشترك في مسابقة اختيار ملكة جمال البطولة، التي تقام كل عام بالتوازي مع البطولة الكروية.

---

* جزء من مقالة في جريدة كريتيكا.

يضع أودمير اللمسات الأخيرة على مظهر إريكا ويزودها بالتعليمات الخاصة بالمسابقة، ثم يستقلان معاً سيارة أودمير وهي من نوع فورد؛ للذهاب إلى الملعب حيث تقام فعاليات المسابقة. يقود أودمير سيارته بحذر شديد فهو لا يمتلك رخصة قيادة بعد على الرغم من أنه في الثامنة والثلاثين من عمره، ويقطعان رحلة شاقة خلال التلال وجوانب الأنهار عابرين طرقاً وعرة بين الجبال، وتزيد حرارة الشمس الخانقة من صعوبة الرحلة ومشقتها، فنحن هنا في الأمازون؛ أكثر مناطق البرازيل حرارة وأعلاها رطوبة، وما إن يصل الاثنان إلى الملعب الكبير حتى يعطي أودمير لإريكا قميص الفريق الذي ستمثله، وهو فريق فيلا نوفا صاحب القميص الأبيض والخطوط الخضراء، فسترتدي إريكا هذا القميص في الجولة الأولى فوق ملابس السباحة التي ترتديها عادة المشاركات في مسابقات الجمال.

تقام البطولة الكروية الكبرى في ماناوس التي تقع في منطقة نهر الأمازون في قلب منطقة الغابات الخضراء، وتعكس هذه البطولة ضخامة المنطقة وتفردها، ويشارك فيها زهاء 522 فريقاً، كلها من الفرق المحلية في منطقة الأمازون، وهذا عدد ضخم بالنسبة إلى أي بطولة في العالم، أما أغرب ما في هذه البطولة، أنها تتلازم مع مسابقة أخرى تجري في الوقت والمكان نفسيهما، وهي مسابقة مهرجان الجمال حيث يشارك كلّ فريق في البطولة الكروية بفتاة تمثله، فيتم اختيار أجمل فتاة؛ لتكون ملكة جمال المهرجان، ويتم ذلك على مراحل عدة تمر خلالها الفتيات بعدد من التصفيات وصولاً إلى النهائيات، كما يحدث في

البطولة الكروية المقامة تماماً.

لم تكن هذه البطولة الغريبة لتفوتني، لذلك فقد شددت الرحال عام 2000 إلى ماناوس، تلفحني أشعة الشمس وتخنقني الرطوبة كأنني أتنفس في غرفة زجاجية رطبة، ورغم ذلك فقد تمكنت من الوصول في يوم افتتاح البطولة، حيث اصطفت أكثر من خمسمئة فتاة خارج الملعب يرتدين ملابس السباحة، وفوقها قمصان رياضية متنوعة تعود للفرق المشاركة في البطولة.

وكانت غالبية الفتيات ينتمين إلى العرق الهندي البرازيلي الذي يمثله سكان منطقة الأمازون الأصليون، ويظهر ذلك جلياً في ملامحهن الحادة، أما بعضهن الآخر فقد كنّ يحملن ملامح مختلفة قليلاً، تبدو أقل حدة، فهن يتحدرن من عائلات وقبائل تم فيها تزاوج واختلاط سكان الأمازون مع الأوروبيين الذين تعاقبوا على المنطقة منذ قرون.

تلفت انتباهي إحدى الفتيات التي تقف وحيدة، ترتدي قميصاً يحمل اسم فريق آرسنال الإنجليزي، فأقترب منها وأسألها عن اسمها فتجيب إنه ليدي روبرتا! وتصر أن ذلك هو اسمها الحقيقي مضيفة أنها ملكة جمال فريق أرسنال وهو أحد فرق الدرجة الأولى هنا في منطقة الأمازون. تصدر الأوامر للفتيات بالاستعداد للدخول إلى أرض الملعب في صف طويل جداً، يمتد 200 متر خارج البوابة الرئيسية، وتحمل كل فتاة رقماً يشير إلى ترتيبها واسمها في قائمة لجنة التحكيم، وما إن تدخل الفتيات حتى يصطففن على جوانب الملعب لتبدأ مراسم الاحتفال الذي يبدو لي مهيباً جداً، حيث تؤدي إحدى المغنيات الشهيرات

النشيد الوطني للأمازون ترافقها فرقة أوركسترا خاصة جاءت من العاصمة للمشاركة في هذه المناسبة تحديداً، ويتبع النشيد عرض جميل للألعاب النارية التي تستطع في سماء الملعب مصحوبة بتصفيق الجماهير وتهليلها.

يعقب ذلك مرور الفتيات بسرعة أمام لجنة التحكيم في المنصة الرئيسة في عرض أولي؛ لأن وجود هذا العدد الهائل من ملكات الجمال في مكان واحد لا يتيح كثيراً من الوقت أمام كل فتاة منفردة لتعرض مواهبها الخاصة، وتشارك في هذا العرض 521 فتاة، يمثلن 521 فريق كرة قدم في منطقة الأمازون، مع تخلف فتاة واحدة هي ملكة جمال فريق آرمانداو مارينغا، وهو فريق من المسيحيين التبشيريين، وقد رفض الفريق أن تشارك ملكته في العرض بملابس السباحة، فتم إعفاؤها من ذلك لأسباب دينية.

وبعد العرض الأول للفتيات يتقدم أحد فرق السامبا إلى وسط الملعب؛ لتبدأ الموسيقى الصاخبة والرقص فيتحول حفل الافتتاح إلى حفل موسيقي كبير يشارك فيه الجميع، وبذلك يعلن المذيع الداخلي عن افتتاح دورة كرة القدم لهذا العام، لكن من دون وجود كرة واحدة حتى الآن. تتوقف الفعاليات بعد حفل الافتتاح لمدة سبعة أيام في انتظار نهاية الأسبوع التالية، وهي الموعد المحدد لبدء المباريات مما يتيح لي فرصة عظيمة للتعرف إلى بعض الأشخاص، ومقابلة بعض المسؤولين عن هذه الدورة الغريبة، ومنهم أرنالدو سانتوس، المنسق العام لفعاليات الدورة، وهو معلق رياضي في الثانية والستين من عمره، ويدير هذه البطولة منذ

عام 1998، غير أن البطولة بدأت قبل ذلك بكثير وهي الآن في دورتها الثامنة والعشرين. يروي لي أرنالدو بطريقة المعلقين الرياضيين أحداث اليوم الأول في أول بطولة أشرف عليها عام 1998 فيقول: «لقد كان اليوم الأول في تلك البطولة كابوساً رهيباً لن أنساه ما حييت، إذ بدأ ذلك النهار بمقتل أحد اللاعبين في محطة الحافلات وهو في طريقه إلى الملعب، وفي التاسعة صباحاً من ذلك اليوم توفي أحد المشجعين داخل الملعب بسكتة قلبية، وأصيب حارس مرمى في مباراة واحدة بكسور مختلفة، بالإضافة إلى أربع حالات أخرى في مباريات متفرقة، أصيب فيها لاعبون بكسور خطيرة، لقد كان يوماً رهيباً فعلاً»!

يقول أرنالدو إن هذه الأمور تحدث بسبب الأعداد الغفيرة من الرياضيين الذين يشاركون في هذه البطولة، فهي تعد أضخم بطولة كرة قدم في العالم من جانب عدد الفرق المشاركة واللاعبين الذين يحضرون من جهات منطقة الأمازون كلها، ويدلل أرنالدو على ذلك بعدد من الإحصائيات الموجودة على سطح مكتبه، والمتعلقة بالدورة الماضية التي تضمنت 1330 مباراة، شارك فيها 13,000 لاعب كرة قدم، أُجريت منها 254 مباراة في الأسبوع الأول من البطولة على 40 ملعباً مختلفاً في المنطقة.

يطلق أهالي الأمازون على هذه البطولة اسم «بيلاداو» وهو اسم مشتق من «بيلادا»، وهي لعبة ركل الكرة بالأقدام من دون قواعد محددة ومن دون الحاجة لتخصيص مكان للعب، إذ يلعبها أهالي المنطقة في أي مكان سواء أكان على شاطئ البحر أم قرب النهر أم حتى في وسط

الغابة، وقد يشترك فيها أي عدد من الأشخاص الموجودين وبأي نوع من الكرات، ولذلك فإن القائمين على البطولة يحاولون الحفاظ على الروح العفوية في لعبة البيلادا الأصلية في البطولة، فهناك ملعب معشب واحد حسب القوانين الكروية، أما الباقي فهي ملاعب أقيمت كما اتفق من دون أي خطوط أحياناً، كما أن القوانين المتبعة في المباريات لا تنقصها المرونة أيضاً.

يطلعني أرنالدو على وثيقة تخص القوانين والعقوبات المتعلقة بالبطولة؛ لأجد فيها ما يزيد على مئتي بند تتعلق كلها بالقوانين التي تحكم البطولة والأخلاقيات المرعية خلالها، بالإضافة إلى عدد من العقوبات التي تطبق على الفرق واللاعبين في حال مخالفتهم لهذه القوانين. تبدأ هذه الوثيقة بمقدمة حول أهداف البطولة وغاياتها، فهي تسعى لتعزيز الترابط والتواصل الاجتماعيين من خلال الرياضة، وإظهار قدرات شباب منطقة الأمازون وإمكاناتهم البدنية، كما أجد فقرة إرشادية حول التصرف في حالة هبوب العواصف الاستوائية، أو غيرها من تقلبات الطقس المتوقعة في منطقة الأمازون، بالإضافة لقائمة بأسماء بعض اللاعبين الممنوعين من المشاركة في البطولة مثل اللاعبين المحترفين أو غير المحترفين، ممن تلقوا إنذارات أو عقوبات في بطولات سابقة بسبب ممارسة العنف داخل الملعب، ذلك أن مشكلة العنف تعد ظاهرة قوية في هذه البطولة يمارسها اللاعبون أحياناً، وأحياناً أخرى تشمل الجماهير التي قد تطارد الحكام بعد المباريات وتهدد حياتهم. يشبه تنظيم بطولة البيلاداو تنظيم بطولة كأس العالم، فتُقسم الفرق إلى

مجموعات تتنافس فيما بينها؛ ليخرج فائز من كل مجموعة يصل إلى النهائيات، ويحصل الفريق الفائز على جائزة مقدارها 5,000 جنيه، أمّا ملكة جمال البطولة فتحصل على سيارة جديدة.

ينتقل أرنالدو للحديث حول تنظيم مسابقة ملكة جمال البطولة فيقول: إن الفتيات المتقدمات للمسابقة يخضعن جميعهن لتصوير تلفزيوني، لذلك فلا بد من حضورهن إلى مبنى التلفزيون المحلي حيث يتم تسجيل شريط قصير لكل منهن يحتفظ به أرنالدو، وبالإضافة إلى ذلك يتم تصوير الفتيات صوراً فوتوغرافية واضحة، ترفق مع طلب خاص يحتوي على معلومات عن كلّ فتاة تضم: اسمها وعنوانها ومقاسات جسدها ولون عينيها وشعرها، ثم يقوم أرنالدو فيما بعد بتصفية الأعداد الضخمة من الفتيات المتقدمات للمسابقة إلى 120 فتاة ينتقلن إلى الدور الثاني من المسابقة.

يمكن لأي فتاة المشاركة في المسابقة من دون استثناء، وفي مسابقة هذا العام تحديداً نجد فتيات من عمر الثانية عشرة إلى الثامنة والعشرين، بينهن طالبات وأمهات وعارضات أزياء محترفات، ومنهن من تشارك في المسابقة للمرة الثانية وهكذا، فمسابقة ملكة الجمال مثلها مثل المسابقة الكروية مفتوحة للجميع، وتجري المسابقتان بالتوازي مع بعضهما في بطولة البيلاداو، أما أغرب ما يميز هذه البطولة، أن وصول ملكة جمال فريق ما إلى النهائيات يمكن أن ينقذ فريقها من الخروج من البطولة حتى لو كان خاسراً، فتصل إلى الدور النهائي ست عشرة فتاة يتنافسن على لقب ملكة الجمال، تعطي كلٌّ منهن الحق للفريق الذي

تمثله بالتأهل لدوري مصغَّر على هامش البطولة إذا كان من الفرق الخاسرة، أما الفريق الذي يفوز بالدوري المصغَّر فيتأهل للربع النهائي في البطولة الأصلية، وهذا ما حصل تحديداً مع فريق آرسنال عام 1998، فقد خرج من المسابقة بعد خسارته في مجموعته، لكنّ ملكة جمال الفريق وصلت للدور النهائي فاستطاع الفريق بذلك العودة إلى ربع النهائي في البطولة، كما استطاع الفوز بالمركز الأول كذلك، ولذلك فإنه من الضروري للفريق أن يحسن اختيار ملكة الجمال التي ستمثله.

تحولت ماناوس في نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين، إلى مدينة مزدهرة جداً بسبب التوسع في تصدير مادة المطاط الخام التي كانت تُجلب من غابات الأمازون، وليس من دليل أوضح على هذا الازدهار الذي عاشته المدينة في تلك المدة من دار الأوبرا الضخمة الموجودة فيها، التي بنيت من قضبان حديدية جُلبت خصيصاً من إسكتلندا وحجارة من إيطاليا، بالإضافة إلى بلاط فرنسي لزخرفتها، وفي هذا الصرح الضخم تحديداً تجري الأمور التنظيمية لبطولة البيلاداو، حيث يستعمل المسؤولون طابقين من دار الأوبرا لإدارة البطولة.

أزور مكاتب الإدارة في اليوم ذاته الذي أعلنت فيه الصحف أسماء الفتيات اللواتي تأهلن للدور الثاني من مسابقة جمال البطولة، وما إن ألج إلى المدخل حتى أواجه بأحد لاعبي فريق آرسنال وهو يصرخ ويشتم المسؤولين والمنظمين للبطولة؛ لأن ملكة جمال فريقه ليدي روبيرتا لم تتأهل للدور الثاني، بل استبعدت من الدور الأول، وهي سابقة لم تحدث من قبل في فريق آرسنال.

وصلت إلى مكتب أرنالدو لأجده في حالة يرثى لها، فمن الواضح أنه لم يحظ بقسط وافر من النوم في الليلة السابقة، وكان يجلس خلف مكتبه وقد تراكمت أمامه صور الفتيات المتقدمات للمسابقة وهو يحاول الاختيار بينهن، وقد وصل عدد الفتيات المؤهلات حتى الآن إلى 150 فتاة فقط، وعندما سألته عن مصير ليدي روبرتا، أجابني إنها قد تأهلت فعلاً، غير أن القائمة التي تحوي اسمها علقت في جهاز الفاكس ولم تصل إلى الصحيفة. وسيقوم بإصلاح ذلك الخطأ لاحقاً، ولكنه يبدو الآن غاضباً نافد الصبر؛ لأن الضغوطات بدأت تتزايد مع بداية البطولة، وهو المسؤول الأول عن العمليات التنظيمية وجداول المسابقات، وصاحب القرار الأخير في عدد كبير من الأمور المتعلقة بالبطولة.

يخبرني أرنالدو أنه قام باستبعاد فريق من المشاركة؛ لأنه لم يحضر ملكة الجمال الخاصة به للعرض الأول في الملعب، كما استبعد إحدى المتسابقات؛ لأنها لم تلتزم بقوانين العرض الأول، ويبرر أرنالدو كل هذا التوتر قائلاً: إن البطولة توفر جواً من الفوضى التي يجب السيطرة عليها، فكرة القدم هي المتنفس الوحيد للفئات المسحوقة من أبناء هذا الشعب، فهم يشعرون أنهم يستطيعون أن يفعلوا أي شيء من دون ضابط يردعهم.

جاء في تعليق إحدى الصحف حول البطولة قصة طريفة تؤكد ما قاله أرنالدو هذا نصها:

«حضر اللاعب إلى أرض الملعب بعد بداية المباراة، فشرع في تسجيل اسمه لدى الحكم، واندفع إلى أرض الملعب ليسيطر على الكرة

منذ اللحظة الأولى، وأخذ يراوغ اللاعبين حتى وصل إلى مرمى الخصم وسجل هدفاً رائعاً، ثم خرج من الملعب وانطلق نحو الغابة من دون أن يعرف أحد سبب هروبه حتى وصلت قوات الشرطة بعد قليل؛ ليعرف الجميع أن الشرطة كانت تلاحق ذلك اللاعب، الذي وجد لديه متسعاً من الوقت لبعض المتعة على أرض الملعب».

يمثل فريق فيلا نوفا منطقة ساو فرانسيسكو، وهي أحد الأحياء الشعبية في مدينة ماناوس حيث المنازل الخشبية والشوارع الترابية التي مازالت في الطور الأول من المدنية، لكنها محاطة بحزام كثيف من الغابات التي مازالت تأبى الزوال، وإفساح الطريق أمام التطور الحضري القادم. لقد حضرت إلى هذا المكان لمقابلة أودمير رئيس نادي فيلا نوفا الذي يشارك في بطولة البيلاداو لهذا العام، فيدعوني إلى مقهى قريب يلتقي فيه مع بعض أصدقائه عادة، ويخبرني أودمير أنه في هذا المقهى تحديداً بدأت فكرة تكوين فريق لكرة القدم يمثل ساو فرانسيسكو، ويشارك في بطولة البيلاداو، وقد اختار له اسم فيلا نوفا الذي يعني المنزل الجديد؛ ليكون بمثابة بداية جديدة لفريق قوي قد يقود إلى تغيير ما، في المنطقة.

نصّب أودمير نفسه رئيساً للفريق، وعين صهره موريسو ليما نائباً للرئيس، كما أشرك أربعة آخرين من أقاربه في إدارة الفريق وقام بتسجيله رسمياً عام 1998، ومنذ ذلك اليوم أصبح الفريق عماد الحياة الاجتماعية في الحي، حيث يجتمع أبناؤه لمؤازرة فريقهم وتشجيعه في المباريات التي يخوضها ليصل عدد المشجعين إلى أكثر من ثلاثمئة شخص، حاضرين

دائماً للوقوف خلف فريقهم في المناسبات جميعها، مما حوَّل أودمير من نادل عادي في مقهى إلى شخصية اجتماعية شهيرة محبوبة، يسعى الجميع للتقرب إليها للفوز بشرف الانضمام للفريق، لكن عملية إدارة فريق لكرة القدم ليست أمراً هيناً مهما كان الفريق صغيراً، فأودمير يقضي جلَّ وقته في تسجيل اللاعبين وتقديم طلباتهم للمشاركة في بطولة البيلاداو، كما يشتري لهم ملابس الرياضة والأحذية مما يضيف إليه عبئاً مالياً يحاول النهوض به عبر جمع التبرعات من أهالي المنطقة، أو الكتابة للاتحاد الرياضي لمساعدته.

أما بالنسبة إلى ملكة جمال الفريق، فقد اعتمد أودمير في البداية على عائلته، إذ كانت ابنة أخيه أول ملكة جمال للفريق عام 1998، أما في عام 1999 فقد كانت شقيقته، ولكنّ أياً منهما لم تستطع تجاوز المرحلة الأولى من التصفيات، مما دعاه إلى البحث عن ملكة جديدة لهذا العام، وهي إريكا التي رآها في أثناء تقديمها لبعض العروض الفولكلورية في إحدى الاحتفالات التقليدية، التي يرجو أن يكون حظها أفضل من سابقاتها.

ولا ترتبط كل الفرق المشاركة في البطولة بحي معين مثل فريق فيلا نوفا، فالبطولة مفتوحة لأي فريق يود المشاركة، ولذلك فهناك فرق تتبع جمعيات أهلية أو اتحادات بسيطة مثل تجمع رجال الأمن، الذي يمتلك فريقه الخاص ويشارك به في البطولة، أما جمعية البدناء فلها فريقها الخاص أيضاً، وكادوا يفقدون أحد اللاعبين في البطولة السابقة حين تعرض اللاعب لأزمة قلبية في أثناء اللعب، كما أن ملكة جمال الفريق لا تملك أي فرصة في النجاح؛ فهي أكثر سمنة من المشاركات وأقلهن

حظاً، لكنها يجب أن تشارك؛ لأنّ الفريق لا يستطيع أن ينتسب للبطولة من دون وجودها.

ذهبت فيما بعد لزيارة فريق آخر على النقيض من فريق فيلا نوفا من الناحية المادية، وهو فريق أويندوس دا غلوريا أي اتحاد غلوريا، ويمثل منطقة غلوريا في ماناوس؛ أحد أقدم أحياء المدينة وأعرقها، وتملكه أضخم شركة لتصنيع الدقيق وتوزيعه في منطقة الأمازون، ولذلك فإن الفريق يحصل على كثير من الدعم الذي لا تحصل عليه فرق أخرى، فهناك مدرب محترف، وأدوات رياضية، وملعب للتدريب، ووسائل مواصلات مسخرة لخدمة الفريق في تنقلاته، حتى إنّ هناك شخصاً مختصاً للإشراف على ملابس اللاعبين، وأحذيتهم، وعدد الكرات التي يمتلكها الفريق.

كان الفريق يحتفل بالذكرى الحادية عشرة لتأسيسه في اليوم الذي وصلت فيه، وقد أقيم حفل شواء ضخم بالمناسبة، حضره أكثر من مئتي شخص من أعضاء النادي ومشجعيه، أما الموسيقى فقد كانت تصدح من دون انقطاع، بينما يدور الطعام والشراب على الحاضرين. أخذت أبحث وسط الحاضرين عن القوة الدافعة للنادي ورئيسه أمريكو الذي كان يعمل في مصنع خشب من قبل، لأجده بين مجموعة من الأشخاص يتحدثون بصوت مرتفع، وكانت تطل أيقونة زرقاء تحمل صورة العذراء من عنقه، وما إن عرّفته بنفسي حتى اصطحبني خارج المكان؛ ليتسنى لنا الحديث بهدوء، فأخذ يحدثني عن النادي الذي تحول إلى رمز للمنطقة، وأصبح له مشجعون كثر يطمحون في حصوله على

لقب البطولة لهذا العام، فالفريق قدَّم عرضاً سيئاً في السنة السابقة لعدم وجود لاعبين جيدين في صفوفه، لكن أمريكو يؤكد أنه قد تعاقد مع لاعبين على مستوى رفيع هذا العام سيقدمون أداءً أفضل بالتأكيد، أما عن ملكة جمال الفريق فيقول إنه قدّم عرضاً لحاملة اللقب السابقة سامانثا سيمواز، ولا يظن أنها سترفض تمثيل اتحاد غلوريا، فالعرض مغرٍ جداً على حد تعبيره.

تعد بلاد الأمازون بلاد الأساطير والحكايات، وقد يرجع ذلك إلى تأثير الثقافة الهندية الأصلية في البلاد، التي تقوم على سرد الحكايات وتقديم الحكم والقصص المأثورة، وبطولة البيلاداو هي التي طورت تاريخاً أسطورياً خاصاً بها أيضاً، يتكون من مئات الحكايات التي تُروى هنا وهناك، ويتناقلها المعجبون والمهتمون بالبطولة عموماً، ولست أجانب الحقيقة إذا قلت إن أمريكو قد يكون أحد الذين ساهموا في صنع هذا التاريخ الأسطوري للبطولة، بما يرويه من قصص وأحداث عاصرها منذ بداية البطولة، عندما كان يرأس فريقاً يسمى جاب.

وقد كان هذا الفريق مشاركاً في البطولة عندما حضر فريق معروف في ولايته يسمى ساو جوزيه، وأراد المشاركة في بطولة البيلاداو، وطالب أن يكون ضمن مجموعة فريق جاب، فقد كان واثقاً من قدراته وإمكانية فوزه، لكن ما حدث في المباراة الأولى بين الفريقين كان عكس ذلك تماماً، إذ وصلت النتيجة إلى 24 هدفاً مقابل لا شيء لصالح فريق جاب الذي يرأسه أمريكو، وظل الناس في ماناوس يتندرون بهذه النتيجة حتى وقت طويل، أما أمريكو فلا شيء يسعده أكثر من ترديد

هذه القصة مرة تلو أخرى.

وصل أحد أصدقاء أمريكو بينما كنت أتحدث إليه وهو ماسياس سامبيو، صاحب فكرة بطولة البيلاداو، وأول من سعى لتأسيس البطولة في حوض الأمازون عام 1973 عندما كان يعمل صحفياً، ثم شق طريقه بعد ذلك في الحياة السياسية ليصل إلى منصب رئيس بلدية ماناوس، وهو موجود الآن في هذه الحفلة؛ ليقدم الدعم لصديقه أمريكو ويظهر دعم المدينة لفريق غلوريا. يحدثني ماسياس عن فترات الازدهار التي عاشتها مدينة ماناوس في أواخر القرن التاسع عشر، وبدايات القرن العشرين نتيجة تصدير مادة المطاط من الغابات المطرية إلى جميع أنحاء العالم، لكن هذه الفترة لم تدم طويلاً، إذ قام أحد المستثمرين الإنجليز بنقل بعض أشجار المطاط ليزرعها في آسيا، حيث نجحت زراعتها بشكل كبير، ليتحول سوق التصدير من ماناوس إلى موانئ آسيا، وتعود ماناوس إلى فترة ركود اقتصادي أقعدها عن مواصلة مشوار التنمية. وقد دامت هذه الحال حتى عام 1967 عندما أقرت البرازيل قانوناً تعفى فيه المصانع التي تقام في ماناوس من الضرائب، مما شجع المستثمرين على العودة إلى هذه المدينة من جديد، بالإضافة لبعض المشاريع العملاقة مثل مشروع الطريق السريع الذي اخترق مجاهل غابات الأمازون؛ ليفتحها أما المستعمرين والمستثمرين سواء بسواء. وهكذا عادت ماناوس لتحتل مراكز الصدارة من جديد في البرازيل، وازداد عدد السكان فيها من 300,000 نسمة كانوا يسكنون المنطقة عام 1970، ليصل إلى زهاء 1,4 مليون نسمة في نهاية القرن العشرين، إذ توافد على المدينة عدد ضخم

من الشباب الذين يبحثون عن عمل في ظل الازدهار الاقتصادي الذي ساد المدينة في فترة السبعينيات، ومع تزايد عدد السكان ولاسيما الشباب، ظهرت الحاجة إلى وسائل الترفيه التي كانت شبه معدومة في ماناوس، وهنا طلبت المؤسسة الإعلامية الأبرز في ماناوس من ماسياس الذي كان يعمل لديها، أن يطور فكرة مهرجان أو مسابقة ضخمة يمكن لأفراد المجتمع كلهم المشاركة فيها، وطبعاً اتجه تفكير ماسياس إلى كرة القدم التي يعشقها البرازيليون كلهم من دون استثناء، لكن ماناوس لم تكن من المدن المتقدمة في هذا المجال، ولم يكن فيها إلا عدد قليل جداً من فرق كرة القدم المحترفة، وذلك لا يكفي لتنظيم بطولة ضخمة في الأمازون، لذلك خطر لماسياس أن يقترح تنظيم بطولة كروية ضخمة، ولكن ليس للفرق المحترفة، وإنما للفرق المحلية الصغيرة، تتنافس فيما بينها للوصول إلى النهائيات، ثم لقب البطولة والجائزة المقررة.

نجحت فكرة ماسياس نجاحاً باهراً، إذ اشترك في الدورة الأولى للبطولة 188 فريقاً، أما في الدورة الثانية فقد ازداد العدد ليصل إلى 286 فريقاً، وارتفع إلى 500 فريق في الدورة الثالثة، لتصبح بطولة البيلاداو أهم حدث ترفيهي في المنطقة ينتظره الجميع من دون استثناء، لأن كلَّ برازيلي يرى في نفسه لاعب كرة القدم، كما أن ماناوس، المدينة البعيدة عن مركز السلطة في البرازيل، كانت تحتاج إلى مثل هذا الحدث؛ لتعزيز هويتها القومية وبث الحماس في نفوس أبنائها.

فكّر ماسياس بعد نجاح الدورة الأولى للبطولة في كيفية إشراك النساء فيها، إذ كان هناك عدد كبير من المشجعين والمتفرجين منهن، لكن كرة

القدم النسائية لم تكن منتشرة في ذلك الوقت، وهنا ظهرت فكرة ملكة جمال الفريق، إذ يلتزم كل فريق باختيار فتاة تمثله في مسابقة ملكة الجمال التي تقام بالتوازي مع مسابقة كرة القدم، وكانت هذه فكرة ناجحة أيضاً تطورت، واستمرت مع تطور البطولة الكروية، على الرغم من أن فكرة ملكة الجمال ليست غريبة على منطقة الأمازون، فقلما يخلو احتفال أو مهرجان من ملكة جمال تمثله، كما أن لكل مدينة أو قرية في الأمازون، ملكة جمال مرتبطة بالمحصول الذي تشتهر به المدينة أو القرية، فهناك ملكة الموز في قرية كوارى، وملكة البرتقال في أنورى، وملكة الحليب في أوتازيس، لذلك لم يكن من الغريب أن تكون هناك ملكة لكرة القدم أيضاً.

سألت ماسياس عن حق التأهل للفريق الخاسر، وهو الحق الذي تمنحه المتسابقة لفريقها عند وصولها للأدوار النهائية، فأجاب إنه أقرَّ هذا الحق؛ لتهتم الفرق بالبحث عن ملكة جمال مناسبة، كما أن هذا الحق يقلل من حوادث العنف ضد الحكام في الملعب، فيبقى هناك أمل للفريق الخاسر حتى لو خرج من البطولة، لأن وصول ملكته إلى الأدوار النهائية يؤهله للعودة ثانية للمنافسة، وهكذا لن يصبّ اللاعبون والمشجعون غضبهم على الحكام، وبذلك تلعب الفتيات دوراً فاعلاً في هذه البطولة.

يعتقد ماسياس أن من أهم أسباب نجاح بطولة البيلاداو لكرة القدم، أنها تتيح الفرصة لأشخاص في أسفل السلم الاجتماعي ليصبحوا في أعلاه، وفي مجتمع مثل المجتمع الأمازوني يعاني أبناؤه من عدم المساواة

وتفاوت الطبقات الصارخ، يمكن لأي شخص عادي أن يتحول إلى رئيس لأحد نوادي كرة القدم ويشترك في البطولة، ومهما كانت خلفية الفرق المشتركة متواضعة فإنها تعكس– في النهاية– نوعاً من الاحتراف والتميز، فمعظمها يمتلك مدرباً خاصاً وله مجموعة من المشجعين تؤازره وتدعمه.

ويعلل ماسياس ضخامة البطولة من حيث عدد المشاركين، أنّ أبناء ماناوس مهووسون بكرة القدم رغم كل المعيقات التي تعيق انتشار اللعبة من أحوال جوية صعبة، إلى نقص في عدد الملاعب العشبية، وكلما زادت الصعوبات تعلق أهالي المنطقة باللعبة أكثر. ومع زيادة شعبية البطولة وإقبال الجماهير عليها، زاد عدد اللاعبين والفرق التي ترغب بالمشاركة سنوياً، حتى إنّ بعض الفرق في الأمازون طالبت الاتحاد الرياضي بسحب عضويتها منه، بوصفها فرقاً محترفة حتى تستطيع المشاركة في بطولة البيلاداو.

ومن اللاعبين الذين يرفضون الاحتراف في فرق ماناوس الرسمية، اللاعب ناي ريزندي الذي يقول إنه يحقق مكاسب أكبر بكثير بانضمامه لفرق الهواة التي تشارك في بطولة البيلاداو، فقد تقاضى حتى مبلغ 500 جنيه لقاء لعبه مع فريق هاو في البطولة السابقة، بالإضافة إلى هاتف نقّال وبعض الطوب والإسمنت؛ ليتمكن من بناء بيت جديد، وهي امتيازات لن يحصل عليها البتة في فرق المحترفين في ماناوس، ويضيف ناي إن اللعب في بطولة البيلاداو هو أقصر طريق للشهرة في الأمازون، فما إن يبرز لاعب مميز حتى يتسابق الجميع للحصول على

رقم هاتفه وعنوانه؛ لتنهال عليه العروض المتنافسه للانضمام إلى هذا الفريق أو ذاك، وقد يصل بعض اللاعبين إلى الفريق الوطني مثل اللاعب فرانكا الذي برز في إحدى بطولات البيلاداو، ثم تم استقطابه للانضمام للمنتخب البرازيلي، وقد لعب في مباراة ضد إنجلترا عام 2000، وهذا ما يأمله ناي من اشتراكه في البطولة، إذ ترك مقاعد الدراسة منذ وقت طويل وهو لا يجيد فعل أي شيء آخر غير كرة القدم، ولذلك يسعى بجد لإظهار قدراته في بطولة البيلاداو، إذ ربما يلفت أنظار المدربين في الفرق الكبرى أو المنتخب الوطني.

يوجد في ماناوس ثمانية أندية محترفة لكرة القدم، يلعب منها اثنان مع فرق الدرجة الثانية على المستوى الوطني فقط، ولذلك فهي تملك ما يكفي لاستقطاب اللاعبين وتدريبهم ودفع أجور معقولة لهم، أما باقي الفرق الستة الأخرى فتعاني من أوضاع مالية صعبة، تنعكس سلباً على المنشآت التي توفرها هذه الأندية والإمكانيات المتاحة للاعبيها. وللوقوف على حقيقة الأوضاع في هذه النوادي قررت أن أزور نادي أمريكا FC ، الذي تتمركز إدارته في باحة منزل مدرب الفريق أماديو تيكسيرا، وهو رجل في السبعينيات من عمره، يمتهن التدريب على كرة القدم منذ عام 1956، وهي مدة طويلة جداً بالنسبة لأي مدرب في العالم، وليس في البرازيل فقط.

يحتفظ أماديو بعدد من الكؤوس والدروع في مقر الإدارة التي يعرضها أمامي بكثير من الفخر والاعتزاز، أما أغرب هذه الكؤوس، فهو كأس ضخم يوازي طوله طول أماديو ذاته، يمثل لاعباً يقف على

منصة عالية مثبتة على قاعدة معدنية، فاز به فريق أمريكا في بطولة ولاية الأمازون عام 1994 بعد طول انتظار، ويعلق أماديو على هذا الفوز بقوله «إنه جاء متأخراً بعض الشيء، فالفريق وصل إلى الدور النهائي عدة مرات لكنه لم يوفق بالفوز، إذ كان هناك ما يعيق حصوله على لقب البطولة دائماً، ففي السبعينيات تقابل فريق أمريكا FC في المباراة النهائية مع فريق ناسيونال الذي كان يرأسه حاكم الولاية، وطبعاً فإن الحكام كانوا يحابون الحاكم طوال مدة المباراة، بل إن الحكم الموجود في الملعب قام بطرد لاعبين من فريق أمريكا من دون وجه حق، فخسر الفريق المباراة.

أما في المرة الثانية التي وصل فيها الفريق إلى المباراة النهائية، فقد كان يلعب ضد فريق رودوفيريا، وكان فائزاً حتى الشوط الثاني من المباراة حين انقطعت الكهرباء فجأة في الملعب، ليعم الظلام كل شيء، ولم يستطع أحد أن يعيد وصل التيار الكهربائي في الملعب فألغيت المباراة، وعندما أُعيدت في وقت لاحق خسر فريق أمريكا المباراة ولقب البطولة. وفي فرصة أخرى كان فريق أمريكا يلعب ضد فريق ريو نيغرو في المباراة النهائية كذلك، وكان هناك حكم شهير حضر خصيصاً من ريو دي جنيرو لإدارة المباراة، وكان الجميع يعلم أن علاقة صداقة تربط بين الحكم ورئيس نادي ريونيغرو، ولذلك فقد كان التحيز واضحاً خلال المباراة، ضد فريق أمريكا مما أدى لخسارته المباراة واللقب مجدداً.

كان أماديو في الثالثة عشرة من عمره عندما أسس نادي أمريكا مع مجموعة من زملاء الدراسة، ومنذ ذلك اليوم وهو يكرس كل وقته

خارج وظيفته في مكتب العمدة؛ لإدارة الفريق وتدريبه والنهوض به، حتى إنه حاول تكوين فريق كرة قدم للفتيات في الستينيات، لكن ذلك كان مخالفاً للقانون في تلك الفترة، فلم تنجح الفكرة، غير أن أصداءها وصلت إلى ريو دي جنيرو، ويقرأ عليّ أماديو فقرة من مقال كُتب في إحدى الصحف البرازيلية حول الموضوع عام 1969، ويشير المقال بسخرية إلى فريق لكرة القدم للفتيات في الأمازون، غير أنّ الغريب في الأمر أن اشتراك الفتيات في بطولة البيلاداو عقب ذلك المقال بأربع سنوات لم يثر حفيظة أحد! ربما لأنهن كن يتنافسن بملابس السباحة!

ينظم اتحاد الأمازون لكرة القدم مسابقة كروية أخرى بالإضافة لدوري الولاية الرسمي، وهي مسابقة كأس النهر، تجمع فرقاً للهواة يمثلون بلديات الولاية، وبما أن ولاية الأمازون أكبر حجماً بثلاث مرات من فرنسا فإن ذلك يعطينا فكرة حول المصاعب التي قد يجتازها أهالي المنطقة للمشاركة في مسابقات كرة القدم، حيث يقضي الحكام القادمون من ماناوس عدة أسابيع أحياناً؛ ليقطعوا النهر وصولاً إلى مواقع المباريات.

تعوّل البلديات كثيراً على بطولة كأس النهر، فهي تعدّ هذا الحدث المناسبة الاجتماعية الوحيدة التي يجتمع فيها سكان المناطق النائية المعزولة في الأمازون مع بعضهم -كما يخبرني مدير جمعية البلديات في الأمازون فرناندو سيبرا- غير أن هذا التصريح لا يبدو لي دقيقاً جداً، فبطولة البيلاداو تضم فرقاً من مجاهل غابات الأمازون النائية. وفي عام 1995 ضمت بطولة البيلاداو زهاء 30,000 لاعب كرة قدم من أنحاء

الأمازون كلها، وهو عدد ضخم لا يستهان به.

قصة طريفة أخرى ترويها الصحف حول المشاركين في بطولة البيلاداو جاء فيها:

«وصلت النتيجة إلى درجة مهينة في إحدى المباريات، 0—4، وهي النتيجة التي استفزت أحد مشجعي الفريق الخاسر وهو فرانسيسكو الذي يعمل سائق سيارة أجرة، فما كان منه إلا أن هبط إلى أرض الملعب لينتقم من حكم المباراة، ولكن قبل أن يطبق بيديه على عنق الحكم المسكين، ظهر إريكو الضخم الجثة ولاعب الدفاع في الفريق الفائز؛ ليدافع عن الحكم هذه المرة لا عن فريقه، وعندما أحس فرانسيسكو بالمصير المظلم الذي ينتظره على يدي إريكو، جثا عند قدمي الحكم يطلب الصفح ويعده بأي تسوية يراها مناسبة، فما كان من الحكم إلا أن طلب من السائق توصيلة مجانية بعد نهاية المباراة؛ ليصفح عنه فقبل فرانسيسكو بسرور، وبعد مرور عقدين من الزمن على تلك الحادثة مازال فرانسيسكو يقف بسيارته كلما شاهد ذلك الحكم؛ ليعرض عليه أن يوصله إلى أي مكان يريد خوفاً من بطش إريكو».

تُعد الأمازون من أقل الولايات البرازيلية سكاناً، ولكن أكثر من نصف عدد هؤلاء السكان يعيشون في ماناوس التي تبدو كأنها جزيرة مكتظة بالسكان وسط بحر من الفراغ حيث كانت وجهتي القادمة، أحد الأحياء البسيطة خارج مدينة ماناوس لألتقي بولينو جورج دي

موريس؛ أحد أعضاء لجنة تنظيم بطولة البيلاداو منذ بداية البطولة عام 1973. يبدو لي بولينو مشعاً لكثرة ما يرتدي من حلى ذهبية في معصمه وعنقه، ويزداد الرجل غرابة كلما أوغلت معه في الحديث، فهو يبالغ في وصف الأحداث ورواية القصص حتى تكاد تتحول الى قصص خيالية، ولكن الشيء الوحيد الذي كان بولينو صادقاً فيه تماماً، هو قوله إن بطولة البيلاداو قد غيرت حياته، إذ وفر له منصبه في لجنة التنظيم شعبية عظيمة ومكانة مرموقة لم يحلم بها يوماً. يقول باولينو: «لقد كنت أحلم دائماً أن أكون حكماً في المباريات، وقد كانت أمي تعارض ذلك؛ لأن الحكام عادة ما يتعرضون للضرب من قبل الجماهير الغاضبة في حال الخسارة، غير أنها بدأت تعتاد الأمر الآن، كما أن الحكم لا يحتاج لمهارات خاصة سوى أن يكون ملماً بالقوانين».

يشتهر باولينو أنه حكم صارم شجاع، ولا يتوانى عن طرد أي لاعب من المباراة إذا ارتكب خطأ يستحق عليه الطرد، ويدعي باولينو أنه قد طرد حتى الآن 5,982 لاعباً في جميع دورات البطولة السابقة. يتبادر إلى ذهني أن باولينو قد لا يكون حكماً محبوباً إطلاقاً، فأسأله إن كان قد تعرض لأي حوادث عنف في السابق، فيجيبني قائلاً: «إن العنف ضد الحكام أمر عادي ومألوف في بطولة البيلاداو، وقد تعرضت شخصياً لكثير من الحوادث نتيجة قراراتي داخل الملعب، منها ما كان طريفاً حقاً، ومنها ما كان مؤلماً، إذ طاردتني إحدى المشجعات مرة داخل الملعب، وهي تحمل مكنسة تحاول ضربي بها! وفي مباراة أخرى تهجم عليّ أحد اللاعبين وشج رأسي وهرب، لكن الشرطة أمسكت به وأتت

به إلى الملعب؛ لأنزل به العقاب الذي أريده، لكني قررت أن أصفح عنه وأصبحنا منذ ذلك الوقت أصدقاء نذهب معاً لنتناول الشراب، ويصر أن يستضيفني على العشاء كلما سنحت الفرصة، إن هذا النوع من الذكريات هو ما يبقيني متعلقاً بهذه البطولة، ولن يثنيني أي شيء عن المشاركة فيها».

يُعد باولينو صغير الحجم، ضئيل البنية، ولذلك فهو لا يجد حذاء كرة قدم على مقاس قدميه، ويضطر إلى ارتداء أحذية رياضية عادية مع لباس الحكم الذي يرتديه في المباريات، كما ينعكس صغر الحجم على كل شيء في بيته، فهو يمتلك ثلاجة صغيرة، وأريكة لا تكاد تتسع لشخص غيره، لكنه مع ذلك سعيد بمهنته ويود لو يمارسها طيلة حياته، وحتى بعد وفاته يحب أن يُدفن بلباس الحكم ومعه بطاقاته الصفراء والحمراء التي لا يستغني عنها.

كان يوم لقائي مع باولينو هو يوم الأحد الأول في البطولة، أي اليوم الأول لبداية المباريات، حيث تقام 136 مباراة في ذلك اليوم موزعة على 40 ملعباً ما بين الساعة الثامنة صباحاً، حتى غروب الشمس في مدينة ماناوس، ومع أن ماناوس محاطة بالغابات الاستوائية إلا أن معظم الملاعب التي كانت تقام عليها المباريات كانت أراضي جرداء رملية، ومليئة بالحجارة والزجاج أحياناً، وحتى عظام الحيوانات النافقة!

توفر لجنة تنظيم البطولة عدداً كافياً من الحكام ومساعديهم لإدارة المباريات في الأدوار النهائية، أما توفير الحكام في الأدوار الأولى فيقع على عاتق الفرق المشاركة، فيجب على كل فريق تزويد البطولة بأربعة

أشخاص قبل بداية المباراة، أحدهم حكم واثنان مساعدان، بالإضافة إلى شخص إداري يساهم في الأمور التنظيمية، ويقوم هؤلاء الأربعة بإدارة مباريات لا تتعلق بالفريق الذي رشحهم، وإذا لم يحضر هؤلاء إلى أي من المباريات المنوطة بهم، فإن الفريق يتحمل مسؤولية ذلك، وتُسجل عليه عقوبة محددة.

ذهبت لزيارة أحد هذه الملاعب لحضور مباراة من مباريات الدور الأول، والوقوف على التفاصيل كافة، وحرصت على الوصول قبل موعد المباراة، فوجدت أن أول الحاضرين هم المسؤولون الأربعة ومن بينهم الحكم الذي يحضر الكرة معه، بالإضافة لصفارة الحكم والبطاقات الصفراء والحمراء، بينما حمل مساعدوه الذين يقفون على الخط أعلاماً بيضاء. أما المسؤول الرابع فقد اتخذ له طاولة صغيرة في الظل أمام الملعب مباشرة، وجلس ليسجل أحداث المباراة على أوراق رسمية زودته بها اللجنة التنظيمية؛ ليقوم فيما بعد بكتابة تقرير حول المباراة لتسليمه إلى اللجنة عقب المباراة.

حضر بعد ذلك بقليل، الفريق الأول في حافلة صغيرة، واتجه اللاعبون مباشرة لتسجيل أسمائهم لدى الحكم، وإبراز بطاقات اشتراكهم في البطولة، ثم قام رئيس النادي الذي يرافق الفريق بتسليم اللاعبين القمصان الخاصة بالفريق واحداً بعد الآخر. وحضر الفريق الثاني لاحقاً ليتبع الإجراءات ذاتها التي قام بها الفريق الأول، ولتبدأ المباراة في موعدها المحدد تماماً، حيث سارت بسلاسة ونظام، كما أن الحكم كان يقوم بواجبه على خير ما يرام من دون مشاكل تذكر.

ولتشجيع مثل هذه الكفاءة لدى الحكام، تعقد الإدارة التنظيمية للبطولة مسابقة خاصة لاختيار أفضل ستة عشر حكماً في المباريات، الذين يمثلون طبعاً ستة عشر فريقاً هي الفرق التي رشحت هؤلاء الحكام في البداية، وتتقابل هذه الفرق التي رشحت أفضل الحكام مع الفرق التي رشحت أفضل ملكات الجمال في دوري مصغر بالتوازي مع مباريات البطولة، والفائز من بينها يملك حق الترشيح للدور السادس عشر في بطولة البيلاداو ليدخل المنافسة في الأدوار الأخيرة.

ما كنت لأضيع فرصة حضور المباراة الأولى لفريق فيلا نوفا الذي زرته من قبل، وهكذا توجهت إلى الملعب المقرر للمباراة لأجد الجميع في حالة قصوى من التوتر، إذ إن موريشيو ليما، صهر أودمير رئيس الفريق كان قد طلب ملابس جديدة للفريق تحمل شعاره، وعندما أحضر الملابس في يوم المباراة كان تنفيذ الشعار سيئاً جداً، فلا يمكن ارتداء القمصان بهذه الحالة، ولذلك قرر توزيع القمصان القديمة على اللاعبين؛ إنقاذاً للموقف قبل بدء المباراة. ومما زاد من حالة الفوضى وصول أخبار إقصاء ملكة جمال الفريق إريكا من الدور الأول، ولذلك فقد كان رئيس الفريق أودمير محبطاً جداً، فقد تكبد كثيراً من النفقات لإيجاد فتاة تمثل الفريق بالإضافة للملابس والمواصلات التي كان يرى أنه من الأجدى لو تم إنفاقها على اللاعبين لتحسين مستواهم في البطولة، بدلاً من تبديدها على فتاة أخفقت من الدور الأول.

يرتدي أودمير وأقرباؤه الإداريون زياً يختلف عن زي اللاعبين؛ لتمييزهم على ما يبدو، وعندما سألت أودمير إن كان هناك أحد من

العائلة لم يحضر، أجابني إنّ والده فقط تخلف عن حضور المباراة؛ لأنه ينفعل بشدة في المباريات، وقد ينتهي به الأمر إلى شجار مع الحكم.

يلتقي فيلا نوفا في هذه المباراة مع فريق اتحاد روناتال، وهذا يزيد من توتر أودمير، فيحاول تشجيع فريقه عبر خطبة قصيرة يلقيها عليهم، يُذكرهم فيها أنهم يجب أن يتمثلوا شعار الفريق وهو النسر في قوته وشجاعته وثباته، ثم يرتل معهم صلاة خاصة ويهتفون جميعاً باسم الفريق لتبدأ المباراة بعد ذلك. إنّها مباراة صعبة؛ لأنّ كلا الفريقين يحاولان الفوز ولا تبدو هناك أي نقاط ضعف، وتستمر النتيجة بالتعادل حتى نهاية الشوط الأول الذي استمر خمساً وعشرين دقيقة، كما تنص قوانين البطولة بالنسبة لمباريات الدور الأول. لقد أصيب أحد لاعبي فريق فيلا نوفا خلال المباراة وظهر التعب والإرهاق على وجوه البقية، وليس هناك أمل يلوح في الأفق بالنسبة للشوط الثاني الذي أخذ يشرف على نهايته من دون تسجيل أهداف لأيٍّ من الفريقين، وفجأة يدخل أرض الملعب رجل يعدو حافي القدمين، وما إن تراه جماهير فيلا نوفا حتى تبدأ بالتهليل والصراخ ترحيباً بقدومه.

إنه أحد لاعبي الفريق، لكنه لم يستطع القدوم في الوقت المناسب؛ لأنه تأخر في عمله، ويطلب من أودمير أن يشركه في المباراة فوراً من دون أن ينتعل أي حذاء، فيوافق أودمير ويسجل اسمه لدى الحكم لينضم إلى فريقه داخل الملعب. وما إن تبدأ المباراة من جديد لتكملة الشوط الثاني حتى تشتعل الحماسة في صفوف فريق نوفا بسبب دخول هذا اللاعب الغريب الذي أخذ يستولي على الكرة، ويقوم بتمريرات

جميلة أربكت فريق الخصم حتى استطاع في النهاية أن يسدد هدفاً رائعاً، هزَّ شباك الفريق المنافس في اللحظة المناسبة لتنتهي المباراة بنتيجة 1-0 لصالح فيلا نوفا، ولتنضم قصة هذه المباراة إلى القصص الكثيرة التي تُروى عن أحداث هذه البطولة الغريبة، مثل تلك القصة التي أوردتها صحيفة الأمازون وجاء فيها:

«التقط الحكم رمية خاطئة، ومن دون أي تردد أطلق صافرته معلناً «فاول»، ضربة جزاء، وهنا تجمهر لاعبو الفريق المعني واتجهوا مباشرة نحو الحكم يريدون دمه لو استطاعوا، لكن الحكم مانويل كان حاضراً لمثل هذه اللحظة فما كان منه إلا أن سحب مسدساً كان يخفيه تحت ثيابه ورفعه في الهواء مهدداً بإطلاق النار على كل من يقترب منه، فأخذ اللاعبون يتقهقرون وهم يتدافعون بخوف شديد لدرجة أنهم لم يلحظوا أن مسدس مانويل كان عبارة عن لعبة أطفال، وليس مسدساً حقيقياً، كان مسدساً من النوع الذي يمكن لأي طفل الحصول عليه مقابل 50 بنساً من متجر الألعاب».

غادرت ماناوس في اليوم التالي للمباراة، لكنني بقيت على اطلاع فيما يخص مجريات بطولة البيلاداو عن طريق صحيفة كريتكا، وهي صحيفة ماناوس اليومية التي تصل إلى ريو مرتين في الأسبوع فقط، ولن يبدو هذا التأخير غريباً إذا ما علمنا أن ماناوس تبعد عن ريو أكثر مما تبعد عنها الأرجنتين أو بوليفيا أو شيلي مثلاً. ومن خلال هذه الصحيفة استطعت متابعة أخبار البطولة سواء في مباريات كرة القدم أو مسابقة ملكة الجمال، وقد قرأت أن فريق فيلا نوفا استطاع تخطي

الأدوار الأولى لكنه هزم على يدي فريق سنترال بارك سان أنطونيو، أما الفائز بلقب البطولة فقد كان فريق سوبر شوب الذي يملكه صاحب متجر للأدوات الكهربائية يحمل الاسم ذاته. أما لقب ملكة الجمال فقد فازت به ساماناثا سيموز التي تمثل فريق اتحاد غلوريا، وقد نقلت شاشات التلفاز البرازيلي الحفل الختامي للبطولة على الهواء مباشرة، أما ليدي روبرتا ممثلة فريق آرسنال فلم تتخط تصفيات الدور الثاني.

الفصل الثاني عشر

ملعب فوق خط الاستواء

تُعرف الغابات المطيرة في الأمازون أنها موطن لعدد من الكائنات المهددة بالانقراض، ولكن ما لا يعرفه الكثيرون أن هذه الغابات تحتضن آخر معاقل الموسيقى الإلكترونية الإنجليزية التي شاعت في الثمانينيات من القرن العشرين أيضاً، وقد وقعتُ على هذا الاكتشاف في أثناء زيارتي لمدنية ماكابا عاصمة ولاية أمابا، حيث قال لي سائق سيارة الأجرة التي كنت أستقلها إنه سيأخذني إلى أفضل نادٍ ليلي في المدينة، وهناك دُهشت عندما سمعت صخب الموسيقى الإلكترونية في كل مكان، ووجدت شباناً يرقصون بمرح على أنغامها، وربما كنت أكبر الموجودين سناً في حلبة الرقص، ولكنني أخذت أرقص على كل حال مأخوذاً بحنيني إلى سنوات الثمانينيات الذي فجرته تلك الموسيقى القديمة، وما لبثت أن لاحظت وجود إنجليزي غيري في حلبة الرقص، ولعله الشخص الوحيد الذي يكبرني سناً في هذا المكان، إذ كان في الخامسة والأربعين على ما يبدو، ويمتلك ملامح إنجليزية خالصة تميزه عن باقي الموجودين مما آثار فضولي نحوه، فماذا يفعل سيد إنجليزي في هذا المكان الذي لا يظهر على الخريطة السياحية للبرازيل البتة، فهذه الولاية تفتقر لكل شيء حتى السكان، فلا يتعدى عدد سكانها 44,000 نسمة، وتغطي الغابات الاستوائية 90 بالمئة من مساحة أراضيها، وليس فيها طرق برية تربطها مع الولايات الأخرى.

لقد حضرت إلى أمابا لزيارة ملعب لكرة القدم يقسمه خط الاستواء إلى نصفين وهو ملعب زيراو أي الصفر الكبير، وهو واحد من عشرات الملاعب الضخمة التي بُنيت في المدن البرازيلية إبان الحكم الديكتاتوري في السبعينيات، ويشير رقم صفر إلى خط العرض حيث موقع الملعب، ولكن الرقم صفر يمكن أن يصف حالة المدينة أيضاً، التي تقع في هذا المكان النائي الخالي من كل شيء إلا الغابات، فوجود خط العرض صفر في هذه المدينة وبناء هذا الملعب فوقه، لم يقدِّما أي شيء لهذه المدينة، بل إنه حتى لم يعرّفا العالم بها، وفي المقابل إذا نظرنا إلى بريطانيا وما فعلته بخط الطول صفر الذي يمر بأراضيها في منطقة جرينتش ستكون المفارقة صارخة، إذ إن بريطانيا بنت مرصداً عالمياً في جرينتش، يُذكّر العالم كل يوم بدقة التوقيت البريطاني وكفاءته.

يقسم خط الاستواء ملعب زيراو الى نصفين، فهو يمر بالخط الأبيض في منتصف الملعب، وعندما يُجري حكم المباراة القرعة قبلها، يسأل قائد الفريق عن أي نصف من الكرة الأرضية يختار! وقد خبرت ذلك بنفسي وأنا أتابع مباراة بين فريقي ساوجوزيه والاستقلال تجري على أرض هذا الملعب تحديداً، حيث احتل فريق ساوجوزيه النصف الشمالي من الملعب أو من الكرة الأرضية، وبقي فريق الاستقلال في النصف الجنوبي، وكانت مباراة حامية الوطيس فعلاً، فما انفك الحكم يلوح ببطاقته الصفراء للاعبين بين الفينة والأخرى، والفريقان يتنافسان بشراسة كأنها معركة بين الخير والشر، وقد يكون هذا التشبيه صحيحاً إذا نظرنا إلى أعلام المشجعين وشعاراتهم، فجمهور ساوجوزيه كان يتسلح

بأعلام تحمل صوراً كاريكاتورية للشيطان، أما جماهير فريق الاستقلال فقد كانت ترفع شعار «المسيح، ماضياً وحاضراً ومستقبلاً»، والجميع يهتف ويشجع ويعزف ويقرع الطبول، وفي وسط كل هذه الضوضاء كان المشجعون يحملون أجهزة مذياع صغيرة يلصقونها قرب آذانهم؛ ليستمعوا إلى التعليق على المباراة الذي تبثه الإذاعة المحلية.

تتسع مدرجات الملعب إلى زهاء 5,000 متفرج وقد طُليت باللون الأصفر، ويمكن للجالس في أعلى المدرجات الإطلال على غابات الأمازون لمسافة بعيدة، كما يمكن ملاحظة امتداد مدينة ماكابا، وتوسعها نحو الغابات في السنوات القليلة الماضية، فبعد أن كان ملعب زيراو يقع على أطراف المدينة، أصبح الآن كأنه جزء من المدينة تحيط به الأحياء السكنية البسيطة والطرق المعبدة، وتغطيه سماء ملبدة بغيوم الاستواء الداكنة دائماً.

يُعد ملعب زيراو نموذجاً للمشاريع التي تحب حكومات الولايات البرازيلية أن تتفاخر بها، وقد موّلت حكومة أمابا مشروع الملعب على أمل أن يكون علامة مميزة للمدينة ونقطة جذب للسياحة فيها، ومعلماً تتفاخر به أمام الولايات الأخرى، لذلك فقد حرصت الولايات على استضافة الرئيس البرازيلي فرناندو كولور في حفل افتتاح الملعب عام 1990، كما استدعت اللاعبين زيكو وباولو سيزار للمشاركة في مباراة ودية أقيمت على أرض الملعب، فيُعتبر مشروع الملعب أضخم مشروع عرفته المدينة منذ أن بنى البرتغاليون قلعة قرب النهر في وسط ماكابا، وهي لاتزال قائمة حتى الآن، وبحال جيدة بالنسبة إلى بناء يرجع تاريخه

إلى عام 1782، وأنا شخصياً لا أعتقد أن ملعب زيراو سيصمد مثل هذه المدة، فقد بدأ يتداعى في بعض أجزائه منذ الآن.

إن الحياة في الأمازون صراعٌ مستمر ضد عوامل الطبيعة من أمطار ودرجات حرارة مرتفعة، إضافة للرياح العاتية التي تهب على المنطقة في شهر سبتمبر، ويبدو أن ملعب زيراو لم يكن مجهزاً بما فيه الكفاية لمواجهة مثل هذه الظروف الجوية، فقد أطاحت الرياح بمعظم أسقف المدرجات، ولم يبق غير الأعمدة الأسمنتية التي كانت تحمل هذه الأسقف في وقت من الأوقات؛ لتشهد على سوء البناء وفقر الإعداد.

مازلت أتابع مباراة فريقي ساوجوزيه والاستقلال، وقد انضم إليّ على المدرجات خواكيم نيتو، نائب رئيس اتحاد أمابا لكرة القدم وأخذ يطلعني على بعض الأمور حول هذا الملعب، مثل صعوبة إجراء المباريات على أرضه في شهر سبتمبر، إذ تهب الرياح الشمالية العاتية في هذا الشهر، التي يمكن أن تغير من اتجاه الكرة في بعض الأحيان، لذلك يجد اللاعبون صعوبة في السيطرة عليها. يبدو لي خواكيم رجلاً لطيفاً طيب المعشر، وقد علمت أنه يعمل في وظيفة إدارية في قسم الزراعة في الحكومة المحلية، كما أنه يقدم برنامجاً رياضياً في القناة المحلية الخاصة بالولاية. ويلفت خواكيم انتباهي لمواقع أعمدة الإنارة الكاشفة الموجودة في الملعب، فقد نصبت أمام المدرجات تماماً، لذلك فهي تحجب جزءاً من الملعب عن عيون المتفرجين، وهذا خلل كبير في هندسته، ويعلل خواكيم ذلك بقوله: إن هذا الملعب كان أول مشروع لملعب كرة قدم تنفذه الشركة التي قامت بالعمل، لكنه لا يبدو سعيداً بهذا التبرير أبداً.

تسير المباراة باتجاه النصر لفريق الاستقلال، فالنتيجة حتى الآن 0–2 لصالحه، وقد قاربت المباراة على نهايتها، ومازلت أتابع مجرياتها مع خواكيم الذي يجلس بجانبي على المدرج، وفجأة شعرت بيد تربت على كتفي بتهذيب، فالتفت لأجد الرجل صاحب الملامح الإنجليزية الذي التقيته من قبل في النادي الليلي، وقبل أن أنطق بأي كلمة، بادر خواكيم بالتعريف بالسيد الذي حضر لتوه قائلاً: «إليكس، أقدم لك السيناتور سباستياو روشا عضو مجلس النواب»، فتصافحنا وذكرته بلقائنا العابر السابق فقال: إنه يتذكرني طبعاً، وهو سعيد لأننا نتقابل ثانية، ثم أخذ يحدثني عن نفسه، فقال: إنه كان يلعب مع فريق الاستقلال عندما كان يافعاً، وقد كان فريقاً هاوياً آنذاك، لكنه توجه لدراسة الطب، وتخصص في الأمراض النسائية وهو الآن طبيب نسائي، كما ترشَّح لعضوية مجلس النواب عام 1998، وتم انتخابه ضمن حزب العمال الديمقراطي.

يعتقد السيناتور روشا أن ملعب زيراو كان ضحية للإهمال السياسي، إذ كان هناك الكثير من الوعود من الحكومة المركزية حول بناء أفضل للملعب وتغطية جوانبه الأربعة، لكن هذه الوعود لم تنفذ، وبقي المشروع يتأرجح بين الحكومة المحلية والحكومة الفيدرالية، حتى بدأت أجزاء منه تتداعى على الرغم من أنه يمكن أن يتحول إلى ملعب دولي ببعض الدعم من الحكومة الفيدرالية، ويضيف السيناتور إن هذا الموقع يمكن أن يتحول إلى قرية أولمبية تستضيف الفرق من جميع أنحاء العالم، وكل ما نحتاجه هو مزيد من الحوار بين الحكومة المحلية والمسؤولين في العاصمة، ورغم أن خطاب السيناتور كان متفائلاً وجاداً، فإنني لمست

أن حديثه كان أقرب إلى الحلم منه إلى الواقع الملموس.

يفوز فريق الاستقلال في آخر المباراة ويستأذن السيناتور في الرحيل، فيقوم خواكيم بمرافقتي حتى الفندق الذي أقيم فيه، وفي الطريق واصلنا الحديث حول كرة القدم في أمابا حيث يخبرني خواكيم أنّ هناك اثني عشر فريقاً محترفاً لكرة القدم في أمابا، وهو عدد كبير جداً بالنسبة إلى عدد السكان في الولاية، ويضيف إن الناس هنا يفضلون أن ينشئوا فريقهم الخاص على أن يشجعوا فريقاً معيناً، فتكون النتيجة أن معظم هذه الفرق ضعيفة وعلى حافة الإفلاس، ولا يتقاضى اللاعبون والإداريون فيها إلا الحد الأدنى من الأجور وهو 50 جنيهاً شهرياً. ثم يعرج خواكيم بعد ذلك على موضوع الفساد في الاتحاد المحلي لكرة القدم، فيخبرني أن الرئيس السابق للاتحاد الذي يقوم هو ذاته الآن بأعماله، تورط في عصابة دولية لتهريب المخدرات، وقد سُجن فترة قصيرة ثم خرج، وهو يعيش الآن في قصر فخم، تحت حراسة مشددة تفوق الحراسة الموجودة حول منزل حاكم الولاية.

تعرفت خلال زيارتي لولاية أمابا على نوع جديد آخر من كرة القدم وهو الفوتيلاما، أي كرة الطين، حيث يتخذ سكان المنطقة من قاع النهر عندما يكون في حالة الجزر ملعباً لهم، ينصبون في طرفيه عمودين وعارضة خشبية ليتكون مرمى للأهداف في كل طرف، وينقسم اللاعبون إلى فريقين يتقاذفان الكرة فوق الأرض الطينية، حتى موعد المد القادم حين يغوص الملعب كله ولا تظهر منه إلا العوارض الخشبية التي كانت جزءاً من المرمى، ولك أن تتخيل الفوضى التي تسببها مباراة

كهذه فوق أرض طينية زلقة، حيث يغطي الماء أحياناً القدمين، بل قد يصل إلى الركبتين عند اقتراب المد.

يُعد فالديز ألميدا أحد رواد هذه الرياضة، وقد نظم في السنة الماضية البطولة الأولى لكرة الطين، التي اشترك فيها واحد وعشرون فريقاً، كانت تتنافس في مباريات تقام في أوقات الجزر التي ينسحب فيها النهر إلى أقصى مدى، أما جائزة البطولة فكانت جاموساً ضخماً للفائز الأول، وخنزيراً كبيراً للفائز الثاني.

يعيش فالديز في حي فقير قرب النهر يسمى سانتانيس، ويقود رابطة لأهالي ذلك الحي، إضافة لعمله في صيانة الأبراج التي تزود الحي بالكهرباء، وهو شاب ناشط ضمن الحي الذي يقطنه ومعروف لدى الجميع، ينادونه بلقب الرئيس؛ لأنه يتمتع بصفات قيادية واضحة وتأثير قوي على الآخرين، أهّله للانضمام إلى نشاطات ومؤتمرات كثيرة في أرجاء البرازيل كلها، فهو يمثل منطقته وأهالي الحي الذي يقطن فيه.

كان فالديز لاعباً محترفاً في ماكابا وهو أصغر عمراً، وكان يقود فريقه دائماً نظراً لما يتمتع به من صفات قيادية ملحوظة، وقد شارك في العديد من المباريات في ملعب زيراو، ويعلق على ذلك قائلاً: إنه كان يفضل أن يلعب في النصف الشمالي من الملعب دائماً، فذلك يجلب له الحظ دائماً، ويرى فالديز أن خط الوسط في ذلك الملعب لا يقسمه إلى نصفين فقط، وإنما يرمز إلى انقسام الأمريكيتين شمالاً وجنوباً أيضاً، لذلك فهو يحس بارتياح أكبر عندما يلعب في النصف الشمالي، لما تمثله أمريكا الشمالية من تقدم وحضارة، ويبدو إعجابه بالولايات المتحدة

واضحاً في الأسماء التي أطلقها على أولاده، إذ كان مصراً على تسمية أبنائه بأسماء أمريكية صرفة، فأطلق على ابنه اسم دالاس، وعلى ابنته اسم جنيفر، وقد يكون هذا الإعجاب بعالم الشمال مبرراً إذا تأملنا الحي الذي يعيش فيه فالديز، والظروف القاسية التي يعانيها هو وجيرانه من السكان.

لقد اتضح لي بعد زيارتي لولاية أمابا، أن ملعب الصفر الكبير ليس ملعباً مقسوماً إلى نصفين فحسب، وإنما هو عالم مصغر يمثل التوترات والتناقضات التي نشأت بين نصفي الكرة الأرضية منذ عدة قرون، وليس من مكان في العالم لإبراز هذه التناقضات أفضل من البرازيل.

الفصل الثالث عشر

سلحفاة بقبعة نبيل

«لا يوجد أوغاد حقيقيون في البرازيل، بمعنى الكلمة، يمكن الاعتماد عليهم، وهنا تكمن الأهمية الفعلية لإريكو ميراندا، فهو وغد رائع ظهر في حياتنا مدة طويلة، يعي مهمته وينفذها بكل براعة ولؤم... نعم، هذا هو الشخص الذي كنّا نحتاج إليه».

لويس فرناندو فريسمو، قناة غلوبو.

يجلس إريكو ميراندا وحيداً على مقعد فخم في مكتبه الذي يرأس من خلاله نادي فاسكو دي غاما، ويطل من نافذة المكتب على ملعب النادي: ساوجنيريو، حيث تدور مباراة حماسية بين فريق فاسكو وفريق زائر يحضرها زهاء 10,000 متفرج من مشجعي نادي فاسكو يضجون بالتهليل والغناء عند دخول لاعبي الفريق إلى أرض الملعب، لكن هذه الأجواء الحماسية تكاد تصل إلى مكتب الرئيس في الطوابق العليا في المبنى، الذي يبقى معزولاً عن الخارج بزجاج سميك، يمنع وصول حرارة الطقس في ذلك اليوم من شهر أكتوبر، كما يحجز ضوضاء الجماهير وضجتها، ليطغى جوٌّ من الهدوء البارد على المكتب ذي الأرضية الرخامية اللامعة، ويبدو لي إريكو في عزلته هذه كأنه ملك وحيد في برج عاجي.

انضم إريكو إلى مجلس إدارة نادي فاسكو عام 1967، وتسلق السلم الإداري بعد ذلك ليصبح أقوى رئيس لناد عرفته البرازيل، فهو محارب

شرس يشبه في هيئته إحدى شخصيات شارلز ديكنز التي تظهر في رواياته، بملامحه الحادة وفكه العريض وشعره الشايب الذي يمشطه إلى الخلف بعناية. يُقر إريكو أن مبدأه في الحياة هو الغاية تبرر الوسيلة، والغاية دائماً هي فريق فاسكو، لذلك فهو لا يتوانى عن فعل أي شيء في سبيله، مهما كان ذلك الفعل وضيعاً أو غير أخلاقي، فالأخلاق هي اختراع الفلاسفة ولا تصلح للحياة اليومية كما يقول إريكو!

حدث في إحدى المباريات عام 1999 أن قام حكم المباراة بطرد ثلاثة لاعبين من فريق فاسكو؛ لسوء تصرفهم في الملعب، فما كان من إريكو إلا أن هبط من برجه العاجي واقتحم الملعب ليجبر الحكم على تعليق المباراة وإعادتها في وقت آخر، لذلك فكل المشجعين من دون استثناء يمقتون إريكو وسطوته، أمّا مشجعو فاسكو ولاعبوه فيحبونه ويجلونه؛ لأنه يضع مصلحة النادي فوق كل القوانين والأخلاقيات.

تدخل مجموعة من الشبان إلى مكتب إريكو في أثناء وجودي، وهم يضجون ويتحدثون بصوت عالٍ، ثم يتوجهون مباشرة نحو النافذة ليتابعوا مجريات المباراة، وقد استطعت التعرف إلى ابني إريكو ضمن الشبان الموجودين، الأول: هو ماريو الذي يبلغ السادسة والعشرين من العمر ويشغل منصب المسؤول الرياضي في نادي فاسكو، لكنه موقوف الآن مدة سنتين عن مزاولة المهنة بأمر من الفيفا (الاتحاد الدولي لكرة القدم)؛ لأنه شارك في مشاجرة في بطولة العالم لأندية كرة القدم، وعلى الرغم من ذلك فإن والده يأمر أن يسمح له بالوجود في غرف الملابس مع اللاعبين رغم عدم قانونية ذلك، أما الابن الثاني: فهو إريكينيو أو إريكو

الصغير وهو في الثالثة والعشرين من عمره. ويقترب الولدان من أبيهما ويحتضنانه، ثم يتحلقان حوله لمتابعة المباراة من النافذة.

يتحول إريكو في أثناء مشاهدة المباراة إلى مشجع نزق، فهو يصرخ ويشتم كلما أفلتت الكرة من أحد المدافعين، أما الولدان فلا يقلان نزقاً وصخباً، وبعد أن انتهت المباراة بالتعادل 2–2، نهبط جميعاً إلى غرف الملابس حيث يجلس إريكو على أحد المقاعد يحيط به جمع من الإداريين واللاعبين، يسرون عنه ويتملقونه كأنه ملك ضمن حاشيته.

تجري بعد هذه الحادثة بشهر تقريباً في شهر نوفمبر عام 2000 تحديداً، انتخابات جديدة في نادي فاسكو، وهي انتخابات تُعقد كل ثلاث سنوات، وطبعاً فإن إريكو هو أحد المرشحين، ومثل النوادي البرازيلية كلها، فإن نادي فاسكو دي غاما مؤسسة غير ربحية يحكمها أعضاؤها الذين يختارون مجلس إدارة يدير شؤون النادي، وكالعادة يكون الرأي الأول والأخير في هذه المجالس لأشخاص متسلطين مثل إريكو، يشقون طريقهم بالعلاقات الخاصة والمحسوبيات والخدمات المتبادلة، ويلقب رئيس النادي عادة «كارتولا» ومعناها القبعة العالية، إشارة إلى الأصول البرجوازية التي ينتمي إليها رؤساء النوادي عادة.

حرصت على زيارة ملعب ساوجنيريو حيث تعقد الانتخابات في يومها المحدد، وقد كان يعج بمئات الأشخاص الذين حضروا للمشاركة في هذا الحدث، داخل جدران هذا الملعب التاريخي الذي بُني عام 1927، ويُعد من أجمل المباني التاريخية في ريو دي جنيرو، حيث يستقبلك تمثال برونزي للملاح الشهير فاسكو دي غاما أمام بوابة الملعب الرئيسة، أما

في الداخل فهناك البلاط البرتغالي الأزرق الذي يغطي الجدران؛ ليرمز للبحر الذي شق عبابه فاسكو دي غاما في رحلاته الاستكشافية، يتخلله رمز الصليب وهو الرمز ذاته الذي كان فاسكو يحمله على أشرعة سفنه، وهو الآن جزء من شعار نادي فاسكو الرياضي، أما في أرض الملعب، فكان الجميع تقريباً يرتدون قمصاناً تحمل صور إريكو؛ تعبيراً عن تأييدهم له في ترشحه لرئاسة النادي من جديد، وقد حاولت العثور على أي من المرشحين الآخرين، لكنهم كانوا محدودي العدد جداً وغير ظاهرين، فشققت طريقي نحو الصالة الرياضية المغلقة حيث يتم فرز الأصوات؛ لأشهد تلك العملية بنفسي.

تتم العملية الانتخابية حسب دستور نادي فاسكو، بتجهيز قوائم انتخابية تضم أسماء المرشحين ضمن مجموعات محددة، وتستحق القائمة الفائزة 120 مقعداً في مجلس إدارة النادي، أما القائمة التي تفوز بالمركز الثاني فتحصل على 30 مقعداً في المجلس؛ حفاظاً على وجود المعارضة في مجلس إدارة النادي، وليكون لها فرصة لإبداء الرأي في شؤونه، لأنّ نادي فاسكو يفخر بإرثه الديمقراطي العريق، فهو أول نادٍ رياضي سمح للاعبين السود بالانضمام إلى صفوفه، لذلك فهو يحرص دائماً على وجود جناح للمعارضة في إدارته، ورغم ذلك فإن ما حدث في انتخابات اليوم يدعو للغرابة حقاً، إذ لاحظ إريكو بمرور الوقت أن قائمته ستفوز حتماً، فسارع لتشكيل قائمة ثانية لتدخل في الاقتراع، وعندما انتهت مدة الاقتراع في آخر النهار وبدأت عملية فرز الأصوات، أظهرت النتائج فوز قائمة إريكو الأولى لتحصل على 120 مقعداً في مجلس الإدارة، ثم تلتها قائمته الثانية

لتفوز بالثلاثين مقعداً الباقية، وهكذا أصبح إريكو مسيطراً على مقاعد المجلس جميعها من دون أي وجود لمعارضة فعلية، وأخذ مناصروه بالاحتفال فور إعلان النتائج، بينما ظهر هو على منصة مرتفعة مزهواً بالنتيجة وفخوراً بمعجبيه، يدخن سيجاره الفاخر وهو يقول: إنه كلما زادت الانتقادات الموجه إليه زاد عدد معجبيه، ولذلك فهو لن يتوانى عن فعل أي شيء من أجل النادي، ومحبيه مهما كان فعله منتقداً وغريباً.

لا يكتفي إريكو برئاسة نادي فاسكو طبعاً، فهو عضو في البرلمان البرازيلي المصغر الذي يضم 513 عضواً، يمثلون ولايات البرازيل كلها يُسمي كلّ منهم نائباً فدرالياً، ويحتل إريكو هذا المنصب منذ عام 1994، وقد أُعيد انتخابه عام 1998 حيث حصل على 105,969 صوتاً في سابقة لا مثيل لها في ولاية ريو، ولا يخفى على أحد أن إريكو استغل منصبه في إدارة النادي وسطوته على معجبيه في كسب هذا العدد الهائل من الأصوات، فقد كان شعاره الانتخابي «محبو فاسكو يرشحون رئيس فاسكو»، وأما العاملون في حملته الانتخابية فقد كانوا جميعاً من أعضاء النادي أو من مشجعيه، كما موّلت جهات رياضية حملته كاملة، إذ ساهم الاتحاد الرياضي البرازيلي بمبلغ 15,000 جنيه، كما دفع اللاعب رونالدو مبلغ 5,000 جنيه عن طريق مدير أعماله، إضافة إلى ذلك قام إريكو بتنظيم مباريات بين فريق فاسكو للناشئين، وفرق أخرى في الولاية لكسب تأييد المشجعين وأصواتهم، كما وعد بلدة صغيرة بمساعدة فريقها لكرة القدم في الوصول إلى فرق الدرجة الثانية في الولاية، على الرغم من أن هذه الولاية لم يكن لديها فريق لكرة القدم.

تقع مكاتب نواب البرلمان المصغر في مبنى مكوّن من عشرة طوابق في برازيليا، العاصمة الحديثة التي أُنشئت عام 1960، وقد حضرت إلى هذا المكان لمقابلة إريكو للمرة الثانية، لكنه كان مشغولاً طوال الوقت –كما يبدو– ولم يستطع توفير سوى بضع دقائق للمقابلة التي أخبرني خلالها أنه موجود هنا للدفاع عن مصالح فريق فاسكو خاصة، ومصالح الرياضة عامة، ويقول لي إن نوادي كرة القدم هنا تختلف عن النوادي في إنجلترا، فالبرازيليون يحبون نواديهم ويعتزون بها ولا يملكون غيرها وعلينا أن نحمي مصالحهم.

يحضرني في هذا المجال موقف اللاعب بيليه الذي كان وزيراً للرياضة في البرازيل ما بين عامي 1995–1998، وفي أثناء فترة توليه هذا المنصب حاول تقديم خطة إصلاحات لرياضة كرة القدم، ومن البنود التي حاول التطرق إليها الشفافية في مصادر دخل هذه الرياضة ومصروفاتها، فمن المعلوم أن رؤساء النوادي لا يتقاضون أجراً عن هذه الوظيفة، كما أن المصروفات الداخلية للنوادي تبقى سرية وغير قابلة للفحص أو التدقيق من أي جهة خارجية، وبالنسبة لإريكو على سبيل المثال، فهو شخص من المفروض ألا يتقاضى أجراً عن وظيفته لكنه في الوقت ذاته يتمتع بحياة رغيدة لا تتناسب مع دخله المفترض إطلاقاً، فهو يسكن منزلاً فخماً في ريو، ويمتلك قصراً آخر ويختاً لا يقل ثمنه عن 150,000 جنيه، وهناك عدد كبير من الحوادث التي تثير الشبهات حول تصرف رؤساء النوادي بأموالها، وفي إحدى المرات عام 1997 حمل إريكو ريع إحدى مباريات فاسكو في جيبه إلى المنزل وكان المبلغ يقدر بحوالي 30,000 جنيه، وقد

أخبر الشرطة لاحقاً أنه تعرض للسرقة أمام منزله واختفت تلك النقود للأبد.

تتعزز الصورة البشعة لرؤساء نوادي كرة القدم، كلما أمعنا النظر في الأحوال المالية لتلك النوادي، فمعظمها يعاني الفقر، ويوشك بعضها على الإفلاس، ويتم تأخير صرف أجور اللاعبين لعدة أشهر، واتضح في عام 2000 أن اللاعب روماريو نجم فريق فاسكو كان يدفع أجور بعض زملائه من ماله الخاص، ورغم كل ذلك كان إريكو المعارض الأول لسياسة بيليه في الإصلاح، على الرغم مما لقيته هذه الإصلاحات من ترحيب في الأوساط الرياضية، إذ استطاع إريكو أن يجمع عدداً من المناصرين له داخل البرلمان في محاولة لإيقاف التشريعات الإصلاحية التي كان ينادي بها بيليه، وقد استطاع ذلك حقاً، فلم تدخل تلك المقترحات الإصلاحية حيز التنفيذ أبداً.

وبعيداً عن معارضة الإصلاحات الرياضية، لا يقوم إريكو بأي نشاطات سياسية تُذكر على الرغم من أنه يترشح باسم حزب التقدم البرازيلي، كما أنه لا يحرص على حضور اجتماعات المجلس ولاسيما إذا كانت هناك مباراة لفريق فاسكو، ويمكن أن يغادر أهم الجلسات في مبنى البرلمان ليلحق بالطائرة التي تعيده إلى ملعب ساوجنيريو في الوقت المناسب لحضور إحدى المباريات. في الحقيقة لا يحب إريكو السياسة لكنه يحب أن يكون موجوداً في هذا الوسط لخدمة مصالح النادي كما يقول، ومع ذلك فإنّ منصبه كنائب فدرالي يتيح له الكثير من الامتيازات الأخرى، ومنها الحصانة البرلمانية التي تمنع توجيه أي اتهامات قانونية

ضده، فهو لا يمثل أمام أي محكمة، وليس استعمال الحصانة البرلمانية مقصوراً على إريكو، فهناك العديد من السياسيين الذين يستغلون هذه الحصانة لأغراضهم الخاصة، بل إن منهم من يزاول العمل السياسي أصلاً، بهدف الحصول على هذه الحصانة التي منعت المحاكم عام 2001 من توجيه اتهامات لعشرين برلمانياً بتهم مختلفة.

تطرقت في حديثي مع إريكو إلى عدد من المواضيع التي تمس نادي فاسكو، وكان منها القائمة الانتخابية الإضافية التي أعدها يوم الفرز، وكيف كان ذلك التصرف بعيداً كل البعد عن قوانين الانتخابات وأخلاقياتها، لكن إريكو لم يكن غاضباً أو محرجاً من تصرفه، بل على العكس فهو مستعد لأن يذهب أبعد من ذلك من أجل المحافظة على وحدة النادي حسب قوله، ولم يكن ذلك التصرف إلا استعراضاً صغيراً للقوة التي يملكها.

غضب إريكو للمرة الأولى في هذه المقابلة عندما أتيت على ذكر جوكا كفوري، وهو أحد الصحفيين الذين ينتقدون تصرفات إريكو المتسلطة وخروجه المتكرر عن القانون في الصحف اليومية، وأخذ يشتم كفوري قائلاً: إنه أبله لا يعلم شيئاً، كما أنه لا يمثل أحداً فهو نكرة لا أهمية له، أما إريكو فيمثل 20 مليون شخص من مشجعي فريق فاسكو ومحبيه.

هناك عدد آخر من البرلمانيين إلى جانب إريكو ممن لهم علاقة بكرة القدم مباشرة، ومنهم ثلاثة رؤساء لفرق من الدرجة الأولى جلسوا جميعاً تحت قبة البرلمان في السنوات القليلة الماضية وهم: سبورت، وسانتا كروز، وكروزيريو، إضافة لبعض أعضاء الكونغرس الذين يرأسون فرقاً

أخرى من الدرجة الثانية، وآخرين يتولون مناصب رفيعة في اتحاد كرة القدم المحلي لولاية ريو.

يتولى دينو فرنانديز منصب نائب في البرلمان عن ولاية ريو، كما كان لاعباً في فريق فلامنغو للناشئة، وقد سبق أن تدرب مع زيكو الذي أصبح نجم الفريق فيما بعد، وعند انتخاب دينو لعضوية البرلمان عام 1998، كان أول عمل قام به هو توزيع استفتاء على أعضاء المجلس يسألهم فيه عن الفريق الذي يشجعونه، وكان هدفه إثبات أن فريق فلامنغو هو الأكثر شعبية بين أعضاء المجلس، وقد حرص دينو أن يجيب الأعضاء كلهم على هذا السؤال، حتى إنه كان يتصل بالأعضاء شخصياً، ويذهب لمقابلة بعضهم؛ ليتأكد من صحة المعلومات التي سيكتبونها في الاستفتاء، وفي النهاية تحقق لدينو ما أراد، إذ اتضح أن 157 نائباً من نواب المجلس كانوا من مشجعي نادي فلامنغو، أي 30٪ من النواب، وحلّ في المرتبة الثانية فريق فاسكو، تلاه فلومننسي وكورينثيانس، وأخيراً بوتا فوغو. ولتتويج هذه النتيجة الرائعة بالنسبة لدينو طلب إذناً من المجلس بالسماح له بإقامة حفل خاص، دعا إليه جميع مشجعي الفريق في المجلس، وقدم لكل منهم شهادة تفيد أنه مشجع مخلص لفريق فلامنغو، وأنه نائب عن «أمة الأحمر والأسود»، في إشارة لألوان الفريق المعروفة، ويضيف دينو بتأثر شديد إن الحفل كان مشهوداً، فقد حضره رئيسا فريق فلامنغو السابق والحالي، ووفد إليه المشاركون من أرجاء البرازيل كلها. كافأ فريق فلامنغو دينو على ولائه وإخلاصه للفريق بمنحه لقب نائب رئيس العلاقات الخارجية لفريق فلامنغو، وتم تعيين مكتب خاص له في المقر الدائم للفريق في ريو دي

جنيرو حيث قابلته للمرة الأولى.

يضم البرلمان سبعة عشر حزباً سياسياً مختلفاً، لكنها جميعاً أحزاب إدارية صرفة، فيما عدا حزب العمال اليساري الذي يعمل وفق إيديولوجية محددة، وقد ترشح دينو عن حزب PSC ، (تعرف معظم الأحزاب بالأحرف الأولى من أسمائها، وعلى ما يبدو لا ترمز هذه الأحرف لشيء محدد)، لكنه يفكر الآن في تغيير حزبه؛ ليترشح في الدورة المقبلة عن حزب PTB، فيحتاج المرء إلى 4,000 صوت فقط ليفوز بالانتخابات؛ لأنه حزب صغير، بينما يحتاج المرشح لعدد أكبر من الأصوات في الأحزاب الأخرى.

ويضيف دينو إنه يستطيع تغيير الحزب الذي ينتمي إليه في أي وقت يشاء، لكنه لا يمكن أن يغير النادي الذي يشجعه، ففي هذا النادي يكمن الشغف الحقيقي لا في السياسة، ولذلك فقد كان الهدف الأساسي من توزيع الاستفتاء الذي بدأ به دينو نشاطه السياسي تحت قبة المجلس والحفل البهيج الذي أقامه، استقطاب مزيد من الأعضاء والمناصرين الذين يريدهم دينو أن يقفوا وراء المشاريع التي يريد طرحها في المجلس، وهي المتعلقة بكرة القدم، ومنها: إيجاد تشريعات جديدة نحو مزيد من المسؤولية الاجتماعية لنوادي كرة القدم، وبوجود 30٪ من أعضاء المجلس المناصرين لفريق فلامنغو المؤيدين لدينو، يمكنه أن يمرر القوانين والتشريعات التي يريدها من دون معارضة تذكر.

يعكس ضعف الأحزاب السياسية وهشاشتها في البرازيل حداثة التجربة الديمقراطية في هذا البلد، إذ كانت البلاد تخضع لحكم عسكري

استمر أكثر من عشرين عاماً ما بين عامي 1964 و1985، وبعد فترة انتقالية سنحت الفرصة للبرازيليين للمرة الأولى، لانتخاب أول رئيس للبلاد وهو فرناندو كولور دي ميلو الذي كان في الأربعين من عمره آنذاك، ويتمتع بحيوية بالغة، وقد بدأ حياته العامة رئيساً لإحدى نوادي كرة القدم، مما يشير بوضوح إلى عمق العلاقة بين السياسة وكرة القدم في البرازيل؛ لأن كرة القدم تفتح كل الأبواب وترسخ صورة إيجابية عن المشاركين في هذه اللعبة لدى الجماهير، فتضمن لهم كثيراً من الأصوات في حالة الترشح.

بدأ كولور حياته المهنية رئيساً لنادي CSA في ولاية ألاغوا، حيث كانت عائلته تمتلك محطة الإذاعة والتلفزيون المحلية، وتقدم فيما بعد ليصبح عمدة عاصمة الولاية ماسيو، ثم حاكم الولاية لاحقاً، وما كان ليحقق ذلك لولا ترؤسه لنادي CSA، لأن معظم مشجعي ذلك النادي من أبناء الطبقة الوسطى والدنيا من المجتمع، لذلك استطاع كسب تأييد جماهيري واسع بين هذه الطبقات، لكن فترة رئاسة كولور تحولت إلى كارثة حقيقية، فلم يستطع معالجة المشاكل الاقتصادية التى كانت ترهق البلاد في ذلك الوقت، كما برزت العديد من فضائح الفساد الكبرى في إدارته، لذلك انقلبت الصحافة ووسائل الإعلام ضده مما اضطره إلى الاستقالة فيما بعد، ليتحول رمز الديمقراطية الجديد في البرازيل إلى وجه آخر للفساد القديم.

ورغم ذلك بقي نادي CSA مطية للسياسيين الطامعين، واستلم رئاسته فيما بعد اثنان من أبناء عمومة الرئيس السابق كولور، وهما إكوليداس وأغسطو فارياس، وقد انتُخب كلاهما لعضوية البرلمان لاحقاً، وفي عام

1999 كان يرأس النادي الشاب آرنون دي ميلو، وهو ابن الرئيس السابق فرناندو الذي قررت أن أزوره في مكتبه عام 2000 في العاصمة ماسيو.

التقيت آرنون في مكتبه الذي يقع ضمن مبنى الصحيفة التي تمتلكها عائلته، ومنذ اللحظة الأولى يلفت نظري الشبه الواضح بينه وبين والده، فهو وسيم، قوي البنية، ويبدو عليه ذلك الثراء المتوارث لأجيال في عائلة إقطاعية تعيش في أكثر الولايات فقراً في البرازيل، فأكثر من ثلث السكان من الأميين الذين لم يعرفوا طريقهم إلى المدارس مطلقاً، ونسبة الوفيات بين الأطفال الرضع هي الأعلى في البلاد، وهكذا يتحول هذا الرجل الماثل أمامي إلى رمز لسوء توزيع الثروات في البرازيل، ومثال صارخ على عدم المساواة الموجود في هذا البلد منذ قرون. لم يعش آرنون يوماً في ماسيو، إذ نشأ منذ كان طفلاً في مدارس داخلية في سويسرا، ثم انتقل بعد ذلك إلى شيكاغو في الولايات المتحدة الأمريكية؛ لاستكمال تعليمه الجامعي، ورغم ذلك فهو شخص لبق لطيف متواضع، ويتحدث عن إدارة النادي بحماس بالغ، ولا عجب في ذلك إذا علمنا أنه في الثالثة والعشرين من عمره فقط، وربما يكون أصغر رئيس لنادي كرة قدم في البرازيل.

يعتقد الجميع أن آرنون اتجه لرئاسة النادي؛ لتكوين قاعدة جماهيرية تمكنه من دخول معترك السياسية فيما بعد، لكنه يقول إن ذلك غير صحيح، وإنه يحاول إجراء بعض الإصلاحات الإدارية في النادي فقط، ويعتقد أنه سينجح؛ لأنه يمتلك الخبرة اللازمة لذلك وفق دراسته للاقتصاد في الولايات المتحدة، ويطمح أن يترك هذا النادي في الوقت المناسب من دون أي ديون تثقل كاهله. سألت آرنون فيما إذا كان يطمح للحياة

السياسية فأجاب: ذلك وارد جداً، فهو ينحدر من عائلة من السياسيين أباً عن جد، وقد يفكر في ذلك يوماً لكنه ليس على عجلة من أمره.

وفي أثناء المقابلة التي كنت أجريها مع آرنون، كانت تجري في الأرجنتين مقابلة من نوع آخر، إذ كان فريق فاسكو يلعب ضد فريق ريفر سايد الأرجنتيني ضمن بطولة ميركوسول، وقد فاز فاسكو 4–1 على الفريق الأرجنتيني، وفي اليوم التالي للمباراة كان إريكو رئيس النادي فخوراً جداً بإنجاز فريقه، وأخذ يغيظ أعضاء البرلمان الموجودين في جلسة ذلك اليوم، حول فوز فريقه الكاسح متباهياً أنه أصدر أوامره للاعبي الفريق جميعاً بعدم التحدث إلى الصحافة مطلقاً، وذلك عقاباً للصحفيين على قلة اهتمامهم بأخبار الفريق، وعدم تغطية فوزه كما يجب من وجهة نظره، وفعلاً فقد بثت شاشات التلفاز صور فريق فاسكو عند عودته من الأرجنتين حيث كان أعضاؤه يكممون أفواههم بأيديهم حتى لا يدلوا بأي تصريحات للصحافة، وبعد عدة أيام ذهبت لملعب ساوجنيريو لحضور إحدى مباريات فريق فاسكو والتحدث إلى المسؤول الإعلامي في الفريق فرناندو، الذي كان يبدو متوتراً جداً ذلك اليوم بعد قرار إريكو بمقاطعة الصحفيين، بل وحرمان بعضهم من حضور مباريات فريق فاسكو؛ لأنه يعتقد أنهم يهتمون إعلامياً بفريق فلامنغو على حساب فريق فاسكو. يقول لي فرناندو إن هذه ليست المرة الأولى التي يغضب فيها إريكو من الصحافة، ففي عام 1997 أرسل رسائل للصحفيين مفادها أن النادي غير مسؤول عن أمن الصحفيين الذين يحضرون لتغطية مباريات الفريق، ولاسيما أولئك الذين ينتقدون الفريق علانية في الصحافة، وفي

عام 1999 اضطر الصحفيون لدخول ملعب ساوجنيرو بقوة الشرطة بعد أن مُنعوا من ذلك بأمر من إدارة النادي، وطبعاً وصلت هذه الأخبار والتجاوزات إلى لجنة حقوق الإنسان في البرازيل، فقام رئيسها شيكو ألنيكار بتقديم اعتراض في البرلمان يتهم فيه إريكو بإعاقة حرية الصحفيين في نقل الأخبار، وقد وقّع الاعتراض ستة وثلاثون نائباً في البرلمان، وفي يوم الجلسة المخصصة للنظر في الاعتراض قام أحد النواب وهو روبرتو ديناميتي الذي كان يلعب مع فريق فاسكو والمنتخب الوطني في الثمانينيات، بإقناع بعض النواب الذين يؤيدونه بسحب تواقيعهم عن الاعتراض، مما أدى إلى فشل الاعتراض وسحبه من جدول النقاش.

لقد أنجبت أمريكا اللاتينية كثيراً من القادة المتسلطين الذين يؤثرون السلطة العسكرية من دون أن يكون لهم أي علاقة فعلية بالجيش، لكنهم رغم ذلك يمارسون سلطات شبه عسكرية على من حولهم ويسعون دوماً لإظهار قوتهم، وقد تكون هذه الشخصيات نابعة من الميراث العسكري القديم عندما كان هناك أسياد يحكمون وعبيد يطيعون، وأنا أعتقد أن إريكو هو مثال صارخ لمثل هذه الشخصيات، وعلى الرغم من ذلك فهو يتمتع بشعبية كبيرة، فالعامة تحب الشخصية القوية الصارمة، بالإضافة إلى النجاحات التي يحققها فريق فاسكو تحت رئاسته، إذ فاز الفريق بست بطولات على مستوى الولاية في عهده، بالإضافة إلى حصوله على كأس الدوري البرازيلي مرتين، وتأهله للمشاركة في بطولة أندية العالم. غير أن إريكو يتجاوز كل الحدود أحياناً في محاولة استعراض سلطته وقوته، إذ قام بطرد مدرب فريقه إوزوالدو دي أوليفيرا بعد المباراة في الدور قبل النهائي

في بطولة الدوري البرازيلي، وقد حدث ذلك في غرفة الملابس بعد المباراة مباشرة حين اختلف إريكو مع المدرب حول موعد التدريب القادم فقام بطرده بكل بساطة، ويبرر إريكو ذلك بقوله إن التسلسل الوظيفي في النادي يجب أن يُحترم، وأنه لن يسمح بالتسيب ضمن فريقه، لكنه يضيف بعد ذلك ملاحظة أخرى ربما تكون السبب الأهم وراء طرده المفاجئ للمدرب، إذ سمح المدرب لنفسه بمعانقة مدرب الفريق المنافس في نهاية المباراة في لفتة رياضية وإنسانية لطيفة، غير أن هذا التصرف لم يعجب إريكو إطلاقاً، لذلك فكان لا بد من التخلص من المدرب في ذلك اليوم تحديداً.

سُميت بطولة الدوري البرازيلي عام 2000 باسم كأس جواو هافيلانج؛ تكريماً للبرازيلي الذي رأس اتحاد الفيفا أربعة وعشرين عاماً، وفي هذه البطولة وصل فريق فاسكو للمباراة النهائية ليقابل ساوكيتانو، أحد فرق ساو باولو في ملعب ساوجنيريو في الثلاثين من شهر ديسمبر، حيث يتنافس الفريقان على كأس هذه البطولة. لقد كان يوماً حاراً جداً وصلت فيه درجة الحرارة إلى 40 مئوية، وقد غصت شوارع المدينة المؤدية إلى الملعب الضخم بالمشجعين الذين بدؤوا زحفهم نحو الملعب منذ الصباح الباكر، ورغم جميع محاولاتي لم أجد أي مكان قريب أو بعيد عن الملعب لإيقاف سيارتي؛ حتى أستطيع حضور هذه المباراة، واضطررت في النهاية لتسليم أمري لأولئك الشباب المتشردين حول الملعب الذين يتبرعون بإيجاد موقف للسيارة لقاء أجر معين، لكنها ليست إلا حيلة لكسب المال في مثل هذه الظروف، وهي مهنة منتشرة في العواصم البرازيلية المزدحمة بالسيارات،

يشجع وجودها افتقار الأماكن العامة للمواقف بما فيها الملاعب الضخمة مثل ملعب ساوجنيرو، وحتى ملعب الماركانا. استطعت الدخول إلى الملعب في النهاية لكنني تجاوزت منصة الصحفيين لأصعد إلى المدرجات العليا في الملعب التي غصت كلها بمشجعي فريق فاسكو، حيث لم تترك إدارة الفريق أي مقاعد لجمهور الفريق القادم من ساو باولو على الرغم من وعودها لهذا الفريق بتخصيص جزء من المدرجات لمشجعيه، لكن الإدارة وخلافاً لوعدها قامت ببيع التذاكر كلها مسبقاً لجماهير فاسكو، التي اكتظت بشكل لم أشهد له مثيلاً من قبل.

بدأت المباراة بسيطرة فريق فاسكو على الملعب، الذي كان مدججاً بعدد من نجوم المنتخب الوطني وعلى رأسهم روماريو، أما فريق كيتانو فقد وصل إلى المباراة النهائية بفريق من اللاعبين المجهولين، ومن ضمنهم لاعب أمضى عقوبة بالسجن مدة عام بعد اشتراكه في جريمة سرقة، ورغم ذلك حاول ذلك الفريق تصعيد الهجوم على فريق فاسكو، وخلق عدة فرص ممتازة هددت شباكه، لولا يقظة حارس المرمى هيلتون الذي كان لها بالمرصاد. ومع تجدد الهجوم من الطرفين زاد هياج الجماهير وانفعالها ولاسيما عندما قام المدرب باستبدال روماريو قبيل نهاية الشوط الأول للمباراة، لإصابة في فخذه اليسرى، وقد تسبب خروج روماريو من أرض الملعب في زيادة توتر الجماهير، وترقبها حتى أعلنت صفارة الحكم توقف المباراة قبل الوقت المحدد من دون أن يعلم أحد سبب هذا التوقف المفاجئ، ولكن الخبر انتشر بعد قليل، إذ اتضح أن السياج الذي يفصل مدرجات الجماهير عن أرض الملعب قد انهار في الجزء السفلي

من المدرجات تحت وطأة ثقل الجماهير التي تجمعت خلفه، وأن عدداً من أفراد الجمهور قد سقط على أرض الملعب. لم يكن المشهد واضحاً حيث أقف، فقررت أن أترك مكاني لأهبط إلى أرض الملعب، حيث بدأت تتجمع سيارات الإسعاف بالإضافة إلى مروحيتين أخذتا تحلقان في سماء الملعب؛ استعداداً للهبوط على أرضه. وصلت إلى أقرب باب يؤدي للملعب وأبرزت بطاقتي الصحفية فسمح لي رجل الأمن بالدخول، وقد هالني المشهد الذي رأيته لدرجة أنني تصلبت في مكاني أكثر من خمس دقائق لا أدري ماذا أفعل. لقد تكدس عشرات من الأشخاص من مختلف الأعمار على أرضية الملعب، يعانون جروحاً مختلفة نتيجة اصطدامهم بالحاجز المعدني الذي انهار تحت ثقل الجماهير المتدافعة، ومنهم من كانت إصابته خطيرة، وقد سارع المسعفون بوضعه داخل المروحيات التي حطت فعلاً على أرض الملعب؛ لنقل هؤلاء الجرحى إلى المستشفيات القريبة، أما أصحاب الجروح الخفيفة فقد شرع المسعفون بمعالجتهم فوق أرض الملعب الذي خلا من اللاعبين الذين كانوا يجلسون على المقاعد المخصصة لهم، تحت حراسة رجال الجيش والشرطة.

لقد كان الملعب في حالة فوضى عارمة كأنه ساحة حرب حقيقية، حيث كان الجميع من مسعفين ورجال شرطة وصحفيين يتراكضون؛ ليقدموا أي نوع من المساعدة لهؤلاء الجرحى المساكين الذين أتوا لقضاء وقت ممتع، فإذا بهم يواجهون أسوأ يوم في حياتهم. لقد أصابت الكارثة الجميع بالحزن والذهول إلا شخصاً واحداً هو إريكو رئيس النادي، فقد كان يقطع الملعب طولاً وعرضاً بعصبية ظاهرة، لا لمحاولة مساعدة

المسعفين، أو الجرحى بل لإقناع الحكام بمتابعة المباراة بعد إخلاء الملعب من دون أي مراعاة للظروف التي استجدت، أو اهتمام بمصير هؤلاء الجرحى الراقدين على أرض الملعب، وكان يصرخ قائلاً: «الأضرار ليست بالغة ويمكن تجاوزها، ولكن المصيبة الكبرى هي إلغاء المباراة! لا بد أن يعود اللاعبون إلى الملعب»، وفي هذه اللحظة تحديداً يصل رئيس فريق كيتانو إلى أرض الملعب يحيط به عشرات الصحفيين، ويصرح أنه من الطبيعي أن تُلغى المباراة في مثل هذه الظروف، ويبقى الحكم حائراً في كيفية التصرف، فإريكو يضغط بشدة نحو إخلاء الملعب من جميع من فيه وعودة اللاعبين لاستئناف المباراة، لكن ذلك يبدو مستحيلاً مع وجود مروحيتين كبيرتين، وعدد من سيارات الإسعاف، ومئات الصحفيين وعشرات الجرحى، وأخيراً يصدر القرار النهائي من حاكم الولاية الذي كان يشاهد المباراة في منزله، فيتصل بإدارة النادي والحكم طالباً إيقاف المباراة نهائياً، وهنا يتنفس الحكم الصعداء ويطلق صفارته معلناً إنهاء المباراة كلياً بعد أن علقها أكثر من ساعة من الزمن، فيغادر اللاعبون إلى غرف الملابس تحت حماية الشرطة.

جن جنون إريكو طبعاً، وأخذ يشتم حاكم الولاية بألفاظ جارحة على مسمع من الصحفيين ويدعوه بالمتخاذل وعديم الكفاءة؛ لأنه أمر بإلغاء المباراة، ولكن ما حدث بعد ذلك كان أغرب وأسوأ استعراض رأيته في حياتي، إذ خرج بعد قليل لاعبو نادي فاسكو إلى الملعب وتوجهوا نحو كأس البطولة الموضوع على طاولة أمام الملعب، وحملوه وأخذوا يطوفون به الملعب بقيادة إريكو كأنهم فازوا بالمباراة فعلاً، مع أن ذلك غير صحيح

طبعاً، وحتى جماهير فاسكو لم تكن تصدق المشهد الذي يجري أمامها على أرض الملعب.

ظهرت إحصائيات الأضرار في الصحف في اليوم التالي لتعلن عن إصابة 168 جريحاً، حالة اثنين منهم خطيرة أحدهما طفلة في الخامسة، وقد كانت معجزة حقيقية أن أحداً لم يسحق حتى الموت تحت ضغط السياج الذي تحطم، وبالإضافة إلى الإحصائيات ظهر في الصفحة الأولى لصحيفة لانس الرياضية مقال انتقادي شديد اللهجة ضد إريكو جاء فيه «يتحمل الكثيرون ذنب ما حدث البارحة في ملعب ساوجنيريو، لكنّ شخصاً واحداً فقط هو المسؤول، إنه إريكو ميراندا الذي يعتقد أنه يملك السلطة العليا في البلاد. يعلم الجميع أنه يضع مصالح النادي فوق كل اعتبار، ولكن أحداً لم يتخيل أنه سيصل إلى حد الاستهانة بأرواح الناس بطريقة مهينة كما حدث في الملعب البارحة».

البرازيل بلاد شاسعة وتبدو أشبه بقارة كبيرة، فالمسافة بين أقصى نقطة في شمال البرازيل وأقصى نقطة في جنوبها أكبر من المسافة بين لندن وبغداد، وليس هناك من خطوط سكك حديدية تربط بين أطراف البلاد، وحتى الطرق البرية الداخلية مازالت بدائية بعض الشيء، وقبل استعمال الخطوط الجوية والطائرات كان تكوين فريق وطني أمراً مستحيلاً لأسباب جغرافية، إذ لا يمكن للاعبين التنقل للانضمام إلى التدريبات، أو المباريات مع المنتخب الوطني، ولذلك فقد انحصرت كرة القدم البرازيلية وتطورت ضمن دوري الولايات فقط.

بدأت المحاولة الأولى لتأسيس الدوري الوطني البرازيلي عام 1922،

بتكوين سبعة فرق تضم النجوم الأهم من سبع ولايات مختلفة، وقد تطور فيما بعد ليضم أربعاً وعشرين ولاية، وعقد ستا وعشرين مرة خلال واحد وأربعين عاماً تلت. وفي عام 1971 تقرر تأسيس بطولة البرازيل الوطنية بعد أن فازت البرازيل بكأس العالم ثلاث مرات، وكان الهدف من تأسيس هذه البطولة جمع الأمة البرازيلية حول كرة القدم، بعيداً عن التفرقة العنصرية والفروقات الطبقية، إضافة إلى محاولة تعزيز الروح القومية البرازيلية التي كان ينادي بها النظام العسكري الموجود آنذاك. لقد اشترك في البطولة الأولى عشرون فريقاً، ثم بدأ العدد يتزايد بعد ذلك حتى عام 1979، فضمت البطولة أربعة وتسعين فريقاً، وقد وافقت هذه الزيادة الكبيرة هوى النظام السياسي الذي كان يحرص على اشتراك أكبر عدد ممكن من الفرق في البطولة الوطنية، ولكن وجود هذا العدد الكبير من الفرق في بطولة واحدة تسبب في تعقيدات إدارية كثيرة، وتغييرات متواترة في قوانين البطولة.

وإذا اتخذنا دورة عام 1978 مثالاً، سنجد أنّ عدد الفرق المشاركة أربعة وسبعون فريقاً مقسمة إلى ست مجموعات، تضم أربع منها اثني عشر فريقاً، وتضم مجموعتان ثلاثة عشر فريقاً، وعلى كل فريق في المجموعة أن يلعب ضد فرق المجموعة كلها لتتم التصفيات بخروج الخاسر، ليتم الترشيح للدور الثاني، لكن ذلك لم يحدث في هذه الدورة، إذ ترشحت الفرق كلها من الدور الأول إلى الدور الثاني! ثم تشكلت مجموعات جديدة تتكون من أفضل ستة فرق في كل مجموعة، تلعب مع بعضها للوصول إلى الدور الثالث، أما باقي الفرق من الدور الأول فقد تشكل منها مجموعات

أخرى تلعب ضد بعضها مجدداً بطريقة خروج الخاسر لتتأهل للوصول إلى الدور الثالث، وهكذا كانت التقسيمات والمقابلات تتوالد إلى ما لا نهاية، فكان يتم تغيير هيكل البطولة وتنظيمها كل عام تقريباً، ففي عام 1974 كان معيار تصنيف الفرق يرتكز على عدد التذاكر المباعة لمشاهدة مباريات هذا الفريق، وفي عام 1975، كان المعيار هو عدد الأهداف التي يحققها الفريق فيحصل على نقاط أكثر إذا فاز بأكثر من هدفين في مباراته الأولى. ومع كثرة تغيير القوانين، فقدت البطولة مصداقيتها بالنسبة للجماهير، وقلّت نسبة حضور المباريات، فقد كان معدل الحضور لمباريات عام 2000 لا يزيد عن 11,000 مشاهد في المباراة الواحدة، وهذا عدد قليل جداً بالنسبة إلى حجم الملاعب الموجودة في البرازيل، وقد استُخدم فيها ستة ملاعب عام 2000 بسعة 70,000 متفرج.

تعاني بطولة كأس البرازيل من ازدحام التقويم الكروي في البرازيل أيضاً، فهناك على الأقل سبع بطولات كبرى تشترك فيها فرق الدرجة الأولى سنوياً مثل: بطولة الولاية، والبطولة الجهوية، والدوري الوطني، وكأس البرازيل إضافة لبطولتين ضمن أمريكا الجنوبية. إنه تقويم مزدحم ومعقد جداً لدرجة أن اللاعبين يقضون سنوات أحياناً من دون أن يحظوا بإجازة حقيقية.

ويلعب حجم البرازيل دوراً آخر في تقليص أعداد المتفرجين، إذ لا يستطيع كثير من المشجعين تحمل تكاليف التنقل بين الولايات لحضور المباريات وتشجيع فريقهم، لذلك فإن معظم المباريات التي تضم فريقاً زائراً من ولاية أخرى يقتصر جمهورها على مشجعي الفريق المضيف،

ولذلك فإن البطولات داخل الولاية الواحدة عادة ما تحظى بعدد أكبر من المشاهدين والمشجعين. ومع تناقص أعداد المتفرجين وتناقص المبيعات في شباك التذاكر تتراجع القدرات المالية للنوادي البرازيلية، ولا تعود قادرة على دفع ما يكفي للاحتفاظ بلاعبيها الجيدين الذين يفضلون اللعب مع الأندية الأوروبية؛ ليتمكنوا من تأمين حياتهم بعد تقاعدهم من كرة القدم. حاولت بعض الشخصيات الرياضية جذب الجماهير للملاعب بإضافة بعض الفقرات الخفيفة للمباريات؛ لإضفاء مزيد من الحيوية عليها. ومن أبرز من ساهموا في هذا المجال إدواردو خوسيه فرح، رئيس اتحاد ساو باولو لكرة القدم الذي أدخل بعض الفقرات الترفيهية بين شوطي المباراة لتسلية الجمهور، كما جرَّب توظيف حكمين في المباراة بدلاً من واحد لضبط المخالفات بصورة أفضل، وزوَّد الحكام ببخاخ من الرغوة البيضاء لتحديد النقطة التي يقف عندها اللاعب لرمي الكرة، أو تحديد الخط الذي يجب أن يقف عليه المدافعون أمام المرمى في الضربات الحرة، وكانت هذه الرغوة البيضاء تختفي بعد انتفاء الغرض من استعمالها تماماً، وقد كانت محاولات فرح ناجعة في معظمها إلا أنها لم تؤثر كثيراً في زيادة مبيعات التذاكر في الملاعب.

لم يتخلص الدوري الوطني البرازيلي من تدخلات السياسة حتى بعد زوال الحكم العسكري، وظل محكوماً بتداخل المصالح المتشابكة بين الوسط الرياضي ودهاليز السياسيين، ففي عام 1996 جاء فريق فلومننسي في آخر قائمة الفرق المشاركة في الدوري الوطني، لذلك كان لا بد من استبعاده من المشاركة في الدوري القادم عام 1997، لكن ذلك لم يحدث،

وإنما شارك في الدوري بعد مفاوضات طويلة ترأسها إريكو للدفاع عن فريق فلومننسي؛ معللاً موقفه بأن الفرق العريقة ذات الجماهير العريضة لا يمكن أن تُستبعد، ولكن مع الأسف أخفق فريق فلومننسي مرة ثانية عام 1997، ولم يستطع أحد إنقاذه من الهبوط إلى فرق الدرجة الثانية، ثم الدرجة الثالثة عام 1999، وفي العام ذاته أقر الاتحاد الكروي قانوناً جديداً؛ لحماية الفرق الكبرى من الدرجة الأولى من الاستبعاد إذا أخفقت في أحد المواسم، وكان القانون ينص على أن تقييم أداء فرق الدرجة الأولى لا يتم خلال موسم واحد، بل يتم بناءً على أداء هذه الفرق خلال سنتين متتاليتين، وكان الاتحاد يقلد القانون الأرجنتيني الذي ينص على تقييم أداء فرق الدرجة الأولى خلال ثلاث سنوات متتابعة قبل تثبيت درجتها أو إقصائها.

غير أن هذه الحيلة لم تفلح، ففي نهاية موسم عام 1999 حل فريق بوتافوغو نزيلاً ضمن فرق الدرجة الثانية، فماذا يمكن أن تفعل فرق الدرجة الأولى لحماية بوتا فوغو من التدهور؟ لقد خسر فريق بوتا فوغو خلال الموسم الكروي مباراة ضد فريق ساو باولو الذي كان يضم في صفوفه لاعباً قام بتزوير شهادة ميلاده، فما كان من فريق بوتافوغو إلا أن استغل الفرصة ورفع القضية إلى محكمة الرياضة العليا التي استغلت ثغرات في قانون البطولة لتحرم ساو باولو من فوزه، وتهدي النقاط المخصصة إلى فريق بوتافوغو، الذي تمكن بفضل هذه النقاط الإضافية من تحاشي خطر الاستبعاد، وكان ذلك على حساب فريق صغير من برازيليا يسمى غاما، كان معه في المجموعة ذاتها.

غضب فريق غاما من قرار محكمة الرياضة الجائر المتحيز، وقرر إداريوه رفع القضية إلى محكمة مدنية أقرت بحقه في البقاء ضمن فرق الدرجة الأولى، مما آثار حفيظة الفيفا التي لا تقبل بلجوء النوادي للمحاكم المدنية، لذلك قررت إقصاء فريق غاما من الاتحاد الكروي، وقد خلف هذا القرار مأزقاً جديداً بالنسبة لاتحاد الكرة البرازيلي CBF، الذي يعد فريق غاما عضواً فيه، فإذا نظم اتحاد الكرة البرازيلي أي بطولة وطنية فمن حق فريق غاما قانونياً أن يشترك فيها، ورغم ذلك فإن الفيفا تمنع الاتحاد من إشراك فريق غاما في أي بطولة، وبقي الأمر معلقاً على هذا النحو حتى قبيل بداية الموسم الكروي الجديد، عندما تجمعت الفرق الكبرى لتقديم حل يخرج الجميع من المأزق وفي الوقت ذاته يستبعد فريق غاما الذي تمرد على العرف السائد.

كان الحل اختلاق بطولة جديدة لا تتعلق بالاتحاد البرازيلي لكرة القدم الذي يجبره قانونه إلى إشراك غاما، وهكذا وُجدت بطولة كأس جواو هافيلانج المستقلة عن اتحاد الكرة البرازيلي وتمت دعوة 104 فرق من البرازيل؛ للمشاركة في هذه البطولة واستبعاد فريق غاما، ولكن وللمرة الثانية لم يستسلم فريق غاما ولجأ إلى المحاكم المدنية ثانية، التي أعطته حق المشاركة في هذه البطولة أيضاً وضمن الوحدة الزرقاء، إذ قسمت الفرق المشاركة إلى وحدات سميت بأسماء الألوان، وكانت الوحدة الزرقاء هي الوحدة التي تضم فرق الدرجة الأولى، وهكذا ظل عدد الفرق المشاركة يتزايد ليصل إلى 116 فريقاً قبل بداية البطولة، وهو عدد ضخم جداً بالنسبة إلى بطولة كروية، وقد أدت كل تلك الفوضى وسوء التنظيم في إدارة

البطولة إلى أخطاء كثيرة في إجراء المقابلات، فكانت بعض الفرق تحصل على عدد أكبر من المقابلات في ملعبه، بينما تبقى فرق أخرى شهراً كاملاً من دون إجراء أي مقابلة. لقد أخفقت هذه البطولة إخفاقاً ذريعاً كما كان متوقعاً، لأن السياسة كانت المحرك الأقوى وراء كل أحداثها وليس التنافس الحر والروح الرياضية.

ويجد البرازيليون طريقة دائماً للالتفاف على القوانين عندما يريدون، ففي عام 1940 لعب فريقان من مدينة ريوغراندي ضد بعضهما في نهائي إحدى البطولات المحلية، فانتهى اللقاء بالتعادل، وأقيمت بعد ذلك ثلاث مقابلات أخرى للحصول على نتيجة للمباراة النهائية، لكنها انتهت جميعها بالتعادل واقتسم الفريقان الكأس، فأخذ كلّ منهما نصفه.

لا بد أن شعار محكمة الرياضة العليا في البرازيل هو أن القوانين وُجدت ليتم اختراقها، لكن الأسوأ أن هذه المحكمة لا تتكون من محامين محايدين، بل يُصدر قراراتها تسعة من الأشخاص المنحازين؛ لأن منهم ثلاثة من مشجعي فريق فلامنغو واثنين من مشجعي فريق فاسكو واثنين من مشجعي بوتافوغو واثنين من مشجعي فلومننسي، فكيف إذن للعدل أن يأخذ مجراه في هذه المحكمة المنقسمة الولاء منذ البداية، التي تضع نصب أعينها مصالح الفرق الكبرى في ريو لا الصالح العام. إنها محكمة تعكس صورة المجتمع البرازيلي الذي تختفي فيه العدالة عندما يتعلق الأمر بالفئات الأقل حظاً، وهذا هو الأمر في كرة القدم أيضاً.

قررت لقاء رئيس محكمة الرياضة العليا لويز زفيتير، وهو أحد مشجعي فريق بوتافوغو فاتصلت بمكتبه لتحديد موعد للمقابلة، وحددت لي

سكرتيرته موعداً يوم الثلاثاء القادم، وعندما حلّ يوم الثلاثاء واتصلت ثانية لتأكيد الموعد، أخبرتني السكرتيرة أنه لن يستطيع مقابلتي، بل ستؤجل المقابلة للأسبوع القادم، لكن ذلك لم يحدث أيضاً، وعندما سألتها لماذا يرفض لويز مقابلتي، أخبرتني أنه مشغول بالتحضير لاجتياز اختبار ترقية في تنظيم الماسونية. دُهشت من جوابها وسألتها إذا كان هناك تضارب بين وظيفته كقاضٍ وعضويته في تنظيم ماسوني، فأجابت بكل بساطة «ولماذا يكون هناك تضارب؟ إن المرء لا يجني المال لقاء عضويته في الماسونية».

قابلت المحامي الرياضي للمحكمة هيرالدو بانهوكا، بعد أن فشلت كل محاولاتي للقاء القاضي رئيس المحكمة، وفي رأيه أن التحيز والتعصب الموجودين في العدالة الرياضية هو نتيجة الحكم العسكري الذي عاشته البرازيل مدة طويلة، وحتى بعد انتهاء فترة الديكتاتورية العسكرية، ظل التحيز موجوداً وبقيت الفرق الرياضية الكبرى في ريو تستغل نفوذها؛ للسيطرة على قرارات محكمة الرياضة. وإذا كان هناك من مؤيد لاختلال ميزان العدالة الرياضية، فهو إريكو ميراندا طبعاً، الذي يؤكد أن هذه المحكمة موجودة لاستغلالها، وهذا بالضبط ما فعله، إذ استغل وزنه ونفوذه في المحكمة لاستصدار قرار بإعادة المباراة النهاية بين فريق فاسكو، وفريق ساوكتيانو التي ألغيت بسبب مأساة انهيار حاجز الملعب، وذلك عوضاً عن معاقبة فريق فاسكو الذي حصل الحادث في ملعبه.

ولا يقتصر تأثير ميراندا ونفوذه على المحكمة، وإنما يتخطاه إلى الحكام أيضاً، وفي هذا السياق يعلق الحكم السابق جوزيه روبرتو رايت أن اختيار الحكام يتم لأسباب سياسية، ويعرف الحكام كلهم أن عليهم

ألا يغضبوا رئيس الاتحاد البرازيلي لكرة القدم ولا إريكو ميراندا، وإلا حُرموا من فرصة التحكيم ثانية. وهناك حادثة تلخص مأساة الفرق الصغرى وعجزها أمام عمالقة الفرق الكبرى وقعت عام 1997، حيث كان فريق فاسكو يلعب ضد فريق أيتابرونا –وهو فريق صغير من فرق ريو– لكنه كان يلعب بحرفية عالية في تلك المباراة، ويتقدم بهدفين على فريق فاسكو ويقترب من الفوز، وفجأة قام الحكم بطرد ثلاثة من لاعبيه من دون أسباب مقنعة، وأخذ يمطر اللاعبين بالإنذارات من دون أخطاء واضحة، وهكذا حتى انتصر فريق فاسكو، فغضب مدرب إيتابرونا باولو ماتا غضباً شديداً، واندفع إلى وسط الملعب وخلع ثيابه أمام الجماهير في اعتراض صريح على انحياز الحكم، لكن ذلك لم يغير من نتيجة المباراة، بل تمت معاقبة ماتا بإيقافه عن التدريب مدة عام وشهرين، وهي عقوبة طويلة بالنسبة إلى المدربين، لكنه يقول إنه يتفهم موقف الحكم، فالحكام عادة لا يملكون وظيفة أخرى، والتحكيم هو مصدر رزقهم الوحيد، وإذا فاز نادي فاسكو في تلك المباراة، فإن هذا الحكم سيحظى بفرصة للتحكيم في مباراة فاسكو القادمة، وهكذا تجري الأمور هنا.

ولد إريكو ميراندا في ريو في السابع من شهر يونيو عام 1944 لأبوين برتغاليين، ودرس في مدرسة مسيحية معروفة، إلى أن التحق بالجامعة ليدرس القانون، وبعد التخرج عمل مع تاجر للسيارات، لكنه لم يستمر في تلك الوظيفة، إذ كان كثير المشاكل والمشاحنات مع زملائه، بل اتهم بالمشاركة في اختلاسات مالية في تلك الفترة.

كان إريكو في الخامسة من عمره عندما اصطحبه والده لمشاهدة مباراة

لفريق فاسكو، وبعد عشرين عاماً من ذلك اليوم كان إريكو عضواً في إدارة النادي، وفي عام 1975 أصبح رئيساً لفرع كرة السلة في النادي، ثم نائباً لرئيس فريق كرة القدم عام 1986، وهو متزوج وله أربعة أولاد وعدد قليل من الأصدقاء ولا يمارس أي هوايات بعيداً عن النادي، كما يعاني من أرق مزمن يمنعه من النوم ليلاً؛ فيقضي لياليه ساهراً يحل الأحاجي أو يلعب الورق.

وجهت الصحافة هجوماً مباشراً على إريكو بعد المأساة التي وقعت في ملعب ساوجنيريو، والتصرف الفظ الذي أتى به إريكو ذلك اليوم، ولم تخلُ صحيفة في اليوم التالي للحادث من مقال هجومي على إريكو، وكأن الجميع قد صحا فجأة على وجود هذا الرجل المتسلط الذي يسعى وراء مصالحه، ومصالح فريقه فقط من دون اعتبار لأي قواعد أخرى. لقد أصبح الجميع يرى في إريكو رمزاً للفساد الموروث في كرة القدم، والتخلف الذي تعاني منه البرازيل عموماً، ويقول الشاعر الكاتب جيرالدو كارنيريو إن إريكو يمثل حقبة الديكتاتورية التي طالما عانى منها الشعب البرازيلي، ويريد أن يتخلص منها إلى الأبد.

يحظى إريكو بحصانة برلمانية؛ لأنه عضو في البرلمان البرازيلي المصغر، ورغم ذلك فقد حرك الحاكم جاروتينو قضية ضده، يتهمه فيها بالقذف والتشهير بسبب العبارات التي تفوه بها في الملعب بعد حادثة انهيار الحاجز المعدني في ملعب ساوجنيريو، وقد قدم طلباً لدى المحكمة العليا لرفع الحصانة البرلمانية عن إريكو ليتمكن القضاء من ملاحقته، فشرعت الشرطة في تحقيقاتها فعلاً حول نشاطات إريكو وتجاوزاته السابقة، إضافة

إلى تحقيق موسع حول حادث الملعب الأليم لمعرفة الأسباب الكامنة وراء تحطم الحاجز، وقد أوضحت التحقيقات الأولية أن الحادث بدأ بشجار بين اثنين من مشجعي فريق فاسكو حول استبدال اللاعب روماريو وخروجه من المباراة، ليتطور الشجار ويتسع بعد ذلك، مما أدى لدفع الجماهير بعضها بعضاً على المدرجات باتجاه الحاجز المعدني في أسفل المدرج الذي يفصله عن الملعب، لكن الحاجز لم يحتمل ثقل الجماهير المتدافعة فانهار وسقط إلى الأمام؛ ليسقط فوقه عشرات من الأشخاص الذين كادوا يسحقون تحت الأقدام المتدافعة، وقد أشارت أصابع الاتهام في التحقيق بوضوح إلى مسؤولية إريكو بصفته رئيساً للنادي؛ لأنه سمح ببيع تذاكر إضافية يوم المباراة مما تسبب بوجود عدد كبير من المشجعين يفوق الطاقة الاستيعابية للملعب، وقد تسبب ذلك في مضاعفة عدد الجرحى الذين سقطوا.

أنكر إريكو طبعاً أن الملعب كان مكتظاً فوق طاقته، وادعى إنه حاول مساعدة المصابين في الدقائق الأولى من الحادث، وعندما تبين له أن إصابتهم ليست خطيرة طالب باستكمال المباراة حتى لا تغضب الجماهير أكثر. وقد التقيت بعد أسبوع من حادث الملعب بأحد الأصدقاء وهو من مشجعي فريق فاسكو لكنه كان مشجعاً معتدلاً دائماً ولا يؤمن بالتعصب، بل لقد كان يخجل من تصرفات إريكو ومن مظاهر السلطة التي يبديها في الملعب، لكنني فوجئت عندما بدأ هذا الصديق يدافع عن إريكو وعن تصرفه اللاإنساني يوم الحادث، وأخذ يكرر تبريرات إريكو أن الملعب لم يكن مكتظاً، وأن حالة المصابين لم تكن تستدعي إلغاء المباراة، وأن المباراة

أوقفت لأن قناة غلوبو التلفزيونية ضغطت على الحاكم لإيقافها حيث إن استمرارها بعد توقفها لمدة ساعة، كان سيؤثر على ترتيب بث البرامج في القناة، وأضاف المشجع أنه في عام 1992 في إحدى المباريات في ملعب الماراكانا توفي شخصان من الجمهور الحاضر، لكن المباراة استمرت بعد ذلك ولم تتوقف! ثم أخذ يردد مقولة إريكو إن الجميع يستهدفون فريق فاسكو.

أذهلني موقف الصديق الذي يبين مدى تأثير إريكو على الجماهير، فبدلاً من أن تنقلب جماهير فاسكو عليه، استطاع أن يتلاعب بعواطفها لتزيد تأيدها له، وفعلاً قامت جماهير فاسكو بالتجمع في اليوم التالي حول ملعب ساوجنيريو لاحتضانه، فشبك المشاركون أيديهم بعضها ببعض واحداً تلو الآخر، مكونين طوقاً حول ملعب فريقهم لحمايته من الأعداء الذين يسعون للنيل منه، وكان هناك قداس برئاسة القس الخاص بالفريق: لينو.

أُعيدت المباراة النهائية في الثامن عشر من يناير عام 2001 في ملعب الماراكانا، وبثتها قناة غلوبو، وعندما دخل لاعبو فاسكو إلى الملعب، لم تصدق الجماهير ما ترى، إذ حمل اللاعبون على قمصانهم شعار قناة SBT التلفزيونية، وهي القناة التلفزيونية المنافسة لقناة غلوبو، غير أن الغريب في الأمر أن قناة SBT لم تكن راعياً لفريق فاسكو، كما أنه غير مصرح قانونياً للقنوات التلفزيونية أن تنشر إعلاناتها في مباريات كرة القدم، ولكن ذلك كان من تدبير إريكو وحده، الذي أراد أن يرد الضربة للقناة التلفزيونية التي يعتقد أنها كانت وراء إيقاف المباراة النهائية لفريقه،

وهكذا كان على قناة غلوبو أن تبث إعلاناً مجانياً لمنافستها طوال مدة المباراة التي حضرها 60,000 مشاهد، وفاز فيها فريق فاسكو عن جداره، وعندما حمل روماريو كأس البطولة بين يديه صرَّح للصحافة أنه يهدي هذا الكأس لإريكو شخصياً فهو الأب الروحي للفريق، والأب دائماً يريد الأفضل لأبنائه مهما كانت طريقته.

إن الاسم الكامل لفريق فاسكو هو: نادي فاسكو دي غاما ريغاتا، الذي تأسس عام 1898 في الذكرى الأربعمئة لرحلة الملاح البرتغالي الشهير إلى الهند، ويحتل مقره الرئيس موقعاً مميزاً على ضفاف بحيرة رودريغو دي فرتياس، وفي هذا المكان تحديداً يقيم النادي احتفاله عند الحصول على كأس البطولة، حيث يجتمع مئات من الضيوف من رياضيين وسياسيين وإعلاميين ورجال قضاء، إضافة لعمدة ريو، أما سيد الحفل بلا منازع فهو إريكو ميراندا الذي جعل من الحفل مسرحاً لاستعراض قوته، ونفوذه وإثبات أنه لايزال رجلاً محبوباً يرغب الجميع في التقرب إليه، بعد كل ما حدث من هجوم الصحافة واتهامات القضاء.

ويتقدم سكرتير الاتحاد الرياضي لإلقاء كلمة بالمناسبة يشكر فيها إريكو وينعته بصاحب القلب الكبير، ويقول إنه ضحية حبه لفريق فاسكو، أما برناردو كابرال أحد النواب عن منطقة الأمازون، فيصف إريكو في كلمته أنه أحد سلاحف الأمازون الخالدة التي لا يمكن تدميرها، حتى لو سقطت عليها أضخم الأشجار فإنها تنهض من تحت الركام وتكمل طريقها، وهكذا هو إريكو لا يدمره النقد الذي يُوجه إليه، ومهما كان هذا النقد قاسياً فإنه سينتهي ليبقى إريكو صامداً دائما، ويدعوه سيزار

مايا بالقائد العظيم الذي يتمنى كل فريق أن يحظى بمثله ويشكره بقوله: «ريو كلها تشكرك على جهودك، وأتمنى أن يحصل كل فريق فيها على موهبة فذة مثلك».

يحين دور إريكو لإلقاء كلمته أخيراً، فيشكر الجميع ويقول: إن والده فخور جداً بإنجازاته، ثم تنحدر دموعه بعاطفة شديدة فيصفق الجميع لهذه العواطف المتدفقة، ثم يتكلم إريكو عن صراعه مع المؤسسات البرازيلية في سبيل إعلاء شأن فريق فاسكو، ويقارن هذه المرحلة بمرحلة بدايات الفريق في العشرينيات من القرن الماضي، عندما كان يصارع المؤسسة البرازيلية في محاربة العنصرية، ويختم حديثه في النهاية بقوله: إن مهمته في هذه الحياة هي الدفاع عن فريق فاسكو ومعجبيه، وهو سعيد بهذه المهمة، وهنا يضج الحضور بالتصفيق.

تدهشني هذه الحفاوة التي يحظى بها رجل مثل إريكو ميراندا، بل إن بعضهم في هذا الحفل كان يعده مناضلاً حقيقياً. وقد يكون مناضلاً فعلاً، لكنه لا يقاتل من أجل فريق فاسكو فقط، وإنما من أجل إبقاء الأوضاع على ما هي عليه، فكرة القدم البرازيلية ماتزال محكومة بعقلية الديكتاتورية القديمة؛ عقلية الجنرالات والحروب، لكن البرازيل تسير نحو التغيير، ولن يستطيع أناس مثل إريكو أن يقفوا في وجهه طويلاً، والدليل على ذلك أن إريكو فقدَ مقعده في البرلمان لاحقاً في انتخابات عام 2002؛ لأنه لم يحظ بما يكفي من الأصوات ليبقى فيه.





مورو شامبو في محل عمله.



- الأب سانتانا أثناء عمله مع المنتخب الكويتي لكرة القدم، جالساً في الصف الأول، الثاني من جهة اليسار.

- لاعبو ساوكاتينو يحملون شعارات دينية على قمصانهم.



بعض المحتويات في ضريح جميع القديسين، وتضم نماذج شمعية لأعضاء بشرية، وصوراً وملابس للاعبين من مختلف أندية كرة القدم البرازيلية.



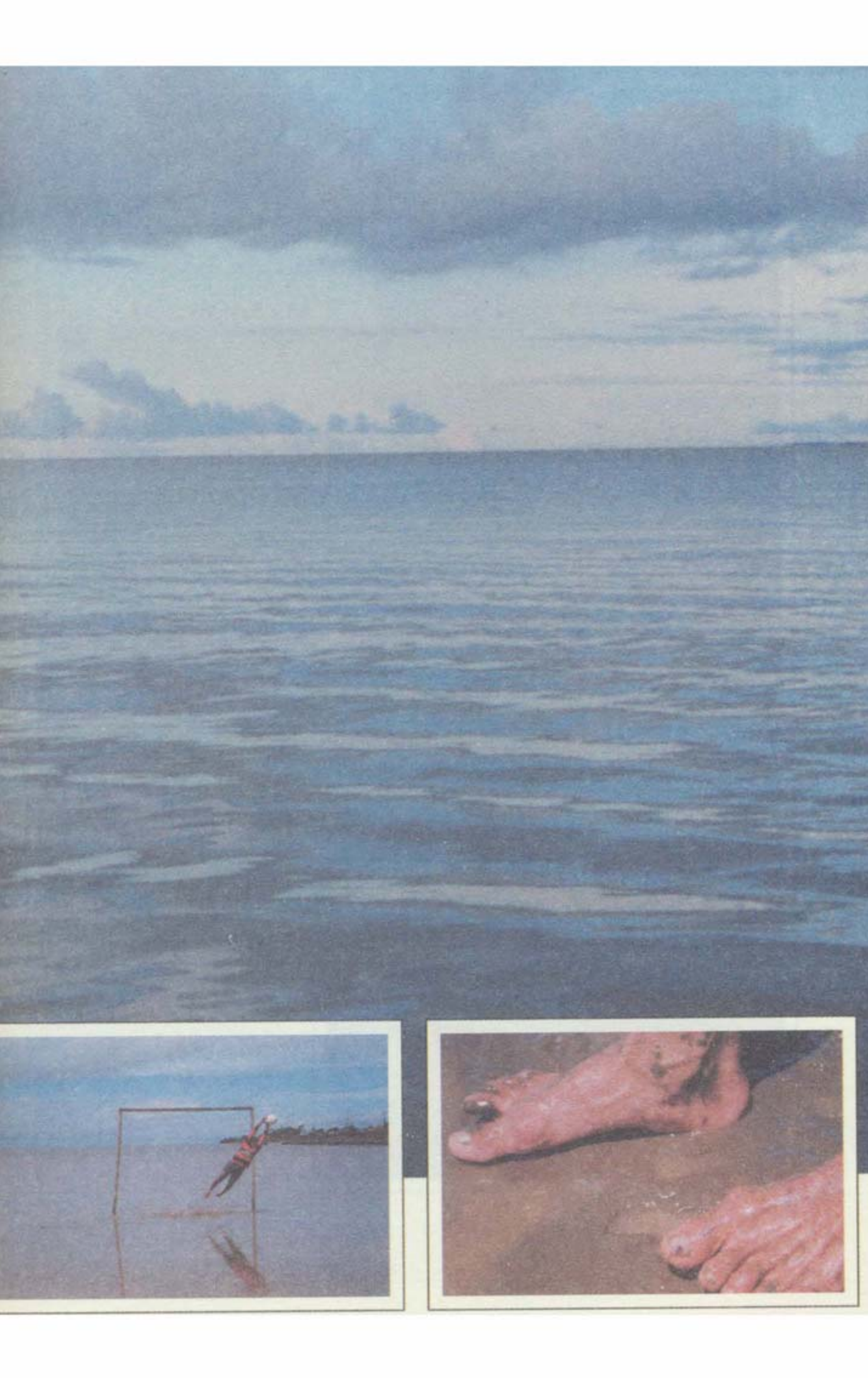


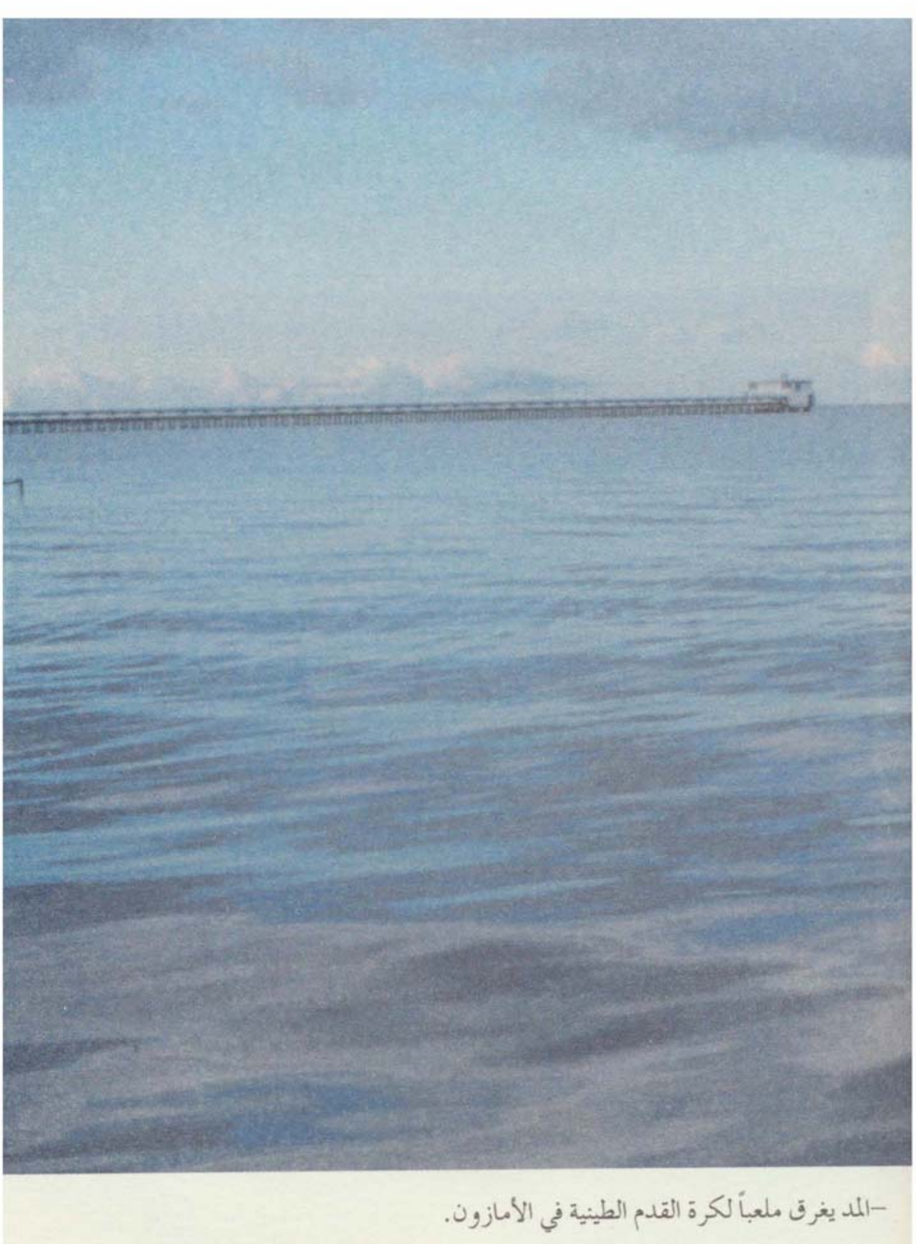
– بولنيو، الحكم المغرم بالبطاقة الحمراء.



– بعض مشجعي نادي فيلا نوفا.

– تيكسيرو، المدرب الأقدم في البرازيل.





-المد يغرق ملعباً لكرة القدم الطينية في الأمازون.

-قدم أحد لاعبي كرة الطين.

-الملعب قبل أن يغرق تماماً.

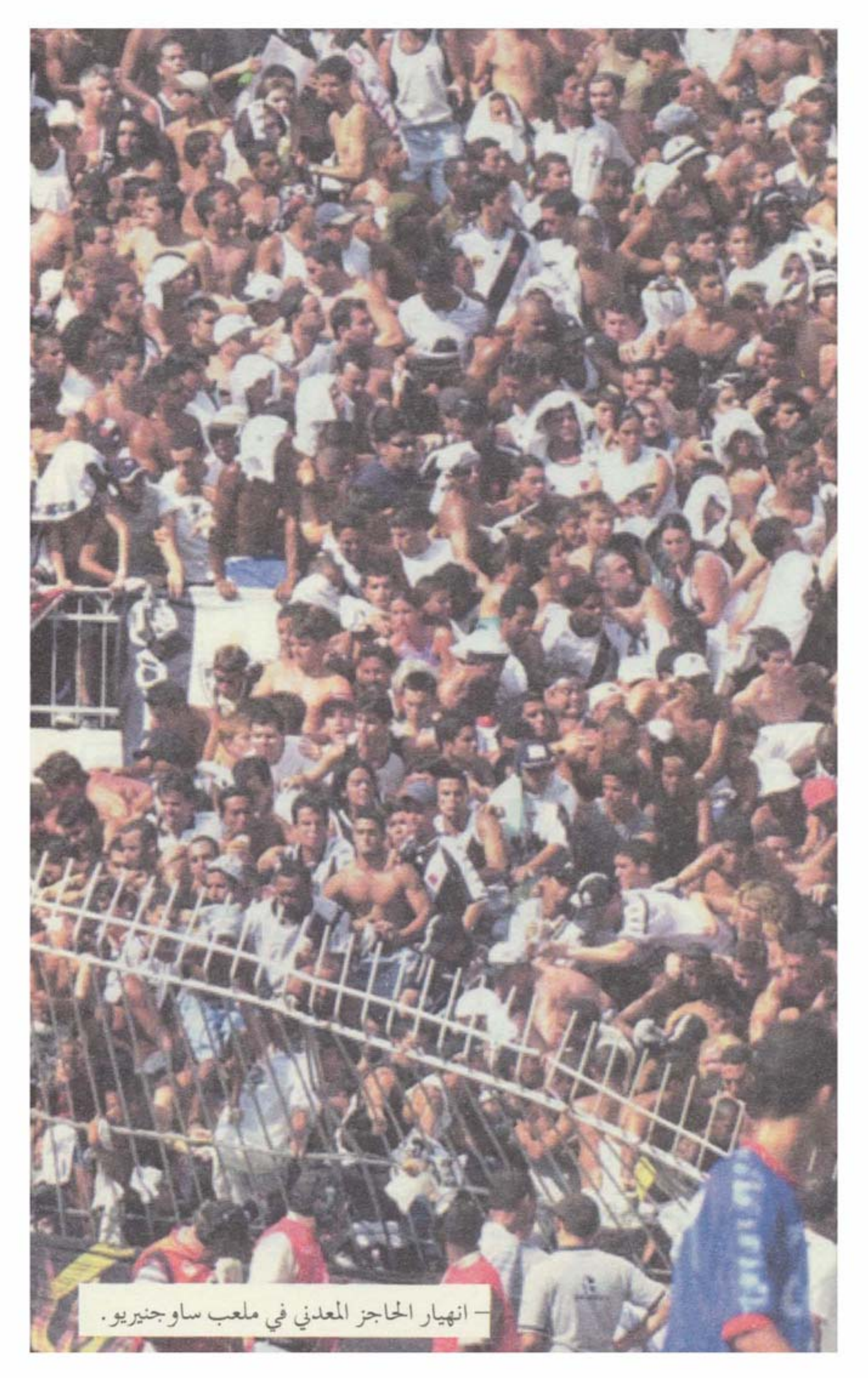


إريكو ميراندا في ملعب ساو جنيريو.



أرنون دي ميلو في مكتبه، وخلفه صور لوالده الرئيس فرناندو، وجده السيناتور أرنون دي ميلو.





– انهيار الحاجز المعدني في ملعب ساوجنيريو.



- سقراط عام 1982 يحمل شعاراً يدعو للمشاركة في الانتخابات.

- سقراط الآن في أثناء لقائي معه.

- مونديكو يجرح أشجار المطاط للحصول على الصمغ لصنع كرة القدم.

الفصل الرابع عشر

خسرنا لأننا لم نكسب

«أتمنى أن تعجبكم الحقيقة التي سأرويها، فهناك أوجه كثيرة للحقيقة، وعليكم أن تقرروا أي وجه تختارون».

رونالدو

لعبت البرازيل ضد فرنسا في نهائي بطولة كأس العالم عام 1998، وكان اللقاء في ملعب فرنسا الضخم في شارع دنيس في باريس، وقد تابعت المباراة على شاشة التلفاز في ريو دي جنيرو في منزل أحد الأصدقاء، إذ يفضل البرازيليون متابعة المباريات الدولية لمنتخبهم في المنازل بين العائلة والأصدقاء، وفي الطريق إلى منزل ذلك الصديق ابتعت من السوق قميصاً رياضياً يحمل اسم رونالدو؛ لأرتديه فوق ملابسي، إذ كانت ليلة باردة من ليالي شهر يوليو الذي يعد منتصف الشتاء البرازيلي تقريباً. كان رونالدو في الواحدة والعشرين من عمره ونجم الفريق البرازيلي آنذاك، ويتطلع الجميع لدوره المهم في تلك المباراة، لكننا فوجئنا بعدم وجود اسمه بين اللاعبين قبل بداية المباراة، مما آثار مخاوف البرازيليين جميعهم حول نتيجة المباراة، ورغم ذلك فقد عاد المذيع الداخلي في الملعب ليعلن انضمام رونالدو للفريق قبل بداية المباراة بدقائق، وخرج لاعبو الفريق البرازيلي إلى الملعب متشابكي الأيدي؛ تعبيراً عن وحدتهم ودعم بعضهم بعضاً. وبدأت المباراة سريعاً ليظهر الفريق البرازيلي في

أضعف مستوياته، فكان يلعب بملل من دون أي روح تنافسية، كما ظهر رونالدو بمستوى غير لائق، بطيئاً فاتر الحماس، وهكذا أخذت المباراة تسير من سيئ إلى أسوأ حتى الدقيقة السابعة والعشرين من الشوط الأول، عندما سجل زين الدين زيدان هدف فرنسا الأول، وتبعه بآخر قبل نهاية الشوط الأول، وفيما بعد أكمل إيمانويل بيتيت الفوز لفرنسا بهدف ثالث لتنتهي المباراة بهزيمة ساحقة للبرازيل، وهي هزيمة مهينة كانت الأسوأ على الإطلاق في مشاركات البرازيل كلها في كأس العالم، وقد أثرت في نفوس البرازيليين لدرجة البكاء بحرقة بعد انتهاء المباراة.

ظل الغموض يلف ملابسات تلك المباراة ولاسيما حالة الأداء المتدني الذي ظهر بها الفريق البرازيلي، خلافاً لأدائه في مباريات الربع النهائي والنصف نهائي، لكن الأمور بدأت تتضح بعد فترة قصيرة من انتهاء البطولة، وقد علمنا فيما بعد أن رونالدو كان يعاني من وعكة صحية يوم المباراة، لذلك لم يسجل المدرب زجالو اسمه في تشكيلة اللاعبين الذين سيخوضون المباراة النهائية، لكنه أمر بإرساله إلى المستشفى لإجراء فحوصات شاملة أسفرت كلها عن نتائج سلبية، فقام بضمه ثانية لتشكيلة المنتخب، ورغم ذلك لم يكن رونالدو بلياقته كاملة ونشاطه في أثناء المباراة، مما انعكس سلباً على أداء الفريق كله وعلى نتيجة المباراة طبعاً، وقد أثار ذلك الأداء المتدني مجموعة من التكهنات حول الأسباب الخفية التي دفعت بلاعب مهم مثل رونالدو للوقوع فريسة للمرض في ذلك اليوم تحديداً، فمن قائل إنه كان تحت ضغط عصبي كبير، إلى متكهن أنه تعرض لتأثير المخدرات، إلى آخره. أما أكثر التكهنات

غرابة فقد كانت حول دور شركة الأدوات الرياضية العالمية نايك، التي كانت إحدى الراعايات للفريق البرازيلي ورونالدو شخصياً، إذ قال بعضهم إن شركة نايك أصرت على أن يشارك رونالدو في المباراة من دون النظر إلى حالته الصحية غير المستقرة، لأن الشركة استثمرت أموالاً طائلة في دعم تلك المباراة والترويج لمعداتها من خلال رونالدو وفريقه، فقد وقعت في أثناء البطولة عقداً مع الفريق البرازيلي بقيمة 160 مليون دولار، يستمر مفعوله عشر سنوات، وقد كان ذلك أضخم عقد رعاية توقعه الشركة مع فريق وطني منذ نشأتها، ولذلك تناثرت أقاويل مختلفة حول التنازلات التي قد يقدمها الفريق البرازيلي مقابل مثل هذا العقد.

ومثلما حدث عام 1950 عندما خسرت البرازيل المباراة النهائية في كأس العالم، قامت الدنيا ولم تقعد، فخلال أسابيع بعد المباراة تجمع عدد من المحامين المدنيين وقدموا عريضة في محكمة ريو يطالبون فيها بتفسيرات حول الأسباب الخفية للهزيمة، لكن القضية لم تسفر عن نتائج تُذكر، وتشكل بعد ذلك فريق طبي من المجلس الطبي الجهوي لريو دي جنيرو للتحقيق في الأسباب الصحية التي ساهمت في إضعاف أداء رونالدو يوم المباراة، وتم استدعاء رونالدو للشهادة، والمدرب زجالو، بالإضافة إلى الفريق الطبي الذي كان يرافق المنتخب في بطولة كأس العالم، لكن ذلك التحرك لم يسفر عن شيء مهم أيضاً. ورغم ذلك فإن الشكوك حول تورط شركة نايك لم تتبدد تماماً، ولاسيما بعد أن انتشرت تفاصيل العقد الذي وقعته الشركة مع الفريق البرازيلي وعرضتها الصحافة البرازيلية على صفحاتها الأولى، إذ جاء في أحد بنود العقد

أن لشركة نايك الحق في التدخل في تنظيم عدد من المباريات، وقد اعتبر الصحفيون ذلك نوعاً من الاستسلام غير المبرر من طرف الفريق البرازيلي. وقام نائب شيوعي يدعى ألدو ربيلو بتقديم اعتراض حول الموضوع في مجلس النواب؛ لفتح تحقيق حول بنود العقد الذي أبرمته شركة نايك مع الاتحاد البرازيلي لكرة القدم وعلى رأسه المنتخب البرازيلي، وارتكز ألدو في عريضته على احتمالية أن تكون بنود العقد ماسة بحقوق السيادة الوطنية والهوية القومية لمواطنين برازيليين، وهي حقوق كفلها الدستور البرازيلي للمواطنين جميعاً ومنهم اللاعبون.

ظل الاعتراض الذي قدمه ألدو حبيس أدراج المجلس مدة عام ونصف، وحاول الاتحاد البرازيلي محاولات مستميتة للحؤول من دون عرضه على النواب في المجلس للتصويت عليه، حتى كان عام 2000 وظهرت قصة الكاميرون وريناتا ألفيس.

كنت أعرف ريناتا ألفيس سابقاً عن طريق الصحف والمجلات، إذ كانت شخصية معروفة؛ لأنها كانت صديقة لمدرب المنتخب البرازيلي لوكسمبورغو، الذي حصل على هذا المنصب بعد أن خسرت البرازيل بطولة كأس العالم 1998، وهو منصب يعده البرازيليون بأهمية منصب رئيس الدولة، لما له من تأثير على أداء الفريق الوطني ونتائجه من البطولات. تحسن أداء المنتخب الوطني قليلاً على يدي لوكسمبورغو، ففاز بكأس أمريكا اللاتينية عام 1999، لكنه عاد وتدهور بعد ذلك بصورة فاضحة، إذ خسرت البرازيل ضد البروغواي وتشيلي خلال شهر واحد في مرحلة التأهل لبطولة كأس العالم عام 2002، وهي سابقة

لم تحدث إلا نادراً خلال سبعين عاماً من تاريخ الكرة البرازيلية في البطولات الدولية، وهكذا بدأت شعبية لوكسمبورغو تتضاءل وزاد الأمر سوءاً عندما انتشرت أخبار تفيد أن لوكسمبورغو كان يحاول التهرب من دفع الضرائب المفروضة عليه مدة طويلة، وأنه وبالتعاون مع صديقته ريناتا كانا يتحايلان على القوانين، إذ كانت ريناتا تشتري العقارات والسيارات وغيرها من الممتلكات لحساب لوكسمبورغو من دون الإعلان عن الملكية الحقيقية لها، وبعد مدة من الزمن أثارت هذه التعاملات المالية شكوك مفتشي الضرائب الذين طالبوا عن طريق الشرطة الاطلاع على أرصدة لوكسمبورغو الخاصة؛ لتوضيح شبهات حول محاولات للتهرب من الضرائب.

أخذت الصحافة تنبش الماضي المالي للوكسمبورغو بشراسة، لتظهر تفاصيل علاقته بريناتا على الملأ، وتحت هذا الضغط الإعلامي الكبير أنكر لوكسمبورغو علاقته بريناتا جملة وتفصيلاً، وهكذا جُنّ جنون ريناتا، وأخذت تهاجم لوكسمبورغو على صفحات الجرائد متهمة إياه بالتحايل واستغلال نفوذه بوصفه مدرباً للمنتخب الوطني، كما كلفت محاميها رفع قضية أمام المحكمة تطالب فيها لوكسمبورغو بدفع مبلغ 500,000 جنيه؛ تعويضاً عن رواتب متأخرة وعمولات لم يسددها لها عندما كانت وكيلة أعماله، وعندما قابلتُ ريناتا شخصياً أضافت إلى معلوماتي العديد من الفضائح الأخرى المتعلقة بلوكسمبورغو، غير أن أكثرها إثارة كان يتعلق بصفقات يجريها لوكسمبورغو لحسابه الشخصي نظير بيع اللاعبين لنوادٍ مختلفة، وقد أكدت ريناتا أنها تملك

أدلة حقيقية على إجراء مثل هذه الصفقات.

حاول لوكسمبورغو تغيير موقف الرأي العام لصالحه في أثناء مشاركة البرازيل في دورة الألعاب الأولمبية في سيدني، فقد كان يأمل أن يحصل الفريق الذي يديره على ميدالية ذهبية يغطي بريقها على فضائحه التي ملأت صفحات الجرائد الأولى، لكن ذلك لم يحدث، بل على العكس تماماً، خرجت البرازيل من الدور الربع النهائي بهزيمة مخجلة أمام منتخب الكاميرون، لتصبح تلك المباراة القشة التي قصمت ظهر البعير بالنسبة إلى لكسمبورغو، إذ طُرد من منصبه بعد عودته إلى البرازيل بأسبوع، ليُسدل الستار نهائياً على سلسلة من الأخبار والفضائح شغلت الرأي العام البرازيلي لعدة أشهر.

لقد ساهمت هزيمة الكاميرون إضافة إلى فضائح ريناتا الفيس في كشف المستور من خبايا الفساد في لعبة كرة القدم البرازيلية بطريقة غير مسبوقة. كان الجميع يعلمون أن الفساد ينخر في جذور اللعبة الأهم في البرازيل، إذ إن الاتحاد أصبح عاجزاً عن تنظيم مسابقات وبطولات محترمة تشد الجماهير إلى الملاعب، التي تبدو فارغة في معظم المباريات، كما أن معظم اللاعبين الجيدين يلعبون في فرق أوروبية خارج البرازيل، ورغم ذلك فقد كان تفوق المنتخب في البطولات الخارجية يغطي على كل تلك المشاكل، ويبقي شعلة الأمل موجودة في نفوس البرازيليين، أما الآن وقد أخذ مستوى المنتخب الوطني يتدهور ويفقد ألقاب البطولات واحداً تلو الآخر، فقد آن الآوان لقرع ناقوس الخطر، وكشف المستور؛ لتنظيف بؤر الفساد التي تعيق تقدم الحركة الرياضية الكروية في هذا

البلد، وهكذا تحرك مجلس الشيوخ وطلب تحقيقاً موسعاً رفيع المستوى حول الحال التي آلت إليها كرة القدم البرازيلية.

اتخذ التحقيق شكل هيئة برلمانية عليا، وهي أعلى هيئة للتحقيق في البرازيل وتتجاوز سلطاتها سلطات الشرطة، حيث إنها تملك صلاحية الاطلاع على ملفات الشرطة والحسابات البنكية وسجلات الضرائب والمكالمات الهاتفية، وقد قامت هذه الهيئة سابقاً بالتحقيق في ملفات تهريب المخدرات والفساد القضائي وقضايا البنوك الكبرى، لكنها الآن تتدخل للمرة الأولى في قضية الفساد في كرة القدم.

أطلقت اتهامات ريناتا ضد لوكسمبورغو صفارة البداية لفتح التحقيق، إذ كانت اتهامات جوهرية وتمس قضية مهمة، وقد تمسكت ريناتا بهذه الاتهامات وعينت عدداً من المحامين لمتابعة قضيتها، وأصبحت تعتبر نفسها شخصية عامة تطالب بالعدالة، وهو دور أتقنته ريناتا ببراعة، حتى إنها أنشأت لنفسها موقعاً خاصة على شبكة الإنترنت www.renataalves.com.br ، لكن التحقيقات لم تتوقف عند ريناتا واتهاماتها، وإنما تعدتها إلى ملفات شائكة أخرى في كرة القدم مثل ملف تورط شركة نايك في تدني أداء المنتخب البرازيلي في المباراة النهائية لبطولة كأس العالم عام 1998، وقد أحيل هذا الملف تحديداً إلى ألدو ريبيلو، ومنحه مجلس الشيوخ تفويضاً مفتوحاً للتحقيق في ملابسات الموضوع كلها، فما كان منه إلا أن أمر باستدعاء أهم الشخصيات التي كانت على علاقة مباشرة بالموضوع.

كان لا بد لي أن أذهب إلى برازيليا ليتسنى لي متابعة الأمور عن

كثب، ومقابلة ألدو والتحدث معه، إذ كنت قد سمعت كثيراً عن هذا الرجل الذي بدأت شعبيته تتضاعف في أمريكا اللاتينية كلها، وغدا معروفاً أنه الشيوعي الأشهر في القارة بعد فيدل كاسترو، وهكذا كان موعدي مع ألدو في أحد المطاعم الإسبانية الراقية بالقرب من مبنى الكونغرس في برازيليا؛ لتناول طعام العشاء سوياً. بدا لي ألدو للوهلة الأولى مناسباً تماماً للنمط العام المعروف عن اليساريين بشاربه الكث الذي يشبه شارب ستالين نوعاً ما ونظراته الثاقبة، إضافة إلى عادة التدخين المتواصل، واستعمال المصطلحات الماركسية طوال الوقت، ورغم ذلك فقد كان ألدو لطيفاً للغاية في أثناء العشاء بابتسامته العريضة التي تظهر خلفها أسنانه البيضاء اللامعة، أما كلماته الحماسية الصادقة فقد كانت تنم عن إخلاص شديد، ومثالية عالية عُرف بها ألدو منذ زمن.

يقول لي ألدو: «نعم، أنا أعتقد أن الاتحاد البرازيلي لكرة القدم قد خان هذه الأمة حتى وإن لم يقصد ذلك، عندما وقَّع ذلك العقد المهين مع شركة نايك وسمح لها بالتدخل في شؤون منتخبنا، ولا يمكنني أن أرى في ذلك العقد إلا تنازلاً عن السيادة الوطنية واستخفافاً بكرامة البرازيليين الذين تشكل كرة القدم جزءاً مهماً من هويتهم الوطنية، ولست الوحيد الذي يقرأ الأحداث بهذه الطريقة، فهناك ملايين البرازيليين الذين يعرفون ذلك، وأكبر دليل هو الأعلام البرازيلية التي رفعها المشجعون في استقبال المنتخب الوطني عند عودته مهزوماً من فرنسا عام 1998، وقد كتبوا كلمة نايك على الأعلام التي رفعوها

للتدليل على معرفتهم بما حدث، وسخطهم على ما آلت إليه الأمور في نهائي بطولة كأس العالم ذلك العام، بعد أن أجبرت نايك الفريق الوطني على خوض عدد كبير من المباريات قبل كأس العالم لغايات التسويق لمنتجاتها، وقد كان ذلك أحد بنود العقد المبرم بين الشركة الكبيرة والمنتخب البرازيلي، الذي فُضحت بنوده لاحقاً».

يتحدث ألدو بلهجة المدينة التي وُلد فيها وهي فيكوسا، البلدة الصغيرة في ولاية ألاغوس، حيث كان والده مزارعاً فقيراً لا يكاد يملك ما يكفي لسدّ احتياجات عائلته، أمّا ألدو فقد كان مثل كل الصبيان في بلدته الفقيرة يلعب كرة القدم في حارات البلدة، وشوارعها باستعمال ثمار البرتقال الخضراء غير الناضجة، وقد رافقه هذا الشغف بلعبة كرة القدم طوال حياته، ولا يبدو أنه يختلف في ذلك عن البرازيليين كلهم. تمكن ألدو من مغادرة مدينته للدراسة في عاصمة الولاية، ونظراً لشخصيته القوية المميزة، أصبح عضواً بارزاً في الحركة الطلابية المعارضة للدكتاتورية في ذلك الوقت، واستمر في العمل السياسي منذ ذلك الحين، ليتم انتخابه في مجلس الشيوخ للمرة الأولى عام 1989 عندما كان في الثالثة والثلاثين من عمره.

أُعبر لألدو عن دهشتي بمثول لاعبي الفريق الوطني أمام لجنة تحقيق، فمعظم دول العالم ومنتخباتها تحلم بالوصول إلى الدور النهائي في كأس العالم، بينما تحاكم البرازيل لاعبيها الذين وصلوا إلى هذه النهائيات! يبتسم ألدو وهو يجيبني قائلاً: «في البرازيل، المركز الثاني لا يعني شيئاً البتة، فإما أن يحصل المنتخب على الكأس، أو لا شيء إطلاقاً».

بدأ استجواب الشهود أمام لجنة ألدو عام 2000، أي بعد عامين من خسارة البرازيل للمباراة النهائية في كأس العالم في فرنسا، وكان المدرب زجالو هو أول الشهود الذين تم استدعاؤهم للإدلاء بشهادته أمام اللجنة القائمة على التحقيق، وقد حضر برفقة ليديو توليدو وجواكيم داماتا، وكان الثلاثة في حالة توتر ظاهرة عندما وصلوا إلى المقاعد المخصصة لهم على منصة الشهود التي تواجه أعضاء اللجنة التي ستقوم بالاستجواب برئاسة ألدو.

سُمح للصحفيين والنواب بحضور الجلسات المنعقدة تحت قبة البرلمان، وقد كُنت من ضمن الصحفيين الموجودين عندما بدأ زجالو حديثه بالترحيب بالموجودين وإبداء سعادته للوجود في هذا المكان، للتحدث عن المنتخب البرازيلي الذي يعشق، وقد كان يتحدث كأنه في مقابلة تلفزيونية لا في جلسة تحقيق، غير أن مزاج زجالو تغير فجأةً، وهو يعرض نسخة من صحيفة رياضية صدرت في اليوم السابق تدعي أن زجالو يحاول إلغاء التحقيق وأخذ يصيح بصوت عالٍ إن هذا كذب وافتراء، وأنه يرفض أن يُتهم في أخلاقه وصدقه. تدخل أعضاء اللجنة في محاولةٍ لإعادة الهدوء إلى القاعة، وطلبوا من زجالو أن يلتزم الصمت حتى يحين استجوابه، فثار زجالو قائلاً: «تريدونني أن أصمت بعد كل ما قيل عني! ما هذا الجنون؟»

تدخّل في هذه اللحظة نائب شاب من برنامبوكو، وخاطب زجالو محاولاً تهدئته وأعلمه أنه يجب أن يضبط أعصابه ولا داعي لأن يتهجم على الموجودين في القاعة، وهنا احمر وجه زجالو كثيراً من شدة

الانفعال والإحراج في الوقت ذاته، إذ ارتد الهجوم عليه وهو أمر لا يحتمله رجل مثل زجالو في التاسعة والستين من عمره، قضى جلَّ حياته في الملاعب يتنقل بين صفوف الفرق الكبرى لاعباً أولاً، ومدرباً للمنتخب الوطني بعد ذلك، فقد قام بتدريب المنتخب عام 1974، ثم عام 1994 وتم استدعاؤه ثانية عام 1998، ويعتبره البرازيليون أحد الرموز الوطنية في البلاد، وشاهداً على مسيرة الكرة البرازيلية منذ عقود، أما الآن وفي هذا المكان، فيعامله هؤلاء النواب كأنه مجرم يُحاكم بجريمة قتل، وهو ما لم يحدث قط من قبل.

توضحت فيما بعد ملابسات المقال الذي أثار ثائرة زجالو، إذ كان زجالو قد وقَّع على إفادة للاتحاد البرازيلي لكرة القدم ينكر فيها وجود أي تأثير لشركة نايك على تنظيم مباريات المنتخب البرازيلي، وقد استخدم الاتحاد هذه الإفادة في رسالة أرسلها للبرلمان لوقف التحقيق الذي لا أساس له، حسب رأي الاتحاد، وبعد أن هدأ زجالو قليلاً بدأ برواية أحداث يوم المباراة النهائية في فرنسا من وجهة نظره الشخصية قائلاً: «تناول الفريق طعام الغداء في ذلك اليوم وصعد الجميع إلى غرفهم في الفندق لأخذ قسط من الراحة قبل المباراة النهائية، أما أنا فقد أخذت أشاهد شريطاً مصوراً لمباراة فرنسا ضد فريق كرواتيا في الدور النصف النهائي، وقد سمعتُ جلبة في الخارج بعد قليل، لكنني ظننت أنهم مجموعة من المشجعين الفرنسيين ولم ألق بالاً للموضوع، وقررت أن أخلد للنوم لبعض الوقت، وعندما صحوت في الساعة الخامسة خرجت من غرفتي لأفاجأ بخبر الوعكة الصحية التي أَلَّمت

برونالدو، وفي المساء قمت بإرسال رونالدو إلى مستشفى ليلاس في باريس وذهبت إلى الملعب مع بقية أعضاء الفريق».

ويتابع زجالو قائلاً: إنه حدد فعلاً لاعباً ليحل محل رونالدو وهو اللاعب إدمندو، وأخذ يشجع الفريق حتى لا يُصاب بالإحباط جراء تغيب رونالدو عن المباراة، وذكرهم بفوز البرازيل بكأس العالم عام 1962 حتى بعد تغيب بيليه عن المباراة النهائية إثر إصابة تعرض لها، ولكن قبل بدء المباراة بأربعين دقيقة تقريباً ظهر رونالدو في أرض الملعب وبدأ يرتدي زيه الرياضي وكان متحمساً جداً، وقال إن الفحوصات التي أجريت في المستشفى أظهرت نتائج سلبية، وأنه يريد أن ينضم لزملائه في الملعب، ولم يملك زجالو إلا أن يوافق على طلبه وأعاد ضمّ اسمه إلى قائمة اللاعبين الذين سيشاركون في المباراة. انهال النواب الموجودون في القاعة على زجالو بالأسئلة حول قراره بإشراك رونالدو في المباراة رغم علمه بالوعكة التي ألمت به، لكن زجالو أجاب عن الأسئلة جميعها، ودافع عن قراره في ذلك اليوم بقوله: «لو عكسنا الآية ومنعت رونالدو من الاشتراك في تلك المباراة، وخسرت البرازيل تلك المباراة، لاتهمني الجميع بالتقصير وسوء تقدير الموقف، ولقالوا إن رونالدو أفضل لاعب في العالم، ولا بد أن يشترك في المباراة تحت كل الظروف».

تابع زجالو دفاعه عن قراره بقوله: «لقد سألت رونالدو إن كان يود الخروج من المباراة في فترة الاستراحة فأجابني إنه بخير، وليس هناك ما يدعو للقلق، وإنه يود أن يستكمل المباراة مع الفريق، كما أن نتائج

الفحوصات التي قام بها المستشفى الفرنسي لم تُظهر أي مشاكل صحية قد تمنع رونالدو من اللعب، وأعتقد أنني قد اتخذت القرار الصحيح في ذلك اليوم بالسماح لرونالدو باللعب، وإذا كان هناك من أسباب تبحثون عنها لهزيمة المنتخب في ذلك اليوم، فهي بالتأكيد بعيدة كل البعد عن مشاركة رونالدو في المباراة».

استغرق استجواب زجالو أربع ساعات كاملة، وبعد ذلك تم استدعاء توليدو وداماتا ليقوم نائب يعمل طبيباً باستجوابهما حول الظرف الصحي الذي تعرض له رونالدو، ويعبرّ الاثنان عن حيرتهما حيال الوعكة التي ألمت برونالدو إذ لم يكن في الفحوصات ما يشير إلى أي مسببات خارجية من طعام أو شراب أو مخدر أو أي شيء من هذا القبيل، ولم يستطع أحد من الطاقم الطبي الرياضي تحديد سبب مباشر للوعكة، وهكذا يدافع توليدو عن قراره بالسماح لرونالدو باللعب، بأنه لم يتلق أي شيء يمنع ذلك، ولم يكن ليتحمل مسؤولية إيقاف رونالدو عن اللعب في تلك المباراة من دون أسباب واضحة، إذ سيحاكمه البرازيليون كلهم آنذاك.

انتهى استجواب اليوم الأول للشهود من دون أن يظهر أي تورط لشركة نايك في خسارة المنتخب البرازيلي، إذ أنكر الشهود كلهم الذين تم استدعاؤهم أي محاولات للضغط على المنتخب من قبل مسؤولين في شركة نايك، ولذلك ظل الجميع يترقبون شهادة إدمندو في اليوم التالي، وهو الذي أدلى بتصريحات سابقة حول العقد المبرم بين المنتخب البرازيلي وشركة نايك، الذي يجبر المنتخب على إشراك رونالدو في

اللعب طوال مدة المباراة، وفي اليوم الموعود مَثَل إدمندو أمام لجنة المحققين ليروي قصة ذلك اليوم كما رآها قائلاً:

«كنت في الفندق ذلك اليوم بعد فترة الغداء، وقد صعد اللاعبون إلى غرفهم الخاصة كلٌّ لشأنه، فمنهم من ينام قليلاً قبل المباراة، ومنهم من يستمع إلى الموسيقى، ومنهم من يحب أن يقرأ، وهكذا. كنت في غرفتي يشاركني فيها دوريفا، بينما كان يحتل الغرفة المجاورة رونالدو وكارلوس ألبرتو، وفي حوالي الساعة الثالثة بعد الظهر وبينما كنت أشاهد التلفاز، اندفع كارلوس ألبرتو إلى الغرفة قائلاً: النجدة، رونالدو يشعر بتوعك، إنه ليس على ما يرام، عندها خرجت من الغرفة مسرعاً وأخذت أطرق أبواب الغرف الأخرى التي كان ينزل فيها اللاعبون الباقون لطلب المساعدة، إذ كانت غرف الفريق الطبي في جناح آخر من الفندق، وخرج إليّ بعض اللاعبين، ثم توجهنا معاً إلى غرفة رونالدو وعندما دخلت هالني مشهد رونالدو الذي كان ممدداً في سريره وهو يرتعش، وقد أخذ يضرب نفسه بكلتا يديه، بينما كانت أسنانه مطبقة وفمه يزبد برغوة بيضاء، ولم يعرف أحد في تلك اللحظة التصرف المناسب في مثل هذه الحال، لكن سيزار سامبيو حاول فتح فم رونالدو لتحرير لسانه حتى لا يختنق، وفعلاً نجح في ذلك.

وفي تلك اللحظة هدأ رونالدو وخفت حركته وشيئاً فشيئاً عاد إلى النوم وكأن شيئاً لم يكن، وعندما وصل الأطباء الذين تم استدعاؤهم كان رونالدو يغط في نوم عميق من جديد فلم يجد الأطباء ما يفعلونه له، لكنهم جمعوا بقية اللاعبين في إحدى الغرف المجاورة وطلبوا منهم

أن يلزموا الهدوء والصمت حيال ما حدث، حتى لا يتسرب الخبر إلى خارج الفندق قبل موعد المباراة النهائية في تلك الليلة. وفعلاً حاول الجميع تناسي ما حدث لكنهم جميعاً كانوا قلقين، وقد رأيت أعضاء الفريق يتناوبون المرور على غرفة رونالدو واحداً تلو الآخر للاطمئنان عليه وهو نائم، حتى حان موعد وجبة الساعة السادسة في مطعم الفندق، حيث حضر الجميع ما عدا رونالدو الذي وصل متأخراً، واتخذ مكانه على المائدة من دون أن يتحدث مع أحد، وقد بدا في حالة إعياء شديد، وعندما توجه ليوناردو إلى الطبيب قائلاً: «رونالدو لا يبدو بخير، يجب أن تبعثوا به إلى المستشفى لإجراء بعض الفحوصات»، توجه الطبيب إلى رونالدو وأخبره أن عليه إجراء بعض الفحوصات قبل المباراة، فغضب رونالدو وأصر على أنه يريد أن يشارك في المباراة القادمة، فهي مباراة حاسمة ولا بد أن يكون مع زملائه، فوعده الطبيب «أنه إذا كانت نتائج الفحوصات مرضية فإنه سيسمح له باللعب».

يتدخل هنا النائب جوزيه روشا ليسأل إدمندو عن وقت وصول زجالو إلى موقع الحدث، فيرد إدمندو أن طاقم المدربين كانوا في الجهة الأخرى من المبنى، ولكنه وصل خلال عشر دقائق أو خمس عشرة دقيقة على أبعد تقدير، وقد أثارت هذه المعلومة اهتمام الحاضرين إذ إن زجالو قال في إفادته في اليوم الأول للتحقيق إنه لم يعلم بمرض رونالدو إلا بعد ثلاث ساعات من الحادث، فمن الذي يدلي بشهادة كاذبة؟ ولماذا»؟

عدت إلى برازيليا بعد شهر ونصف تقريباً لحضور جلسة

استجواب رونالدو، النجم الأشهر من دون منازع، وكانت القاعة تغص بالصحفيين والجمهور الذي يتزاحم لمحاولة مشاهدة رونالدو عند وصوله، أما ألدو ريبيلو فقد اصطحب معه ابنه الذي كان يسعى للحصول على توقيع رونالدو، وبعد عدة دقائق يدخل رونالدو قاعة البرلمان مرتدياً حلة جميلة فاتحة اللون، ليطغى حضوره على الجميع، فها هو ابن الرابعة والعشرين، النجم الشهير يأتي ليمثل أمام لجنة برلمانية لاستجوابه حول خسارته في المباراة. يطغى جو من التوتر على المكان حيث يبدأ ألدو بشرح الشكليات المتبعة في الاستجواب لرونالدو، إذ يُسمح له بالتحدث عشرين دقيقة قبل أن يبدأ بالإجابة عن الأسئلة المطروحة عليه، لكن رونالدو يبتسم بثقة ويطلب كأساً من الماء قبل أن يشرع في الإدلاء بشهادته حول يوم المباراة. يروي رونالدو بعد ذلك أحداث اليوم بالنسبة إليه، فيأتي على ذكر الغداء الجماعي مع الفريق ثم الصعود إلى الغرف للاستراحة، ثم يذكر أنه استيقظ في الخامسة بعد الظهر وانضم إلى زملائه في المطعم، ولاحظ أنهم يعاملونه بغرابة، لكنه لم يكن يتذكر أي شيء عن الحالة الغامضة التي أصابته، ولم يعرف سر قلق أعضاء الفريق إلا بعد أن طلب منه طبيب المنتخب إجراء بعض الفحوصات في المستشفى.

يحاول أحد النواب جر رونالدو للحديث حول زجالو، فيسأله عن الوقت الذي حضر فيه زجالو لرؤيته عندما كان مريضاً، لكن رونالدو يجيب بثقة إنه يعتقد أن التوقيت ليس ذا أهمية تذكر، فقد كان هناك ما هو أهم بكثير مما يشغل الجميع غير توقيت قدوم زجالو إلى غرفتي.



رونالدو وألدو ربيلو في أثناء جلسات التحقيق.

يقتل رونالدو بهذه الإجابة كل محاولات النواب الآخرين لفتح هذا الموضوع ثانية، لكن نائباً آخر أخذ يسأل حول بعض النقاط التقنية في سير المباراة النهائية، مثل محاولة معرفة إن كان رونالدو هو اللاعب الذي عيّنه المدرب لمراقبة لاعب المنتخب الفرنسي زيدان!، لكن رونالدو يجيب أنه لا يتذكر من هو اللاعب الذي كان يراقب زيدان في تلك المباراة، ويبدي امتعاضه من طرح مثل هذه الأسئلة التي لا تصب البتة في الهدف الأساسي من التحقيق، وهو علاقة شركة نايك بالمنتخب الوطني، فيستغل أحد النواب هذه الفرصة ليسأله سؤالاً مباشراً حول بنود عقده مع شركة نايك، لكن رونالدو يقول إنه لا يستطيع كشف بنود هذا العقد؛ لأنه وقع على إبقاء هذه البنود سرية، وهنا يبدو رونالدو

منفعلاً قليلاً وهو يقول: «أنا لست هنا للدفاع عن شركة نايك، ولا عن الاتحاد البرازيلي، لكنني هنا لأقول رأيي الخاص إن أردتم أن تسمعوه، إن هذا العقد يخدم الكرة البرازيلية بطريقة غير مسبوقة، ويوفر لها الوسائل والأموال عن طريق الاتحاد الوطني؛ لتتمكن من تجاوز بعض مشاكلها المادية التي أخذت تعيق تقدمها مؤخراً، أما بالنسبة لعلاقتي الخاصة مع شركة نايك، فهي جيدة جداً، فلم تطلب مني هذه الشركة شيئاً إلا أن أرتدي أحذيتها خلال المباريات وأسجل بعض الأهداف وأنا أرتدي هذه الأحذية، وهذا طبعاً ما أفعله عادة سواء بأحذية نايك أم بغيرها».

طرح النائب رونالدو فاسكونسيلوس سؤالاً أخيراً على اللاعب رونالدو في نهاية الاستجواب، عن رأيه الموضوعي في سبب خسارة البرازيل للمباراة النهائية في كأس العالم في فرنسا، وهنا فقد رونالدو هدوءه وأخذ يردد بحدة «لماذا خسرنا؟ لماذا خسرنا؟ لقد خسرنا لأننا لم نكسب، هذا كل شيء، نعم في رياضة كرة القدم كما في كل أنواع الرياضة، هناك مكسب وهناك خسارة، لقد فزنا عشرات المرات من قبل لكن أحداً لم يسأل لماذا فزنا، لكننا الآن خسرنا، ولكننا يمكن أن نفوز مرة أخرى، فلماذا تُثار كل هذه الجلبة والتحليلات حول تلك المباراة»!

كانت هزيمة البرازيل أمام الكاميرون بداية لسلسلة من الانتكاسات للمنتخب البرازيلي حسب، فلم يستطع الاتحاد البرازيلي لكرة القدم إيجاد مدرب بديل للمنتخب بعد إقصاء لوكسمبورغو، وتم عرض

المنصب على إمرسون ليو حارس مرمى المنتخب السابق، الذي قبله لكنه لم يفلح في إعادة مسيرة المنتخب إلى مسارها الصحيح، بل على العكس فقد جر المنتخب البرازيلي إلى هزائم إضافية لم تكن في الحسبان، إذ هُزم المنتخب أمام منتخب الإكوادور، ومنتخب أستراليا في مراحل التأهل لكأس العالم، وهكذا نُحي إمرسون عن التدريب؛ ليحل محله لويز فيليبي سكولاري، ويصبح رابع مدرب يحل على الفريق خلال تسعة أشهر، ومرة أخرى خيَّب هذا المدرب الآمال التي كانت معقودة عليه، إذ هُزمت البرازيل في كأس أمريكا الجنوبية عام 2001 أمام فريق هندوراس، وهو الفريق الذي لم يحلم يوماً بهزيمة البرازيل.

ومع توالي الهزائم على المنتخب الوطني، كانت تتوالى قصص الفساد وفضائح المحسوبيات أيضاً، التي ظهرت في أثناء التحقيقات التي كانت تقوم بها اللجنة البرلمانية، ولم يكن يمر يوم من دون ان تنشر الصحف إحدى تلك الفضائح في صفحاتها الأولى، وتحولت الصفحات الرياضية في الصحافة البرازيلية إلى صفحات حوادث وجرائم أخذ الجميع يتابعها باهتمام، وكلما كشفت التحقيقات عن بؤر فساد جديدة في كرة القدم، زاد تدهور مستوى الفريق الوطني وأدائه، فكيف للاعب في المنتخب الوطني أن يرتدي قميصه بفخر، ويقدم أفضل ما لديه من مجهود وهو يرى ويسمع قصصاً مرعبة عن الفساد الذي استشرى بين القائمين على هذه اللعبة، وكيف لمشجع مخلص أن يلحق بالفريق لمؤازرته، وهو يعلم أن الرياضة الوطنية الأولى منخورة حتى النخاع بتبادل المصالح والمحسوبيات، وبعيدة كل البعد

عن روح الرياضة وأخلاقياتها، ولاسيما بعد ظهور شهادة ريناتا ألفيس للعلن، إذ قالت: إنّ هناك منزلاً محدداً في مدينة ريو، يدعوه أصحاب العلاقة بالسفارة، يلتقي فيه المدربون والوكلاء الرياضيون ورؤساء النوادي بانتظام، حيث يعقدون الصفقات ويدفعون العمولات ويرتبون المقابلات، ومن هؤلاء كان لوكسمبورغو الذي اتهمته ريناتا أنه كان يقبض لقاء خدماته في بيع اللاعبين بالدولار الأمريكي، كما أضافت ريناتا أن لوكسمبورغو كان يحقن كرات القدم بمادة بيضاء تشبه مادة الكوكايين قبل السفر للمباريات خارج البرازيل، لكن لوكسمبورغو نفى هذه التهمة جملة وتفصيلاً.

تم استجواب ألميز غوليرم فيريرا أيضاً، وهو رئيس فيدرالية ميناس جبرياس لكرة القدم، بتهمة المحسوبية ومحاباة الأقارب، فقد اتضح أنه عيّن في الفيدرالية سبعة وعشرين شخصاً من أقاربه ما بين إخوة وأبناء عمومة وحتى والده، وقد رد فيريرا على هذا الاتهام أنه يفضل إحاطة نفسه بأشخاص يثق بهم.

أخذ ألدو يوسع شبكة التحقيقات التي تقوم بها اللجنة؛ لتتخطى موضوع العقد الموقع بين نايك، واتحاد الكرة البرازيلي إلى كل المعاملات التجارية والمالية للاتحاد، فبعث بوفد خاص إلى أوروبا للتحقيق في موضوع الاتجار باللاعبين من دون السن القانونية، الذين يحملون جوازات سفر مزورة لإخفاء أعمارهم الحقيقية، وقد عاد الوفد باللاعب فابيو فاريا دورس سانتوس الذي يبلغ السادسة عشرة من العمر فقط، وقد أخبر هذا اللاعب الوفد البرلماني أن وسيطاً برازيلياً قام بتهريبه

إلى بلجيكا بعد أن وعدوه باللعب في صفوف أحد الفرق الأوروبية، لكنه تركه بعد ذلك ولم يسمع منه شيئاً، وقد قضى بعدها ثمانية أشهر في بلجيكا يعاني الفقر والتشرد إلى أن التقى عائلة برازيلية عطفت عليه، وأسفت لحاله فسمحت له بالإقامة في منزلها بعض الوقت.

سافر ألدو إلى ماراناهاو أيضاً، وهي ولاية فقيرة في الشمال الشرقي من البرازيل؛ لإلقاء القبض على نائب رئيس اتحاد الكرة في الولاية بتهمة حيازة شهادات ميلاد مزورة في منزله، حيث يقوم بإصدار شهادات ميلاد بأعمار غير حقيقية للاعبين الذين يرغبون باللعب مع فرق خارج البرازيل، وكلما كان اللاعب أصغر سناً ازداد الطلب عليه طبعاً، ويسمى اللاعب الذي يقوم بتزوير عمره «قاتو» أي القط، وقد اكتشف ألدو في أثناء التحقيقات قطاً سميناً فعلاً وهو اللاعب روزنلتون توريس الذي انتقل ليلعب في أحد الفرق البلجيكية، وهو يحمل شهادة ميلاد تشير إلى أنه أصغر بسبعة أعوام من عمره الحقيقي! ويصف ألدو ماراناهاو أنها مصنع للقطط بسبب سهولة الحصول على شهادة ميلاد مزورة في هذه المدينة، إذ باع ناد صغير في المدينة هو نادي أمريكانو أكثر من مئة لاعب إلى فرق أجنبية خلال السنوات الخمس الماضية، ومعظمهم يحملون شهادات ميلاد مزورة.

أظهرت التحقيقات صورة قاتمة للكرة البرازيلية، كأنها بازار مفتوح لمقايضة لاعبي كرة القدم في مقابل مصالح شخصية مختلفة، وقد تكون أقرب لسوق نخاسة حديث يباع فيه الشباب البرازيلي لمن يدفع أكثر، فيثري من وراء تلك الصفقات عدد محدود من رؤساء النوادي،

وأصحاب المصالح والوسطاء بينما تزداد النوادي ذاتها فقراً وتتدهور حالة رياضة كرة القدم شيئاً فشيئاً كل يوم.

ومن القصص التي تعزز تعبير سوق النخاسة الذي استعملناه: قصة فيدومار بورتو، الذي كان يعمل حارساً ليلياً لدى نادي أفاي في فلفوريانوبولس، ولم يحصل على راتبه لعدة أشهر فقرر مقاضاة النادي في المحكمة التي أمرت النادي بدفع رواتب فيدومار المتأخرة، لكن النادي كان مفلساً، ولم يكن يملك ما يمكن بيعه إلا لاعب الهجوم كلوديومير، وهكذا أمرت المحكمة بتسليم اللاعب كلوديومير للموظف فيدومار تعويضاً عن رواتبه المتأخرة، غير أن الحارس الليلي لم يكن يريد لاعباً وإنما نقوده، لذلك قرر أن يبيع اللاعب لنادٍ آخر، وأخبر اللاعب كلوديومير بذلك، ولم يعترض اللاعب طبعاً، بل على العكس رافقه إلى نادي جونيفيل وهو النادي المنافس لنادي أفاي، وتم بيع اللاعب بحضور محامي فيدومار للنادي الجديد.

لقد اتضح من التحقيقات أيضاً، أن الاستثمارات في البنية التحتية لكرة القدم معدومة تقريباً، أما الاستثمار في تعليم هذه الرياضة وتطويرها فلا يكاد يلحظ، فيما عدا بعض الإسهامات هنا وهناك، ففي السلفادور ثمة برنامج تديره منظمة اليونيسيف في نادي فيتوريا للشباب لتعليم أصول المواطنة والحقوق الوطنية، لأن معظم الشباب في هذا النادي المنتمين إلى العرق الأسود، يعانون أصنافاً من التمييز العنصري ضدهم، لكنهم لا يملكون الوعي الكافي ولا الثقافة لتحسين نوعية حياتهم. هناك بعض الفرق الأوروبية أيضاً المرتبطة ببعض النوادي

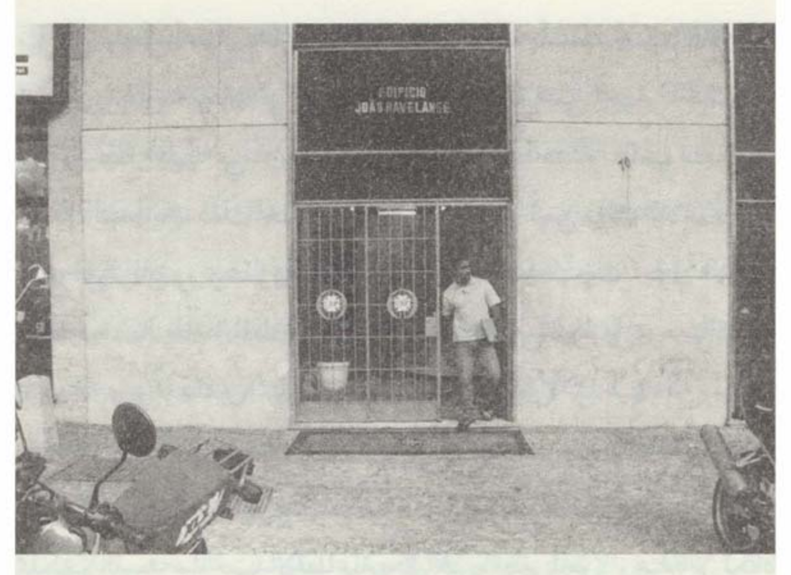
البرازيلية وتُمول مراكز للتدريب فيها في ثماني ولايات برازيلية، حيث تقوم نوادي الفرق الأوروبية بتقديم المواد اللازمة والمدرسين لتدريب وتثقيف الناشئين من عمر التاسعة، حتى عمر الثالثة عشرة في مجال كرة القدم، ويحصل المتميزون من هؤلاء الناشئين على فرص للّعب ضمن فرق المحترفين لاحقاً، ولكن هذه الجهود المتواضعة لا تستطيع وقف تسرب اللاعبين المحترفين واحداً تلو الآخر إلى الخارج، في محاولات لإيجاد فرص للعب ضمن الفرق الأوروبية المختلفة.

قمت بزيارة نادي كورينثيانس ألوغانو في ماسيو، وهو نادٍ استطاع تحويل لاعبيه إلى سلعة ثمينة للتصدير. وقد تأسس هذا النادي عام 1991، ليصل بعد هذا التاريخ بأربع سنوات فقط إلى صفوف فرق الدرجة الثانية في الولاية، وفي السنة الأولى لانضمامه إلى فرق الدرجة الثانية استطاع التأهل لمستوى فرق الدرجة الأولى؛ نظراً للنتائج المذهلة التي حققها، ولكن رئيس النادي جواو فيجو تنازل عن هذا الحق، فهو يريد تسمين اللاعبين ضمن فرق الدرجة الثانية على حد تعبيره؛ ليتمكن من بيعهم بعد ذلك محترفين مهمين بأثمان باهظة لفرق الدرجة الأولى. وتصدر فريق كورينثيانس فرق الدرجة الثانية مرة أخرى عام 1997، ولم يملك إلا الانتقال إلى فرق الدرجة الأولى وهو يلعب ضمن هذه الدرجة منذ عام 1998، وعندما وصلت إلى مبنى النادي فوجئت بتواضع المبنى وخلوه من أي شيء يربطه بكرة القدم، لكن أحد الإداريين زودني بنشرة بسيطة عن النادي جاء فيها أن هدف النادي الأساسي، هو اكتشاف اللاعبين المتميزين وإطلاقهم في عالم الكرة البرازيلية والدولية، وتتضمن

النشرة قائمة بأسماء لاعبين أطلقهم النادي، منهم خمسة يلعبون في فرق برتغالية واثنان في اليابان وواحد في إيطاليا وآخران في تركيا وروسيا، وهذا العدد جيد جداً لفريق لا يزيد عمره عن عشر سنوات في ولاية مهملة رياضياً تقريباً. ويستقبلني بعد ذلك مسؤول كرة القدم في النادي فرناندو أدغير، ثم يقودني إلى الطابق العلوي من المبنى حيث غرفة التسويق كما يسميها فرناندو، وفيها تلفاز بحجم كبير وأجهزة فيديو والعديد من الأشرطة المصورة. ويخبرني فرناندو أنهم يقومون بتسجيل شريط خاص بكل لاعب في النادي يُظهر مهارته في الملعب، ويتضمن أجمل اللقطات له في المباريات التي اشترك فيها، بالإضافة لتعليق باللغتين الإنجليزية والبرتغالية حول المعلومات الشخصية للاعب: عمره، وتاريخ انضمامه للنادي، وحياته الشخصية والمهنية؛ لغايات تسويق اللاعب وبيعه لمن يرغب داخل البرازيل أو خارجها، ويضيف فرناندو إن الأسعار تتفاوت صعوداً وهبوطاً حسب أداء المنتخب الوطني، إذ يفترض أصحاب النوادي الأجنبية أن أفضل اللاعبين في البرازيل يلعبون ضمنه ، فإذا كان أداء هذا المنتخب جيداً فلا بد أن يكون بقية اللاعبين في النوادي الأخرى بالمستوى ذاته تقريباً، أما إن كان أداء المنتخب هابطاً فلا بد أن يكون لاعبو الفرق الأخرى أسوأ حالاً، وهكذا فقد ارتفعت أسعار اللاعبين بصورة كبيرة بعد فوز المنتخب البرازيلي بكأس العالم عام 1994، أما الآن وبسبب التدهور الذي يعاني منه المنتخب الوطني، فإن سوق اللاعبين البرازيليين في كساد غير مسبوق، مما يزعج رئيس النادي جواو فيجو الذي يدير فريقه

مثل أي رجل أعمال محترف، فهو يملك قائمة بأسماء جميع اللاعبين محترفين وغير محترفين في الولاية، وكلها مخزنة على جهاز الحاسوب لديه؛ ليطلع عليها في أي لحظة إذا ما استشاره أحد أو طلب منه لاعباً محدداً، لتبدأ بعد ذلك جلسة المفاوضات حول ثمن ذلك اللاعب تبعاً لمستواه الرياضي وعمره وخبراته. يذكرني هذا البحث حول الاتجار بالرياضة، بالنظام الإقطاعي الذي كان سائداً في البرازيل، حين كانت مجموعة من المنتفعين تمتلك ولايات ومدناً كبيرة بما فيها من موارد زراعية، وتختص كل إقطاعية بزراعة نوع محدد من المحاصيل مثل: قصب السكر أو القهوة أو نبات الكاكاو، حيث يقوم العبيد الذين يملكهم السيد صاحب الإقطاعية بكل شيء نظير أجور زهيدة لا تكاد توفر احتياجاتهم اليومية للبقاء على قيد الحياة. وهكذا أرى كرة القدم البرازيلية الآن، فهي المحصول الأول والمنتج الأهم في البرازيل، يقوم على انتاجه مجموعة من اللاعبين الذين يقعون تحت رحمة الأسياد المتنفذين وسيطرتهم، الذين يجنون الأرباح الطائلة من اللعبة، بينما تظل القاعدة الأساسية أو اللاعبون يعيشون من دون خط الفقر، لا يجدون كفاف يومهم تقريباً، وليس أدل على هذه المقاربة بين حال رياضة كرة القدم والنظام الإقطاعي القديم من مبنى الاتحاد البرازيلي لكرة القدم.

يقع مبنى الاتحاد البرازيلي لكرة القدم في شارع جانبي من شوارع ريو، ولا يختلف مدخل المبنى عن أي مدخل لمجمع سكني آخر في ريو، فهناك بوابة حديدية يجلس خلفها حارس المبنى الأعزل على كرسي خشبي أمام مكتب بسيط، وليس هناك أي لافتة ترحيبية أو ما



مدخل مبنى الاتحاد البرازيلي لكرة القدم

يدل على ملكية المكان للاتحاد البرازيلي لكرة القدم لولا وجود شعار الاتحاد على البوابة الحديدية، حتى إن المدرب لويز فيليبي سكولاري ضل طريقه للمبنى عندما زاره للمرة الأولى بعد تعيينه مدرباً للمنتخب الوطني.

كان الهدف من زيارتي لمبنى الاتحاد البرازيلي لكرة القدم هو الوصول إلى مكتبة الاتحاد، حيث أستطيع استكمال بعض المواضيع التي أحتاج إليها في بحثي لإصدار كتابي هذا، لكن المكتبة لم تحقق الغاية المرجوة منها، إذ كانت عبارة عن حجرة متوسطة مليئة بالرفوف وقد صفت عليها بعض الكتب بطريقة عشوائية من دون تنظيم أو تصنيف، بالإضافة لبعض الأوراق والوثائق المتناثرة هنا وهناك، وقد

عُلقت لوحة إلى جانب الباب كُتب عليها «ممنوع التدخين، إن أمكن!» وأخذت أتساءل في نفسي، كيف يمكن إضافة عبارة «إن أمكن» في مكتبة عامة مليئة بالأوراق والمواد القابلة للاشتعال! طفت بعيني في أرجاء الغرفة لأجد أمين المكتبة يجلس في أقصى القاعة، وهو يستمع إلى مذياع صغير أمامه وقد رفع صوته إلى أقصى درجة، وما إن رآني حتى تقدم نحوي وأشار إلى طاولة جانبية لأستعملها عند الحاجة، لكن هذه الحاجة لم تظهر، إذ لم أستطع الوصول إلى أي معلومة وسط أكداس الكتب غير المصنفة، كما أن أمين المكتبة لم يقدم لي أي مساعدة؛ لأنه كان مشغولاً بمذياعه يتابع برنامجه المفضل.

يتمتع الاتحاد البرازيلي لكرة القدم بسمعة سيئة جداً داخل البرازيل؛ لأن الجميع ينظرون إليه أنه مؤسسة فاسدة غير جديرة بالثقة، ولاسيما بعد فضيحة سرقة كأس العالم الذهبي الذي حصلت عليه البرازيل وامتلكته بعد فوزها ببطولة العالم لكرة القدم للمرة الثالثة عام 1970. ولحماية الكأس الذي يزن حوالي 2كغ من الذهب الخالص، قام الاتحاد البرازيلي بوضعه في خزانة من الزجاج الواقي من الرصاص، لكن الخزانة ذاتها كانت مثبتة إلى الحائط بطريقة عادية بواسطة عدة مسامير حيث يستطيع أي لص بسيط أن يقتلع الخزانة من مكانها بواسطة قضيب حديدي ثقيل وهكذا كان، ففي صباح التاسع عشر من ديسمبر عام 1983، قام لصان بمهاجمة المبنى وضرب الحارس، ثم استقلا المصعد إلى الدور التاسع حيث يحتفظ الاتحاد بالكأس، وقاما بخلع الخزانة من الخلف واستوليا على الكأس الذهبي، ولاذا بالفرار خلال عشرين دقيقة ولم يظهر الكأس

مطلقاً بعد ذلك اليوم. أسفرت التحقيقات بعد ذلك عن تورط أربعة أشخاص في السرقة، وتم تجريمهم ومحاكمتهم، لكن الكأس لم يعد؛ لأن اللصوص قاموا بتقطيعه وتذويبه، ثم بيعه لتجار الذهب في البرازيل خلال أيام من السرقة.

ومن الأسباب الرئيسية الأخرى التي تشوه سمعة الاتحاد البرازيلي لكرة القدم، عدم قدرته على تنظيم دوري حقيقي لكرة القدم على المستوى الوطني للبرازيل، فمن المعروف في البرازيل أن الدوري المحلي للولايات، هو الممثل الحقيقي لكرة القدم وليس الدوري الوطني، لذلك فقد ظهر رئيس جديد للاتحاد عام 1989 واعداً بإعادة ترتيب البيت الكروي البرازيلي، وهو ريكاردو تيكسيرا الذي كان يبلغ من العمر اثنين وأربعين عاماً آنذاك، وصاحب خبرة طويلة في مجال المال والأعمال، غير أنه لم تكن له أي علاقة بالإدارة الرياضية، ولكن ميزته الأهم أنه كان صهر جواو هافيلانج الأب الروحي لمؤسسة الرياضة البرازيلية. وكان هافيلانج رياضياً قديماً شارك في الألعاب الأولمبية سباحاً عام 1936، ثم في فريق البولو المائي عام 1952، ثم استقر في إدارة لعبة كرة القدم مدة أربعين عاماً، فكان رئيساً للاتحاد البرازيلي لكرة القدم ما بين عامي 1958 و1974، ثم ترأس اتحاد الفيفا بعد ذلك حتى عام 1998، ولايزال شخصية مرموقة ولها تأثيرها المحلي والدولي.

انتخبت اتحادات الولايات تيكسيرا؛ ليكون رئيساً للاتحاد البرازيلي لكرة القدم بعد حملة انتخابية كبيرة وظف فيها نفوذه وأمواله لكسبها، وبعد استلامه السلطة بدأت تتضح سياسته التي تعتمد المحسوبية ومحاباة

الأقارب وتبادل المصالح مع أصحاب السلطة ورؤساء النوادي الكبرى في البلاد، ومع الوقت أخذت شعبيته تتضاءل، وبدأت روائح الفساد تفوح من الاتحاد ثانية، حتى عام 1993 حين صرح اللاعب بيليه: إن الفساد ينخر جذور الاتحاد برئاسة تيكسيرا، وللرد على هذا التصريح القوي، أعلن تيكسيرا عن إقصاء بيليه من فعاليات افتتاح بطولة كأس العالم عام 1994، مما آثار حفيظة العالم كله ضد هذا التصرف الديكتاتوري المشين، لكن الحدث الأكبر الذي عزز الصورة المشينة لتيكسيرا كان بعد انتهاء بطولة كأس العالم عام 1994 مباشرة، إذ عاد المنتخب البرازيلي من الولايات المتحدة منتصراً، لكنه محملٌ أيضاً بخمسة عشر طناً من الأجهزة الكهربائية والمعدات التي يجب أن تخضع للحساب الجمركي، التي قام أعضاء الفريق بشرائها في أثناء رحلتهم، لكن تيكسيرا أصر على دخول هذه البضائع عبر مطار ريو من دون تدقيق من قبل مفتشي الجمارك؛ معللاً ذلك بأن الجماهير تنتظر خارج المطار بفارغ الصبر عودة فريقها المظفر، ولا وقت للتدقيق الجمركي، وقام بتهديد مفتشي الجمارك إذا أصروا على تفتيش كل الأمتعة سيتسببون في تأخير خروج الفريق مما يؤدي إلى إغضاب الجماهير المنتظرة، وحث أعضاء الفريق على فعل الشيء ذاته، فأخذ اللاعبون يهددون المفتشين أنهم سيرفضون المشاركة في احتفالات النصر المعدة خارج المطار إذا تم تفتيش أمتعتهم ولم يطلق سراحهم؛ ليخرجوا من المطار فوراً، وبقي الأمر معلقاً فترة من الزمن حتى اتصل حاكم مدينة برازيليا شخصياً، وأمر بخروج الفريق من دون تفتيش.

وبعد أن فُضحت القصة لاحقاً وتداولتها الصحف، قام الاتحاد بإعداد قائمة بالبضائع التي دخلت المطار مع الفريق ودفع الضرائب المفروضة عليها، غير أن القائمة لم تكن تحتوي إلا على جزء بسيط جداً من عدد البضائع التي أدخلها أعضاء الفريق من لاعبين وإداريين في ذلك اليوم.

وقّع ريكاردو تيكسيرا عام 1996 العقد الشهير مع شركة نايك بصفته رئيساً للاتحاد البرازيلي لكرة القدم، وربما كان العقد يراعي مصالح الكرة البرازيلية حقاً، لكن الغموض الذي لف ملابسات التوقيع، وإصرار تيكسيرا على إبقاء بنود العقد سرية، أثار الشكوك حول ماهية العقد ومدى استفادة المنتخب البرازيلي منه، ولا سيما بعد تسرب أحد بنود العقد الذي ينص أنه يجب على المنتخب البرازيلي أن يجري على الأقل خمس مباريات ودية في العام الواحد برعاية شركة نايك، مما يشكل ضغطاً إضافياً على اللاعبين في الفريق.

وبعد بدء تحقيقات اللجنة البرلمانية بعدة أسابيع، أعلن تيكسيرا أنه قد غيّر هذا البند تحديداً في العقد ليصبح عدد المقابلات المفروضة على المنتخب اثنتين بدلاً من خمس؛ لأنه نسي أن جدول المنتخب البرازيلي سيكون حافلاً بالمقابلات طوال العام إذا لم يفز ببطولة كأس العالم عام 1998، وفي هذه الحالة يجب عليه أن يخوض مباريات التأهل للكأس التي كان قد أعفي منها عام 1996؛ لأنه كان بطل العالم في كأس عام 1994، ورغم ذلك بقيت مفاوضات تعديل شروط العقد سرية أيضاً، ولم تخضع لشروط الشفافية المطلوبة، ولا يدري أحد سبب كل هذا التكتم.

يعد جوكا كفوري ألد أعداء تيكسيرا، وهو صحفي رياضي معروف يكتب عموداً في صحيفة لانس اليومية دائماً، كما أنه يقدم برنامجاً رياضياً في الإذاعة الوطنية، بالإضافة لبرنامج تلفزيوني أسبوعي يعرض يوم الأحد في القناة البرازيلية الوطنية، وقد كان كفوري هو أول من فجرَّ خبر بنود العقد مع شركة نايك، كما أنه كان الصحفي الذي قابل بيليه في صحيفة بلاي بوي الرياضية، ونشر تصريحه حول تفشي الفساد في الاتحاد البرازيلي لكرة القدم، ولكل ذلك كان لا بد لي من السفر إلى ساو باولو لمقابلة ذلك الصحفي الجريء، والتحدث معه حول التحقيق البرلماني الموسع الذي فتح كل تلك القضايا.

قابلت كفوري في محطة CBN الإذاعية، قبل أن يبدأ برنامجه الذي يبث يومياً في الساعة الثامنة مساءً، فأخذني إلى قاعة الأستوديو الذي يبث منه برنامجه اليومي ليبدأ حديثه بقوله: إن البرازيل تمر بمرحلة انتقالية مهمة من مراحل الديمقراطية الحديثة نسبياً في هذا البلد، لكن آخر مؤسسة ستتغير في هذا البلد هي المؤسسة الرياضية، فهي فاسدة حتى النخاع حسب تعبير كفوري. لقد تحول كفوري إلى رمز وطني معروف؛ بسبب نضاله ضد الفساد في مؤسسة كرة القدم البرازيلية، بل تخطت سمعته حدود البرازيل بعد أن مُنع من حضور مباريات كأس العالم عام 1998 بصفته مراسلاً صحفياً، وبعث له تيكسيرا برسالة مفادها: أنه إذا حاول المساس بمصالح الاتحاد البرازيلي لكرة القدم، فإنه سيرسل له ابنه الحاصل على الحزام الأسود في فنون القتال؛ ليقوم بتأديبه!

يعرض عليّ كفوري عدداً من الأبحاث التي يقوم بها حول فساد الاتحاد البرازيلي، التي بذل فيها جهداً واضحاً، ولكن يبدو لي أن نقطة الضعف الوحيدة في هذه الأبحاث أن المنتخب الوطني، كان يواصل انتصاراته دائماً في أثناء رئاسة تيكسيرا للاتحاد، فقد فازت البرازيل بكأس العالم عام 1994 وحصلت على المركز الثاني عام 1998، لكن كفوري يعلق على ذلك قائلاً: إن فوز البرازيل عام 1994 لم يكن فوزاً حقيقياً، وإنما فاز الفريق؛ لأن روبرتو باجيو أخطأ الضربة الحرة في المباراة، إضافة إلى التساؤلات التي أثيرت حول موقف الحكم كوستا ريكان من المنتخب الهولندي في الدور الربع النهائي، لكن هذا الانتصار كان الستارة التي غطى بها مسؤولو الاتحاد التجاوزات الخطيرة كلها، والتصرفات غير المقبولة التي كانت تحدث على مرأى الجميع ومسمعهم، وحتى الآن لايزال مبدأ الغاية تبرر الوسيلة يحكم الكرة البرازيلية، وما دام المنتخب يحقق الانتصارات فلا يحق لأحد أن يتفوه بكلمة في حق المؤسسة الرياضية، والتجاوزات التي تحدث فيها.

سألت كفوري عن رأيه فيما يجري من تحقيقات اللجنة البرلمانية العليا، التي كنت أعتقد أنها تحقيقات هزلية لا غاية ترجى منها، بل هي جلسات استماع فحسب، غير منظمة وعشوائية تُروى فيها قصص لا تفيد التحقيقات ولا تصب في بناء العملية الديمقراطية، لكن كفوري كان يخالفني الرأي تماماً، فهو يعتقد أن هذه التحقيقات تدفع بالعملية الديمقراطية في البرازيل إلى الأمام، مهما كانت النتائج التي تسفر عنها، فهي استطاعت –على الأقل– أن تخضع رؤساء النوادي والمسؤولين

عن الحركة الرياضية للتحقيق والمساءلة وهو ما لم يحدث من قبل، إذ كان القانون مغيباً لهؤلاء الأشخاص تماماً.

خرجت من غرفة الأستوديو ليبدأ كفوري بث برنامجه اليومي، لكنني بقيت في الخارج لأستمع لهذا المتحدث البارع، الذي يحركه شغفه بالرياضة وحبه لكرة القدم بالإضافة إلى سعة اطلاعه وعلاقاته الواسعة المتشعبة، حيث تحدث في أثناء البرنامج مع بيليه شخصياً الذي كان وقت المقابلة في روما، يتهيأ لاستلام جائزة «لاعب القرن» من اتحاد الفيفا، فهنأه كفوري على هذه الجائزة المميزة، وفي نهاية الاتصال سأله بيليه متى سيسمح له وقته بكتابة سيرة حياته، فضحك كفوري قائلاً: «متى أراد بيليه ذلك» وانتهت المقابلة.

لقد ظل بيليه وكفوري صديقين مقربين حليفين، لا ينفصلان منذ المقابلة التي أجراها كفوري مع بيليه في مجلة بلاي بوي، التي صرح فيها بيليه بوجود فساد كبير في الاتحاد البرازيلي لكرة القدم، والتي أدت إلى غضب تيكسيرا على كليهما في النهاية، وتعمق الخلاف أكثر بين بيليه وتيكسيرا بعد أن أصبح بيليه وزيراً للرياضة عام 1995، وحاول فرض تشريعات جديدة لإصلاح أحوال الرياضة في البرازيل، وتحديث قوانينها لمصلحة اللاعبين، وفي تلك الفترة كان تيكسيرا عدوه الأول الذي وقف في وجه هذه التشريعات، بينما كان كفوري حليفه الأقوى وصوته المتحدث في وسائل الإعلام.

وفجرت وسائل الإعلام قنبلة جديدة عام 2001، إذ أعلن كلٌّ من بيليه وتيكسيرا أن خصامهما قد انتهى، وأنهما في حالة هدنة ستنتهي



بيليه وتيكسيرا أصدقاء من جديد.

كل خلاف بينهما إلى الأبد، ونظراً لغرابة الخبر في هذا الوقت تحديداً اتصلت بألدو لاستفسر منه عما حدث، وقد كان غاضباً جداً عندما تحدثت إليه، وأخذ يخبرني عن تفسيره لهذا الخبر أن كلا الرجلين يريد أن يحفظ ماء وجهه، لأن شريك بيليه في معظم أعماله خيليو فيانا، كان ممن تم استجوابهم في التحقيقات المتعلقة بالعقد الذي وقعه الاتحاد مع شركة نايك، وهكذا ربما رأى الرجلان أنه من الأفضل أن يوقفا حربهما حتى تهدأ الأمور. لكن هذا الخبر أثار غضب الرأي العام بشدة، وانقضت

الصحافة على بطل البرازيل المنزه عن الانتقاد الذي كان معبود الجماهير ومعقد آمالها، وظهرت عناوين تتهم بيليه بالخيانة، وأنه قد باع روحه للشيطان وخذل الجميع.

كان لا بد لي أن أستطلع ردة فعل كفوري حول هذا الخبر غير المتوقع، وعندما سألته أجابني بحزن: «إنها خيبة أمل للجميع ومفاجأة لم يتوقعها أحد، إذ كان بيليه يلعب دوراً أساسياً في حملة التطهير ضد الفساد في حقل الرياضة، لكنه ينتقل الآن إلى الخندق الآخر من دون سبب مقنع، إنها خسارة كبيرة لجميع من يدعون للإصلاح والديمقراطية، أما بالنسبة إليّ شخصياً فقد تراجعت عن وعدي لبيليه بكتابة سيرة حياته، إذ كيف لي أن أكتب هذا الفصل المشين تحديداً!».

انتهت تحقيقات ألدو واللجنة البرلمانية حول العقد الموقع بين الاتحاد البرازيلي لكرة القدم وشركة نايك في شهر مايو عام 2001، بعد أن استمع المحققون إلى 125 شاهداً في 59 جلسة استماع، لم يتوصلوا خلالها إلى إيجاد أي دليل يدين شركة نايك، لكن اتهامات كثيرة وُجهت نحو رؤساء النوادي، فقد تضمن التقرير النهائي للجنة، المكون من 686 صفحة أسماء ثلاثة وثلاثين شخصاً اتُّهموا بإرتكاب جرائم مختلفة، كان نصيب تيكسيرا منها ثلاث عشرة جريمة، منها: التهرب من الضرائب، وإخفاء معلومات مهمة، وتضليل العدالة، والتزوير في السجل الضريبي، واستعمال أموال الاتحاد لأغراض خاصة. أما شريك بيليه خيليو فيانا فقد وجُهت إليه خمس تهم مختلفة.

لقد كانت شبهة إجبار شركة نايك اللاعب رونالدو على اللعب

في المباراة النهائية لكأس العالم، وما تمخض عنها من خسارة المنتخب الوطني لتلك المباراة، هي المحرك الأول لتحقيقات اللجنة، لكن مع مرور الوقت، وفي أثناء سير التحقيق بدأ هدف التحقيقات، يتحول إلى محاولة الكشف عن مصير الأموال التي قبضها الاتحاد بعد توقيعه لأضخم عقد تجاري في تاريخ كرة القدم البرازيلية، إذ اتضح أن الاتحاد، ورغم كل الأموال التي انهالت عليه، يعدُّ شبه مفلس على الرغم من أن إيرادات الاتحاد تضاعفت أربع مرات ما بين عامي 1997 و2000، غير أنها لا تكفي لسداد ديون الاتحاد، بل انخفضت النفقات المخصصة لكرة القدم من 55٪ إلى 37٪، أما تيكسيرا والمدراء الآخرون في الاتحاد فقد تلقوا زيادات على رواتبهم بمعدل 300٪.

وكشف تقرير اللجنة النقاب عن كيفية استغلال تيكسيرا للاتحاد أيضاً، فقد كان يبيع الاتحاد الحليب من مزرعته الخاصة، ويستضيف احتفالاته في مطعمه والنادي الليلي الذي يملكه، وأظهر التقرير أيضاً عدداً من الرشاوى قُدمت لأصحاب النفوذ والسلطة في البلاد، فقد قدم الاتحاد عام 1998 مثلاً رحلات مدفوعة كاملة لحضور مباريات كأس العالم لخمسة من القضاة المهمين، ومما لفت نظر المحققين في اللجنة ارتفاع الميزانية المخصصة للسفر في الاتحاد، إذ أنفق الاتحاد مبلغ 16 مليون دولار على السفر، والرحلات عام 2000، وهي ميزانية ضخمة جداً بالنسبة إلى أي اتحاد كرة في العالم، فأين ذهبت كل هذه الأموال؟ كما تظهر في التقرير بعض التفاصيل اللافتة للنظر، مثل: قيام الاتحاد بدفع 100,000 جنيه لجريدة برازيلية لقاء نشر إعلان ما، لكن

هذا الإعلان لم ينشر مطلقاً، باستثناء مقابلة حصرية نُشرت مع ريكاردو تيكسيرا في الجريدة ذاتها في الفترة نفسها.

قابلت ألدو بعد نشر التقرير بعدة أسابيع؛ لأرصد انطباعه عن نتائج التقرير، إن كانت مُرضية بالنسبة له على الرغم من أنها لم تخرج بجديد حول موقف شركة نايك، وإن كانت تسيطر فعلاً على المنتخب الوطني تحت ستار العقد الموقع بينهما، فيفاجئني ألدو بقوله: إنه راضٍ حقاً عن مجريات التحقيق، والنتائج التي قدمها في تقريره النهائي، فهي تشير بوضوح إلى تدخل السوق، ومعايير التجارة في كرة القدم وهذا يكفي في الوقت الحاضر، ثم أضاف ألدو إنه لا يعتبر تيكسيرا الشرير الوحيد في هذه القضية، فهو ذاته ضحية لطغيان العولمة على كل شيء، ويعتبر ألدو أن الفساد المستشري في اتحاد كرة القدم ما هو إلا أحد أعراض مرض العولمة الذي يكتسح كل شيء في طريقه، ويعتقد أنه كان بإمكان تيكسيرا أن يستغل منصبه رئيساً للاتحاد؛ لتحسين أوضاع الكرة البرازيلية، وإفادة الرياضيين البرازيليين، لكنه لم يفعل، بل استغل كل ما تطاله يداه لمنفعته الخاصة.

أما عقد الاتحاد مع شركة نايك، فلم يكن إلا القشة التي قصمت ظهر البعير، ويعبر ألدو في النهاية عن سعادته بانتهاء التحقيقات؛ لأن متابعتها كانت مرهقة جداً بالنسبة إليه، ولكنه لا يظن أن شيئاً فعلياً سيتغير في مؤسسة كرة القدم، ولكن على الأقل يمكن للدولة الآن أن ترى ما يحدث داخلَ هذه المؤسسة، مما يؤدي إلى إمكانية فرض بعض التشريعات، أو القوانين التي تعزز مزيداً من الشفافية داخلها، فهي

تتحكم في مستوى الفريق الوطني البرازيلي، ويضيف ألدو إن المشكلة الحقيقية ليست في وجود الفساد، فقد يكون هناك فساد أكبر في إيطاليا مثلاً، ولكن المشكلة تكمن في سوء الإدارة، واختفاء التنظيم المناسب لإدارة الأموال التي يجنيها الاتحاد من كرة القدم، فهناك الأندية الكبرى، واللاعبون الممتازون، والأسلوب الحرفي المميز، والموارد المتوافرة أيضاً، فلماذا يفقد البرازيل لاعبيه يوماً بعد يوم لصالح الفرق الأوروبية، «إنه أمر غير معقول» يقول ألدو بمرارة ظاهرة رغم محاولاته إخفاء ذلك.

ظل المنتخب البرازيلي يتعثر بعد هزيمته أمام الهندوراس في كأس أمريكا الجنوبية، وخسر 1–2 أمام الأرجنتين في بيونس آيرس في التأهل لكأس العالم، كما خسر أمام بوليفيا بنتيجة 1–3، ولم يستطع حجز مقعده في تصفيات كأس العالم، إلا بعد أن هزم فريق فنزويلا بنتيجة 0–3 محافظاً بذلك على كونه الفريق الوحيد الذي اشترك في بطولات كأس العالم كلها منذ تأسيس البطولة وحتى الآن.

وهناك عدة محاولات في البرازيل الآن، للبحث عن الأسباب التي تقف وراء تعثر الفريق الوطني البرازيلي، وتخلفه في المسابقات الدولية رغم وجود عدد كبير من اللاعبين النجوم في صفوفه، فثمة من يعتقد أن الفريق لا يستطيع تنفيذ التكتيكات التي يرسمها المدرب في خططه؛ نظراً لتدني المستوى التعليمي للاعبين، وآخرون يقولون إن الفريق الوطني يُنهك طوال العام؛ نظراً لعدد المباريات التي يخوضها، وفي إحصائية لاتحاد الفيفا تربع الفريق البرازيلي في مركز الصدارة في عدد المباريات التي خاضها، منذ بطولة كأس العالم عام 1994 و2000، فقد

أجرى المنتخب 138 مباراة، مقارنة بالفريق الأرجنتيني الذي خاض 99 مباراة، والفريق الفرنسي الذي خاض 96 مباراة، والفريق الإنجليزي الذي خاض 81 مباراة.

أما الرأي الأكثر شيوعاً، فهو أن الفريق تنقصه الإدارة الحديثة والمدربين المحترفين الذين يستطيعون رسم الخطط الناجحة للفريق؛ ليستطيع تنفيذها على أرض الملعب من دون تخبط، وبعيداً عن العشوائية والأخطاء الفردية، لقد تقدمت رياضة كرة القدم في مجال التخطيط وطرق التدريب الناجحة، إضافة إلى وسائل الإعداد النفسي للاعبين، لكن المنتخب البرازيلي مايزال يرزح تحت رحمة عشوائية رؤساء النوادي وطرق المدربين التقليدية، وللنهوض بمستوى ذلك الفريق العريق ثانية لا بد من تغييرات جذرية سياسية تطيح بالطاقم القديم من رؤساء النوادي؛ ليحل محله جيل جديد من أصحاب الخبرة المحترفين في كرة القدم، ولكن كيف يمكن أن يحدث ذلك؟ هل يستطيع التحقيق البرلماني أن يغير شيئاً؟

لقد ساهم في التحقيق البرلماني الذي رأسه ألدو ربيلو خمسة وعشرون نائباً فدرالياً، ومنهم بعض النواب الذين لهم علاقة مباشرة بكرة القدم مثل: إريكو ميراندا رئيس نادي فاسكو الذي لم يرَ أي تناقض بين كونه محققاً في اللجنة البرلمانية، ورئيساً لأحد نوادي كرة القدم وقد يخضع للتحقيق كذلك! لكن ميراندا لم يكن العضو الوحيد الذي له علاقة بكرة القدم، إذ كان هناك جوزيه ميندونسا رئيس نادي سانتا كروز، ولويشيانو بيغار رئيس نادي سبورت، وماكس روزمان

رئيس نادي بارانا كلوب، ونيلو رودولفو رئيس نادي بالميراس، ودارسيسيو بيروندي شقيق رئيس فيدرالية كرة القدم في ريو غراندي دوسول، وألميو بيرز الرئيس السابق لنادي فيتوريا، وقد شكَّل هؤلاء جميعاً ما يُعرف بزمرة كرة القدم في البرلمان، وتعاونوا كلهم على إعاقة تحقيق ألدو ريبيلو، فنجحوا في ذلك.

اجتمع النواب المشاركون في التحقيق في اليوم الأخير للتصويت، والمصادقة على التقرير النهائي الذي يتضمن نتائج التحقيق، وهو إجراء شكلي متبع في مثل هذه الأحوال، لكن ألدو لاحظ أن زمرة كرة القدم استطاعت استمالة بعض النواب المحايدين؛ للتصويت على عدم المصادقة على نتائج التقرير، لذلك أمر بإنهاء الجلسة قبل التصويت النهائي، فمن الأفضل ألا يكون هناك تصويت بدلاً من التصويت برفض التقرير، لكن ذلك لم يعجب جماعة كرة القدم، واتهموا ألدو بالتسلط واتباع طرق القمع اليسارية، وقام إريكو بتقديم تقرير بديل لا يدين الاتحاد البرازيلي لكرة القدم.

كان تيكسيرا في هذه الأثناء يقيم في برازيليا، في منزل تابع للاتحاد خلال الأيام الأخيرة للتحقيقات البرلمانية، ورغم ذلك كان يحاول التأثير من موقعه على أعضاء برلمانيين في لجنة التحقيق؛ ليصوتوا ضد تقرير اللجنة النهائي، وقد عقد مؤتمراً صحفياً في برازيليا إلى جانب مدرب المنتخب البرازيلي لويز فيليبي سكولاري؛ لتحويل الأنظار عن التهم الموجهة إليه.

لا تملك اللجنة البرلمانية صلاحية مقاضاة أحد ممن وردت أسماؤهم

في التحقيق، وكل ما يمكنها فعله هو تقديم توصيات بالتحقيقات التي جرت، وتسليمها إلى مكتب المدعي العام، وهذا ما فعله ألدو، إذ قام بتسليم نتائج التحقيقات إلى مكتب المدعي العام الذي وعد بمتابعة الاتهامات الموجهة لريكاردو تيكسيرا، غير أن إخفاق ألدو في الحصول على تصويت نهائي من أعضاء لجنة التحقيق بالموافقة والتصديق على نتائج التحقيق، كان يعيق مكتب المدعي العام من ملاحقة المتهمين في التقرير قضائياً، وهكذا أفلت تيكسيرا من الملاحقة القانونية، لتذهب جهود المحققين وجهد ألدو شخصياً مدة ثمانية أشهر أدراج الرياح.

وعلى الرغم من ذلك فإن الأمور لم تسر على ما يرام في الاتحاد البرازيلي لكرة القدم بعد انتهاء التحقيقات، وشيئاً فشيئاً بدأت مؤسسات الدولة تنقلب ضده، إذ عرضت قناة غلوبو التلفزيونية -وهي الداعم الأكبر لكرة القدم في البرازيل- تقريراً يشير إلى تورط تيكسيرا في قضايا غسيل الأموال، إضافة إلى التزوير في أوراق رسمية، أما كارلوس ميليس وزير الرياضة فقد دعا تيكسيرا علناً للاستقالة، وقد حاولت جاهداً بعد هذه التطورات الحصول على مقابلة مع ريكاردو تيكسيرا لعدة أشهر، لكنني لم أفلح إلا في مقابلة مستشاره الإعلامي فقط، وهو الصحفي السابق ماريو روسا، الذي أخبرني أن مشكلة تيكسيرا الحقيقية تكمن في أنه ضعيف التواصل مع الآخرين، ولم يستطع ذلك الصحفي أن يجمعني بتيكسيرا مطلقاً.

رفض تيكسيرا أن ينصاع إلى أوامر مجلس الشيوخ الذي طلب مقابلته؛ لسؤاله عن الاتهامات التي أثيرت حوله، وعلل رفضه بتدهور حالته

الصحية، وقدم تقارير طبية تشير إلى وجود مشاكل في القلب تمنعه من المثول أمام المجلس، وتنحى مؤقتاً عن رئاسة الاتحاد ليتسلم مهامه نائبه الفريدو نونيس، وهو عمدة إحدى المدن الصغيرة في ولاية بياو، لكن ألفريدو لم يكن يختلف عن رئيسه كثيراً؛ لأن تاريخه حافل بتهم تزوير نتائج الانتخابات في ولايته، وتقديم الرشاوى، وشراء أصوات الناخبين.

يبدو لي أن المناخ السياسي العام بدأ يتغير، فتشكل اتجاه مضاد لرؤساء النوادي الكبار، وقد ظهر ذلك بوضوح في أثناء تحقيق مجلس الشيوخ مع إدمندو سانتوس سلفيا رئيس نادي فلامنغو، فقد وجهت له تهمة التحايل على القانون، وانفجر إدمندو باكياً في نهاية الجلسة، وهو يقول: «لقد أهينت كرامتي وعوملت معاملة المجرمين، كيف لي أن أنظر في وجه أبنائي بعد ذلك».

لقد كان إدمندو في تلك اللحظة يبكي الأيام الخوالي، ولم يخطر ببال أحد أن يقف مسؤول كبير مثله في هذا الموقف، وهو الذي كان يتصرف دائماً كأنه فوق القانون ولا يحق لأحد محاسبته، وليس إدمندو هو الشخص الوحيد الذي يعاني المشاكل، إذ كان أريكو ميراندا في مأزق مماثل، وأخذت الاتهامات تتراكم ضده بعد أن ادعت قناة غلوبو التلفزيونية أن إريكو يمتلك عقاراً سرياً في فلوريدا يساوي 300,000 جنيه، وفي هذا طبعاً مخالفة صريحة للنظام المالي في البرازيل، أما حادثة سقوط الجماهير إثر تحطم سياج المدرجات في ملعب ساوجنيريو، فقد عادت لتطل برأسها من جديد، فكشف تقرير الشرطة بعد الحادث أن سعة المدرجات القصوى في ذلك الملعب هي 27,306 متفرجين، بينما

كانت المدرجات تغص بأكثر من 32,537 متفرجاً يوم الحادث، وتلك مسؤولية النادي ورئيسه طبعاً، الذي سمح ببيع هذا العدد الهائل من التذاكر بما يزيد عن سعة المدرجات، وكالعادة لم يتعاون إريكو مع جهات التقرير في إبراز الوثائق اللازمة والمعلومات الضرورية، فاضطرت قوات الشرطة لمهاجمة ملعب ساوجنيريو الأثري للحصول على الوثائق اللازمة من مكاتب الإدارة فيه، كأنه معقل إحدى العصابات الدولية، وفي هذه الأثناء كان النادي يعاني من مشاكل أخرى في دفع رواتب لاعبيه وموظفيه، فاللاعب روماريو وحده كان يطالب النادي بمبلغ 4 ملايين جنيه، ومن قبيل الفضول اتصلت بمكتب المدعي العام؛ لأسأل عن عدد التهم الموجهة لإريكو ميراندا، فوصلني خلال ساعة واحدة فاكس مكون من سبع وثلاثين صفحة مليئة بالاتهامات، وكلها موقعة من قبل محامي الإدعاء العام شخصياً، ولكن هذه التهم كانت مجمدة طبعاً؛ لأن إريكو نائب فيدرالي يتمتع بحصانة برلمانية تمنع المدعي العام من محاكمته بهذه التهم.

توالت تهم الاختلاس والتحايل على مجلس الأعيان، إضافة إلى فضائح الفساد اللانهائية، ولتحسين صورة المجلس أعلن مجلس النواب، أن الفيدراليين سيطرحون مشروع سحب الحصانة البرلمانية في خطوة تاريخية جريئة غير مسبوقة، إذ كان النواب في تلك الفترة يؤمنون أن موضوع الحصانة البرلمانية هو أحد الأسباب الرئيسة التي أدت إلى زعزعة ثقة البرازيليين بالنظام الديمقراطي، وقد تم التصويت حقاً لصالح القرار بأغلبية ساحقة في البرلمان، فصوت أكثر من 400

عضو لإلغاء الحصانة البرلمانية، ولم يعترض على المشروع سوى تسعة أعضاء كان بينهم إريكو ميراندا طبعاً.

وصلت سلسلة الأحداث التي بدأت عام 1998، بالوعكة الصحية التي ألّمت برونالدو إلى نهايتها عام 2001، إذ صدر أخيراً تقرير مجلس الأعيان المكون من 1,129 صفحة حملت اتهامات كثيرة للاتحاد البرازيلي لكرة القدم أنه وكر للجريمة، وفقاً لتعبير السيناتور ألفارو دياز، وكان التقرير حافلاً باتهامات مثل: الفوضى، والعجز، وسوء الإدارة، وغياب التنظيم، والغش، والتحايل، وأضيفت للتقرير اكتشافات ألدو كلها، وملاحظاته في التقرير البرلماني أيضاً. وأوصى التقرير البدء بتحقيقات جنائية خاصة بحق سبعة عشر شخصاً بمن فيهم ريكاردو تيكسيرا، ورئيس نادي فلامنغو إدمندو سانتوس سيلفا، ورئيس اتحاد ساو باولو إدواردو فرح، إضافة إلى واندرلي لوكسمبورغو، ووكيل أعمال رونالدو رينالدو بيتا، أما أقوى التهم فقد كانت موجهة نحو إريكو، الذي اتهمه التقرير بجرائم تتعلق بالانتخابات، والسرقة، والتهرب الضريبي، وغسل الأموال، واستخدام أموال نادي فاسكو ومقتنياته لمصلحته الشخصية.

لم يبقَ إلا أن يتم التصويت بالموافقة على التقرير ومحتواه في مجلس الأعيان؛ ليحول رسمياً إلى مكتب المدعي العام، وقد عاش رؤساء النوادي أسوأ أيامهم في تلك الفترة، إذ تحول الرأي العام ضدهم تماماً، ولم يعد أحد يستمع إلى أكاذيبهم، وتبريراتهم حتى بعد أن نشروا إعلانات مدفوعة الأجر في الصحف المحلية؛ لتكذيب ما جاء في

التقرير، فحاولوا التوجه إلى نواب مجلس الأعيان ذاتهم، وكانت هناك محاولات لرشوتهم، وإقناع بعضهم بتمويل حملاتهم الانتخابية كاملة، في مقابل عدم التصويت بالموافقة على تقرير مجلس الأعيان، ومن جهة أخرى حاول إريكو الضغط على أحد أعضاء المجلس، وهو برناردو كابرال الذي كان صديقاً مقرباً من إريكو للتصويت ضد التقرير، لكن برناردو فضل تقديم استقالته من المجلس حتى لا يقع في هذا الفخ، وهكذا لم تفلح كل جهود رؤساء النوادي في ثني الأعيان عن قرارهم، فقد كان التغيير مطلباً شعبياً، وسياسياً لم يستطع أحد أن يقف في وجهه.

تم التصويت لصالح التقرير بأغلبية ساحقة في مجلس الأعيان، وكانت تلك الخطوة أعظم هزيمة مني بها القائمون على الاتحاد البرازيلي لكرة القدم منذ عقود، غير أن هذه الهزيمة كانت انتصاراً ساحقاً لمحبي التغيير، والمنادين بالديمقراطية، والشفافية في البرازيل أمثال الصحفي كفوري الذي اعتبر هذا التقرير علامة على ولادة البرازيل الجديدة، وانتصاراً للديمقراطية الحقة التي ينادي بها الجميع، وبذلك انتهى فصل بشع من فصول كرة القدم البرازيلية، على أمل أن يكون القادم أفضل وهو ما حرص المجلس على تأكيده، فضمّن التقرير توصيات بفرض قانون جديد للمسؤولية الاجتماعية في كرة القدم؛ حتى لا يتكرر ما حدث في السابق، ولضمان ألا يحل نظام فاسد جديد في رئاسة الاتحاد البرازيلي لكرة القدم.

نتج عن تقرير المجلس تغييرات عدة في الحياة البرازيلية، فأعيد انتخاب ألدو ريبيلو في مجلس النواب إضافة إلى بعض الأعضاء الذين

شاركوا في تحقيقات المجلس، بينما لم يُنتخب أيٌّ من الأعضاء السابقين الذين كانت لهم علاقات مع الاتحاد البرازيلي لكرة القدم، أو النوادي الكبرى. أما انتخابات الرئاسة البرازيلية فقد فاز فيها لويز إناسيو لولا دي سيلفا من الجناح اليساري في حزب العمل، وهي المرة الأولى في تاريخ البرازيل التي يفوز فيها مرشح لا ينتمي إلى المؤسسة العسكرية، أو النخب الاجتماعية. أما بيليه فقد تراجعت أعماله التجارية، وانفصل عن شريكه خيليو فيينا، ومازالت بينهما عدة قضايا معروضة على المحاكم حتى الآن، أما الاتحاد البرازيلي لكرة القدم فقد نقل مقره الرئيسي إلى بارا بعيداً عن عيون الجماهير.

الفصل الخامس عشر

محاورات سقراط

عاشت الكرة البرازيلية أفضل أيامها، وأكثرها مثالية عندما كان يقود منتخبها الوطني لاعب عظيم ومثقف لامع اسمه سقراط. إنه سقراط برازيليرو سامبيو دي سوزا فبيرا دي أوليغيرا، وقد قاد المنتخب البرازيلي في كأس العالم لكرة القدم عام 1982 بمشيته الأرستقراطية المميزة، ولحيته السوداء وشعره المشعث، ونظراته المتأملة دائماً، مما منحه مظهر الفيلسوف المفكر أكثر من البطل الرياضي، بالإضافة إلى هدوئه اللافت في أثناء اللعب، وتمريراته الذكية المدروسة التي كانت غالباً ما تؤدي إلى تسديد الأهداف، ولاسيما طريقته المميزة في ركل الكرة بكعب القدم التي عُرف بها في ذلك الوقت.

لقد كان الفريق الذي خاض مباريات كأس العالم عام 1982 فريقاً لا يُنسى، إذ ضم في خط الوسط سقراط وزيكو وفالساو، مشكلاً ثلاثياً قوياً من أقوى ما شهد المنتخب البرازيلي في تاريخه، ورغم أن هذا المنتخب خسر مباراته الأخيرة في كأس العالم ذلك العام أمام إيطاليا، أو تحديداً أمام باولو روسي اللاعب الإيطالي الذي سجل الأهداف الإيطالية كلها، فإنه بقي محفوراً في ذاكرة الجميع كرمز للعب الحرفي الجميل والأخلاق الرياضية العالية، وهذا ينطبق عليّ شخصياً، فطالما حلمت بلقاء سقراط الذي أتذكره دائماً لاعباً ينبض بالحياة في كأس العالم 1986، وعندما أتيت إلى البرازيل تجدد حلمي بلقاء هذا الرجل



سقراط

بعد أن سمعت كثيراً عن نشاطاته خارج الملاعب، إذ بدأ يلعب كرة القدم وهو طالب في كلية الطب، وعندما اعتزلها عاد إلى كلية الطب وأكمل دراسته ليصبح طبيباً، وافتتح عيادة خاصة بالطب الرياضي في مسقط رأسه ربيراو بريتو، ومنذ ذلك اليوم أصبح لقبه في البرازيل «الدكتور». ومما يميز سقراط أيضاً، أنه كان ناشطاً سياسياً، وقد استطاع تسخير كرة القدم في مجال السياسة بطريقة لم يعرفها أحد قبله، فعادة ما يكون لاعبو كرة القدم في البرازيل من أبناء الطبقات الفقيرة الذين يفتقرون إلى التعليم والثقافة، أما الدكتور سقراط فقد كان أحد أبناء الطبقة المتوسطة اللامعين، وقد استطاع بأفكاره اليسارية المثالية أن يؤثر في عدد كبير من زملائه الرياضيين، ويؤدي دوراً مهماً في المسيرة السياسية لبلاده.

ولن أجد أفضل من سقراط للحديث معه عن أحوال الكرة البرازيلية، فقد تخصص في الطب الرياضي، كما أنه كان لاعباً ومدرباً محترفاً، ودرس الإدارة الرياضية، وكتب مقالات حول الرياضة في الصحف، إضافة إلى أن سقراط معروف باستقلاليته، فهو يقول ما يشاء وقتما أراد، وليس لديه وكيل أعمال مثل معظم الرياضيين، وإنما يردّ على

هاتفه النقال بنفسه، ويحدد المواعيد لمن يريد، وهكذا اتصلت بسقراط وحددنا موعداً للقاء في أحد مقاهي ساو باولو، حيث وجدته يجلس في انتظاري بهيئته المتأملة المعهودة، ولحيته التي بدأ يغزوها الشيب، أما شَعره فقد كان قصيراً مرتباً لا يشبه في شيء شعره القديم الذي كان يتميز به. وبعد التحية والسلام والترحيب الحار الذي خصني به سقراط كعادة البرازيليين جميعاً، سألته مباشرة، ما هو تشخيصك لحالة الكرة البرازيلية يا دكتور؟

فأجاب سقراط: «كان معظم البرازيليين يعيشون في الريف بداية القرن العشرين، لكن ثورة الصناعة شجعت الملايين من الفقراء على الهجرة إلى المدن؛ بحثاً عن لقمة العيش، فاكتظت بهم المدن الرئيسية مثل ساو باولو التي يبلغ عدد سكانها 18 مليون نسمة حالياً، وقد بدأ أول إحصاء لعدد سكان المدن والقرى في الستينيات، وهي الفترة الذهبية لكرة القدم البرازيلية.

لقد تغيرت كرة القدم لأن البرازيل ذاتها تغيرت، فقد أصبحنا دولة مدنية، تخضع فيها اللعبة للأصول والمعايير والمقاييس، فضاعت العفوية وخف الحماس الذي صنع اللعبة الجميلة في البداية، ولم يعد الأطفال يمارسون هوايتهم المفضلة على الشواطئ العامة أو الساحات الفارغة؛ لأنه لم تعد توجد شواطئ عامة أو حتى ساحات عامة، بل عليهم أن ينضموا إلى النوادي الرياضية، وفرق الشباب حتى يتمكنوا من لعب الكرة، لكن هذه النوادي والفرق يديرها أشخاص غير خبراء في كرة القدم، ولا يعرفون كيف يطورون قدرات هؤلاء الشباب للوصول بهم

إلى مستويات أفضل، بل قد يقفون حجر عثرة أمام إبداعاتهم الطبيعية؛ بسبب البيروقراطية التي تسيطر على مسيرة كرة القدم».

يعتقد سقراط أن الحلّ يكمن في التعليم والمعلمين الأَكْفَاء، فالأطفال البرازيليون يحتاجون إلى معلمين يسمحون لهم بالاستمتاع بلعب كرة القدم والإبداع فيها، وليس إلى مدربين يوجهونهم نحو التقنيات في سن مبكرة، ويقول أيضاً: إن الاتحاد البرازيلي لكرة القدم لا يمتلك خطة واضحة وبعيدة المدى لتوجيه جيل الناشئة، ولا يوجد هناك مدربون مؤهلون للأخذ بيد الشباب، فالتعليم والتدريب يحتاجان إلى أساليب تعليمية خاصة لا يتقنها المدربون الموجودون حالياً.

يتناول سقراط شرابه ويستمر في الحديث قائلاً: «هناك مشكلة أخرى تواجه الكرة البرازيلية، إذ أصبح معظم اللاعبين من البيض، بينما أعتقد أنّ اللاعبين السود مؤهلون أكثر من غيرهم للعب»، فعلّقت فوراً: «لكنك أبيض»! فضحك سقراط قائلاً: «نعم ولكن هناك جانب أسود في داخلي»، ثم يكمل حديثه قائلاً: «حتى منتصف السبعينيات لم يكن أبناء الطبقة الوسطى يرغبون في الانضمام إلى نوادي كرة القدم، إذ كانت الرواتب ضئيلة ولم يكن اللاعبون المحترفون يتمتعون باحترام المجتمع، ولكن بعد أن بدأت الأموال تتزايد في النوادي، وارتفعت رواتب اللاعبين بدأ أصحاب النوادي من أبناء الطبقة المتوسطة باستقطاب أصدقائهم وأبنائهم للعب فيها، وشيئاً فشيئاً بدأ الحاجز يرتفع أمام أبناء الطبقات الفقيرة وبدأت الكرة البرازيلية تفقد جاذبيتها؛ لأن الموهبة الفردية ليست هي المقياس الوحيد لاختيار اللاعبين في

البرازيل، ولكن العلاقات والمحسوبيات تلعب دوراً مهماً أيضاً».

يتيح لي حديث سقراط الفرصة، للتطرق إلى ما يحدث الآن للمنتخب الوطني البرازيلي من خسائر متتالية وتدهور في المستوى الفني، على الرغم من أن البرازيل تملك أكبر عدد من اللاعبين الموهوبين في العالم. ويعطيني سقراط إجابة حازمة واضحة، قائلاً: «إن الهدف الأساسي لانضمام اللاعبين البرازيليين للمنتخب الوطني، هو طموحهم للانضمام إلى الفرق الأوروبية، حيث يرون في المنتخب نافذة عرض مفتوحة، يتمكنون خلالها من إظهار مهاراتهم أمام تلك الفرق ومدربيها حتى يتم استقطابهم إليها، لذلك فإن القاعدة الأساسية للفريق تتغير باستمرار، وإليك بعض الأرقام التي تدل على ذلك. لقد قام لوكسمبروغو مدرب المنتخب الوطني باستدعاء واحد وتسعين لاعباً، للانضمام إلى المنتخب الوطني خلال سنتين فقط، أما إمرسون ليوا فقد ضمّ للفريق ستين لاعباً خلال ستة أشهر، وقام سكولاري بضم اثنين وأربعين لاعباً خلال ثلاثة أشهر من استلامه تدريب المنتخب الوطني، رغم أنه صرّح أن الفريق الوطني بحاجة إلى قاعدة مستقرة ثابتة من اللاعبين في بداية عهده مع الفريق».

لقد أشرك الفريق الوطني اثنين وستين لاعباً في صفوف المنتخب خلال التصفيات الأخيرة لكأس العالم، على الرغم من أن الأرجنتين التي فازت باللقب أشركت نصف ذلك العدد تقريباً، وفي كل مباراة كان يظهر عدد كبير من الوجوه المختلفة، فتظهر أساليب مختلفة في اللعب، وطبعاً، يؤثر هذا التغيير المستمر على أداء الفريق، وتماسكه كوحدة

واحدة، وهكذا فإن نقطة ضعف الفريق البرازيلي تأتي بالدرجة الأولى من داخله لا من أي مكان آخر. وهناك عامل آخر يسهم في خلخلة صفوف المنتخب البرازيلي، ألا وهم اللاعبون المحترفون الذين يعودون إلى اللعب مع المنتخب بعد إنهاء عقودهم مع الفرق الأوروبية، وقد يبدو ذلك غريباً؛ لأن من المفترض أن يشكل هؤلاء اللاعبون نقاط قوة لتعزيز المنتخب بما يمتلكون من خبرة وحرفية، أهلتهم للعب في فرق قوية خارج البرازيل، ولكن ما يحدث هو العكس مع الأسف، فيُعامل هؤلاء اللاعبون كأنهم غرباء عندما يعودون إلى منتخب بلادهم، ويتهمهم زملاؤهم في الفريق بالجشع والتكبر، ولذلك يفقدون روح الانتماء والتعاون التي يجب أن يتحلى بها أعضاء الفريق الواحد، ولا يتمكنون من تقديم أفضل ما لديهم في المباريات. إضافة إلى ذلك، فإنّ هؤلاء اللاعبين يعرفون أن اختيار اللاعبين في الفريق الوطني البرازيلي لا يتم بناءً على أسس موضوعية بحتة، بل تتدخل العلاقات الشخصية والمحسوبيات إلى حد بعيد، لذلك فهم يشعرون بالإحباط وهم يلعبون مع آخرين لا يتمتعون بمستوى جيد، ويفتقرون للموهبة الكروية الحقيقية، فلماذا يود لاعب مثل ريفالدو أو كارلوس ألبرتو أن يلعب بحماس في فريق يضم من هم أدنى منه مستوى بعشرات المرات؟

يضيف سقراط: إن هذه الظاهرة ليست جديدة، فهي موجودة منذ عشر سنوات أو أكثر، ولكن السؤال الأبرز هنا هو كيف استطاعت البرازيل أن تصل إلى نهائيات كأس العالم مرتين خلال تلك الفترة؟ لكنه يعلل ذلك قائلاً: كان هناك أناس جيدون دائماً، يبذلون جهوداً مضاعفةً

لرص صفوف الفريق حتى يستطيع اجتياز التصفيات والوصول به للنهائيات، لكننا الآن في فترة حرجة قبل دورة كأس العالم المقبلة، ومازالت العقلية الرياضية كما هي تتمحور حول إظهار عدد من اللاعبين الجيدين؛ لبيعهم لفرق أجنبية مما يوفر مناخاً سلبياً لكرة القدم البرازيلية، ويهبط بمستواها يوماً بعد يوم؛ بسبب انعدام الاستراتيجيات بعيدة المدى والتخطيط المسبق لمستقبل هذه اللعبة الحيوية.

أعود لسؤال سقراط عن سبب تميزه، وتفوقه في كرة القدم رغم جميع المعوقات التي تحدث عنها، فيشرح لي الأمر قائلاً: إنه يتعلق بناحيتين أساسيتين، أولاهما: شخصية خاصة به، فهو كان شخصاً فضولياً دائماً تجاه التجارب الجديدة والتحديات المختلفة، فكان يجمع بين كرة القدم ودراسة الطب، ولا يخفى على أحد ما يتطلبه المجالان من قدرات ذهنية وبدنية، لذلك عليه أن يكون يقظاً مبدعاً دائماً. أما ثانيتهما: فقد كانت موضوعية تتعلق بالفترة الزمنية التي كان سقراط يلعب فيها، التي كانت فترة ذهبية لكرة القدم البرازيلية، تعج بنجوم كبار، مثل: أدمير داغويا، وريفيلينو، وبيليه وجميعهم كانوا يشكلون مرجعية مختلفة يسعى اللاعبون جميعاً للتمثل بهم والتعلم منهم، وفي النهاية كانت هذه المنافسة تؤدي إلى رفع مستوى اللاعبين كلهم، مما يؤدي إلى رفع مستوى الفريق أيضاً.

أشعر في مقابلتي بسقراط بنشوة خاصة، فهو نوع خاص مميز من لاعبي كرة القدم، يتمتع بالثقافة والتعليم؛ لذلك فهو مؤهل أكثر من غيره من أبناء مهنته للحديث عن أوضاع الكرة البرازيلية وما يشوبها من

مشاكل وعوارض تهدد استمراريتها بوصفها عنواناً للفن الجميل كما كانت سابقاً. وعلى الرغم من أن سقراط يمثل نوعاً خاصاً من اللاعبين، إلا أنه برازيلي حتى النخاع، يظهر ذلك في استرخائه بالحديث، وطريقته المرحة في تناول أصعب المواضيع، إضافة إلى لكنته البرتغالية الموسيقية، وكلها سمات وطنية برازيلية حقيقية تميز ذلك الفيلسوف الرائع، الذي لم يبخل عليّ بالشرح والتفصيل حول أحوال كرة القدم البرازيلية.

ويعتقد سقراط أنّ هناك سبباً آخر لتراجع مستوى كرة القدم البرازيلية، فهو يقول إن لاعب كرة القدم كان يجري مسافة أربعة كيلو مترات تقريباً في كل مباراة في السبعينيات، أما الآن فلم يعد ذلك ممكناً، وأصبحت المسافات بين اللاعبين أقل مما يؤدي إلى احتكاك جسدي أكبر بين اللاعبين؛ لتصبح اللعبة أكثر خشونة من ذي قبل وتفقد جماليتها، إذ لا يستطيع اللاعبون ابتكار حركات فردية لإبراز مهاراتهم، ولذلك فإنّ اللعبة بحاجة إلى بعض التغيير مع الأخذ بالحسبان هذا التطور البدني في اللعبة، ولا يقتصر هذا التغيير على كرة القدم، فمعظم الألعاب طورت قوانينها بناءً على التطور البدني للاعبين، غير أن القائمين على كرة القدم لم يفكروا بذلك من قبل، ولاستعادة الجمالية والإبداع في كرة القدم علينا تقليل عدد اللاعبين في كل فريق إلى تسعة لاعبين مثلاً، حتى يتسنى للاعبين التحرك بحرية، وإظهار مهاراتهم الفردية من دون الحاجة إلى الاصطدام بلاعبين آخرين، وبذلك يمكن أن نرى لعباً نظيفاً، ونقلل من عدد الإصابات البدنية التي نلاحظ أنها تزداد في كل عام.

ولا يتحدث سقراط عن هذا الموضوع من قبيل التسلية وقضاء

الوقت، لكنه جاد تماماً فيما يطرح، فهو في سبيله إلى تحضير رسالة ماجستير حول الموضوع في كلية الطب في ساو باولو، ولكن يبدو لي أن وراء حديث سقراط الجاد حول تغيير القوانين في كرة القدم؛ لتسمح بتقليص عدد اللاعبين شغفاً برازيلياً تقليدياً بالتغيير والإبداع، فالبرازيليون شعب ملول يحب التغيير دائماً، وقد قاموا فعلاً باختراع أنواع مختلفة من كرة القدم، مثل: كرة القدم الطائرة التي يشارك فيها خمسة لاعبين في كل جانب، إضافة إلى كرة قدم النخبة التي تضم سبعة لاعبين في كل جانب، وهكذا يبدو سقراط مكملاً لهذه المسيرة الإبداعية.

لم أستطع مقاومة رغبتي في سؤال سقراط عن اسمه، وإن كان لهذا الاسم تأثير في مسيرة حياته المميزة، فيجيبني سقراط بهدوء: «إن الاسم وحده لا يفعل شيئاً، ولا يمكن لاسم أن يغير مسيرة حياة شخص ما، ولكن منذ اللحظة الأولى التي بدأت أتساءل فيها عن سبب اختيار والدي له عرفت أي نوع من الرجل هو هذا الأب، إذ كان والدي يقضي معظم وقته في مكتبته، وقد كنت أنا رفيقه في معظم تلك الأوقات، وقد أتيحت لي الفرصة لأقرأ كثيراً من الكتب، وأطلع على العديد من الأفكار، ولاسيما أنني ابنه الأكبر، لكنني لست الوحيد، فلدي أخوان أطلق عليهما والدي اسمي سوفوكليس وسوستينوس، وكلها أسماء لفلاسفة عظام، ولدي أخ أصغر اسمه راي يلعب في فريق سان جيرمان الفرنسي، ولعب ضمن المنتخب البرازيلي في كأس العالم 1994. لقد نشأ والدي في عائلة فقيرة واضطر للعمل في سن مبكرة؛ لإعالة عائلته

فلم تتوافر له الفرصة لإكمال تعليمه، لكنه علّم نفسه بنفسه من خلال القراءة المكثفة، لذلك فقد كان تأثيره عليّ كبيراً جداً، فقد قرأت كثيراً من الكتب الفلسفية ولاسيما لأفلاطون وسقراط طبعاً، كما يعجبني ميكافيللي، والفلسفة عموماً تستهويني، وكلما وجدت متسعاً من الوقت أختلي إلى أحد كتب الفلسفة فأجد متعة كبيرة».

كان سقراط في العاشرة من عمره عام 1964 عندما حدث الانقلاب العسكري في البرازيل، وفي اليوم الذي استلم فيه العسكريون السلطة، توجه الأب إلى مكتبته وأخرج كتاباً حول الثورة البلشفية وأحرقه، وقد شاهد سقراط هذا التصرف الذي لم يعرف معناه حينها، لكنه ترك في نفسه أكبر الأثر وزرع داخله الانتماء اليساري، والأفكار المثالية التي شكلت حياته فيما بعد، ويتحدث سقراط حول تلك الأفكار قائلاً: «أنا ابن النظام الديكتاتوري، وقد عشت القمع بأبشع صوره عندما التحقت بالجامعة، وكان هناك من زملائي من يضطرون إلى الهرب والاختباء بسبب آرائهم السياسية، ومنذ ذلك الحين أثّرت أفكار سقراط المثالية ومبادئه حياته عامة، وظهرت في أوضح صورها في كرة القدم خاصة، إذ أنشأ هذا اللاعب جماعة خاصة بلاعبي كرة القدم أسماها «ديمقراطية كورينثيانس»، بعد أن انتقل للعب مع فريق كورينثيانس في ساو باولو عام 1978، وذلك بعد أن سأم من طريقة معاملة إدارة النادي للاعبين في هذا الفريق، حيث كانت الإدارة تتصرف بطريقة سلطوية ولا تستشير اللاعبين في أي من القرارات المتعلقة بهم، وقد كان ذلك يعكس الأجواء الديكتاتورية العامة في البلاد، ولذلك قرر سقراط مع

زميله فلادمير تكوين خلية اشتراكية مثالية داخل الفريق تضم اللاعبين في خلية منظمة، تُعنى بأمورهم وتناقش القرارات التي تمسهم بدءاً من موعد الغداء في النادي، ونوعية الطعام المقدم إلى رواتب اللاعبين والحوافز التي تُمنح لهم، وكان يتم التصويت على كل شيء بشكل ديمقراطي مثالي وتحكيم الأغلبية، لذلك لم يكن هناك أي مشاكل تذكر بين أعضاء الخلية، وحتى لو كان هناك اختلاف في وجهات النظر، فإن كلَّ ذلك يحلّ في النهاية بالتصويت الذي يقره الجميع ويقبلون بنتيجته. غير أن عمل خلية سقراط لم يتوقف عند هذا الحد، وإنما انخرط أعضاؤها في العمل السياسي العام أيضاً، وذلك في انتخابات عام 1982 التي كانت الخطوة الأولى للتخلص من شبح الديكتاتورية المخيف، بانتخاب حكام الولايات ونواب البرلمان الفيدراليين وشيوخ المجلس الأعلى، وقد قام سقراط ورفاقه بطبع عبارة «انتخبوا يوم الخامس عشر من نوفمبر» وهو اليوم المقرر للانتخابات على قمصانهم الرياضية، التي كانوا يرتدونها في المباريات.

قام أعضاء ديمقراطية كورينثيانس بعمل بطولي آخر في كرة القدم البرازيلية، وهو المطالبة بإلغاء نظام (الحشد) الموجود في الثقافة الكروية البرازيلية، وهو أن يحتشد لاعبو الفريق جميعاً قبل المباريات مهما كانت أهميتها في أحد الفنادق لعدة أيام، ويتركوا منازلهم وعائلاتهم ليظلوا تحت المراقبة قبل المباراة بعدة أيام؛ كي لا يقوموا بأي عمل قد يؤثر على لياقتهم البدنية، أو النفسية في المباراة، ويعتبر معظم اللاعبين هذا التقليد إهانة مباشرة لهم، وتقييداً غير مشروع لحرياتهم الشخصية،



فريق كورينثيانس: كرة القدم السياسية

فإدارة النادي ترى فيهم أشخاصاً غير مسؤولين، كأنهم أطفال يجب مراقبتهم دائماً من قبل المدرب وطاقم النادي. يقول سقراط: «لقد كانت المطالبة بإلغاء نظام الحشد من أصعب الأمور التي قامت بها خليتنا، واستغرق الأمر ستة شهور كاملة من المفاوضات مع الإدارة حتى تم إلغاؤه، ولكننا صممنا على ذلك رغم كل شيء، ففي هذا النظام كثير من التحقير للاعبين الذين يتم سجنهم تقريباً لعدة أيام فيشعرون أنهم لا يساوون شيئاً، وأنهم لا يستطيعون التصرف كأشخاص بالغين وعاقلين يمكن الاعتماد عليهم»، ويضيف سقراط: «لكن أجمل لحظات حياتي فعلاً، كانت عندما فاز فريق كورينثيانس ببطولة ولاية ساو باولو عام 1982، وكنا جميعاً نرتدي قمصاناً طبعنا عليها عبارة (الديمقراطية). لقد

كانت لحظة رائعة حقاً، شعرت فيها بالانتصار على المستوى السياسي، والرياضي أيضاً».

لقد جاءت حركة سقراط للمناداة بالديمقراطية من قلب أكبر نوادي ساو باولو لكرة القدم، لذلك فقد لاقت صدىً واسعاً بين الجماهير، وأصبحت ديمقراطية كورينثيانس نقطة مرجعية في النقاشات المحتدمة في ذلك الوقت حول إحلال الديمقراطية بدل النظام العسكري الحاكم، كما أصبح سقراط أحد رموز التغيير في الحملة الانتخابية الرئاسية، وقد تحدث في أحد التجمعات أمام مليون ونصف المليون شخص كانوا يستمعون إلى أحد المرشحين، وقطع عهداً على نفسه أمام الجماهير، أنه إذا سمح كورينثيانس بانتخابات حرة لاختيار رئيس جديد للنادي، فإنه سيرفض عرضاً للعب في إيطاليا، لكن النادي لم يسمح طبعاً، وانتقل سقراط إلى إيطاليا ليلعب مع فريق فرونتينا، وهكذا انتهى عهد الديمقراطية في نادي كورينثيانس، لكن عجلة التغيير استمرت في طريقها لتسفر الانتخابات الرئاسية بعد ذلك، عن فوز مرشح مدني لا عسكري هو جوسيه سارني، وهكذا بدأ التحول في البلاد نحو انتخابات رئاسية حرة عام 1989.

يعتز سقراط بالمناضل شي غيفارا، والمغني الإنجليزي جون لينون ويقول إنهما الشخصان الوحيدان اللذان يمكن أن يضع صورهما في بيته، لكن شهرة سقراط ذاته قد لا تقل عن شهرة هذين الشخصين، وقد كان فيما مضى يكتب مقالاً ثابتاً في جريدة عربية عام 1996، ودعته هذه الجريدة إلى جولة إعلانية في مصر وليبيا، وعندما وصل

إلى طرابلس أعلمه مرافقوه أن الرئيس معمر القذافي يرغب في لقائه وقد أرسل طائرته الخاصة لهذا الغرض، إذ كانت ليبيا في تلك الفترة تحت المقاطعة، ولم يكن هناك طيران مسيَّر إليها. نقلت الطائرة سقراط ومرافقيه إلى طرابلس، ونزلوا جميعاً في أحد الفنادق ينتظرون موعد لقاء الرئيس الذي لم يكن محدداً بعد، وبقي الجميع ينتظرون يوماً كاملاً، إلى أن حانت الساعة السادسة، وعندها قرر المسؤولون أنه قد حان وقت المغادرة، وركب الجميع سيارات الدفع الرباعي؛ ليقطعوا مسافة طويلة داخل الصحراء قبل الوصول إلى بوابة المخيم الذي سيستقبل فيه الرئيس القذافي سقراط، ويحكي سقراط عن هذه المقابلة بفرح كبير، وشعور بالفخر فيقول: «لقد جلست معه في خيمته الخاصة حوالي ساعة من الزمن، وتحدثنا في كثير من الأمور، حتى أنه كان يحمل لي اقتراحاً بالترشح لرئاسة البرازيل فهو يعرف آرائي السياسية وشعبيتي لدى البرازيليين، وكان يعتقد أنني يمكن أن أنجح، بل لقد عرض تمويل حملتي الانتخابية كاملة، لكنني رفضت عرضه شاكراً، وعدت إلى الفندق الذي كنت أنزل فيه بعد انتهاء المقابلة».

يدخن سقراط بشراهة ملحوظة وهو لا يخفي ذلك ولا ينكره، وعندما أسأله عن موضوع الشرب والتدخين، وإن كان ذلك قد أثر على صحته بوصفه رياضياً، وهل يرى أنه يمثل نموذجاً سيئاً لغيره من الشباب؟ يجيبني أنه يدخن منذ كان في الثالثة عشرة من عمره، ولم يستطع التخلي عن هذه العادة، لقد حاول آلاف المرات لكنه لم ينجح، فلماذا يخفي هذه العادة، يقول سقراط: «لا يهمني ما يعتقده

الآخرون، فأهم ما يمتلكه المرء في مجتمعه هو حريته واستقلاليته، نعم أنا أدخن كثيراً، وربما أموت بسرطان الرئة أو أي من أمراض التدخين، ولكن هذا أنا، فلماذا أدعي غير ذلك».

عندما تصالح بيليه وتيكسيرا فقدت حركة الديمقراطية في كرة القدم أحد أهم رموزها، لكن سقراط سرعان ما رفع رايته؛ ليحل محل بيليه في مواصلة الصراع مع اتحاد كرة القدم البرازيلي من أجل المزيد من الديمقراطية والشفافية، ويؤكد سقراط أنه جاد جداً في مسعاه لتحريك الرأي العام ضد ما يحدث من تجاوزات في مجال كرة القدم، وفي رأيه أن شؤون الكرة البرازيلية لم تطرح للنقاش بشكل موسع سابقاً، وقد آن الأوان لذلك، فالاتحاد البرازيلي لكرة القدم ملكية وطنية، وكرة القدم جزء من هويتنا البرازيلية وسفيرتنا إلى العالم، ولا بد للجميع من التدخل ومحاولة الإصلاح، وإذا جرت انتخابات حقيقية مفتوحة لرئاسة الاتحاد، فإنه سيرشح نفسه، وهو على ثقة أن كثيرين سيصوتون له ويدعمونه.

يحمل سقراط في جعبته كثيراً من الأفكار، والمشاريع البناءة لإصلاح أوضاع كرة القدم البرازيلية، ولاسيما فيما يتعلق بالاستثمار في تعليم الصغار، غير أن بعض هذه الأفكار تنطوي على كثير من الخيال، فهو يقترح أن يتم انتخاب مدرب المنتخب البرازيلي من قبل مجموعة كبيرة من المهتمين بكرة القدم، مثل الصحفيين والرياضيين والمدربين واللاعبين، ويقوم هؤلاء جميعاً بالتصويت لانتخاب المدرب المطلوب، وإذا لم يحصل المدرب على الأصوات اللازمة لا يتم تعيينه.

وعندما اقترحت على سقراط أن هذه الطريقة ستكون مغرقة في البيروقراطية، رد عليّ قائلاً: «على العكس تماماً، إن اشتراك عدد كبير من الأشخاص في انتخاب مدرب الفريق الوطني سيجنبنا المركزية المقيتة التي كانت سائدة، ويبعدنا عن تسلط الرأي الواحد، وهذه ليست بيروقراطية، فالبيروقراطية هي ما كان يفعله أولئك الذين كانوا يحاولون التلاعب بالأمة، أما ما نريد فعله فهو ديمقراطية أصيلة».

وصلت مقابلتي مع سقراط إلى نهايتها، وقبل أن أجمع أوراقي، وأغلق دفتر ملاحظاتي سألت سقراط إن كان لايزال فخوراً أنه برازيلي بعد كل الإحباطات، والمشاكل التي تواجهها البرازيل عموماً، والكرة البرازيلية خصوصاً من فساد وتدهور في مستوى اللعبة، لا يليق بالتاريخ العريق للعبة الأولى في البلاد.

يبتسم سقراط قائلاً: «بالتأكيد أنا فخور أني برازيلي، وأنني ابن هذه الثقافة، وهذا الخليط من الأعراق، فأنا أحب نظرة البرازيليين للعالم وشعورهم بالحرية والانفتاح، وفرحهم الدائم وحبهم للمغامرة والتغيير، لا أحد ينكر أن البرازيل منطقة للكوارث والمشاكل، لكن هذا هو جوهر الإنسانية، فعندما تنظم المجتمعات البشرية نفسها بدرجة كبيرة تخسر أهم سماتها، وهي الانطلاق والفرح، وهذا هو ما نمتلكه في البرازيل ونحبه، ولذلك فأنا من دون شك مغرم بالبرازيل لدرجة كبيرة رغم المشاكل والعقبات كلها، فنحن مازلنا أمة حديثة ناشئة تتلمس طريقها نحو الديمقراطية، والرخاء بخطى متعثرة أحياناً لكنها ثابتة بالتأكيد».

الملاحق:

الملحق الأول

لقد توقف البرازيليون عن تسمية بطولة كأس العالم لكرة القدم باسمها الأصلي منذ زمن بعيد، فهم يدعون بطولة عام 1970 ببطولة «تراي» أي: الثالثة؛ لأنها كانت الفوز الثالث للبرازيل بهذه البطولة، أما بطولة عام 1994 فهي بطولة «تيترا» أي: الرابعة، أما في بطولات عام 1998 وعام 2002، فقد كان البرازيليون يتطلعون للفوز ببطولة «البينتا» أي البطولة الخامسة، وهكذا فإن البرازيليين يعتبرون كل بطولة جديدة بمثابة تحدٍ شخصي لمنتخبهم، وتذكير بالبطولات والانتصارات السابقة.

دخلت البرازيل بطولة عام 2002 بتشاؤم كبير، إذ كانت المرة الأولى منذ عام 1958 التي تبدأ فيها مباريات التأهل لهذه البطولة من البداية؛ لأنها لم تفز بالبطولة السابقة، وكان الجميع يشعرون بهزيمة محققة في هذه البطولة، وحتى أكثر الجماهير تحمساً لم تستطع أن تخفي تشاؤمها حيال نتيجة هذه البطولة، واختفت مظاهر الاحتفال تقريباً بقدوم بطولة كأس العالم من شوارع ريو، ولم يكن هناك كثير من الأعلام الخضراء والصفراء ترفرف في شوارع المدينة، كما جرت العادة من قبل، ولم تسر أيّ من الاستعدادات على ما يرام، بل إن قائد الفريق إمرسون أصيب في ذراعه أثناء مرحلة التدريب وتم إقصاؤه عن البطولة، ورغم ذلك فقد ابتسم الحظ للبرازيل منذ البداية، فتم اختيارها بالقرعة ضمن أضعف مجموعات البطولة إلى جانب تركيا والصين وكوستاريكا، فاستطاعت

تصدر مجموعتها بسهولة وهزيمة الثلاث، وفي الوقت ذاته خرجت فرنسا والأرجنتين والبرتغال من التصفيات، بينما كان الفريق البرازيلي بإدارة المدرب لويز فيليبي سكولاري يقدم أفضل ما لديه. ثم خرجت بعد ذلك إيطاليا وإسبانيا في الدور الثاني، وكذلك فعلت بلجيكا عندما خسرت أمام البرازيل بعد أن ألغى الحكم هدفاً يقول المعلقون إنه كان سليماً تماماً، وهكذا اقترب البرازيليون كثيراً من الفوز، وفي الدور الربع النهائي تغلبت البرازيل على إنجلترا، ثم هزمت تركيا ثانية في الدور نصف النهائي، لتلقى ألمانيا في المباراة النهائية، وتهزمها بنتيجة 2—0 وتُتوج على عرش بطولة البينتا أي الخامسة أخيراً.

لقد استحق البرازيليون الفوز في كأس العالم في كوريا واليابان، فقد فازوا في مبارياتهم كلها وسددوا أكبر عدد من الأهداف في مباريات جميلة ولعب نظيف ذكّر الجميع بالأسلوب البرازيلي العريق، وأعادوا إلى الأذهان العصر الذهبي للكرة البرازيلية، ولن ينسى أحد الثلاثي الرائع الذي شارك في المنتخب، رونالدو وريفالدو ورونالدينو، إضافة إلى القيادة الحكيمة للمدرب سكولاري الذي استطاع إسكات كل الأقلام التي كانت تكتب ضده قبل هذه البطولة.

يقول البرازيليون: إن عناية الله كانت تحرس المنتخب البرازيلي، فلم تسقط قطرة مطر واحدة في أثناء مباريات المنتخب، بينما هطلت أمطار غزيرة بعد مباراته النهائية مع ألمانيا، بعد نهاية المباراة بدقائق، ولكن الحظ الحقيقي كان في عودة رونالدو للعّب مرة أخرى بعد أن يئس كثيرون من عودته لكرة القدم إثر إصابتين متتاليتين في الركبة أقعدتاه

عن مواصلة مشواره الكروي مدة طويلة، لكنه عاد أكثر تألقاً في هذه البطولة وكان عند حسن ظن الجماهير به، وقد أحرز جائزة الحذاء الذهبي؛ لتسجيله أكبر عدد من الأهداف في حياته الكروية كان آخرها في المباراة النهائية مع ألمانيا، إذ سجل هدفي المباراة لصالح البرازيل، كأنه ينتقم بذلك لما حدث في كأس العالم 1998 عندما كان في أسوأ حال، وما تبع المباراة النهائية ذلك العام من مشاكل وتحقيقات ومساءلات لاحقته لفترة طويلة.

لقد احتل رونالدو العناوين الرئيسية في الصحف بعد كأس العالم، لكن البطل الحقيقي كان كافو، الذي حلَّ محل إمرسون في قيادة الفريق بعد إصابة الأول وتنحيته عن المشاركة، ليصبح أول لاعب يشارك في ثلاث بطولات متتالية لكأس العالم، وقد عرف هذا اللاعب بقلبه الكبير وإنسانيته وتعاطفه مع الآخرين، وقد كان أول شيء فكر فيه بعد انتهاء المباراة وإعلان فوز فريقه بكأس العالم، هو أن يكتب على قميصه اسم الحي الذي يقطنه في البرازيل، وهو حي جارديم إيرين، وهكذا ظهر اسم هذا الحي أمام عدسات المصورين عندما صعد كافو المنصة الرسمية لاستلام الكأس؛ ليكون بذلك خير ممثل للشعب البرازيلي.

لماذا أخفقت التوقعات جميعها بخسارة المنتخب البرازيلي في بطولة كأس العالم عام 2002؟

إذا رجعنا إلى نتائج المنتخب البرازيلي في السنتين اللتين سبقتا بطولة 2002، ونظرنا إلى مستوى الفريق في تلك الفترة، نجد أن تلك التوقعات بالإخفاق كانت في محلها؛ لأن المستوى العام للمنتخب كان في أسوأ

حالاته. ولكن المنتخب البرازيلي نهض من الرماد عندما حان الوقت لذلك وكان التحدي قائماً، ويبدو أن المنتخب البرازيلي يعاني من حالة دائمة من الفصام التي تلازمه، فهو لا يحشد قواه ويظهر أفضل ما لديه من قدرات لاعبيه وتماسك صفوفه إلا في المباريات الكبرى الحاسمة. أي في مقابلات كأس العالم، أما ما بين البطولة والأخرى فإنه يبدو في أسوأ حالاته، وتصبح إمكانية فوزه ببطولة كأس العالم المقبلة مساوية لإمكانية خسارته، ولكن هذا الانفصام ليس سمة خاصة بالفريق الوطني لكرة القدم فقط، وإنما يبدو كأنه مرض مستوطن يصيب البرازيليين في أي وقت من الأوقات، فعندما عاد الفريق الوطني من اليابان بعد انتهاء بطولة عام 2002.

هبطت الطائرة في برازيليا ليلتقي الفريق برئيس البلاد، وتطوف به الجماهير للاحتفال بالنصر، ثم انتقل اللاعبون إلى مدينة ريو دي جنيرو؛ ليتسنى لأهالي المدينة والمشجعين الاحتفاء بهم أيضاً، وهكذا طاف اللاعبون شوارع مدينة ريو لمدة خمس ساعات على ظهر إحدى الشاحنات، ثم انطلق الموكب عائداً إلى المطار، حتى يتسنى للاعبين العودة إلى بيوتهم بعد أن قضوا ستين ساعة شاقة في رحلتهم من اليابان إلى البرازيل، ومن ثَم الطواف داخل المدن البرازيلية، غير أن المعجبين لحقوا بالموكب العائد إلى المطار وأخذوا يقذفونه بالحجارة وكسروا عدداً من نوافذ الحافلة التي تُقل اللاعبين؛ لأن الموكب لم يصل إلى شاطئ كوبا كوبانا كما كان مقرراً من قبل.

لقد انعكس هذا النصر على البرازيل من نواحٍ عدة، وأظهر بعض

السلبيات في مجالات مختلفة، وأخذ الكتّاب والمثقفون يتساءلون لماذا لا تحقق البرازيل بلداً وأمة نصف ما تحققه من نجاحات في كرة القدم؟ ورغم ذلك فإن انتصارات كرة القدم البرازيلية تدفع بالبرازيل إلى الأمام بطريقة أو بأخرى، فبعد انطلاق صفارة النهاية في مباراة كأس العالم عام 2002، وقبل أن يصعد قائد الفريق لاستلام الكأس، كان المعلق التلفزيوني البرازيلي يقول بحماس بالغ: إن البرازيل دخلت فعلاً عصر الهيكسا، أي: السادسة!

الملحق الثاني:

النوادي

لا يمكن حصر عدد نوادي كرة القدم بالضبط في البرازيل، فهناك نوادٍ جديدة تُنشأ دائماً، ونوادٍ أخرى تختفي، لكن الاتحاد البرازيلي لكرة القدم يقول: إن هناك أربعة وثمانين نادياً جديداً ظهرت في عام 2000 أي بمعدل نادٍ كل أسبوع، أما جريدة لانس فتدعي وجود 794 نادي كرة القدم في البرازيل مدرجاً في موسوعتها، بينما تقول جريدة بلاكار إن هناك 302 فحسب.

لقد قمت بتوزيع الفرق الرئيسية، على أربع ولايات؛ لتكون النتيجة كما يلي:

ريو دي جنيرو

- **نادي بوتافوغو** 

أُنشئ في 12 أغسطس عام 1904.

ألوانه: قميص بخطوط أفقية باللونين الأبيض والأسود وسروال أسود وجوارب رمادية.

الألقاب: بطل البرازيل عام 1995، وبطل دوري الولاية 17 مرة.

أشهر اللاعبين: غارينشا، نلتون سانتوس، ديدي، زجالو، جيرسون وجيرزينو.

الموقع الإلكتروني: www.botafogo.com

- **نادي فلامنغو**

أُنشئ في 15 نوفمبر عام 1895، أما فريق كرة القدم فقد أُنشئ في 24 ديسمبر عام 1911.

ألوانه: قميص بخطوط عمودية باللونين الأحمر والأسود وسروال أبيض بخط أحمر على جانبه، وجوارب مخططة باللونين الأحمر والأبيض.

الألقاب: بطل البرازيل عام 1980، 1982، 1983، 1987، 1992.

بالإضافة إلى حصوله على بطولة الولاية 27 مرة، وكأس بطولة ليبرتادورز عام 1981، وبطولة نوادي العالم عام 1981.

أشهر اللاعبين: زيكو، زيزينهو، ليونيداس، دومنغوس دا غويا، جونيور، روماريو وبيبيتو.

الموقع الإلكتروني: www.flamengo.com.br

- **نادي فلومننسي**

أُنشئ في 21 يوليو عام 1902.

ألوانه: قميص بخطوط أفقية بيضاء رفيعة، وخطوط عريضة باللونين الأخضر والأحمر وسروال أبيض مع جوارب مقلمة بالأخضر والأحمر.

الألقاب: بطل البرازيل عام 1984 إضافة إلى حصوله على بطولة الولاية 28 مرة.

أشهر اللاعبين: رفيلينو، تيلي سانتانا وديدي.

الموقع الإلكتروني: www.fluminense.com.br

– **نادي فاسكو دي غاما**

أُنشئ في 21 أغسطس عام 1898، أما فريق كرة القدم فقد تأسس في 26 نوفمبر عام 1915.

ألوانه: قميص أسود يقطعه قطرياً خط أبيض يحمل رمز الصليب، وسروال أسود مع جوارب بيضاء.

الألقاب: بطل البرازيل عام 1974، 1989، و2000، وبطل بطولة أمريكا الجنوبية عام 1948، وحامل كأس بطولة ليبرتادورز عام 1998، وحاصل على بطولة الولاية 21 مرة.

أشهر اللاعبين: روبيرتو دنيامين، أدمير، باربوسا، بيليني، فافا، إدموندو وروماريو.

الموقع الإلكتروني: www.cravascodagama.com.br

– **ساو باولو**

نادي كورينثيانس

أُنشئ في الأول من سبتمبر عام 1910.

ألوانه: قميص أبيض، وسروال أسود وجوارب بيضاء.

الألقاب: بطل البرازيل عام 1990، 1998، 1999، بطل أندية العالم 2000، إضافة إلى فوزه ببطولة الولاية 24 مرة.

أشهر اللاعبين: سقراط، ريفيلينو وغلمار.

الموقع الإلكتروني: www.corinthians.com.br

– **نادي بالميراس**

أُنشئ في 26 أغسطس عام 1914 تحت اسم بالسترا إيطاليا، ثم تغير

اسمه في 14 سبتمبر 1942.

ألوانه: قميص أخضر وسروال أبيض وجوارب خضراء.

الألقاب: بطل البرازيل عام 1972، 1973، 1993، 1994، إضافة إلى حصوله على كأس لبرتادورز عام 1999، وبطولة الولاية 21 مرة.

أشهر اللاعبين: أدمير داغويا، دالما سانتوس، ريفالدو إدمندو، روبرتو كارلوس.

الموقع الإلكتروني: www.palmeiras.com.br

- نادي سانتوس

أُنشئ في 14 أبريل عام 1912

ألوانه: قميص أبيض، وسروال أبيض وجوارب بيضاء.

الألقاب: بطل كأس لبرتادورز عام 1962، 1963، وبطل أندية العالم عام 1962، 1963، وفاز ببطولة الولاية خمس عشرة مرة.

أشهر اللاعبين: بيليه، بيبي، زيكو، كارلوس ألبرتو، كلودو وكوتينو.

الموقع الإلكتروني: www.santosfc.com.br

- نادي ساو باولو

أُنشئ في 16 ديسمبر عام 1935.

ألوانه: قميص أبيض في وسطه خطان أفقيان باللونين الأحمر والأسود، وسروال وجوارب بيضاء.

الألقاب: بطل البرازيل عام 1977، 1986، 1991 وحاصل على كأس بطولة لبرتادورز عام 1992، 1993، إضافة إلى بطولة أندية العالم عام 1992 و1993.

أشهر اللاعبين: راي، لينوداس، كاريكا ومولار.

الموقع الإلكتروني: www.saopaulofc.com.br

ريو غراندي دوسول

- **نادي غريميو**

أُنشئ في 5 مبر عام 1903.

ألوانه: قميص مخطط عمودياً بالألوان: الأبيض والأسود والأزرق الفاتح، وسروال أسود وجوارب بيضاء.

الألقاب: بطل البرازيل عام 1981، 1986، وحاصل على كأس بطولة لبرتادورز عام 1983 و1995، إضافة إلى بطولة أندية العالم عام 1983، كما حصل على بطولة الولاية 33 مرة.

أشهر اللاعبين: ريناتو غوشو وإيفيرالدو.

الموقع الإلكتروني: www.gremio.net

- **نادي إنترناسيونال**

أُنشئ في 4 أبريل 190.

ألوانه: قميص أحمر، وسروال وجوارب بيضاء.

الألقاب: بطل البرازيل عام 1975، 1976، 1979، وحصل على بطولة الولاية 33 مرة.

أشهر اللاعبين: فالساو، تافاريل، باولوسيزار كاربيغياني.

الموقع الإلكتروني: www.netinter.com.br

. ميناس جيرياس

- **نادي أتليتيكو مينيرو**

أُنشئ في 25 مارس 190.

ألوانه: قميص بخطوط عمودية باللونين الأسود والأبيض، وسروال أسود وجوارب بيضاء.

الألقاب: حاصل على بطولة البرازيل عام 1971، إضافة لبطولة الولاية 38 مرة.

أشهر اللاعبين: رينالدو، داريو.

الموقع الإلكتروني: www.atletico.com.br

- **نادي كروزيرو**

أُنشئ في 2 ينـ 1921.

ألوانه: قميص أزرق وسروال أبيض، وجوارب زرقاء.

الألقاب: حاصل على كأس بطولة لبرتادورز عام 1976، 1997، إضافة إلى ببطولة الولاية 29 مرة.

أشهر اللاعبين: توستاو، بيازا، رونالدو.

الموقع الإلكتروني: www.cruzeiro.com.br

- **الولايات الأخرى**

هناك ست ولايات مختلفة تضم فرقاً محترفةً لكرة القدم باسم فلامنغو؛ تيمناً بالفريق الأصلي في ولاية ريو، يتمتع هذا الفريق بشعبية كاسحة في البرازيل، ويبلغ عدد معجبيه حوالي 15٪ من عدد سكان البرازيل، إضافة إلى فريق فلامنغو، هناك أربعة فرق أخرى تحمل اسم

كورينثيانس، وثلاثة تحمل اسم فاسكو، وثلاثة أخرى تحمل اسم فلومننسي، واثنان يحملان اسم بوتافوغون واثنان يحملان اسم ساو باولو، واثنان يسميان سانتوس وواحد يسمى فريق بالميراس، وكلها تيمناً بالفرق الكبيرة المعروفة.

إضافة إلى ما سبق، فهناك فريقان محترفان لكرة القدم في ولاية باهيا، هما: باهيا وفيتوريا، وفي ولاية برنامبوكو هناك ثلاثة فرق محترفة تحمل اسم سبورت وسانتا كروز ونوتيكو، أما ولاية بارانا فتضم فريق كوريتيبا وفريق اتليتيكو بارا نينسي وبارانا.

الملحق الثالث

البرازيل في كأس العالم

تُعد البرازيل الدولة الوحيدة التي شاركت في دورات كأس العالم كلها لكرة القدم، والترتيب التالي يُظهر تفاصيل المباراة الأخيرة للبرازيل، في كل دورة من الدورات.

1930

الدولة المضيفة: الأورغواي

الفائز: الأورغواي

خرجت البرازيل من الدور الأول؛ لأنها خسرت أمام يوغسلافيا 1–2، وفازت أمام بوليفيا 4–0. مثّل البرازيل في تلك المسابقة: فيلوسو، وزي لويز، وإيتاليا، وهيرموجينز، وفاوستو، وفرناندو، وبنديكتو، وروسينهو، وكارفالهو ليتي، وبريغوينهو، وموديراتو، والمدرب بندارو.

1934

الدولة المضيفة: إيطاليا

الفائز: إيطاليا

غادرت البرازيل البطولة بعد مباراة واحدة أمام إسبانيا، فقد كانت النتيجة 1–3 لصالح إسبانيا. مثّل البرازيل في تلك المسابقة: بيدروزا،

سيلفيو هوفمان، ولويز لوز، ومارتم سيلفيرا، وكنالي، ولويزينهو، وفالدمير دي بريتو، وأرماندينو، ولينوداس داسيلفا، وباتيسكو والمدرب لويز فان هيز.

1938

الدولة المضيفة: فرنسا

الفائز: إيطاليا

فازت البرازيل بالمركز الثالث، حيث لعبت في الدور الأول مع بولندا لتفوز بنتيجة 6–5، أما في الربع النهائي فقد لعبت أمام تشيكوسلوفاكيا لتنتهي المباراة بالتعادل بنتيجة 1–1، ولعبت ضدها مباراة أخرى انتهت بفوز البرازيل 2–1؛ لتقابل إيطاليا في الدور النصف النهائي، حين انتهت المباراة بنتيجة 2–1 لصالح إيطاليا. ثم تقابلت بعد ذلك مع السويد للحصول على المركز الثالث، وانتهت المباراة بنتيجة 4–2 للبرازيل. ومثّل البرازيل في هذه المسابقة: باتيستا، ودومينوغوس داغويا، وماكادو، وزازا بروكوبيا، وبرانداو، وأفونسينو، وروبيرتو، وروميو بيليساري، ليونيداس داسيلفا، وبيراسيو، وباتيسكو، والمدرب أديمار بيمينا.

1950

الدولة المضيفة: البرازيل

الفائز: الأورغواي

وصلت البرازيل إلى المباراة النهائية، بعد أن لعبت في الدور الأول ضد المكسيك، وفازت 5–4، وتعادلت مع سويسرا 2–2، وفازت على يوغسلافيا 2–0. أما في المراحل النهائية فقد فازت على السويد بنتيجة 7–1، وفازت كذلك على إسبانيا بنتيجة 6–1، لكنها هُزمت أمام الأورغواي في المباراة النهائية بنتيجة 2–1. مثّل البرازيل في هذه المسابقة: باربوسا، أوغستو، وجوفينال، وبوير، ودانيلو، وبيجود، وفريسا، وزيزينهو، وأدمير، وجير داروسا بينتو، وشيكو، والمدرب فلافيوكوستا.

1954

الدولة المضيفة: سويسرا

الفائز: ألمانيا الغربية

خرجت البرازيل من الدور الربع النهائي، بعد أن تقابلت في الدور الأول مع المكسيك وفازت عليها 5– 0، ومع يوغسلافيا التي تعادلت معها 1–1، ثم تقابلت بعد ذلك في الدور الربع النهائي مع هنغاريا، لتخسر أمامها بنتيجة 4–2. ومثّل البرازيل في هذه المسابقة: كاستيلو، وبينيرو، ونيلتون سانتوس، ودالماسانتوس، وباور، وبرانداوزينهو، وجولينو، ديدي، إنديو، وهمبرتو، ومورينهو، والمدرب زيزا موريرا.

1958

الدولة المضيفة: السويد

الفائز: البرازيل



لعبت البرازيل في الدور الأول ضد النمسا، وفازت عليها 3–0، وتعادلت مع إنجلترا 0–0، وفازت على الاتحاد السوفييتي بنتيجة 2–0 . أما في الربع النهائي فتقابلت البرازيل مع ويلز وفازت بنتيجة 1–0، لتصعد إلى الدور النصف النهائي حيث تقابلت مع فرنسا، وفازت عليها بنتيجة 5–2، ثم تقابلت في نهائي البطولة مع السويد ففازت عليها بنتيجة 5–2. ومثّل البرازيل في هذه المسابقة: جيلمار، ودالما سانتوس، وبيليني، نيلتون سانتوس، وأورلندو، زيتو، وغارينشا، وديدي، فافا، وبيليه، زجالو، والمدرب فسنتي فيولا.

1962

الدولة المضيفة: تشيلي

الفائز: البرازيل



لعبت البرازيل في الدور الأول مع المكسيك وتغلبت عليها بنتيجة 2–0، وتقابلت مع تشيكوسلوفاكيا أيضاً، وانتهت المقابلة بنتيجة 0 – 0، ثم تقابلت مع إسبانيا وفازت عليها بنتيجة 2–1. أمّا في الدور الربع النهائي، فتقابل المنتخب البرازيلي مع إنجلترا وفاز عليها بنتيجة 3–1، ليصعد للدور النصف النهائي، ويقابل شيلي، ويفوز عليها بنتيجة 4–2، ثم كانت المقابلة النهائية بين البرازيل وتشيكوسلوفاكيا، حيث فازت البرازيل بنتيجة 3–1. ومثّل البرازيل في هذه المسابقة: جيلمار، ودالما سانتوس، وماورو، وزوزيمو، ونيلتون سانتوس، وزيتو، وديدي، غارينشا، وفافا، وأماريلدو، وزجالو، والمدرب إيموري موريرا.

1966

الدولة المضيفة: إنجلترا

الفائز: إنجلترا

خرجت البرازيل من الدور الأول في أسوأ نتيجة لها منذ ثلاثة عقود، وفي هذا الدور تقابلت البرازيل مع بلغاريا، ففازت عليها بنتيجة 2–0، وهزمت أمام هنجاريا بنتيجة 3–1، كما هزمت أمام البرتغال بنتيجة 3–1. ومثّل البرازيل في هذه الدورة: مانجا، وفيدليس، وبريتو، وأورلاندو، وريلدو، ودنيلسون، وليما، وجيرزينهو، وسيلفا، وبيليه، وبارانا، والمدرب فيسنتي فيولا.

1970

الدولة المضيفة: المكسيك

الفائز: البرازيل



تقابل المنتخب البرازيلي في الدور الأول مع تشيكوسلوفاكيا، وفاز عليها بنتيجة 4—1، ثم فاز على إنجلترا بنتيجة 1—0 أيضاً، وتغلب على رومانيا بنتيجة 3—2. أما في الربع النهائي فقد فازت البرازيل على البيرو بنتيجة 4—0؛ ليصعد إلى الدور النصف النهائي مقابلاً الأورغواي، ويفوز عليها بنتيجة 3—1، أما في المباراة النهائية فقد تمكن من الفوز على إيطاليا بنتيجة 4—1. ومثّل البرازيل في هذه المسابقة: فيلكس، وكارلوس ألبرتو، وبريتو، وبيازا، وإفيرالدو، وكلوداودو، وجيرسون، وريفيلينو، وجيرزينهو، وتوستاو، وبيليه، والمدرب زجالو.

1974

الدولة المضيفة: ألمانيا الغربية

الفائز: ألمانيا الغربية

احتلت البرازيل المركز الرابع في هذه المسابقة، وقد قابلت يوغسلافيا في الدور الأول وتعادلت معها 0—0، وتعادلت مع سكوتلندا 0—0 أيضاً، وفازت على زائير 3—1، أما في الدور الثاني فقد قابلت ألمانيا الشرقية، وفازت عليها 1—0، وتغلبت على الأرجنتين أيضاً بنتيجة 2—1، لكنها انهزمت أمام هولندا 2—0، ثم خسرت بعد ذلك أمام بولندا 1—0، في التنافس على المركزين الثالث والرابع. لقد مثّل البرازيل في هذه المسابقة: لياو، وزي ماريا، وإلفريدو، ومارينهو بيريس، ومارينهو شاغاس، وكاربيجياني، وريفيلينو، وفالدوميرو، وجيرزينهو، وأدمير داجويا، وديرسيو، والمدرب زجالو.

1978

الدولة المضيفة: الأرجنتين

الفائز: الأرجنتين

احتلت البرازيل المركز الثالث في هذه المسابقة من دون أن تخسر أي مباراة. لعبت البرازيل في الدور الأول ضد السويد وتعادلت معها 1—1، وتعادلت مع إسبانيا أيضاً من دون أهداف، وتغلبت على النمسا 1—0، أما في الدور الثاني فتغلبت البرازيل على البيرو بنتيجة 3—0، وتعادلت مع الأرجنتين من دون أهداف، وتغلبت على بولندا 3—1. ثم

قابلت البرازيل إيطاليا في التنافس على المركز الثالث وتغلبت عليها 2–1 . وقد مثّل البرازيل في هذه المسابقة: لياو نيلينهو، وأوسكار، وأمارال، ورودريغوس، ونيتو، وباتيستا، وسيريزو، وج ميندونسا، وجيل (رينالدو)، وروبرتو ديناميت، وديرسيو، والمدرب كلوديو كوتيهو.

1982

الدولة المضيفة: إسبانيا

الفائز: إيطاليا

خرجت البرازيل من هذه المسابقة في الدور الثاني، بعد أن لعبت في الدور الأول ضد الاتحاد السوفييتي وفازت 2–1، وتمكنت من التغلب على سكوتلندا أيضاً 4–1، وعلى نيوزلندا بنتيجة 4–0. أما في الدور الثاني فقد تغلبت على الأرجنتين 3–1، لكنها خسرت أمام إيطاليا بفارق هدف واحد 3–2. ومثّل البرازيل في هذه المسابقة: فالدير بيريس، ليندرو، وأوسكار، ولوزينهو، وجونيور، وفالساو، وسقراط، وزيكو، وسيريزو، وسيرجينهو، وإدير، والمدرب تيلي سانتانا.

1986

الدولة المضيفة: المكسيك

الفائز: الأرجنتين

خرجت البرازيل من هذه المسابقة في الدور الربع النهائي، بعد أن أخطأ زيكو في تسديد ضربة الجزاء الفاصلة في المباراة مع فرنسا.

لقد تقابلت البرازيل في الدور الأول مع إسبانيا، وكانت النتيجة 1–0 للبرازيل، ثم تقابلت مع الجزائر فتغلبت عليها 1–0، وفازت في الدور نفسه على إيرلندا الشمالية 3–0. أمّا في الدور الثاني فتغلبت البرازيل على بولندا 4–0؛ لتصعد للدور الربع النهائي وتقابل فرنسا في مباراة انتهت بالتعادل 1–1، ولحسم نتيجة المباراة تم احتساب ضربات الجزاء التي ضيع منها زيكو واحدة؛ لتصبح نتيجة المباراة 4–3 لفرنسا. ومثّل البرازيل في هذه المسابقة: كارلوس، وجوسيمار، وجوليو سيزار، وإدينهو، وبرانكو، وإلزو، وإليماو، وجونيور (سيلاس)، وسقراط، مولر (زيكو)، وكاريكا، والمدرب تيلي سانتانا.

1990

الدول المضيفة: إيطاليا

الفائز: ألمانيا الغربية

خرجت البرازيل من المسابقة في الدور الثاني في مقابلة مع الأرجنتين كانت نتيجتها 1–0 لصالح الأرجنتين، وذلك بعد أن هزمت السويد 2–1، وهزمت كوستاريكا 1–0 وهزمت سكوتلندا 1–0 في الدور الأول. ومثّل البرازيل في هذه المسابقة: تافاريل، وريكاردو روشا، وموروجالفاو (سيلاس)، وريكاردو جوميز، وجورجينهو، ودونجا، وأليماو (ريناتو غاوشو)، وفالدو، وبرانكو (مولر)، وكاريكا، والمدرب سباستياو لازاروني.

1994

الدولة المضيفة: الولايات المتحدة الأمريكية

الفائز: البرازيل



الدور الأول: قابلت البرازيل روسيا وتغلبت عليها 2–0، ثم تقابلت مع الكاميرون وتغلبت عليها 3–0 وتعادلت مع السويد بنتيجة 1–1. وتغلبت البرازيل بعد ذلك على الولايات المتحدة في الدور الثاني بنتيجة 1–0، أمّا في الربع النهائي فقد هزمت هولندا 3–0، وفي النصف النهائي تقابلت مع السويد وهزمتها 1–0؛ لتصعد إلى المباراة النهائية ضد إيطاليا، لكنها انتهت بالتعادل 0–0، لتحسم ضربات الجزاء نتيجة المباراة 3–2 للبرازيل. ومثّل البرازيل في هذه المسابقة: تافاريل، وجورجينهو (كافو)، وألدير، ومارسيو سانتوس، وبرانكو، ومورو سيلفا، ودونغا، ومازينهو، وزينهو (فيولا)، وبيبيتو، وروماريو، والمدرب كارلوس ألبرتو باريرا.

1998

الدولة المضيفة: فرنسا

الفائز: فرنسا

وصلت البرازيل للمباراة النهائية في هذه المسابقة. ففي الدور الأول: قابلت البرازيل سكوتلندا وتغلبت عليها 2–1، كما قابلت المغرب وتغلبت عليها 3–0، لكنها خسرت أمام النرويج 1–2. وفي الدور الثاني: قابلت البرازيل شيلي وتغلبت عليها 4–1. ثم تقابلت البرازيل مع الدنمارك في الربع النهائي وفازت عليها 3–2، أمّا في النصف النهائي فكانت المقابلة مع هولندا، حيث انتهت المباراة بالتعادل 1–1، لكن البرازيل تفوقت في ضربات الجزاء 4–2، أمّا المباراة النهائية فكانت لصالح فرنسا 3–0.

2002

الدولتان المضيفتان: كوريا واليابان

الفائز: البرازيل

الدور الأول: تغلبت البرازيل على تركيا 2–1، ثم على الصين 2–0، ثم على كوستاريكا 5–2. وفي الدور الثاني: تغلبت البرازيل على بلجيكا 2–0؛ لتنتقل إلى الربع النهائي هازمةً إنجلترا 2–0. وفي النصف النهائي: تغلبت البرازيل على تركيا 1–0 فانتقلت للمباراة النهائية، حيث قابلت ألمانيا وتغلبت عليها 2–0. ومثّل البرازيل في هذه المسابقة: ماركوس، وكافو، ولوسيو، وإدملسون، وروكو جونيو، وروبرتو كارلوس،

وكليبرسون، وجلبيرتو سيلفا، وورونالدينهو، وريفالدو، ورونالدو، والمدرب لويز فيليبي سكولاري.

الملحق الرابع:

كيف تصنع كرة قدم برازيلية في أربع خطوات؟

تجد كثيراً من كرات القدم في البرازيل ولا يتعدى سعرها بضعة جنيهات، وعلى الرغم من ذلك، فإن هذه الجنيهات قد تكون فوق قدرة الفقراء من البرازيليين، ولا سيما أولئك الذين يقطنون حوض الأمازون، لذلك فإنهم يصنعون كراتهم الخاصة بالمواد الأولية الموجودة لديهم مثل المطاط، وقد التقيت بأحد أبناء الأمازون، وهو مونديكو عند زيارتي لولاية أمابا، الذي تفضل بتزويدي بطريقته الخاصة لصنع كرة قدم محلية في أربع خطوات فقط.

اليوم الأول:

الخطوة الأولى: ابحث عن ثلاث أشجار مطاط في الغابة، يبلغ ارتفاعها ما بين 15 متراً و30 متراً، وقم بجرح جذوعها في ثمانية مواقع لكل شجرة، حيث تكون الجروح على شكل v، وضع وعاءً تحت الجروح لتجمع فيه المادة الصمغية البيضاء التي ستخرج من الجذوع، وتستغرق هذه العملية نهاراً كاملاً لتجميع مطاط كافٍ لصنع كرة قدم.

الخطوة الثانية: أشعل ناراً خفيفة من أغصان الأشجار والقش، وغطها بقليل من التراب حتى يتصاعد منها دخان كثيف. قُم بتكوين كرة صغيرة بحجم حبة الكرز من الطين، والصقها على طرف عصا طويلة، ثم أمسك طرف العصا واغمس كرة الطين الصغيرة في المطاط السائل في الوعاء، حتى تتكون حولها طبقة رقيقة من المطاط، ثم قربها

من الدخان المتصاعد حتى يتيبس المطاط الموجود حول الطين، كرر عملية الغمس والتيبيس اثنتي عشرة مرة، ثم اترك الكرة حتى تجف.

اليوم الثاني:

اضغط على الكرة المطاطية بنعومة؛ لإخراج الكرة الطينية الصغيرة من الثقب الموجود حول العصا، ثم انفخ في هذا الثقب؛ ليتمدد المطاط ويصل إلى حجم كرة القدم التي تريد، واربط عقدة من أطراف المطاط؛ لإغلاق الثقب.

اليوم الثالث:

اجمع مزيداً من الصمغ المطاطي من الأشجار في وعاء، وضعه فوق الدخان حتى يتجانس أكثر، ثم اغمس الكرة المطاطية التي صنعتها فيه، وكرر العملية ست مرات واتركها حتى تجف؛ ليتكون لديك كرة قدم مطاطية يمكن استعمالها.

الملحق الخامس

ملاحظات على الغلاف الأصلي

تمثل الصور[1] الموجودة على الغلاف الأصلي للكتاب باللغة الإنجليزية، الرسومات المبدئية التي قدمها ألدير جارسيا شيلي عام 1953، عندما كان في التاسعة عشرة من عمره، قبل أن يقدّم التصميم النهائي لزي المنتخب البرازيلي، وتمثل كل صورة لاعباً شهيراً في ذلك الوقت، فاللاعب الموجود على يسار الغلاف الخلفي للكتاب هو اللاعب كلوديو الذي كان يلعب في الجناح الأيمن لفريق كورينثيانس، وعلى يمينه تجد اللاعب بينيريو مدافع فريق فلومننسي، ويقول ألدير حول الزي الذي يرتديه هذا اللاعب: إنه غير مناسب إطلاقاً، فهذا الخط الأصفر حول الخصر بالإضافة للقبة الغربية تجعل الزي يبدو طفولياً تماماً. أمّا اللاعب الذي يرتدي القميص المخطط بالأخضر والأصفر على الغلاف، فهو أدمير مينسيس لاعب فريق فاسكو، الذي سجل تسعة أهداف في بطولة كأس العالم عام 1950، أمّا اللاعب الأخير على الغلاف، فهو بالتزار صاحب الرأس الذهبية الذي سجل عدداً كبيراً من الأهداف برأسه.

وضع ألدير هذه التصميمات جميعها بوصفها أمثلة؛ ليقرر فيما بعد أيها يختار للفريق الوطني، لكنه لم يختر أحدها، بل قام بتوليفها معاً لتصميم زي مختلف للمنتخب، فأخذ قميص بالتزار من دون النجوم على صدره ومن دون كلمة البرازيل، وأضاف للقميص قبة أدمير

(1) تجد هذه الصور في الخلف ص 104 – 105 من هذا الكتاب.

وسروال بنيريو وجواربه، وأعاد رسم الزي بإضافة بعض التفاصيل، وإضافة خلفية ملعب الماراكانا، وأرسل رسمه كاملاً للاتحاد البرازيلي لكرة القدم الذي قبله، واعتمده؛ ليصبح رسمياً للمنتخب البرازيلي منذ ذلك الوقت.

لقد وجدت هذه الرسومات الأصلية لدى أدمير، محتفِظاً بها من دون أن يقصد قرابة خمسين عاماً، إذ كانت مخفية في إحدى المجلات في مكتبته، وقد عثر عليها مصادفة عندما زرته للتحضير لكتابي هذا، ولم يمانع في أن تكون هذه الرسومات القديمة غلافاً لهذا الكتاب، لعلها تعكس جزءاً من تاريخ هذه اللعبة الجميلة في هذا البلد الكبير.

المؤلف:

صحافي يعمل في جريدة الجارديان الإنجليزية، وكان مراسلاً للصحيفة في البرازيل، وقد حصل كتابه هذا على جائزة أفضل كتاب عن الرياضة في بريطانيا، وجائزة النادي الوطني للرياضة لأفضل كتاب. ساهم أليكس كذلك في إنتاج عدد من الأفلام الوثائقية لمحطة BBC، وقناة الجزيرة الإخبارية. كما قرر أن يستغل شهادته الجامعية التي حصل عليها في الفلسفة والرياضيات من جامعة أكسفورد في تأليف كتاب بعنوان: «مغامرات أليكس في بلاد الأرقام». وصدر هذا الكتاب عام 2010، وقد لقي صدى واسعاً، وحظي بتعليقات مهمة في كبريات الصحف العالمية.

المترجم:

أكاديمية ومترجمة فلسطينية . تعمل في حقل التدريس الجامعي منذ عام 1993.

حاصلة على شهادة الماجستير في اللغويات والترجمة من جامعة باث - إنجلترا. وهي عضو مؤسّس في الجمعية الأردنية للمترجمين واللغويين التطبيقيين. ترجمت كتابين نشرا في مشروع «كلمة» هما: «مذاق الزعتر» وقد فاز الكتاب بجائزة جامعة فيلادلفيا لأفضل كتاب مترجم إلى العربية لعام 2010. وكتاب «تكايا الدراويش: الفن والعمارة والصوفية في تركيا العثمانية».

كرة القدم.. الحياة على الطريقة البرازيلية

يطوف بنا هذا الكتاب في أرجاء البرازيل من أقصاها إلى أدناها. من شواطئ ريو دي جانيرو الساحرة وأحياء ساوباولو المكتظة إلى غابات الأمازون الكثيفة التي لا يزال معظمها حتى الآن مجهولاً. ليعرض لنا -عبر رحلة الكاتب- مسيرة كرة القدم في البرازيل. وكيف غير البرازيليون هذه اللعبة إنجليزية الأصل وطوروها لتصبح لعبة الفن الجميل؛ حيث يحتشد الملايين لمتابعتها. ونتعرف في هذه الرحلة على حياة عدد من اللاعبين أمثال: بيليه وغارينشا. وكيف شكلت كرة القدم مسيرة حياتهم. بالإضافة لتاريخ النوادي البرازيلية العريقة منذ نشأتها حتى الآن. وما حققته من انتصارات وما عانته من إحباطات.







